

كيونغ سوك شين

راقصة البلاط

ترجمة محمد نجيب

رواية

راقصة البلاط

(چين لي)



리진1, 2
신경숙

The Court Dancer

Originally published in Korea by
Mun hakdongne Publishing Group

راقصة البلاط
رواية
الطبعة الأولى: ٢٠٢٢
رقم الإيداع: 2019/9726
الترقيم الدولي: 3- 100-803-977-978
الغلاف: حاتم سليمان

الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.
تليفون: ‎+٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩
بريد إلكتروني: info@kotobkhan.com
موقع إلكتروني: www.kotobkhan.com

This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea).





كيونغ سُوك شِين

مكتبة | 871
سُر مَن قرأ

راقصة البلاط
(چين لي)
١

رواية

ترجمة عن الكورية

محمد نجيب



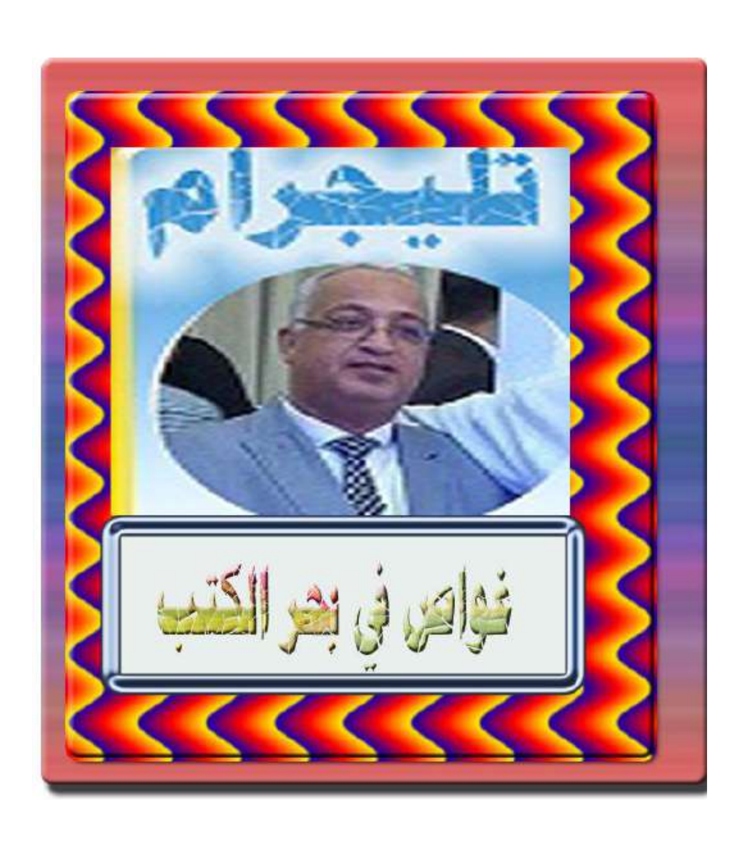


فهرسة أثناء النشر
الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

شين، كيونغ
راقصة البلاط: القصص الكورية/ تأليف: كيونغ سُوك شين. ترجمة: محمد نجيب ـ ط١. ـ القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢
٢٧٦ ص، ٢٠ سم
تدمك: 3- 100- 803- 977 - 978
١ - القصص الكورية
أ- العنوان
ب- نجيب، محمد (مترجمًا)
رقم الإيداع: 9726
الطبعة الأولى ٢٠٢٢

الكتاب الأول




تليجرام
غواص في بحر الكتب

الجــزء الأول



(١)
شَخصان

استغرقَ الوصولُ إلى الميناء أربعةَ أيامٍ كاملة.

أفضى الطريقُ الجبليُ المتعرجُ إلى طريقٍ آخر مغطى بالترابِ، حملهما إلى ممر مفروش بالحصى يطلُ على نهر تتناثرُ على سطحِه السفنُ. اجتازا حقل الأرز الموسمي حيث تتمايلُ البراعمُ النامية حديثًا بفعل النسيم. مرًا بأشجار سماق، وأشجار كرز وأشجار زلكوفا والآذريون وأزهار السوسن والهندباء وورود المسك. عبرا أمام شجرة فوانيا (عود الصليب) فاجتاحتهما مشاعرُ حنينٍ لبرهة.

سجلتْ ذاكرةُ المرأة كل منظر رأته عبر نافذةِ المحفّة عن ظهر قلبٍ وهي تفكر أنها قد لا ترى هذه المناظرَ مرة أخرى أبدًا. ثم استسلمتْ لأول مرة في حياتها للامتداد اللا نهائي للأرض الرمادية.

لم يكن هنالك أي علامةٍ على وجودِ غيمةٍ في السماء وقد هدأتْ الرياحُ. حدقَت لمسافةٍ أبعدَ، فلم تتمكنْ من رؤية أي شيء سوى أشباح

الجُزُر الطافية فوق السطح الأزرق للبحر كما لو كانت جزءًا من حلم، غير واعية بالوضع غير المستقر لمملكة "جوسون".

تتمايل السفنُ التي تحملُ الحطبَ وغيرها من البضائع مع الموجِ كما لو كانت تُسحَب ضد إرادتها من وإلى الشاطئ. ملأت الرائحةُ المتصاعدةُ من حلقاتِ السمكِ الميناء بأكمله. يرقدُ السمك الطازج على ألواحٍ خشبيةٍ. هرول بائعُ أحذيةٍ من القشِ بجوار المحفّة وهو يحمل لوحًا يعج بالبضائع على ظهره. ألقت شمسُ أيام الصيف الأولى بأشعتها الدافئة على البشر المشغولين بحياتهم اليومية.

كان رفيقها دبلوماسيًا اعتاد قضاء شهرين من السنة على متن سفينة، لكنها كانت راقصةً في البلاطِ الملكي وتستعدُ لركوبِ سفينةٍ لأول مرة في حياتها. رفيقها رجلٌ فرنسيٌ طويل، يُغطي وجهَه الشاحبَ شاربٌ ويرتدي صديري قصيرًا وبنطالاً فضفاضًا يصلُ إلى كاحليه، تحت معطف سفر مشدود بحزامٍ.

أما المرأة الكورية الأصل فترتدي فستانًا أزرق خفيفًا يتلاعبُ به النسيم باستمرار كأمواجٍ متعاقبة، وتمسكُ في يدها بقبعة مطرزة بالزهور ومعطفٍ لترتديه في حالةِ هبوب الرياح.

لفت كلاهما انتباه الجميع: رجل عجوز يضع غليونًا في فمه، وبائع قباقيب، والشباب المتسكعين، هذا بخلاف الأطفال المغبرين الذين يلعبون في الطرقات، وحتى الأجانب – مثل الصينيين الذين اقتربوا من المحفّة ليبيعوا لهم الشاي والحطب، واليابانيين الذين يبيعون الأرز والسقالات – كل هؤلاء حدقوا نحو الاثنين كما لو أن بابًا قد فُتِح على عالمٍ غريب.

لفتت المرأة انتباههم أكثر. جمعت المرأة شعرَها الأسود السميك واللامع وعقصتْهُ فوق رأسِها. عيناها كخرزتين داكنتين تتوسطان وجهها ذي البشرةِ الناعمةِ. كان حتميًا أن تلفتَ الانتباهَ، خاصةً أن قصَّات الشعر الغربية منظرٌ نادر في هذا المكان.

انساب فستانها الأزرق على جسمها من كتفيها نزولاً الى خصرها حتى كاحلها متخذًا شكل حرف S . كانت مُميَّزة بوضوح، مُقارنةً بالنساء قرب أرصفة الميناء في أرديتهن الكتانية. كان المتطفلون يدنون منها ثم يتقهقرون باستمرار. نظروا إليها بنظرات متسائلة: هل هي امرأة أجنبية؟ لا، يبدو أنها كورية. تركزت نظراتُهم الفضوليةُ على وجهها قبل أن تنتقلَ الى الفرنسي فيكتور بأنفه الشامخ وبشرته البيضاء وشعره البني الجعد.

لم يستطعْ البعضُ إزاحةَ عيونِهم بعيدًا عن الشريط الأبيض اللامع الذي يُحدِّد تقويرة الفستان. حافظوا على مسافة بينهم وبينها خشية أن يدوسُوا على حاشية فستانها. لكن نظراتُ الإعجاب تلك كانت مصحوبةً بالشك أيضًا. لماذا ترتدي امرأة كورية ثيابًا غربية؟! عبس البعضُ في وجهها تعبيرًا عن امتعاضِه.

لم تكنْ الفتنةُ الغامضة التي تكتنفها بسبب ثيابها المُثيرة، ولم تكن السبب الذي جعلها تُلفِتُ الانتباهَ إليها رغم أن المكان يعج بعددٍ هائل من السيدات الأخريات. بل كان السبب هو مؤخرة عنقها اللامعة وعُمق نظراتها. كانت مؤخرة عنقها المكشوفة مُثيرة حقًا حين تحنِي رأسها، ومثالية الشكل حين تقف باستقامة، وساحرة حين تميل بجسدها كما لو كانت تهفو الى لمسة يد. وكذلك عيناها المتلألئتان أسفل حاجبيها المتماثلين بدقة. بدت عيناها متأهبتين لإبداء التعاطف مع أكثر المشاهد حزنًا. كانتا داكنتين كمحيطٍ لا نهايةَ لعُمقِه.

بشرتها من أسفل أذنها حتى خدها ورديةٌ مما أكسبها مظهرا خجولا. لكن أنفها الدقيقَ والمستقيمَ بين عينيها ساعدَ على تبديد هذا الانطباع، وأعطى وجهَها لمحةً من الذكاء. كان مزيجًا نادرًا. حول شفتيها التي لم تكن رفيعة أو سميكة، شعيراتٌ بيضاء ملساء لا تكاد تُرى. لفمها جمال خاص ليس لأي شيء أن يعكره.

مع ذلك لم يكن هذا الجمال هو السبب الوحيد للفتنة التي تشعُ منها. بل كانت تنبع أيضًا من الطريقة التي تحافظ بها على أناقتها، ومشيتها الموزونة التي تعكس ثقةً بالنَفس. رغم وطأةِ النظراتِ التي تُلاحقها لم يبد عليها أي علامة على أنها تبالي بتحديقات البشر الفضولية والشهوانية نحوها. مشيتها مميزة عن مشية نساء كوريا العاديات، اللواتي يمشين وأجسادهنَّ محنيةً قليلاً، ووجوههن تبرزُ من المعاطف الطويلة التي تمتد لتغطي رؤوسهنَّ احتشامًا. لم تحد مشية المرأة عن توازنها المثالي أبدًا ولو حتى للحظة. لم تهتم حتى بأي محاولة للمراوغة مثل التظاهر بالتحديق نحو المحيط لتجنُب النظرات الممتلئة بالشك التي تحيط بها. ذراعاها كانتا مفرودتين، والطريقة التي كانت تتقدم بها تعطي شعورًا بأنها قوية بالقدر الكافي كي تتجاوز أي عقبة قد تعترضُ طريقَها. خفف من الطبيعة القوية والمُتحدِّية لمشيتها عمقُ نظراتها، وجمال مؤخرة عنقها والطيبة التي تشع من وجهها. مشيتها الواثقة، في مواجهة العيون المتربصة، جعلت المتطفلين يطلقون تنهيدةً استسلام ثم يبتعدون عنها.

لم تكن تعرف هذه المرأة الجميلة التي تصدرت المشهد أن الميناء المحاط بتلال منخفضة لم يكن قبل عشرِ سنواتٍ فقط، أي قبل التوقيع على "معاهدة

جيمولبو[1]" سوى قريةٍ هادئةٍ مكونةٍ من عشرةِ بيوتٍ سقوفها من القش. كما هي العادة غالبًا في الحياة، تأتي رياحُ التغييرِ فقط عندما تُفرَضُ بالقوة. تغيَّرتْ ملامح القرية الصغيرة التي تحيطها المياه من كل الجهات سريعًا بعد توقيع المعاهدة. حصلت اليابان على حق انتفاع ثم لحقتْ بها الصينُ وأممٌ أخرى فانتشرت تجارتهم في كل مكان في الضواحي التي كانت مُهمشةً ذات يوم. سرعان ما بات واحدٌ من كل عشرةِ أشخاص في "جيمولبو" يابانيًا أو صينيًا.

مع ذلك حتى هذه اللحظة من الزمن، لا يعرف أحد يقينًا ما إذا كان وجودهم هذا سيبعث السعادة أم الأسى في هذه البلدة الصغيرة المتاخمة للبحر.

***

فكرتْ المرأة أنَّ الطقس مناسبٌ للإبحارِ، لكن سرعان ما تجاهلت هذه الفكرة. تذكرت نصيحة موظف المقاطعة، المُكلَّف من قَبَلِ الهيئة الدبلوماسية والتجارية "شو بيونجسيك"، أثناء توديعه لها ولڤيكتور: "من الفألِ السيءِ أنْ تقولَ "طقسٌ مناسبٌ للإبحار" حين تكونَ على وشكِ ركوبِ سفينة، فالطقسُ الجيدُ قد يسبقُ عاصفةً".

كان ضمن الأشخاص الذين ودعوهما موظفو الميناء ومبعوثون فرنسيون وراهباتٌ فرنسياتٌ مستقِّرات في كوريا منذ زمن. لم تستطع أن تلمح أي مبنى طويل أو سفينة ضخمة في الأفق. رغم أن هذا الميناء معبرٌ

---

[1] أو المعاهدة اليابانية الكورية: معاهدة وقعتْ عام ١٨٧٩. أسست للعلاقات اليابانية الكورية وأجبرت كوريا على الخروج من عزلتها وفتح موانئها للتجارة، ومنها ميناء جيمولبو الكبير الذي سميت باسمه الاتفاقية.

دوليٌ، لكنه لا يبدو مختلفًا عن أي رصيفٍ بحري محلي. كانت الأمواج قرب الشاطئ هادئة تمامًا كالأمواج في عرض البحر. من بين الأسطح المنخفضة أمكنها رؤية المستوطنات المبنيةَ على الطراز الأوروبي. بدت أسطحُ البيوت المصنوعة من القش متداخلةً في غيابِ أي مبنى مرتفع. تسرَّبت أشعةُ الشمس من بينها، فغمر الضوء الدافئ المرأةَ التي رقصت يومًا من أجل الملك في قصره المهيب مزخرف الجدران. كانت أسطح مباني القصر عالية وعريضة، تكاد تلامس بعضها البعض.

كانت الرحلة إلى الميناء سلسلةً متصلة من لقاءٍ وفراق لأشياء لم ترها من قبل في حياتها وأراضٍ لم تطأها قدماها سابقًا وأشخاصٍ لم تلتقيهم أبدًا.

أين قال لهما "شو بيونجسيك" تلك الكلمات؟ حاولت التذكُّر.

في اليوم الذي غادرا فيه العاصمة، قضت القافلة الليلة في نُزل. كان النُزل مُحاطًا بسورٍ خشبي ويوجد في باحته اثنا عشرة فرسًا قزمًا. صَهلت الأحصنة الصغيرة المحبوسة خلف الأسوار كما لو كانت في شوق عارمٍ للانطلاق في الحقول. عندما حل الظلامُ، وصلتْ صيحاتُ الكائناتِ الجبلية إلى الغرف الخالية من النوافذ.

قد تحمل كلمةٌ طيبةٌ الحبَّ بين ثناياها كبذرةٍ مدفونةٍ في الترابِ.

في هذا النُزل على سفحِ الجبل، سمعت "چين لي" راقصة البلاط السابقة، الموفَد الفرنسي ڤيكتور يناديها بالكورية "ملاكي". كانت مصدومة أكثر بتلفُّظه الكورية بطريقة سليمة خالية من أي لكنةٍ فرنسية أكثر من مناداته لها بـ الملاك. تدرَّب ڤيكتور على الكورية كلما سنحت له الفرصة لذلك، لكن كان هنالك شيء ينقصه دائمًا لإجادتها، وكانت كلماته تخرج مبعثرةً من دون ترابط. عبورها المحيط إلى بلده، كان يعني

العيش مع أناس تتحدث بلغة مختلفة. ربما استشعر توترها الداخلي. لم يكن هنالك أي شك في أنَّ ڤيكتور قد ناداها بـ"ملاك" لأول مرة بكوريةٍ متقنة، في هذا النُزل القابع فوق سفوح جبال بلادها.

جعلتها الكلماتُ الكورية المتدفقةُ بسلاسةٍ من بين شفتيه تدرك لأول مرة كيف يمكن للغةٍ أن تحرك المشاعر. ڤيكتور الذي لا يزال يجد صعوبة في نطق اسمها، جعل قلبها الوديع يرتعش. كانت مغمورةً بنشوةٍ كأنها قد غاصت بقدميها المرهقتين في ماء دافئ. شعورٌ محا التعبَ الذي خلّفه اهتزاز جسمها طوال اليوم داخل المحفّة. في تلك اللحظة اختفى هاجسُها بضرورة إبقاءِ مسافةٍ بينهما، والذي انتابها منذ أول يوم قابلت فيه ڤيكتور وقاومت على أثره محاولاته الضنينة للتقرُّب منها. تركت شعرها الأسود يسقط على مؤخرة عنقها وأمسكت بفرشاة شعرها.

" هلا مشَّطتَ لي شَعري! " [٢]

اتسعت عينا ڤيكتور من السعادة. كان يرغبُ بشدة في أن يمشطَ شعرها. أول هدية أهداها لها بعد خاتم الزواج هو فرشاة شعر أحضرها من بلده. لسوء حظه، لا تحب چين أن يلمسَ الآخرون شعرها باستثناء المحظية الأرملة تشيولين عندما كانت طفلة في البلاط الملكي أو المرأة سوه. حتى حين كانت نساءُ البلاط الشابات تثرثرنَ وتضحكنَ بينما تمشطنَّ شعر بعضهنَّ البعض، ويجدلنَّ الضفائر معًا ويربطنَّها بشريطٍ بنفسجي، كانت چين تجلس وحيدة على مبعدة، وأصابعها تقاوم رغبةً ملحة لمحاولة تقليد تسريحة شعر الصفصاف المتهدل الأغصان التي تصففنَ به نساء البلاط شعرهن.

---

٢ بالفرنسية في الأصل.

في الماضي متى أرخت شعرها لتمشطه، كانت تتجاهلُ ڤيكتور حين يرمقها بنظرةٍ مُتوسِّلة. لكن ها هي الآن، قد أسدلت شعرها ويدها تقدم إليه فرشاة الشعر. التقط ڤيكتور الفرشاة وجلس وراءها. أخذ لحظة ليدفنَ وجهه في سُواد شعرها الساحر عاجزًا عن تصديقٍ أنها قد طلبت منه أن يمشطه. كادت ابتسامة أن تقفز على وجهه. التعبير نفسه الذي يعلو وجه چين كلما نطق ڤيكتور اسمها بارتباك: "چين لي".

بدأ ڤيكتور في تمشيط شعرها. بعد فترة، وضع وجهه بجوار وجهها وقال: "هلا مشطت لي شعري؟" في تقليدٍ مرح للكنتها. تمايل شعرُ چين كموج دوَّار بينما تلتفت لمواجهة ڤيكتور. أحاطت وجهه الباسم بيديها بينما لا تزال الفرشاة في يده، ثم دنت بشفتيها من شفتيه. لامست لحيته خدها الدافئ بفعل الإثارة. أمسكت يده برقةٍ ووجهتها. أسقط الفرشاة على الأرض. سمعا صهيلَ الحصان الذي امتطاه ڤيكتور طوال النهار يئنّ من الإرهاق في الخارج. استأجر ڤيكتور ثلاثة أحصنة من المدينة مع المحفّة، اثنين منها لحمل أمتعتهما. كلفهما ذلك مئة يانج لكل عشرين "لي".[٣] أصيب أحد الأحصنة بجرحٍ في بطنه أثناء الرحلة. ربما ضاجعَ فرسةً في باحة النزل ثم آوى إلى النوم بسرعة.

على الصوت الذي تصدره الأحصنةُ المُنهكةُ أثناء نومها، جرَّدت چين ڤيكتور من قميصه. كان صدره العاري متوردًا. أرقدته على بطنه ثم تغلغلت بأصابعها بين خصلاتِ شعر مؤخرة رأسه ثم شدَّتها برفق قبل أن تهبطَ أكثر بها مرورًا بعنقه حتى نهاية عموده الفقري. ارتخت كل بقعة لمستها أصابعها وصارت لينةً. كانت تفرد يدها فتصبح باتساع ورقة

٣ وحدة قياس صينية تعادل ٥٠٠ متر.

حشيشة السعال[4] ثم تشدُّ عليها فتصبح قوية كحجر كوارتز. هذه التغيُّرات في شدَّة لمساتها ولَّدت توردًا دافئًا ومنعشًا في جسده. انتشرت الحرارة حتى باطن قدمه وأشعلت من جديد نار رغبتِه التي أخمدها امتطاءه ظهر الحصان لمدة طويلة وإرهاقه الشديد. قبل أن تتمكن يدها من الترحال أكثر في أرجاء جسده، التفت ڤيكتور بجسمه واستلقى على ظهره. قرَّبَ وجهها منه وقبَّلها ثم مسد ثدييها من فوق القماش الخفيف لفستانها الليلي. التوى لسانها الناعم في فمه. جرَّدها من ثيابها ثم لامس بيده نهدها. شعر بموجةٍ ساخنة تسري أسفل خصره. ضمها أكثر إليه ثم سرعان ما التحم جسداهما بينما تبحث أيديهما عن جسد كل منهما في الظلام. ربت ڤيكتور على وجه چين ودفن أنفه بين نهديها واحتضنها بقوة. تقوَّس ظهرُ چين. مرَّر شفتيه على عنقها ثم عضَّ شحمة أذنها. تورَّدَ وجهُ چين، وذابت النظرة الحزينة المتجمدة من عينيها، وكسا الأحمر شفتيها. اصطدمت ركبتاهما بينما يحاول كل منهما إحاطة الآخر بجسدِه. لم تمر بذهن أي منهما في تلك اللحظة أي فكرة مظلمة.

* * *

بالكاد كانت تلامس حوافرُ الأحصنةِ المندفعةُ بخفةٍ الأرض.

كانا واعيين بشكل خاص لخلجات كل منهما بسبب ليلة الأمس الحميمة، فجلب ذلك مزيدًا من موجات اللذة المشتركة إلى السطح. لاحظ كل منهما قطرات العرق المُنداة المتشكلة على جبهتيهما. كانت تنتقل أقلُ ارتجافة تسري في جسد أحدهما إلى الآخر. كان من الصعب

---

٤ عشبة مُعمِّرة ذات زهور صفراء ذهبية وأوراق قلبية الشكل. استُخدِمت منذ القدم في علاج الكثير من الأمراض.

تحديد إذا كان جسد المرأة الدافئ قد غلّف الرجل أم أن جسدَ الرجل الخشن قد توغل داخل كيان المرأة. في اللحظةِ نفسِها، انفجرت شراراتٌ متوهجةٌ بداخل الحبيبين. غطت وجهها بيديها بينما تقوّس ظهرها لأقصى درجة ممكنة. لم ترغب في أن يرى قطراتِ الدموع المتجمعة في مقلتيها.

"چين!"

لم ترد عليه.

"أحبُك!"

مسح دموعها بطرف لسانه في رقةٍ.

دب أو صقر أو ربما قندس. سمعا عواء حيوان قادم من مكانٍ ليس ببعيد. أغلقت چين عينيها المبللتين بالدموع وأصاخت السمع. لم يكن صوت تنفُس الأحصنة. استلقى العاشقان على الرمال غارقين في عرقهما وناما على الصدى البعيد لصراخ وحش جبلي ينادي أمه.

***

في الليلة الماضية، نامت چين في الفراش نفسه مع "سُوا" في فندق "دايبوتشو" الياباني داخل حدود الميناء. كانت مفاجأة أعدها ڤيكتور من أجل چين كي تودِّع صديقتها. كانت سُوا شريكة چين في الحجرة نفسها في القصر منذ أن دخلتاه في سن السادسة.

كلتاهما اشتركتا في مراسم الاستقبال الشرفية ورقصتا معًا. لكن كانت سُوا تخدم في جناح الطعام وچين في جناح التطريز. كانتا تنامان على نفس

"الفوتون"[5] في القصر. كثيرًا ما تشعر إحداهما بالتوتر عندما تكون الأخرى بعيدة عن ناظرها. كانتا تشعران دائمًا بالحاجة إلى معرفة أين الأخرى؟ وماذا ستفعل الأخرى إذا كانتا على وشك أداء رقصة "السلام العظيم"، أو رقصة "ابن الملك التنين" أو رقصة "عطر الجبل"، وإلا لن تنجح حركات أيديهما وخطوات أقدامهما في خلق حركةٍ صحيحةٍ ومتوافقةٍ. كان على چين أن تعرف ماذا تفعل سُوا في أعمالها اليدوية كي تتقن فن تطريزات "السلحفاة" وعود "الصليب"[6] على الحقائب الحريرية العديدة في القصر وعلى الجوارب التي تُكلف بحياكتها. وكانت سُوا لا تكف عن سؤال چين كيف تجعل يداها هادئة وثابتة أثناء إعداد وحمل الفاكهة لتقديمها على مائدة الملك.

في تلك الليلة أهدت سُوا چين حفنة من تربة حديقة القصر وبذور زهور وبرطمانا مغروسًا بداخله زهرة أوركيد "خف السيدة".[7] كانت الزهرة نفسها التي غرساها معًا في حديقة جناح التطريز. كان على چين أن تغلق عيناها عند رؤيتها للون الأخضر العميق لأوراق الزهرة المُدببة. قالت سُوا أن على چين بمجرد أن تعبر المحيط وتصل إلى بلاد ڤيكتور أن تستبدل التربة داخل البرطمان. كانت التربة ملفوفة بعناية شديدة. أعدَّت سُوا تشكيلة من بذور الزهور التي تزدهر في القصر أيضًا كي تزرعها چين في هذه الأرض الغريبة التي سترحل إليها.

---

5 سرير أرضي تقليدي، يكون مُفرَّغًا من الهواء وسمكه حوالي ٥ سنتيمترات ومحشوًا بالقطن أو الصوف الاصطناعي.

٦ نبتة حولية معمرة تتميز بأزهار حمراء تشبه الورد.

٧ زهرة برية تابعة لعائلة الأوركيد تنمو في المناطق الرطبة. منشأها الصين. تتضخم إحدى بتلات الزهرة فتبدو كشفة تجعل الزهرة تبدو كالخف.

"فكري فيّ حين تزدهر البذورُ وتتفتح الأزهارُ"، قالت سُوا.

بدأت عيناها ترتعش حين قالت إنّ هذه التربة قد جمعتها من فناء جناح التطريز. نجحت عيناها في التعبير عن الوداع الذي عجز صوتها عن تحمُّل التلفُّظ به.

عندما انتهت چين من نقل متاعها إلى ظهر السفينة، أخذت زهرة الأوركيد والتربة وبذور الزهور لتحفظها في قمرتها. شعرت أنها ستحتاج هذه "التميمة" من سُوا لتبعث فيها الطمأنينة أثناء رحلتها الطويلة في قلب المحيط.

كانت سُوا التي أكدت لچين بأنها ستعود بسلام إلى القصر مع بزوغ الفجر، واقفة تلوح إليها بيدها وسط الحشود على رصيف الميناء بعد أن صعدت چين على متن السفينة. في تلك اللحظة بينما تقف چين على ظهر السفينة، وتقف سُوا على الرصيف، أدركت چين أخيرًا أن رحيلها عن كوريا قد بات واقعًا. سرعان ما ابتعد الميناء المزدحم عن ناظريها. كل ما كان يملأ عينيها هو مشهد سُوا وهي تلوح إليها قبل أن تلمح رجلاً يقف ثابتًا بجوار مبنى أبيض قُرب مدخل الميناء. تحرَّك كل شيء مبتعدًا عنها خاصة يد سُوا وهي تلوح لها مُودِّعة لكن ظل الرجل يقف هناك مُتسمِّرًا في مكانه لافتًا انتباهها لسببٍ لا تعرفه. فقط حين أعلنت السفينة بدء الإبحار، خطا الرجل خطواتٍ قليلة للأمام فوق الرمال البيضاء للشاطئ.

كانت چين قد لاحظت وجوده منذ قليل فقط لكنه كان هناك حين أشرقت الشمس وحين جذبت چين أنظارَ جميع المتواجدين في الميناء إليها. كان هناك حين كانت تقف بجوار ڤيكتور أثناء توديعهما المبعوثَين الفرنسيَّين

وعندما اقتربت الراهبات بجوار "الريكاشة"[8] وانحنين لها تحيةً. وها هو الآن يقف في البقعة نفسها ولا يزيح عينيه عنها أبدًا.

هل يمكن أن يكون يون؟!

ارتعشت عيناها، التي كانت ساكنة منذ لحظات كما لو كانت تخفي ورائها قاعَ المحيط فجأة مثل أمواج هائجة. هل أتى إلى هنا حقًا؟! حاولت أن تميل بجسدها على الدرابزين لكن ڤيكتور سارع بوضع يده على مؤخرة عنقها. فقدت اتزانها للحظات لكن سرعان ما اعتدلت في وقفتها من جديد، واستعادت رباطة جأشها المعتادة. فتشت عيناها الميناء البعيد بحثًا عن يون.

"چين!" ناداها ڤيكتور لكنها لم تسمعه.

يون الذي تأملت معه شجرة المشمش التي زرعتها وهي طفلة في الخامسة وهي تكبر شيئًا فشيئًا حتى صارت هذا الكائن الضخم. طافت عيناها بسرعةٍ عبر البشر القادمين والذاهبين في الميناء، بين الامتداد اللا نهائي للأرض بمحاذاة الشاطئ والمباني المتناثرة تحت ضوء الشمس الساطع. لم تجده. اختفى فجأة كما ظهر فجأة. تسلل إليها إحساسٌ بقبولٍ مرير.

بالكاد تمكنت سُوا من توديعها بفضل الإذن الخاص الذي منحته لها "الليدي سوه". لا بُد أنني مخطئة! فكرت چين وهي تعضُّ على شفتها. كيف تمكن يون من إيجاد الوقت اللازم كي يأتي إلى الميناء-أربعة أيام سفر كاملة من العاصمة -وهو الذي تحاشى رؤيتها في الأيام القليلة قبل أن تغادر

---

٨ مركبة يابانية تقليدية بعجلتين.

المدينة رافضًا أن يسمع أي كلمة وداعٍ منها. *لا بُد أنني أتخيل أشياء*، فكرت وهي تغلق عينيها. عندما فتحتهما من جديد، كانت قد هدأت.

"أحبك".

وضعت يدها فوق يد ڤيكتور. كم هو مختلف هذا الرجل الواقف بجوارها، أكثر اختلافًا حتى من الرجال اليابانيين أو الصينيين الذين قابلتهم في الميناء.

ليس لديه عظام وجنة بارزة كالرجال الكوريين ولا يملك النظرة الجامحة لرجال الشمال وعيناه ليست ضيقة ومزاجه ليس طائشًا، وسلوكه ليس حماسيًا بشكل زائد. وأهم شيء أنه يتحدث عن العشق أكثر من أي رجل كوري. هذه الاختلافات جَليَّة تمامًا مثل البدلة الغربية التي يرتديها.

بديا چين وڤيكتور مختلفين عن الركاب الآخرين رغم أنهما استقلا السفينة مع الجميع. فمع أنهما يقومان بالرحلة الطويلة نفسها كبقية الركاب على متن السفينة، لكنهما يمنحان انطباعًا أنهما في رحلة خاصة بهما هما فقط. تلتقي نظرات عيناها الشرقية ببريقها وتعقُلها، وعيناه الغربية أسفل جفنين متجعدين وحواجب كثة، ببعضها البعض في المسافة الفاصلة بينهما. نظراتها عميقة ومفعمة بأسى غامض بينما نظراته مليئة بالفرح.

"چين".

بدأت السفينة تشقُ عبابَ المحيط مُنطلقة بسرعتها القصوى.

"لا يمكنكِ أن تتخيَّلي كم تمتلكين من روحٍ مشرقةٍ. رغم كل الجمال الذي تمتعت به في كوريا، بمجرد أن نعبر البحر ونصل إلى بلدي، ستمتلكين جمال الحرية أيضًا. سيقع أهل بلدي في حبك بشدة. لنُقِم حفلَ زفاف يليق بنا عندما نصل. لندعو الكثير من الناس ولنريهم كم أنتِ عروس جميلة".

غاصَ قلبُ چين بين ضلوعِها. بالنسبة لامرأةِ بلاطٍ، لا يختلف حفل التنصيب عن حفل الزفاف. ولقد اجتازت حفلَ تنصيبِها منذ فترةٍ طويلة في القصر. ارتدت رداء زفاف أخضر فاتح اللون وساطعًا، منحته إياها الليدي سوه، كان الثوب يلمع بفعل طائري العنقاء المطرزين على صدره وظهره، كما زوَّدته رفيقتها سُوا بجرابٍ مُعطَّرٍ مصنوعٍ من حرير ساتان أخضر ومُزخرف بعقدٍ على شكل أوراق الزنبق وشُرَّابات على شكل فراولة. كللت رأسها بتاج مطرز بالزهور فوق جديلة شعرها المُضفَّرة بعناية والملفوفة حول رأسها. قدمت فروض الطاعة والولاء إلى القصر أمام الملك والملكة. خبزت يومها كعكَ أرزٍ على شكل زهور وأرسلته إلى امرأة البلاط التي ستعمل تحت إمرتها، ودبرت طائرَ قبطَ جبلي من متجرِ الدواجن لتقدمه إلى رفيقاتها في السكن احتفالاً بتنصيبها.

جعلها هذا الاحتفال وفقًا لمعايير البلاط الصارمة إحدى نساء الملك، لكن ها هو الملك يرسلها بعيدًا عن القصر مع هذا الرجل.

"أعدك بذلك" أنهى ڤيكتور كلامه.

لم تكن متيقنة من مشاعرها. اجتاحها شعورٌ مبهم لم تستطع تميز طبيعته. حاولت أن تتخيل هذا البلد التي يسميها "بلده"، لكنها فشلت. كلما سنح لها الوقت، كانت تحاول حفظ أسماء شوارع بلده وفهم طبائع

شعبه من خلال الكتب. لكن الشيء الوحيد الذي تذكرته في تلك اللحظة هو اسم رئيسها "سعدي كارنو".[9]

أين يمكن أن تقع هذه البلد الرابضة في نهاية هذا المحيط الشاسع؟ أرضٌ يحكمها رئيسٌ وليس ملكًا؟ تلك البلد التي سيستغرق الوصول إليها رحلة بحرية تدوم لشهرين كاملين. ما منظر شوارعها وكيف تبدو جبالها وأنهارها. ما نوع الأحذية التي يرتديها شعبها أثناء سيرهم في شوارعها؟ ارتعشت مقلتاها من هذا الهجوم المفاجئ للآمال والهواجس بشأن المستقبل الذي عصفَ بها من دون سابقٍ إنذارٍ.

عندما أعلن ڤيكتور، الذي عمل موفَد فرنسا الرسمي في بلدها، عن قراره بالعودة إلى بلده، منحه الملك مباركته. أضاف الملك برجاء:

"لا تنس كوريا عندما تعود إلى فرنسا".

التفت الملك إلى چين التي كانت تقفُ أمامه بجوار ڤيكتور ثم أغلق عينيه. كان وجه الملك شاحبًا ومتعبًا. بدا وحيدًا وحزينًا ومنهكًا من الإنصات طوال اليوم للصراعات المختلفة بين الصين واليابان، وأحوال رعيته ونصائح مستشاريه وحديث والده وزوجته. فتح عينيه ببطء وطلبَ من چين أن ترفع رأسها. فعلت لتواجه الرداء الملكي حيث يتلوى التنينُ الذهبي في سماء من المخمل الأحمر. مرت فترةٌ من الصمت قبل أن يتحدث الملك ليصدر مرسومًا غير متوقع.

"قررنا منحكِ اسمًا. ستكون كنيتكِ هي "لي چين"".

---

٩ الرئيس الرابع للجمهورية الفرنسية الثالثة. اغتيل عام ١٨٩٤.

وقفت چين بجوار الرجل الذي سيأخذها معه عبر المحيط، وشعرت برعشة تسري في أوصالها. انبثقت بداخلها مشاعرٌ شتى متداخلةٌ. لكن الكلمات الوحيدة التي بالكاد استطاعت أن تتلفظ بها من خلال شفتيها الظمآنة.

"هذا شرف عظيم تمنحه إياي جلالتك".

تحدَّث الملك مع ڤيكتور، المبعوث الفرنسي، أول موفَد رسمي تُعيِّنه فرنسا أثناء هذا الوقت الذي تجد كوريا نفسها فيه محاصرةً من قوى أجنبية شتى.

"أتشاركُ الآن وهذه المرأة الشابة في الكنية نفسها. اتخذت هذا القرار أملاً في أن تُستَقبل استقبالاً لائقًا كزوجة لك عندما تعودان إلى فرنسا".

يمكن أن نستشفَ مكانةَ شخصٍ ما من خلال اسمه.

وافق ڤيكتور من دون تردد على الاسم الذي منحه الملك إليها وناداها فورًا به. هي التي عُرِفتْ من قبل بـ "سوه يوهريونغ" أيام كانت راقصة، وبـ "الخادمة سوه" أيام عملها في جناح التطريز. تناديها "سُوا" بـ "جينچين"، ويناديها "يون" بـ "جرس الفضة". صارت الآن "چين لي".

في تلك الليلة، استُدعِيتْ چين إلى جناح الملكة. مرت ثلاث سنوات منذ سماح الملكة لها بالعيش مع الموفَد الفرنسي. جلستا حول مائدة من القهوة وقطع الكعك. قالت الملكة:

"اقتربي مني أكثر".

تستريح فوق ثوب الملكة قلادة خضراء متلألئة في نهاية عقد من الأقحوان. مضى وقت طويل منذ جلست قريبة هكذا من الملكة لتلاحظ تمايل الشرّابات المُزيّنة للثوب.

أفضت الملكة إلى چين بأن منح الملك كنيته لها يعني أنه يعتبرها ابنة له.

لأنه من غير المسموح النظر مباشرة إلى وجه الملكة الشاحب، وشعرها الملفوف بعناية على شكل كعكة فوق رأسها، والمُثبَّت بمشبك شعر مُرصَّع بجوهرة، لم تستطع چين سوى الإبقاء على رأسها محنيًا.

"أوافقه الرأي. لو كانت هذه أسرة طبيعية، فإن قلبي سيكون قلبَ أمٍ ترسلُ ابنتها بعيدًا من أجل الزواج"، أضافت الملكة.

أحنت چين رأسها أكثر.

"الإحساس الذي يولده ذِكرُ اسم شخص في نفوس الآخرين، ينبع من النهج الذي يتبعه حامل الاسم في حياته. لذا احرصي على أن تعيشي حياة جميلة، كي ينطق الآخرون اسمك في سُمُوٍّ".

يمكن لچين أن تشعر بالفخامة الكامنة في اسم الملكة بوضوح.

"هل ترغبين في قول أي شيء لي؟"

كاد قلب چين أن ينفجر من كل الكلمات التي تريد أن تقولها للملكة، منذ النهاية المفاجئة لحياتها في القصر من ثلاث سنوات. كلمات مفعمة بالغضب والحب والقلق والحزن. كبتت هذه الكلمات بداخلها ورفعت رأسها.

"أتمنى أن أرقص من أجلك رقصة "أوريول الربيع"".[١٠]

---

١٠ "الأوريول" أو "الصفير الذهبي". طائر ينتمي لفصيلة العصفوريات.

علا وجه الملكة الدقيق الملامح تعبيرٌ ينمُ عن التفكير. ربما تكون أكثر من كان يستمتع برقص جين في القصر. أشادت بها الملكة من قبل وصرحت بأن من بين كل راقصات القصر كانت "سوه يوهريونغ" أفضل مؤدية لرقصة "أوريول الربيع".

" لكِ ذلك".

نهضت جين بحذر مبتعدة عن الملكة ومشت بخفة فوق الحصير المزخرف بالزهور. كانت رقصة "أوريول الربيع" أشهرَ رقصةٍ منفردةٍ أثناء مأدب الربيع. الخطوة الطائرة، البرج الصخري، الزهرة الساقطة، الماء المتدفق، وما قبل التفتح... تتضمن هذه الرقصة كل حركة من حركات رقصات البلاط الملكي وهذا ما يفسر صعوبتها.

لم يكن هنالك أي موسيقى ولم تكن ترتدي تاج الزهور على رأسها لكن كانت حركات جين رشيقةً، تكشفُ عن تمكن وسيطرة فائقين. في النهاية قد تكون هذه هي آخر رقصة تؤديها من أجل الملكة.

"كإنسانة تحلم بالعالم التنويري الجديد لكن لا يمكنها أن تخطو خطوة واحدة خارج حدود القصر فإني أغبطك، يا جين". مرّ صوت الملكة كغيمة بجوار أذن جين، حيث بدأت تتجمع قطرات من العرق. "وستذهبين إلى هذا العالم بسبب الحب، لذا لا تشعري بالندم".

بينما ترقص، صارت جين شجرةً ثم نارًا متوهجة.

"اذهبي إلى هذا العالم الجديد وتحرري من كل القيود. تعلمي أكبرَ قدر ممكن من الأشياء الجديدة وابدئي حياة جديدة".

رقصت جين فباتت ترابًا ثم فولاذًا.

"ربما تكونين أول امرأة كورية تسنح لها الفرصة لتبتعد كل هذه المسافة عن الوطن".

في النهاية أصبحت ماءً متدفقًا.

"لا تنسِ بلدَك الهشَّة التي ستتركينها وراءك".

لن تنسى. لن تستطيع أبدًا. ولن تنسى الملكة التي عُومِلتْ من قبل كما لو كانت قد ماتت، ومُنِحَتْ مراسم دفنٍ وطنية. كأوريول يغني فوق جذع شجرة في الربيع، صلَّتْ بكل خلجاتها أن تكون أيام الملكة القادمة مليئة بالسلام.

أحنت چين المغمورة بالعرق رأسها مرة أخيرة إلى الملكة.

"هلا دوَّنتِ كل ما تشاهدينه وتسمعينه وتشعرين به في هذه الأرض الغريبة وترسليه إليَّ؟"

بدا التنين المحفور على الجوهرة البيضاء لمَشبك الشعر الذي يتخلَّل شعر الملكة وكأنه يطير أمام عيني چين. كانت الملكة فضولية دومًا لمعرفة طريقة عيش الشعوب في البلاد الأجنبية والقوانين التي يتبعونها، والعلاجات التي يستخدموها لمداواة أمراضهم، وماذا يأكلون ويلبسون ويتعلمون.

"هل ستفعلين ذلك من أجلي؟"

أجابت چين بـ نعم.

"ستستغرق الرسائلُ شهرين كي تصلَ إلى هنا، لكني أتطلع إليها من الآن".

وهبت الملكة لوحة لزهرة عود الصليب، إلى چين التي لم يبرد عرقها المُتصبِّب على وجهها مشمشي اللون بعد. كانت هذه عادتها في مكافأة أفضل راقصة في كل مأدبة.

"عندما تصلين إلى تلك البلاد، علِّقيها على الحائط وتأمليها من وقت إلى آخر".

طوت الملكة لفافة اللوحة بنفسها، ووضعتها بين يدي چين.

"الوداع!"

خلعت الملكة خاتمها "الكبرونيكيل"، ووضعته في إصبع چين.

* * *

أين هما؟

فتحتْ جفنيها وحركت جسدَها في الفراغ. لا زالت تشعر بثقل حلم غريبٍ ومُربِك. كانت جبهتها وشعرها الأسود الطليق غارقين في العرق. مسحت چين وجهها بكفها. شعرت بخاتم الملكة في إصبعها وكأنه يحدق نحوها. فردت يدها وتأملت الخاتم بأسى عميق. اعتدلت في جلستها. ضوء القمر يتسلل من خلال نافذة قُمرتها بينما تشقُ السفينةُ طريقَها عبر المحيط العظيم مبتعدةً عن المياه الضحلة لإقليم كوريا المنعزل. على الجدار أمامها، عُلقَ ثوبُ ڤيكتور الرسمي بأزراره الذهبية المدورة وياقته الرومانية والشارات العسكرية والنياشين المثبتة على الصدر والأكمام والأكتاف. يعتني ڤيكتور بثوبه الرسمي رغم أنه لن تسنح له الفرصة لارتدائه على ظهر السفينة. في المفوَّضية الفرنسية في كوريا، كان يعلق زيه بعناية في

الأيام التي لا يرتديه فيه. حدقت چين نحوه ونحو فستانها الأزرق الخفيف المواكب لموضة الفن الحديث[11] الذي جذب الكثيرَ من الأنظار إليه في الميناء. بجوارها، عُلقَت سترة صوفية سوداء، وصديري مخطط بداخل جيبه ريشة، وبنطال ضيق نسبيًا، ومعطف سفر يصل حتى الركبة على مشجب. بجوارها قبعته السوداء ذات الحافة الرفيعة والمزخرفة بالورود.

حركت چين يدها خلال ضوء القمر الخافت ثم مرَّرت أصابعها فوق جبين ڤيكتور، الرجل الذي قدم إليها وعودًا كثيرة. بدا مشغول البال أثناء النهار لكن في الليل وهو نائم، يبدو كائنًا بريئًا ضعيفًا.

في تلك الليلة في شانغهاي حين انتقلا إلى الباخرة "فيلا"، حاول ڤيكتور أن يعدها بشيء ما قبل أن يستغرق في النوم. تذكرت نطقه لاسمها.

"چين لي".

حين يعم الظلام، يتحوَّل لون المحيط الأزرق إلى الأسود. عضَّتْ چين على شفتها لتكتم الضحكة التي كادت تنفجر من فمها. متى ناداها باسمها، تضيق حنجرته بسبب مخارج الحروف غير المألوفة إليه. كان عليها أن تقاوم الضحك كي لا تُشعِره بالخجل. لأنها إذا ضحكت، ربما لن ينظر إلى عينيها كما يفعل ولن يناديها چين لي مرة أخرى.

"ڤيكتور".



---

١١ أو "آرت نوڤو". أسلوب فني طغى على العالم في نهايات القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين يتميز بتصميمات مبتكرة وباستخدام الأزهار والأشكال المستوحاة من النباتات. امتدت تلك الحركة إلى المعمار والرسم والزخرفة والموضة.

كانت أول امرأة كورية تستقل سفينة مُبْحِرة إلى فرنسا. وفي محاولة لطرد الخوف الذي انتابها حين فكرت أنها تطفو فوق سطح المحيط حقًا، همست باسم الرجل النائم بجوارها "ڤيكتور كولين دي بلانس". ينتمي هذا الاسم الغريب إلى الرجل الذي تربت على جبهته. في كل اسم تعيش شخصية المرء الذي يملكه. في الأرض التي خلّفاها ورائهما، كرر ڤيكتور اسمه الطويل عليها عدة مرات متمنيًا أن يسمعها تناديه به، لكنها لم تفعل. كلما زادت رغبة ڤيكتور، عجزت عن ذلك لأنها شعرت أن النطق باسمه قد يكشف لها عن جانب غير متوقع منه قد يُغيِّر ما نما بينهما بشكل غير قابل للإصلاح.

منذ مغادرة كوريا، تجد چين نفسها تهمس باسمها إلى نفسها بخفوت شديد، لدرجة لا يمكن أن يسمعها ڤيكتور الواقف بجوارها. "چين لي..." كان هذا الاسم "چين لي" -عَطِيَّة الملك- لا يزال بعيدًا عن أن يكون حقيقيًا بالنسبة إلى مالكته.

حوّلت چين بصرها نحو لوحة زهرة عود الصليب المُعلّقة على مقدمة السرير. تنجح تذكارات الأشخاص الذين تركتهم خلفها في تهدئة قلبها القَلِق دومًا. كان منظر الزهرة خلابًا حتى في هذا الضوء الخافت. أسفلها يقبع برطمان سُوا الفخاري وبجواره أصيص زهرة الأوركيد. أما الصندوق الذي يحوي التربة وبذور الزهور فقد كان ملفوفًا بأمان في قطعة قماش سوداء من الكتان. وبجواره، داخل لفة من الكتان ملفوفة بإحكام أكبر، كان القاموس الكوري - الفرنسي الذي كتبه الأسقف بلانك. بينما تلف هذا القاموس العتيق بالقماش للحفاظ عليه، انتاب چين شعورٌ أنها ستنظر مستقبلاً في هذا القاموس أكثر من أي كتاب نظرت فيه طوال حياتها.

نهضت من فوق السرير حريصة ألا توقظ ڤيكتور. ارتدت معطفها، ثم فتحت باب القُمرة ومشت صاعدة إلى ظهر الباخرة "فيلا" البيضاوي. كانت السفينة تُبحر مُتقدِّمة داخل المحيط الشاسع. لا يفيض المحيط بالماء حتى عندما تتدفق كل مياه العالم فيه. يبلغ وزن الباخرة "فيلا" سبعمائة طن. للباخرة هيكل عريض وقاعدة عميقة تسمح لها باستيعاب حمولة كبيرة. عندما عبرت عن افتنانها بالباخرة، أخبرها ڤيكتور أنه لا يمكن حتى للرئيس أن يجلس على مقعد القبطان وأن للإبحار أصوله العريقة. لكن ماذا عن الملك؟ فكرت چين. كف أفراد طاقم السفينة عن صفيرهم المعتاد بمجرد أن اعتلوا ظهر السفينة، لأنهم يؤمنون أن الصفير يجلب ريحًا عاتية. كانت القعقعة المكتومة الصادرة من حجرة المحرك تعلو على صوت الأمواج التي تصطدم بجسم السفينة. هبت الرياح على مقدمة السفينة وأشرعتها الضخمة، وضربت رداءها بقوة. قبضت چين على معطفها، مصممة ألا تخضع للرياح. شعرت باهتزاز ركبتيها. كانت الرياح عاتية لا تذر شيئًا في طريقها. اصطدمت بعنف بسطح السفينة قبل أن تندفع للخارج من جديد.

"فلتواصل القدوم إليّ، أيها المحيط الأسود!"

وقفت چين على ظهر السفينة، وأمالت جسدها المستند على الدرابزين إلى الخارج نحو الماء. ارتفع قمرٌ مكتملٌ فوق سطح المحيط الأسود الممتد إلى ما لا نهاية. كان العالم في هذه اللحظة مجرد بحر وقمر. نظرت إلى أسفل نحو الرغوة التي تخلفها الأمواج المُتكسِّرة مثل ندف ثلج أبيض. بدت مثل مئات من الأحصنة البيضاء التي تُضرَب بالسوط كي تعدو قبل أن تغوص في النهاية داخل المياه. تمكنت ريحٌ قوية من نزع المعطف عن جسدها. مدت ذراعها غريزيًا كي تتشبث به قبل أن يرفرف مبتعدًا نحو

ظلام المحيط النيلي. لكن باءت محاولتها بالفشل. تخلى عنها المعطف وحلّق طليقًا مندفعًا إلى أعلى مع الريح قبل أن يهبط نحو المحيط. طار لأعلى من جديد حتى بات بعيدًا للغاية عنها كي تتمكن من رؤية ظله.

دفعت چين جسدها ضد الريح واستقامت في وقفتها. رفعت ذراعيها فوق مستوى كتفها ورفعت قدم واحدة ببطء مع كل خطوة تخطوها. صارت حركة جسدها أخف تدريجيًا، كما لو كانت ترتدي رداء راقصة مزخرف برسوم فراشات. زأرت الأمواج وعوت الرياح وتكسرت أشعة القمر الساقطة على المحيط في طريقها للتلاشي في أعماق الماء. صار جسدها لينًا. شقت طريقها خلال كل الأشياء التي تعترض طريقها وتركت جسمها يكتسب إيقاعًا ثابتًا. تسربت ابتسامة إلى وجهها.

وجد ڤيكتور الذي استيقظ مع بزوغ الفجر وصعد إلى ظهر السفينة بحثًا عنها، چين ترقص كما لو كانت روحُ المحيط قد تملكتها. إذا رغب المرء أن تدوم علاقته بشخص ما لفترة طويلة، فعليه ألا يحاول تغيير هذ الشخص أبدًا. حتى لو لم يكن ڤيكتور أو ربما لأنه ڤيكتور بالتحديد، لم يكن ليصرخ في وجه راقصة نست نفسها في غمار رقصها قرب موج البحر المضاء بنور القمر. غمرتها قطرات العرق رغم هبات الرياح العنيفة والباردة. غلفت حرارة شديدة وجهها وعنقها وصدرها وفخذيها وساقيها. انزاح ثقل من على قلبها ولم تعد خائفة من المحيط بعد الآن. صارت خفيفة كالموج، والريح ونور القمر. باتت فراشة.

كانت الباخرة "فيلا" على وشك أن تحمل راقصة بلاط "جوسون" عبر سايجون، وسنغافورة، وكولمبو وقناة السويس، قبل أن تحط الرحال في فرنسا؛ وطن ڤيكتور. أنهت رقصتها وقد مالت بجسدها اتجاه المحيط. زفرت بينما تقدم ڤيكتور الذي كان يراقبها كاتمًا أنفاسه، نحوها ووضع

يده على مؤخرة عنقها. تنفست چين ببطء وهي تميل بجسدها على الدرابزين. حدَّقت نحو المحيط الذي لا حدود له.

* * *

كانت السنة هي ١٨٩١.

كانت چين لي في الثانية والعشرين من عمرها.

(٢)
طِفلَةُ زَهرةُ الكُمثَرى

سيركضُ حصانٌ مولود في الشَمالِ عكسَ اتجاه رياحِ الشمالِ. سيهبطُ طائرٌ قادم من الجنوب فوق غصنٍ جنوبي.

وُلِدت چين لي في "بانشون" التي يعني اسمها "نصف قرية".

تقعُ "بانشون" في النهاية الشمالية لجسر "أونجلان"، الذي يمتد عبر قناة قرب قصر "جيونجموجيونغ" وعلى يمين قصر "شانغجيونغجونغ".

كان الاسم الشائع لمدرسة "سيونجكيونكوان" للتعاليم الكونفوشيوسية في "بانشون" هو "بانجيونغ" أو "نصف قصر"، على اسم مدرسة مشهورة تدعى "بيونغ" في مملكة "زو" الصينية.[١٢] بُنيت مدرسة بيونغ الأصلية في وسط بركة محاطة بمياه جارية طوال السنة، وبُنيت أربعة جسور أحاطت بالمدرسة من كل الجهات. لكن على عكس "بيونغ"، تجري مياه مدرسة سيونجكيونكوان في اتجاهي الشرق والغرب فقط على شكل نصف قمر، أي "نصف مياه بيونغ" لهذا سُمِّيت سيونجكيونكوان بـ "نصف قصر"،

---

١٢ مملكة صينية قديمة امتدت من ١٠٤٥ قبل الميلاد حتى عام ٢٥٦ قبل الميلاد.

وسُمِّيت مياهها "بانسو" أو "نصف ماء"، وهكذا صارت القرية المحيطة بها "بانشون" أي "نصف قرية". يُسمى أهل بانشون "بانين" أي "نصف شعب".

لا يعرف أحدٌ كيف وجدت أسرة چين لي نفسها تعيش وسط البانين. ما تتذكره چين هو أشجار الكمثرى التي كانت تحمل زهورَ الكمثرى البيضاء كل ربيع. أزهارٌ بيضاءُ ناصعة، كذكرى قضمها أول ثمرة كمثرى.

يجد الربيعُ طريقَه إلى كوريا كل سنة رغم العزلة الجغرافية لشبه الجزيرة الكورية عند حافة العالم. تهبُّ الرياح الناعمة على الأكواخ ذات الرفوف المصنوعة من القش الكائنة على الضفة الشرقية لمياه بانشون. تتسلل أشعة الشمس إلى البيوت في الساعات الأولى من الربيع. تمتد أشجار الكمثرى والأوركيد على ضفاف المياه. تمتلئ البطون التي كانت خاوية طوال الشتاء في الربيع، حيث تُذبَح عدة بقرات وتُعرَض للبيع في محل الجزارة في هذا الوقت من العام. تُذبَح خمسمائة بقرة في الربيع مع تفتُّح القرانيا والمشمس والأزلية والكاميليا. يتبع ذلك تفتُّح أزهار الكمثرى البيضاء التي تتطاير أوراقها في الهواء بفعل أقل نسمة هواء، قبل أن تسقطَ على الأرض كندفِ الثلج، كي تغسلها مياه المطر في النهاية.

هل كانت تنتظرُ والدة چين لي كي ترى أزهار الكمثرى مرة أخيرة قبل أن تموت ؟!

سعلت أم چين لي بلغمًا ممتزجًا بالدم طوال الشتاء، لكنها لم تتنفس نفسَها الأخير إلا بعد أن هدأت الرياح وأشرقت الشمس، وانحنت أغصان الشجر تحت ثقل أزهار الكمثرى المُتفتِّحة. كانت تمسك بيد چين الصغيرة الثمينة بإحكام في يدها حين وافتها المنية. دُفِنت والدة چين وهي مرتدية الثياب نفسها التي كانت ترتديها في فراش الموت.

لم تترك والدة چين في موتها الوحيد أي كلمة بخصوص وصية. المرأة سوه التي عاشت أيضًا في بانشون وكانت تشارك والدة چين في أعمال الحياكة، شهدت رحيلها في صمتٍ مُفجع. كانت المرأة سوه ابنة مترجم تابع للبلاط الملكي، وتزوجت أحد النبلاء من قبل. لكن بعدما مضت أربع سنوات دون أن تحمَل، تركت البيت بمحض إرادتها صونًا لكرامتها. كان والد سوه ثريًا لدرجة أنه قد جعلها تجوب فوق محفّة في موكبٍ طاف بالقرية في يوم زفافها. امتياز لا تتمتع به إلا عائلات موظفي القصر الكبار. عندما تركت بيت زوجها، اشترى لها والدها منزلاً على ضفة المياه في "بانشون" وأخبرها ألا تعود إلى بيته ثانية وأن تحاول الاستقلال بحياتها. كانت المرأة سوه التي تمتلك مهاراتٍ لا تضاهى في الحياكة، تقضي أيامها في ذلك البيت تعمل في الخياطة. كانت أختها الصغرى ليدي سوه،[١٣] السيدة العاملة في بلاط القصر، تُكلّفها بأعمالٍ إضافية لا يستطيع جناح التطريز في القصر إنجازها.

كانت المرأة سوه قد بدأت حديثًا في تأجير حجرات بيتها للنوم والدراسة لطلبة مدرسة سيونجكيونكوان، حين أبحرت "چنرال شيرمان"، السفينة التجارية الأمريكية، عبر نهر "تايدونج" في اتجاه "بيونجيونغ"، فأحرقتها القوات العسكرية والميليشيات الكورية التي تُمشّط المياه الإقليمية لمقاطعة "بيونغان". نتيجة لهذا، أرسل الرئيس الأمريكي "يوليسيس جرانت" سفينة حربية مدرعة حديثة لتُطوّق المياه الكورية كنوع من العقاب، وصمم على

---

١٣ "سوه" كما نلاحظ هي كنية الأب التي تحملها كلا الاختين. في الفصل الأول ورد ذكر الأخت الصغري ليدي سوه التي تعمل خادمة في بلاط القصر، بينما سوه أو المرأة سوه هي الأخت الكبرى التي تتولى رعاية چين، واسم صديقة چين هو "سُوا". لذا وجب التنبيه للتفرقة بين الشخصيات الثلاث.

الحصول على اعتذار رسمي وإجبار كوريا على التوقيع على معاهدة تجارية. تطوّع والد چين الذي كان يخفي اسمه الحقيقي ويعيش في بانشون كحرفي، في الميليشيات العسكرية ورحل إلى جزيرة "جانجهوا". كانت چين وقتها جنينًا يتشكل في رَحِم أمه. لكن أحيانًا يكون الموت سلاحًا لا يمكن أن يُهزم أبدًا. وقتها كانت القوات الكورية تستخدم الصخور والرماح لتقاتل بنادق الأمريكان. عندما نفذت الصخور والرماح من الميليشيات المُشكَلة من المدنيين، اضطروا لمواجهة الغزاة بأيديهم العارية فقط. اصطادتهم البنادق بسهولة، وبأعدادٍ مهولة، وتساقطت الجثث في المحيط. قرر البعض الانتحار بدافع من اليأس بدلاً من أن يُقتلوا بأيدي العدو، فألقوا بأنفسهم بأعداد كبيرة إلى المياه. لكن من نجوا لم يتقهقروا أبدًا. لم تستطع أمريكا أن تفرض أي نوع من التفاوض التجاري في مواجهة مثل هذه المقاومة العنيدة.

بعد أن جمعت السفينة المدرعة التي أرسلها الرئيس جرانت غنائم الحرب، غادرت متجهة إلى الصين بعد أربعين يومًا من بدء الهجوم. لكن لم يعد والد چين إلى بانشون أبدًا. أنجبت والدة چين طفلتها بمفردها.

بينما تغلق كوريا أبوابها في وجه العالم وتُعلن حظرًا لكل الأجانب من الدخول إلى الأراضي الكورية، كانت إمبراطورية تشينغ الصينية -تحت سياستها المنفتحة "روح صينية وتقنية غربية"- قد بدأت في إيفاد طلابها بالفعل إلى بريطانيا وفرنسا. الصين التي زوّدتْ الغرب بتقنياتٍ مثل اختراع البوصلة وفن الطباعة على الخشب، تخلّت عن عزلتها وراحت ترسل البعثات لتتعلم الطرق الأجنبية، شيء لم يكن يُسمع به قبل ذلك. قامت اليابان أيضًا بإرسال خمسين من طلابها في بعثة إلى أمريكا. ضمنهم كانت فتاة في الثامنة من عمرها، صرّحت للذين حضروا إلى الميناء لتوديع البعثة

أن حلمها هو تأسيس معهد للتعليم العالي لإعداد قائدات المستقبل اللاتي سيتقدمن عملية الإصلاح والتحديث. في تلك الأثناء، في فرنسا، تحرَّر عدد من الرسامين الشبان مثل سيزان ومونيه ورينوار وديجا[١٤] من قيود الصالونات الفنية وبدأوا في عرض لوحاتهم في معارض خاصة بهم ففجروا ثورةً في عالم الفن التقليدي.

اعتادت والدة چين على حملها على ظهرها إلى بيت المرأة سوه أثناء النهار لتساعدها في أعمال الحياكة. ظنت سوه أن الأشياء ستظل دائمًا هكذا، الرفقة بينها وبين والدة چين لكن الموت ينهي كل شيء فجأة وللأبد. عندما وجدت المرأة سوه چين التي باتت يتيمة بين ليلة وضحاها بين ذراعيها، لم تتمكن من أن تفعل أي شيء سوى التحديق في عينيها الصغيرتين وقد تملكها إحساسٌ عميقٌ بالضياع.

" كم أنت جميلة! "

للطفلة التي لا تملك أي فكرة أنها لم يتبق لها عائلة في هذا العالم، عينان صافيتان. كل ما أمكنها فعله، هذه الصغيرة التي لا تعرف المرأة سوه لها اسمًا سوى " صغيرتي "، هو أن تغمض عينيها استجابة لتلك الكلمات.

" كم كانت أمك قاسية القلب. لو كانت ستتركك هكذا وحيدة، كان عليها أن تخبرني بأي شيء عنك. كان عليها أن تمنحك اسمًا. ماذا يمكن أن يكون اسم عائلتك؟ ما الذي كان يخيفها بشدة ولم تستطع أن تبوح به إليّ؟"

---

١٤ بول سيزان وكلود مونيه ورينوار أوجست وإدجار ديجا: رواد المدرسة الانطباعية في القرن التاسع عشر، واعتمدت على رسم الطبيعة مباشرة كما تراها العين المُجرَّدة.

كان هنالك أناس يلجئون إلى "بانشون" للاختباء. أناس تعدوا على قوانين البلد، بممارستهم القطع غير القانوني لأشجار الصنوبر أو تخمير وبيع بيرة الشعير. لم يجرؤ العساكر على الدخول إلى "بانشون"، لأنها موطن الكثير من النبلاء. حتى حين ينجح قاطعو الأخشاب الخارجون عن القانون في التسلُّل إليها، لم تكن هنالك أي وسيلة للقبض عليهم من دون أمر تفتيش خاص. من كان يلوذ بالفرار إلى "بانشون" لا يخرج منها أبدًا. قام الرجالُ برعيِ البقر والخنازير أو استئجار الأراضي لزراعتها، بينما عملت الشابات خادمات في مدرسة "سيونجكيونكوان"، وعمل الفتيان جزارين في المسلخ.

كان صياح الديكة ونباح الكلاب شيئًا دائمًا في "بانشون". في ليالي الصيف، تصل نقنقة الضفادع إلى كل حجرة في كل بيت. في هذه القرية، التي لا يضع أحد فيها قفلاً على باب بيته، فقدت چين أمها في مثل هذه السن الحرجة: خمس سنين، وتُرِكت بمفردها في هذا العالم. في ذلك الوقت، عُيِّنتْ الليدي سوه أخت المرأة سوه في جناح الملكة "كيونتايجون" في القصر. كانت تخدم قبل ذلك تحت إمرة مَحظية أرملة لم تُنجب أي أطفال، وفقدت زوجها في سن صغيرة.

نمت غابةٌ كثيفةٌ من أشجار البامبو خلف بيت المرأة سوه في "بانشون". دفع الجو الوديع، الذي خيَّم على البيت، كل كائن يحمل الحب في قلبه ـ سُواء أكان إنسانًا أو طيرًا أو شجرةـ أن يحيا في سلاَم ويتوجه بصلواته إلى السماء. منذ أن جلبت چين إلى بيتها، اعتادت المرأة سوه أن تبدأ يومها بالصلاة أمام غابة البامبو، وبين يديها وعاء من الماء الصافي قربانًا للسماء.

كانت چين التي تستغرق في النوم على صوت حفيف أوراق البامبو، تحلمُ كثيرًا بأزهار الكمثرى. حتى وهي تنصت لخرير مياه المطر المتساقط

على أوراق الشجر، كانت تتجسد أمامها صورة بحر من أزهار الكمثرى. حلمت أكثر من مرة بنفسها وهي تسير وسط أشجارٍ مُثقلة بأزهار الكمثرى، وتعلو أغصانها بركة شديدة العمق تطفو على سطحها أزهار الزنبق، وتميل بشدة نحو الماء.

كان يراودها الحلمُ نفسه أثناء قيلولتها، في اليوم الذي حضرت فيه الليدي سوه إلى بيت أختها، جالبةً معها المزيد من القماش كي تقوم بحياكته. كانت خطوات الليدي سوه سريعة، راغبةً في منح أختها الكبيرة هدية: بعض من الفلفل الأسود، الذي كان ثمينًا حتى داخل جنبات القصر. حين لمحت أختها الصغرى التي لم ترها منذ فترة، هرولت المرأة سوه عبر باحة البيت، دون أن تتوقف كي تنتعل حذائها. رغم أنها الأخت الكبرى، إلا أن المرأة سوه تنادي أختها دائمًا بـ "ليدي سوه".

التحقت الليدي سوه بالقصر في سن الثامنة، وتدرَّجتْ بثباتٍ لتتبوأ مرتبة سامية بين نساء البلاط. كانت تشع منها وجاهة تتماشى مع مركزها. بينما تخلع معطفها الخارجي الذي يغطي رأسها أثناء رحلاتها خارج القصر، كان أول ما لاحظته هو الطفلة الراقدة في حجرة المرأة سوه.

"من هذه الطفلة؟"

ترددت سوه، غير واثقة كيف تشرح سبب وجود چين.

"أختاه! من هذه الطفلة؟"

"هل تذكرين المرأة التي كانت تأتي إلى البيت هنا لتساعدني في أعمال الحياكة؟ كانت تعيش في منزل على الضفة. لقد تركت هذه الطفلة ورحلت إلى العالم الآخر. لا تملك الطفلة أي مكان آخر لتذهب إليه....".

"كم عمرها؟"

"خمس سنوات".

"ما اسمها؟"

"لا تملك اسمًا بعد".

"لا تملك اسمًا؟ إذًا بماذا تناديها؟"

"أقول فقط "مرحبًا، صغيرتي". أحيانًا أدعوها بـ إيواها".

"إيواها!"

"على اسم زهور الكمثرى. بيت أمها مقام بجوار بستانٍ كبيرٍ من أشجار الكمثرى".

حدقت الليدي سوه في الطفلة النائمة. تحدثت المرأة سوه:

"يمكننا أن نعطيها اسمًا، لكنها لا تملك اسم عائلة".

"كيف لا تعرفين اسم عائلتها؟"

"كنت ووالدتها جارتين، لكنها لم تتكلم معي أبدًا عن حياتها".

"ربما كانوا هاربين من شيء ما!"

"حين أفكر في الأمر... ربما كانوا كاثوليك؟! أعتقد أنني سمعتها تذكر أن عائلتها قد تشتتت في عام النمر الأحمر. هذا هو العام الذي فرَّ فيه الكاثوليك إلى التلال. لو كانوا قد أتوا إلى هنا في ذلك الوقت، فربما هذه هي الحقيقة. ربما لهذا تطوَّع والدها للقتال في جزيرة جانجهوا. لقد وعدوا الكاثوليك أن يعفوا عنهم إذا قاتلوا ببسالة. لكنه ذهب ولم يعد".

"وبالنسبة إلى هذه الطفلة، أنت من سيربيها؟"

"لا أرى طريقة أخرى، ليدي سوه".

ربتت ليدي سوه برقة على جبين الطفلة النائمة.

"كم أنت جميلة! ألهذا غدر بك الزمن وفقدت والديك مبكرًا جدًا؟!"

بدت چين الصغيرة ـالتي كانت تحلم بأنها تمشي خلال غيوم من أزهار الكمثرىـ أشبه بطائر نورس صغير، محبوسٍ داخل بلد محاط بالأرض من كل الجهات، ولا منفذ فيها إلى أي بحر.

"هذه الطفلة، هل يمكنني أخذها معي إلى القصر، يا أختي؟" اقترحت ليدي سوه.

وهكذا في ذلك اليوم من بدايات الصيف، الذي انهمر فيه المطر على أوراق البامبو، دخلت چين القصر، محمولة على ظهر الخادمة الشابة لي التي أرسلتها الليدي سوه لاصطحاب چين من البيت.

لا يولد الحب من دون تعلّق. انتاب المرأة سوه اضطراب شديد، وشككت في مدى صواب موافقتها على إرسال الفتاة بعيدًا عنها إلى القصر. طفت رغبتها في الإبقاء على چين قريبة منها من أعماقها إلى السطح، وزادت من حدة قلقها. قالت الليدي سوه نفسها أن إدخال الطفلة إلى القصر في هذا السن لا يضمن أن تصبح امرأة بلاط في المستقبل.

كانت هنالك ثلاث محظيات أرامل بلا أطفال يقضين أيامهن في القصر في وحدةٍ مُوحشة. المحظية الأرملة تشيولين التي خدمتها ليدي سوه من قبل، واحدة من هؤلاء الثلاثة. أملت الليدي سوه أن يبعث وجودُ هذه الطفلة الدفءَ في روح سيدتها السابقة، وأن تخفّف طبيعة چين المرحة من وَحشة المرأة العجوز. اتفقا أن تجربا ذلك لعدة سنوات قبل أن تقررا مصير الفتاة الصغيرة.

في كل صباح، تغادر چين إلى القصر على ظهر الخادمة لي، ترافقها حتى مدخل قرية بانشون المرأة سوه. كانت الخادمة لي تعيدها على ظهرها مع غروب الشمس إلى البيت في بانشون.

"زهرة كمثري. زهرة كمثرى، وجه صغيرتي زهرة كمثرى".

كانت چين تعبث بصندوق حياكة سوه أثناء عملها، حتى تستغرق في النوم على صوت المرأة سوه وهي تتغنى بهذه الكلمات.

تودِّع المرأة سوه چين وهي ترحل الى القصر قائلة: "فلتقضِ وقتًا ممتعًا يا صغيرتي، لا تنس أن تبتسمي، صغيرتي".

كان على چين أن تُحمَل إلى البيت كل ليلة لأنها صغيرة جدًا كي تبقى في القصر، ولأنها تستيقظ عادة قرب منتصف الليل وتبكي حتى ينقطع نفسها وتضرب بساقيها الفراش. كانت هذه هي الساعة التي ماتت فيها والدة چين.

خلال إقامتها في القصر، لا بُد أن چين قد رقصت وغنت من أجل المحظية الأرملة، أثناء جلوسها على طاولة الطعام الملكية القاتمة. لا بُد أنها دلكت بيدها الصغيرة ظهر الأرملة، الذي تقوَّس مع مرور الوقت تحت ثقل زينة الشعر الملكية الكثيرة. لا بُد أنها غرقت في النوم في وجود المحظية الأرملة، التي لم تكن كثيرة الكلام وسرعان ما تسمح للصمت أن يعم. لا بُد أنها مدت يدها بفضول لتتفحص الجواهر المتدلية كقطرات الماء من زينة شعر المرأة التي قُدِّر لها أن تكون أرملة في سن صغيرة. ربما تكون قد مشت وراء المحظية الأرملة عبر جسر الزهور الذهبية أثناء التنزُّه في الحدائق. لكن كل هذه الذكريات قد تلاشت من ذهنها.

مشهد واحد فقط ظلت ذاكرتُها محتفظة به.

لسببٍ لا تذكرُه، كانت چين تتجول وحدها في القصر شاسع الأرجاء في ذلك اليوم. لا بُد أنها تسلَّلت على أصابع قدميها من حجرة

المخطية الأرملة بحثًا عن مرحاض. أخافها الانطباع المقبض للقصر الضخم. كانت الوحوش المحفورة في الأعمدة الصخرية تُحدِّق نحوها. الأرض أسفل قدميها لزجة وسوداء. حتى الأشجار اكتست بمسحة من لونٍ أزرقٍ داكن. الطحالب النامية على أحجار الجرانيت مُبلَّلة ومُقزِّزة. أشعة الشمس تسقط على الأغصان، وقد أفقدت ألوان الأوراق الزرقاء والصفراء والبرتقالية لمعانها المعتاد في الظل. كانت حدائق القصر شاسعة المساحة بحيث لا يمكن لطفلة في الخامسة من عمرها أن تتوغل بداخلها وتلعب بمفردها. حتى العشب الأخضر الذي غطى الأرضية بدا معتمًا وباهتًا. بدت الأشجار العملاقة والزهور التي لا تعرف لها اسمًا وكأنها تتبعها. تأمَّلت چين شجرة بونسيانا هبط فوقها طائر عقعق. تبعت جدولاً يشق الأرض ويتصاعد صوت خرير مياهه. وثبت فوق مجرى الجدول وتطلَّعت نحو القوس المبني فوقه، فألقت وجوه "دُوكيبي"[١٥] المنحوتة في الصخر الرعبَ في قلبها. أربع وحوش تبرز من الصخر، وكل وجه يحمل تعبيرًا مختلفًا. إحداها بدا كأنه يتوسَّل البشر كي يلعبوا معه.

حدث الأمر حين جثت چين على الأرض لتلقي نظرة على حيوانٍ ما.

"من هذه الطفلة؟"

التفتت چين حين سمعت صوتًا مُجلجِلاً واضطرت لتغلق عينيها التي تشبه عيون ظبية. منذ لحظة فقط كانت تفكر كم أنَّ القصرَ مُظلمٌ وكئيبٌ، لكن الآن بدا أن كل نور العالم يومض أمام بصرها. حمل النسيم شذا

١٥ كائن خرافي مرعب ذو قدرات خارقة من الفولكلور الكوري. يعرف أيضًا بـ "جوبلن" أو "البعبع الكوري".

الزهور إلى حيث كانت چين. عندما تحركت صاحبة الصوت المُجلجِل، أصدر رداؤها الأخضر حفيفًا كما لو كان يسري بها في الهواء.

"أنتِ في حضرة الملكة".

هل هي في حلم؟

لم تستطع چين سوى النظر إلى وجه الملكة دون أن تتفوه بكلمة. كانت الملكة أول شخص يسألها في حياتها: من هي. كان وجهها يشع بالنضارة لكن نظراتها صافية وحاضرة بشكل استثنائي. كانت مفعمة بعاطفة ليست بسيطة كالفرح أو الحزن، بل شعور مبهم تعجز الكلماتُ عن وصفه. أسفل هاتين العينين زوج من الشفاه الرفيعة. ترسمان ابتسامة.

"من أنتِ؟"

اكتفت چين بالنظر إليها.

"لماذا أنتِ بمفردك؟"

"...."

"عما تبحثين؟"

كانت چين صغيرة جدًا كي تجيب على تلك الأسئلة: من هي؟ لماذا كانت بمفردها؟ عما تبحث؟ بدت لها أسئلة عويصة.

تطوَّعت للشرح إحدى الخادمات الكثيرات الواقفات وراء الملكة ورؤوسهن محنية.

"إنها طفلة من جناح المحظية الأرملة تشيولين".

برزت يد شاحبة ورفيعة، من الشريط الأبيض في نهاية كم رداء الملكة الأخضر، وامتدت لتمسك بيد چين.

"كم تبدين ذكية، أيتها الصغيرة!"

"...."

"هل تودين أن تأتي معي؟"

كانت يد چين الضئيلة ممسكة بيد الملكة الطرية. كانت لمسة الملكة دافئة ورقيقة جدًا لدرجة أن چين لم تكف عن فرك أصابعها بها. سارتا معًا بطول ممر واسع، مفروش بطبقةٍ رفيعة من الحصى. مشتا عبر أشجار الصنوبر التي ألقت بظلالها على الأرض. أتت الليدي سو -التي سمعت بما حدث- مهرولة. كان وجهها أبيض كملاءة سرير وهي تقف أمام الملكة وتنحني بشكل متكرر قائلة:

"سامحيني جلالتكِ، سامحيني".

يتشكل نوع من الألفة والانجذاب بين الشخصين اللذين يمسكان بيد بعضهما البعض. لم تترك المملكة يد الطفلة، بينما تشاهدان الشمس تغرب وراء الجبال البعيدة وتسيران بمحاذاة البركة التي طفا القمر فوقها. اجتازا تل "أمِيسان" الذي تشكّل من التراب الذي استُخرج أثناء بناء صوان الاحتفالات، والحدائق التي كانت عالمًا خاصًا من الزهور والحشائش والصخور المزخرفة.

وصلا أخيرًا إلى جناح الملكة الواقع عميقًا داخل القصر، مبنى يتميز بغياب منحوتة التنين على واجهته بخلاف كل مباني القصر الأخرى. حينها فقط توقفت الملكة لتوجه كلامها إلى إحدى خادماتها اللاتي يتبعنّها ورؤوسهن محنية.

"هل هنالك كمثرى في حجرة الطعام؟"

لم يكن صوت الملكة عاليًا لكنه كان واضحًا وحازمًا.

"احضري واحدة، وسكين وملعقة".

أسر قلبَ چين الجدارُ الجميل المزخرف بالزهور، الذي يمكنها أن تراه وراء الملكة. فَتَنتْها المدخنةُ المبنية من طوبٍ أحمر مرصوصٍ في برجٍ سداسي الأضلاع، وتنتهي قمتها بسطح أسود من القرميد يعلوه غطاءُ المدخنة. تنتشر النقوش على جدارها الخارجي: شياطين، وعنقاوات ودببة، وعناصر الخلود العشرة والنبلاء الأربعة.[١٦] بينما يعبرا البوابة المزدوجة، انفتحت أبواب حجرات جناح الملكة.

جلست چين بجوار الملكة، شرهة لرؤية كل شيء كنورس لمح أرضًا جافة، ونقيةً كقطرة ندى فوق زهرة كمثرى. وضعت خادمةٌ صينيةً تحوي ثمرة كمثرى لامعة وسكين فاكهة وملعقة صغيرة بين چين والملكة. فتحت الملكة يد چين، ووضعت الكمثرى بداخل كفها الضئيلة.

"هل أنت وحيدة مثلي؟"

لامست القشرةُ الخشنة والمبللة للثمرة كفَ چين. في اللحظة نفسها التي أحست چين ببرودتها تمسُ جلدها، تذكرت وجه أمها. وجه لم تره منذ ذلك اليوم الذي تفتحت فيه آلالاف من زهور الكمثرى ورفرفت أوراقها بفعل الرياح.

"هلا أطعمتك؟"

كانت عين الملكة لا تزال مشرقة لكن على عكس ما كان في الحدائق، تسرب الحزن إلى صوتها. أمسكت الملكة بسكين الفاكهة وقطعت

---

١٦ "النبلاء الأربعة": اسم يطلق على زهور الخوخ والأقحوان والبامبو والأوركيد، وهي من أكثر النباتات التي تستخدم في فن الرسم بالحبر الشعبي الشهير في شرق آسيا.

الجزء العلوي من الكمثرى فكشفت عن لبّها الأبيض الرطب. مررت الملكة الملعقة داخل ثمرة الكمثرى حتى امتلأت ثم أطعمت چين.

"مذاقها حلو؟"

أومأت الطفلة.

ابتسمت الملكة وكرّرت ما فعلت. سالت عصارة الكمثرى فوق كم رداء الملكة، لكنها تغاضت عن ذلك. حين امتلأت الملعقة مرة أخرى، أطعمتها إلى چين وابتسمت مجددًا. كانت الخادمة من حجرة الطعام، الواقفة على مبعدة، مرتبكة من تصرُّف الملكة، لدرجة أن وجهها قد تورّد.

"هل أحببتها؟"

أومأت الطفلة من جديد.

كان شيئًا اعتادت والدتها على فعله من أجلها، حين كانتا تعيشان بجوار بستان الكمثرى. كانت أمها تكشط بالملعقة لب ثمرة الكمثرى، التي كسبتها من عملها في الخياطة، وتطعمه لچين وتسألها: "مذاقها حلو؟" فلا تستطيع چين ممتلئة الفم أن تجيب سوى بالإيماء. كانت الأم تنتظر حتى تنتهي الطفلة من البلع، قبل أن تكشط ملء ملعقة أخرى من الكمثرى، ثم تسألها من جديد: "مذاقها حلو؟". بينما تشاهد الأم وجنتي چين تنتفخ وفمها ممتلئ بعصارة الكمثرى، كانت تقول:"أنتِ شجرة كمثرى. أنت كذلك حقًا".

"كم كان من الغريب رؤية شجرة كمثرى وحيدة تنمو قرب البحر حيث كنا نعيش قبل قدومنا إلى هنا. شجرة كمثرى على الشاطئ! إنه آخر مكان يمكنك أن تتوقع نمو واحدة فيه. هل ستتفتح زهورها متحدية

عواصف المحيط العاتية؟ هل ستتمكن من الإثمار؟ ظللت قلقة، لذا جلبت تلك الشجرة معي إلى هنا. ثم أنجبتك، لذا لا بُد أنك شجرة كمثرى أيضًا".

كانت الملكة تجلس بجوارها، لكنها لم تسمع سوى صوت أمها. طافت ببصرها في الحجرة، وترقرقت الدموع من عينيها دون أن تدرك ذلك.

"لماذا تبكين وأنت تأكلين شيئًا لذيذًا؟"

امتدت يد الملكة لتمسح عيني الطفلة. اجتاحت چين موجة غامضة من الحنين، فواصلت الأكل من ملعقة الملكة كنورس وليد. تجمَّعت الحلاوة في فمها وتبللت عيناها بقطرات الدموع. كانت چين على وشك أن تدرك أنها لن تستطيع العودة بالزمن، إلى ذلك الوقت حين كانت تعيش في كنفِ أمها، إلى ذلك المكان حيث كل أزهار الكمثرى في العالم تطفو في الجو وتتبعثر أوراقها بفعل الرياح.

(٣)
فتى البركة

بالنسبة للمرأةِ الوحيدة، يشبِهُ وجودُ طفلٍ صغيرٍ نسمةَ الهواء الدافئة التي تخفِّفُ من برودة الوحشة.

بدأتْ مرافقتها المحظية الأرملة تشيولين تتطلع كل صباح لوصول چين، التي كانت مثل وُريقةِ شجرة تفاح. منذ أن باتت چين بحيويتها وكلامها وروحها الطفولية بجوارها، أصبحت المحظية الأرملة أقل تدقيقًا في تصيُّدها لأخطاء الخادمات وصار من النادر أن تعبس بوجهها. وعلى عكس المعتاد، راحت تُحيِّي الخادمات بودٍ، وتوافق على تناول الطعام دون شكوى.

"شون، جويِ، مان، سو..." كلما شعرت بالغم يتسلل إليها، سارعت الأرملة بتعليم چين الحروف المنحوتة على الحائط المزخرف. كانت چين ذكية جدًا لدرجة أن سماع الحروف لمرة واحدة فقط كان يكفي لتحفظها عن ظهر قلب. كانت چين تردد هجاء الحروف دون أخطاء. في كل مرة تتعرف فيها چين على حرف وتتلفَّظه بالشكل الصحيح، كانت مرافِقتها الأرملة تبتسم ابتسامة عريضة.

لم توبخ المحظية الأرملة چين أبدًا، حتى حين كانت الطفلة تأكل من أطباق الطعام على طاولة الغداء قبل أن تمد الأرملة يدها إلى الأكل ـوهو ما يتعارض مع عادات البلاطـ أو حين تخربش على الحائط المزخرف.

هكذا تلقت چين حب المحظية الأرملة تشيولين في القصر أثناء النهار، ورعاية المرأة سوه في "بانشون" أثناء الليل. أصبح خداها مستديرين وناضرين بالصحة. لم يتبق أي أثر للطفلة الهزيلة التي فقدت أمها. لمع شعرها الأسود وصار لها ذراعان وعنق مكتنزة. كانت سوه تصفف شعر چين قبل رحيلها إلى القصر. هناك كانت المحظية الأرملة تشيولين تصرُّ على أن تُجلِسها أمامها وتمشط شعرها مرة أخرى. عندما كانت تنام چين وقت القيلولة، كانت الأرملة تضع ظهر يدها على جبين چين. أحيانًا كانت تتنهد بعمق وتتأمل وجه الطفلة النائمة لمدة طويلة. شيئًا فشيئًا بات من الصعب على المحظية الأرملة أن تفارق چين، فبدأ يتأخر موعد عودة چين إلى "بانشون" مع مرور الأيام.

في تلك الأثناء، بعد عقد من الوصاية على العرش، تنحى "هينجسون دايوونجن" الوصي على العرش من على كرسي الحكم بينما يتولى الإصلاحيون التنويريون زمام البلاد. تمكنت اليابان من إجبار كوريا على فتح موانئها. ابتهجت القوى الغربية وعلى رأسها فرنسا وأمريكا ـ بعد أن فشلت في فرض علاقات تجارية مع كوريا نظرًا لمقاومة الكوريين المستميتةـ وهي ترى هذه المملكة المنعزلة على الطرف الشرقي من القارة الأوراسية تفتح بواباتها مرغمة.

بلغت چين السابعة من عمرها وسنتها الثانية في مرافقتها للمحظية الأرملة شيولين في العام الذي اندفعت القوى الأخرى للدخول إلى السوق الكوري قبل أن تحتكره اليابان احتكارًا مُطلقًا. في نفس الوقت أرسلت

كوريا ستة وسبعين بعثة إلى اليابان في رحلة استغرقت عشرين يومًا للاطلاع على ثمار الحداثة التي شهدتها اليابان.

في إحدى الأمسيات، حين كانت چين عائدة كالعادة من القصر إلى بيت المرأة سوه في "بانشون"، لمحت بينما لا تزال على ظهر الخادمة لي شخصًا غريبًا يقف بجوار شجرة المشمش في فناء البيت. اتسعت عينا چين من الدهشة. كان وجهه وملابسه مختلفين عن أي شخص رأته من قبل. ارتدى الغريب رداء أسود يصل إلى ركبتيه. كان طويلاً وله لحية كثة تصل إلى أسفل ذقنه وتمتد حتى عنقه. بشرته بيضاء وعيناه زرقاوان. كانت الخادمة لي مندهشة تمامًا مثل چين. بينما لا تزال تحمل چين، مالت بجسدها للوراء فجأة مما جعل چين تعض شفتها بالخطأ فتورمت وبدأت تدمي. وضعت الخادمة لي چين أمام المرأة سوه وحدقت في وجه الرجل الغريب.

"أوه، يا إلهي!"[١٧]

خرجت كلمات غريبة من فم الرجل بينما استمرت شفة چين في النزيف.

أسرعت سوه إلى البيت وأحضرت منشفة لتمسح شفة چين. سارعت الخادمة لي بالمغادرة وقد تملكها الخوف من دون أن تعتذر حتى رغم أنها عمليًا مَن تسببت في جرح چين.

وقف بجوار الغريب الأزرق العينين، صبيٌ يرتدي سترة من الكتان متسخة جدًا لدرجة لا يمكن معرفة لونها الأصلي. بدا كنورس جامح لم

---

١٧ بالفرنسية في الأصل.

يُروض. عكس وجهه الداكن بفعل الشمس فقرًا ووحدة لكن في الوقت نفسه كشف عن طموح يمكنه تحطيم كل القيود القديمة. لم يكن يرتدي أي شيء أسفل السترة وكان يمكن رؤية ذراعيه وكتفيه العاريين أسفلها. كان صندل القش الذي يرتديه مهلهلاً، لدرجةٍ يعجز معها المرء عن تمييز شكله بينما تبرز بعض أصابع قدميه منه.

التقت عينا الصبي ذي الكتفين الهزيلتين بعيني چين. هز جذع شجرة المشمش بقدمه في خجلٍ جلي.

"هذا هو الأب بلانك".

"بلانك".

كررت چين ما تفعله حين تنطق المحظية الأرملة تشبولين بحروف الهجاء. قلدت شكل فم المرأة سوه وقالت: "بلانك".

ابتسم بلانك لنجاح چين في نطق اسمه رغم شفتها المجروحة. توقف النزيف لكن كانت لا تزال شفتاها متورمة بشكل واضح.

"اسمي بلانك. جيان بلانك!" هذه المرة خرجت الكلمات من شفتي القس باللغة الكورية وهو يمد يده إليها.

عندما أخفت چين يدها خلف ظهرها. ابتسم بلانك وربّت على رأسها بدلاً من مصافحتها. نظرت چين إلى الصليب المتدلي من سلسلة فوق ردائه الأسود.

"عليك أن تمكث في منزلي في الوقت الحالي. لا أستطيع التفكير في خيار آخر"، قالت سوه.

تعلقت چين بتنورة المرأة سوه ونظرت نحو بلانك من دون أن تتكلم. كلما حاولت سوه أن تجعل چين تلقي التحية على بلانك بشكل مناسب، اختبئت چين أكثر خلف تنورتها.

"أعتقد أنها خجولة".

ابتسم بلانك من جديد وخفض رأسه متطلعًا إلى چين.

"لا بُد أنها متفاجئة أيضًا. هل هذه هي الطفلة التي حدثتني عنها أنفًا؟"

"هي كذلك".

"لا بُد أنها عائدة من القصر؟"

"صحيح".

تشبثت چين أكثر بتنورة سوه وهي تنصت للكورية الممزوجة باللكنة الفرنسية التي يتحدث بها بلانك. بدا أنها على وشك البكاء. أمسكت المرأة سوه بيد چين لتهدئتها ثم أشارت بيدها الأخرى نحو الصبي الواقف بجوار شجرة المشمس.

"كم عمر الفتى؟"

"البعض يقول سبعة والبعض الآخر يقول ستة. لا أعرف بالتحديد".

"كلاهما خجول الآن. أنا واثقة أنهما سيصبحان صديقين".

"هل تعتقدين ذلك؟"

"هم أطفال في النهاية".

ظلت چين مختبئة خلف تنورة سوه وظل الصبي واقفًا ساكنًا بجوار بلانك. تبادلا النظرات في صمت.

كان البشر يتسلقون الجبال كي يختبئوا. كانوا يذوبون عن الأنظار في الأودية السحيقة حيث عاشت الصخور والصنوبر وغيرها من الأشجار قرونًا مرت عليها كأنها مجرد يوم، وصارت جزءًا من الطبيعة الأصلية نفسها.

على التل بمحاذاة الطريق بين "نام-ون" و"چان-سو" حيث تتفرق سلاسل جبال "سوبايك" وجبال "نوريونج"، كان هنالك منحدر واسع وصالح للزراعة. كان المنحدر عميقًا ومحاطًا بالجبال مما جعل من الصعب على الرحّالة أن تلحظ وجوده. كان المنحدر المخفي عن الأنظار جنةً بالنسبة للهاربين من الاضطهاد الذي كان يعاني منه الكاثوليك منذ سنوات. تمكنوا من الاستقرار فيه وزراعة المحاصيل بمساعدة الينبوع الذي تدفقت مياهه طوال العام. كانت تلك هي بداية قرية "سابيونيلي" عند مفترق نهري "جيوم" و"سيونجين".

بحث بلانك عن قرية "سابيونيلي" بمجرد أن وطأت قدماه أرض كوريا. كان يبحث عن الأب "ريديل" الذي قِيل إنه يقوم بعمله التبشيري ويعيش في كهف قريب من القرية. قابلت جماعة بلانك الفتى في قرية أثناء طريقهم إلى "سابيونيلي". كان الفتى يتيمًا، ينام في مطبخ بجوار الفرن الأرضي في بيت أي عائلة ترتضي استضافته لفترة، ويقتات على بقايا طعامهم.

"كلما سألته أين يعيش، أشار دائمًا إلى بركة".

ربت بلانك على رأس الفتى بينما يخبر المرأة سوه بقصته. بعد أن قضت جماعة الأب بلانك ليلة في سابيونيلي، صمم الفتى على تتبعهم. كان الفتى يرتدي أسمالاً بالية وقتها، لذا قطع بلانك البطانة السميكة

لردائه الكهنوتي وغطى بها كتفي الفتى. لم ينس الفتى لفتة العطف تلك أبدًا.

"بماذا تنادونه؟"

""يون" كما في كلمة "بركة". ومنحناه اللقب "كانغ". في كل مرة نسأله من أين هو، يشير إلى بركة ما لذا لا بُد أنه كان يوجد بركة قرب بلدته الأم. كان سكان القرية ينادونه "سوبايك" فقط لأن القرية كانت قريبة من جبال سوبايك".

"يون كانغ"، تمتمت چين الصغيرة باسم يون كما فعلت منذ قليل مع اسم بلانك. ابتسمت سوه وبلانك لها. رغم أنه محور الحديث، ظل يون ينقر بقدمه في صمت على جذع شجرة المشمش. كان بطنه المتضور جوعًا يبرز للخارج كبطن شرغوف.[١٨] بالكاد كانت ركلات قدمه الضعيفة تحدث اي ضرر بشجرة المشمش.

اصطحبت المرأة سوه بلانك والفتى إلى حجرة أخلاها حديثًا طالب في "سيونجكيونكوان" رحل من أجل خوض اختبارات التوظيف. فتحت الباب وفرجتهما على الحجرة.

كانت هنالك كومة مرصوصة بعناية من الفوتون في أحد أركانها. غير هذا، كانت الحجرة فارغة. كان بلانك لا يزال يفحص الحجرة من الخارج عندما انسل الفتى ببساطة إلى الداخل.

"لا بُد أنه مرهق جدًا. مشينا كثيرًا اليوم".

---

١٨ إحدى الأطوار الأولية للبرمائيات مثل الضفادع.

أغلق بلانك الباب، والصبي مستلقيًا بداخل الحجرة. غادر البيت وهو يقول إن عليه مقابلة بعض الأصدقاء. وقفت المرأة سوه خارج الحجرة للحظة وهي تتأمل الصندل الرث الذي تركه الفتى على عتبةِ البيت الحجرية. كانت حالة الصندل تروي -من دون كلام- أيامَ التشرُّد التي عاشها الفتى في الشوارع.

سحبت المرأة سوه المياه من البئر وصبتها في المرجل الحديدي داخل الفرن الحجري. يمكن للماء أن يُحمَل أو يُصب في أي شكل. يمكنه أن يملأ أي مساحة مغلقة وأن يتدفق في أي اتجاه. مع هذا طبيعة الماء غير قابلة للتغيير وهذا ما يمنحه قوته. تبعت الصغيرة چين المرأة سوه التي راحت تغدو وتجيء بين البئر في الفناء والمرجل. بمجرد أن امتلأ المرجل، فتحت المرأة سوه باب الفرن تحت المرجل ووضعت بعض الحطب بالداخل قبل أن تشعل النار.

"حين أفكر أن بإمكان المرء الآن أن يسير في وضح النهار مرتديًا صليب المسيح... في الماضي كانت مجرد رؤيتك تسير بمسبحة للصلاة تُعرِّضك لحكم الإعدام".

لم تكن هذه الأحكام بالموت تأتي فرادى. بيوت كاملة كانت تعتبر متواطئة لأنها تأوي كاثوليكيًا واحدًا ويحل العقاب بالجميع.

"يقولون أنَّ أربعين إنسانًا قد ماتوا جوعًا في الثلوج عندما فروا الى التلال. بدا الأطفال الموتى وعيونهم مغلقة، كما لو أنهم ضعفاء جدًا بفعل الجوع القارص كي يفتحوا عيونهم. حتى الماشية التي كانت تُرعَى في البيوت لم تفلت من القتل فقط بسبب وجود مؤمن واحد في العائلة. كانت تلك أوقاتًا مظلمة".

لكن تعمقت جذور إيمان من نجوا. كلما تعرضت الكاثوليكية للقمع والاضطهاد، كانت تجد طريقها الى الحياة اليومية للكوريين.

خيم الصمت على المرأة سوه عندما فكرت في والدة چين. امرأة كانت عيناها مليئتين بالخوف. عينان تبدوان كما لو أنهما رأتا أشياء ما كان لهما أن ترياها. كانت والدة چين حذرة جدًا في كل كلمة تتفوه بها وكل فعل تقوم به مما جعل سوه تشعر بالأسف من أجلها. كيف يمكن لأي إنسان أن يعيش لسنوات طويلة في يقظة وخوف مقيمين ؟! تساءلت المرأة سوه إذا كان هذا هو السبب في مرض والدة چين وموتها.كيف تنفست *نفسها الأخير وهذه الصغيرة في ذهنها؟* ربتت المرأة سوه ربتة مواسية على ظهر چين.

"أتساءل إذا خطر ببالهم أثناء سنوات الاضطهاد ولو مرة إذا كان الرب الذي يؤمنون به قاسي القلب أو عديم الشعور؟"

"..."

"يا لي من حمقاء! كيف يمكنك أن تعرفي هذه الأشياء، صغيرتي؟"

سكتت المرأة سوه لتضع المزيد من الحطب في الفرن ثم عادت تنظر الى چين.

"هذا الفتى النائم في الحجرة، لا يملك أي مكان آخر ليذهب إليه. هل نطلب منه أن يعيش معنا؟"

هزت چين رأسها أن "لا".

"لا تحبينه؟"

"... إنه قذر".

تأملت چين تراقص النار في الفرن. اكتسى خداها بحمرة اللهب. هي لا تكره الفتى لكنها هزت رأسها على أية حال. أمالت رأسها وقد أربكتها مشاعرها.

"يمكن للقذارة أن تُغسل".

"أي شيء قابل للتنظيف ليس قذرًا حقًا. لا يجب أن تفكري أن المرء قذرًا لأنه يرتدي أسمالاً. هو فقير ليس قذرًا. لا عيب في أن يكون المرء فقيرًا".

"لكن لو كان قلب المرء قذرًا، فهذا شيء لا يمكن غسله أو تطهيره. تلك خطيئة وإثم".

ربتت على ظهر چين مرة أخرى، وقد شعرت أنها تحدثت أكثر من اللازم مع الطفلة حين سمعتا لحنًا خافتًا صادرًا من ناي مصنوع من خشب البامبو. التفتت المرأة سوه وچين في اتجاه الموسيقى. كانت قادمة من حجرة الفتى. أين كان يخبئ الفتى ناي البامبو في تلك الأسمال البالية؟! كان صوت الموسيقى يحرك أوتار القلب ويجبر المرء على إغماض عينيه والإنصات إليها ولو كانت بين مئات الأصوات. استمعتا الى موسيقى الفتى بينما تكسر چين أعواد الحطب الى نصفين لتدفعهما المرأة سوه إلى داخل الفرن.

جثت چين أمام الفرن المشتعل ودفنت وجهها بين ذراعيها وأغمضت عينيها.

"يقولون إن العزف على الناي في الليل يجذب الثعابين. لكن كيف يمكن لموسيقى يعزفها طفل أن تكونَ حزينةً هكذا؟!"

تمتمت المرأة سوه.

بمجرد أن غلا الماءُ في المرجل بالقدر الكافي، أشارت المرأة سوه إلى چين كي تتراجع للوراء ثم نقلت الماء إلى جرَّة كبيرة في الفناء الخلفي للبيت. كانت تفعل هذا في كل مرة تحمم فيها چين. حَملُ الماء المغلي كل هذه المسافة جعل حبيبات العرق تتكاثف بغزارة على جبهة سوه. يمكن سماع همسات أوراق البامبو في هذا الوقت من الليل. بمجرد أن تصب الماء الساخن في الجرة وتضيف إليه بعضًا من الماء البارد ثم تختبر درجة حرارته، تنتشر ابتسامة رضا على محيا المرأة سوه.

"أحضري سوبايك!"

نظرت چين إلى سوه بنظرة استفهام كأنها تسألها: من سوبايك؟

أجابتها سوه "تعرفين، يون كانغ"، ثم ابتسمت، " أتساءل إذا كنتِ أكبر منه؟ "

"ألا تريدين أن تكوني نونا له؟"[19]

ضيقت الصغيرة چين عينيها عند سماع كلمة أخت كبيرة.

" ألا تحبين أن يكون لك أخٌ أصغرٌ مثل سوبايك؟ حسنًا، ربما يكون أوبا لكِ".[20]

---

١٩ "نونا" تعني الأخت الكبيرة للولد بالكورية.

بدلاً من أن تذهب لمناداته، هزت چين رأسها وعادت لتجلس أمام الفرن. ابتسمت المرأة سوه لها وذهبت لتجلب الفتى بنفسها.

"سوبايك!"

سمعت چين سوه تنادي على الفتى، فحاولت أن تهمس باسمه بالطريقة نفسها الذي تلفظت به سوه، وهي تجلس بمفردها أمام الفرن: "سوبايك".

توقفت موسيقى الناي فجأة. تراجع الفتى الذي تبع المرأة سوه الى المطبخ خطوة للوراء حين لمح چين. حين خرجت سوه من باب المطبخ الى الفناء الخلفي وطلبت منه أن يخلع ثيابه، أحاط ثيابه بيده وحدق نحو چين فقالت سوه:

"صغيرتي، اذهبي الى حجرتنا الآن".
عبست چين بوجهها ثم ركضت مغادرة المطبخ الى داخل البيت.
"تعال هنا، سوبايك".

تململ الصبي بتوتر وهو يقترب منها. راعت المرأة سوه شعور الفتى الذي بدا وكأنه لا يريد التخلي عن أسماله التي ارتداها لفترة طويلة وكادت تصبح جزءاً منه.

"الا تريد أن تكون نظيفًا؟"
ظل الفتى متشبثًا بثيابه.

---

٢٠ "أوبا" هو اسم تنادي به الفتاة فتى يكبرها ويمكنها الوثوق به. قد يكون أخاها الأكبر وقد تستخدم الكلمة بمعنى رومانسي أيضًا.

"هل تود التجول هكذا في هذه الحالة القذرة؟"

"..."

"دعنا ننظف جسمك ونغسل شعرك. ستكون مفاجأة سارة أن يراك الأب بلانك نظيفًا ومرتديا ثيابًا جديدة . سيقول " يا له من فتى وسيم. ". ربما لن يتعرف عليك حتى".

أرخى الفتى قبضته عن ثيابه عند ذكر الأب بلانك.

"هل تحب القس؟"

أومأ الفتى.

"أرى ذلك... حسنًا، هذا جميل. عندما تحب إنسانًا، تصبح الحياة أسهل. تصبح المشقة التي تتكبدها من أجل مساعدة شخص تحبه ثمنًا هينًا تدفعه وأنت سعيد. أنت غني، تعرف ذلك؟ أنت تمتلك القس في قلبك. فقط من لا يملكون أحدًا ليحبوه هم الفقراء حقًا".

خلع الفتى ثيابه وتسلق ليدخل إلى الجرة الأرضية الممتلئة بالماء الساخن. دفعته برقة في الماء أكثر حتى وصل إلى مستوى كتفيه. أبقى الفتى الخجول عينيه مثبتة على غابة البامبو حيث هبط الظلام بالفعل. بدأت سوه تغني بصوت هادئ أغنية "أنشودة إلى الأصدقاء الخمسة":

"أنتَ يا مَنْ لست شَجرةً أو عشبًا،
أنتَ يا منْ عَلمنا أنْ نكونَ ثابتين،
لماذا يجب أنْ يكونَ داخلُك أجوفًا؟
أنتَ يا منْ تكونُ شديدَ الخضرةِ كل فصولِ السنةِ،
لهذا أحبك".

حين صبت بعضًا من الماء الدافئ فوق كتفي الفتى، توقفت عن الغناء من الصدمة. كان بإمكانها الشعور بعظام الفتى الحادة تصطدمُ بكفِ يدها. كيف يمكن لهذا الصبي الأعجف أن ينمو؟ فكرت أنه لا بُد وقد بلغ الثامنة أو التاسعة. فرغم نحافته الشديدة فإنَّ طولَ عظامِهِ يشيرِ إلى أنه أكبر مما ظنوا.

"أنت بارع في العزف على الناي".

نظر الفتى إلى عينيها مباشرة لأول مرة. تورد وجهه بفعل الحرارة وتناثرت عليه قطرات الماء.

"من علمك؟"
"..." لم يجب الفتى.
"هل علّمتَ نفسك بنفسك؟"

بينما تطرح عليه هذا السؤالَ، أدركت شيئًا فجأة فشعرت بقلبها ينفطرُ. حقيقةَ أنها لم تسمع الفتى يتحدث أبدًا منذ وصوله.

"أوه، سوبايك!"

يمكنها أن ترى عيني الفتى بوضوح. حبتا عنب سوداوان صغيرتان ترمشان وهما تنظران إليها بينما تنساب قطرات الماء فوق خديَّه.

"... لا يمكنك التكلم، أليس كذلك؟"

أشاح الفتى بعينيه بعيدًا. التقت يداه ببعضهما أسفل الماء وانحنت عنقه الضامرة إلى أسفل في خزي. غرقا في صمت عميق. لم يصرح بلانك للفتى بالكلمات أبدًا أنه أخرس. ربما كان الفتى يعتقد أنه مجرد كائن هادئ

وحسب. صبت سوه الماء على ظهره وهي تتنحنح لتخفف من التوتر. ماذا يمكن أن تفعل من أجل هذا الفتى. الطفل.. تولد إحساسٌ قوي بالتعاطف نحوه داخل قلبها.

"أغلق عينيك".

بينما تنتظر الماء الساخن كي يتغلغل داخل بشرته الجافة، مشطت شعر الفتى الأشعث والمتشابك بأصابع يديها. أزالت القذارة والجلد الميت من على ظهره بحفنة من بودرة "بقلة الماش"[٢١] وفركت فروة رأسه بأطراف أصابعها. لم يقاومها الفتى واستسلم لحركة يديها. كان الفتى جامدَ الملامح وهادئًا فحاولت سوه أن تدغدغ إبطه لكن الفتى لم يبتسم ولوى جسده بعيدًا عنها. عصرت سوه شعره المغسول، وربطته في عقدة كي لا يشتتها، ثم أزالت القذارة والجلد الميت عن عنقه وذراعيه وظهره. لم تكف يداها عن الشعور بنتوءات عظامه البارزة من خلال جلده وكأنه لا يملك أي قدر ولو ضئيل من اللحم.

تنبتُ فسيلةُ البامبو بسرعة بمجرد أن تشق الأرض. النمو السريع لفسيلة البامبو بعد هطول المطر يجعل المرء يشك في إذا ما كانت الفسيلة نفسها التي رآها في اليوم السابق. غمرت سوه جسم الفتى مجددًا بماء المرجل الساخن الممزوج بماء البئر البارد، متمنية أن ينمو مثل فسيلة بامبو ليصبح شجرة بامبو نقية. بدأ الفتى الذي رفض الابتسام، يلين ويتخلّى عن دفاعاته. حين لمحت المرأة سوه طيفَ ابتسامة خجولة على وجهه، صفعت الفتى على ظهره المُخضّب باللون الأحمر بخفة من باب المداعبة، فتفاجأت عندما أمسك الفتى بيدها وسحبها كي يقربها منه ثم جعلها تفتح

---

٢١ نبات من فصيلة البقوليات. موطنه الأصلي هو الهند.

كفها. كانت يد سوه يدًا خشنة، معتادة على العطاء أكثر من الأخذ. كانت يد إنسانة لا تعرف شيئًا عن الكسل، يد لا تكف عن صنع الأشياء. حدق الفتى في يد سوه الخشنة كما لو كانت رمزًا للعبادة ثم استخدم سبابته كي يرسم حروفًا على كفها:

"عندما كان أبي يعزف على الناي، كان الناس يلتفون حوله".

رغم تداخل الحروف وسرعته في رسمها، لم تجد سوه صعوبة في ترتيب الكلمات ووضعها في عبارة مفهومة داخل عقلها.

"لا بُد أنه كان بارعًا جدًا في العزف".

"كان بعض الناس يبكون من التأثر".

كلما كتب أكثر، سحب كفها مقربًا إياه من صدره أكثر كأنه مصمم ألا يدعها ترحل قبل أن ينهي قصته.

"هل تعلمت العزف من والدك؟"

أومأ الفتى.

ماذا حدث لأبيه يا ترى؟ تنهدت سوه بعمق، ومسحت وجه الفتى الذي يشير إلى بركة كلما سُئِل عن وطنه. أمسكت بأنفه وطلبت منه أن يسعلَ كي ينظفه، ثم قادته خارج الجرة وجففت صدره وفخذيه وساقيه، وأسفل ذراعيه وبين أصابع يديه وقدميه. هبت نسمة هواء باردة قادمة من بستان البامبو وهمست الأوراق المهتزة. منحت سوه الفتى سترة جديدة من الكتان. لقد حاكتها بناءً على طلب من والدة "جيكدونج" من أجل ابنها، طالب في سونجكيونكوان ولم يأت لاستلامها بعد. كانت "بانشون" تكتظُ بالحشود كلما زار الملك المدرسة ليتناقش مع الطلبة. كان "جيكدونج"

أطول من يون، فبدا يون كأنه يرتدي ثياب أخيه الأكبر. كان على سوه أن تطوي الأكمام، وأطراف بنطال قديم، كي تناسب الملابس الفتى.

"يا إلهي! نرتدي أردية رسمية فضفاضة كي نُثير اعجاب الآخرين، لكن هذه الثياب كبيرة جدًا عليك!"

ابتسم الفتى ابتسامة عريضة.

"سأصنع لك ثيابًا جديدة قريبًا. سأحرص على حياكة جيب داخلي أيضًا، لتضع فيه الناي الخاص بك".

لأنه لم يعرف سوى الإهمال خلال حياته القصيرة، اكتفى يون بالتحديق اتجاه الأرض خجلاً من كلمات سوه الطيبة.

جففت سوه شعره الذي لا يزال رطبًا. فتحت چين، التي لازمت حجرتهما أثناء استحمام يون، الباب.

"انظري، انظري كم يبدو سوبايك وسيمًا!"

تركزت أنظار چين على يون بمظهره النظيف وثيابه الجديدة. كتمت ابتسامة بسبب رؤيتها لهذا التحول المفاجئ.

"هلا ساعدتِني! اذهبي واقطفي بعض أوراق الخس والغَار من الحديقة، والكُراث أيضًا! سنتناول العشاء عند عودة القس".

حملت چين السلة التي أعطتها إياها سوه، ومشت إلى مساحة الخضراوات المزروعة في البستان، يتبعها يون. ابتسمت المرأة سوه حين رأت الطفلين يبتعدان جنبًا إلى جنب.

ارتفع عمودٌ من الدخان الأبيض من مداخنِ بيوت "بانشون" وأُضيئت الفوانيس الليلية. من حين إلى آخر يعلو نباح الكلاب. سار رجل يرتدي

قبعة رسمية على الطريق الذي يطل عليه البستان. تعالى وقع الخطوات الثقيلة لحصان وفارسِه وهما يعبران الطريق.

الغروب إيذانٌ بخروج النساء. فالزوجة المنتمية لطبقة النبلاء تتمشى بمحاذاة الضفة مرتدية فستانًا حريريًا ومعطفًا طويلاً يغطي رأسها كحجاب، بينما تقود خادمتها الصبية الطريق. عندما يوغل الليل، تدس الخادمات الرسائل الغرامية من تحت أعقاب أبواب بيوت العاشقين. وتتاح الفرصة للشابات العازبات من طبقة النبلاء، المحبوسات طوال النهار في بيوتهن، للتجول قرب البوابات المحصنة للمدينة، بينما تنير مرافقاتهن من الخادمات الطريق لهن بالفوانيس.

ركع الطفلان في البستان المحاط بسورٍ خشبي، وأخذا يقطفان أوراق الخس. اصطدمت أيديهما وهما يجمعان الكُراث. تأملا في اللحظة نفسها سربًا من الإوز يحلقُ فوقهما. تطايرت رائحة "الدوين-جانج" عبر البستان. لا بُد أن سوه تطهو "الدوين-جانج"، يخنة فول الصويا المخمرة. علا صوت بطن يون الخاوي عندما شم تلك الرائحة. وضع الفتى الخجول يده على معدته. كانت چين لتنفجر ضاحكة لو حدث ذلك في أي يومٍ آخر، لكن هذه المرة تظاهرت فقط بأنها لم تسمع أي صوت وواصلت جمع أوراق الغار.

أثناء عودته من لقائه مع صديق كاثوليكي يمتلك مزرعة دواجن في الجانب الغربي من "بانشون"، توقف بلانك حين رأى الطفلين. قفز الفتى واقفًا عند رؤية القس وجرى لتحيته. حمل النسيم رائحة "بقلة الماش" العالقة بجسد يون إلى القس قبل أن يصل الفتى إليه. ابتسم يون أثناء عناقهما من المفاجأة التي علت وجه بلانك لرؤية منظره النظيف وثيابه الجديدة المُهندمة.

وضعت المرأة سوه التي كانت معتادة على تناول العشاء مع جين فقط، أربع مجموعات من الشوك وعصي الأكل على طاولة الطعام المنخفضة لأول مرة منذ مدة طويلة. كانت المقبلات[٢٢] تقتصر على خضراوات مُشوَّحة قليلاً مع بصلٍ أخضر وبعض الثوم وصوص الصويا و"دوتوري ـموك"[٢٣] والكُراث المخلل الى جانب يخنة "الدوين-جانج". لكن لا يمكن أن يكون أي طعام ـمهما كان- سيئًا في مثل أجواء البساطة والسعادة التي أحاطت المكان. احتلت حلة أرز مطبوخ مع شرائح اللفت المركز الشرفي في هذا الاحتفال المصغر.

حلة الأرز الكبيرة جعلت بلانك يبتسم. عندما أتى الى كوريا أول مرة أبهرته ثلاثة أشياء: أولها كيف لدولةٍ صغيرةٍ ومنعزلةٍ عن العالم أن تكون لها لغتُها وأبجديتُها الخاصة بها. فباستثناء اللغة الرسمية التي تستخدمها طبقة "اليانج-بان"،[٢٤] كان لعامة الشعب أبجدية فريدة خاصة بهم. الأمر الثاني هو عدد الكتب. بدا لبلانك أن هنالك كتب داخل كل بيت حتى بيوت القش المتواضعة. تعجب كيف أن الخادمات الصبايا ينسخنَّ الكتب بأيديهن لتتشاركنَّها فيما بينهنَّ. الأمر الثالث الذي أذهل بلانك كان كمية الأكل التي يلتهمها الكوريون. كان فكه يسقط حين يرى كيف يفرغ الأطفال أطباق أرز كبيرة داخل أجوافهم. الفقراء الذين لا يقدرون على إعداد أي أطباق جانبية، يمكنهم ببساطة أن يصبوا الماء في حلة مليئة بالأرز ويشبعوا جوعهم بها. هنالك العديد من تنويعات الأرز: أرز بالبطاطس، وأرز

---

٢٢ تعتبر المقبلات جزءًا أساسيًا على المائدة الكورية ويتفنن الكوريون في إعداد أطباق عديدة ومتنوعة منها.

٢٣ دوتوري-موك: جيلي الجوز المزوج بالمرق.

٢٤ يانج-بان: جزء من الطبقة الحاكمة في كوريا أثناء حكم مملكة جوسون. وهي تشير عادة للعسكرين والموظفين المدنيين وتكون غالبيتها من الأرستقراطيين.

بالفاصوليا وأرز مقلي وأرز دبق "مُوتشي" وأرز بالمرق ـ مما جعل بلانك يعزو القوة الجسدية التي يتمتع بها الكوريون إلى الأرز. لا تتاح الفرصة للكوريين دائمًا كي يملؤوا بطونهم حتى الشبع، لذا ربما لهذا يأكلون كثيرًا متى أتيحت لهم الفرصة لذلك.

بدا الأشخاص الأربعة الجالسين تحت ضوء مصباحٍ مُضاء بشمعة مثل أسرة.

"فلتمنحنا يا إلهي قوت يومنا...".

كانت مباركة بلانك لنعمة الرب، قبل أن يبدأوا الأكل، هي أول مرة تستمع فيها چين للدعاء: "فلتغفر لنا خطايانا كما نغفر لمن يخطئ في حقنا...".

اتسعت عينا چين وقلّدتْ بطفولية طريقة إلقاء بلانك.

أضحك بلانك غير المعتاد على الأكل بالعصي چين كلما أسقط قطعة لزجة من "الدوتوري-ميوك". من بين الأربعة، كان يون أسرع مَن أكل لأنه كان أكثرهم جوعًا. غرفت سوه المزيد من الأرز في طبقه.

"أين تمكن الفتى من وضع كل هذا الطعام داخل هذا الجسم الهزيل؟" تساءل بلانك قبل أن يبدأ في الكلام:

"بعد أن نوقع الاتفاقية التجارية مع كوريا، أتمنى أن نؤسس دار للأيتام هنا. من المدهش أنه لا يوجد مؤسسات كهذه في كوريا.".

دفعت سوه بخفة طبق چين الذي كان على وشك السقوط من على الطاولة قبل أن تلتفت إلى بلانك.

"لقد رأيت عددًا كبيرًا جدًا من الأطفال اليتامى، يجوبون هذه الأرض دون مأوى. نحتاج إلى مكان يجمع الأطفال من الشوارع. لا أفهم كيف لشعب عطوف مثل شعبنا أن يكون عديم الشعور تجاه اليتامى هكذا. لا أحد يفكر في التبني".

مكنت حقيقةُ أنها ابنة مترجم بلاط ثري، سوه من أن تركب فوق محفّة يجرها الخيل في يوم زفافها، ميزة لا تتوفر سوى لبنات طبقة النبلاء، وأن تتحدث لغة الشين (الصينية) وتستمتع بقراءة الكتب بفضل تأثير والدها لكن نغص عجزها عن الإنجاب عليها كل هذه المتع. نبذت الكتب منذ قدومها إلى بانشون لتصبح خيّاطة. اغتم وجهها من الاكتئاب. من المستحيل أن تشرح لهذا القس الأجنبي الأهمية التي يضعها الكوريون على سلالات الدم. كانت تلك عقلية لم تتشكل بين ليلة وضحاها، بل بُنيت على مر قرون طويلة.

حدقت المرأة سوه في وجه يون الذي كان مشغولاً بإفراغ طبقه. التصقت حبيبات أرز حول فمه. هذا العشاء الكوري البسيط ذكر بلانك باليابان التي قضى فيها فترة وجيزة قبل أن يصل إلى كوريا.

كانت عالمًا مختلفًا تمامًا عن اليابان التي عرفها من ثلاث سنوات فقط لدرجة أنه شكك في ذاكرته. تمنى بداخله لو أن ثياب اليابانيين لم تتغير مع هذه الإصلاحات التي طرأت على أسلوب حياتهم. فقد كانت ثياب شعوب شرق آسيا المختلفة للغاية عن ثياب الغرب ساحرة بشكل خاص بقدرتها على إبراز شخصية شعبها. كان ثمة تنوع كبير في الأشكال والألوان، وكلٌ له جماله الخاص به. مع ذلك فإن اليابانيين الحداثيين قد تخلوا عن ثيابهم التقليدية وقصّروا شعرهم ودهنوه بالكريمات متشبهين بالغرب. التماشي مع التغيير طغى على كل شيء آخر، وصار نادرًا أن

تلمح أناسًا يرتدون الثياب التقليدية. بات الرجال يسيرون مرتدين بدلات وأحذية جلدية. وحتى قبل أن ينتشر التلغراف، بدأ التليفون يشق طريقه كوسيلة أسرع لنقل الأخبار على نطاق أوسع. ثم سرعان ما اشتغل أول قطار بخاري في يوكوهاما. تغيُّرات سريعة يصعب ملاحقتها.

تساءل بلانك عن رأي كوريا في هذه التغيرات التي يشهدها جارها في الجنوب.

"في فرنسا، هنالك جماعة من الراهبات تدعى "أخوات سانت بول". لديها فروع في كل أرجاء العالم. يلقنَّ الأطفالَ العلوم الأساسية وفنون التمريض بالإضافة لعملهنَّ الديني. لو كان بإمكانهن القدوم إلى كوريا، لكُنَّ قد ساعدنَ يون وأمثاله. لقد تمكنت الجماعة من الوصول إلى اليابان بالفعل".

لم تستطع سوه سوى أن تجيب بـ"نعم" مقتضبة وهي تستمع إلى كلمات القس. لم تكن مؤمنة بالكاثوليكية. كانت تعرف معرفة سطحية أن هنالك عددًا ليس بقليل من الكاثوليك في "بانشون": بعضهم دارسون للكونفوشيوسية بالإضافة إلى نساء "جيسينج" الحرفيات وبعض موظفي البلاط بالإضافة إلى الرجل الذي يؤدي المأموريات للجزار قرب جسر "سوبو". سماعها أن هنالك مؤمنين بالكاثوليكية في البلاط الملكي جعل سوه تعتقد أن هذا الدين قد أثر في الغني والفقير حقًا. سمعت أن المصلين أثناء القداس يختلطون ببعضهم بدلاً من الجلوس وفقًا لمستوياتهم الاجتماعية. شعرت المرأة سوه بالعار من حقيقة أنَّ من يقلق على الأطفال الكوريين المشردين الذين فقدوا آبائهم بسبب المرض والحرب، ومعظمهم ليس كاثوليكيًا حتى، هو أجنبي أزرق العينين وليس الكوريين أنفسهم.

"الأب بلانك...".

التفت بلانك إلى سوه.

"هذا الطفل سوبايك.. أعني يون. لماذا لا تتركه هنا معنا؟ لسنا ميسوري الحال تمامًا لكن سأحرص على توفير الطعام والثياب له".

خيم صمتٌ قصير بين سوه وبلانك.

"لكنكِ مدركة ـيا سيدتي ـ أن الطفل... عاجزٌ عن الكلام. أحيانًا أظن أن صمته ليس لأنه لا يستطيع الكلام بل لأنه لا يرغب فيه".

"أدرك ذلك".

"كم كان الأمر مفاجئًا! لقد تطلب مني أربعة أيام كي أعي ذلك. في البداية فكرت أنه لا يريد الحديث معي لأنه أجنبي. لم أرغب بإخبارك لأني اعتقدت أنك لن تلاحظي الأمر حتى نرحل".

اكتسى وجه چين بالحزن وهي تنظر إلى يون.

"يعرف كيف يكتب. أظن أنه وُلِد هكذا، لهذا علّمه أحدهم كتابة الحروف في مثل هذه السن الصغيرة".

لم تُفصح سوه عما استنتجته. *ربما من علّمه القراءة هو والده الذي علّمه العزف على الناي أيضًا.*

"اتركه معنا".

"لكن لا بُد من أخذ رأيه في الأمر".

التفت بلانك إلى يون. ابتعد الفتى عن المائدة. ألقى المصباح بظلاله على وجهه.

"يعتقد الطفل أنه يدين لك بحياته. لن يود الافتراق عنك"، تحدثت سوه إلى يون: " فلتمكث معنا حتى يستقر الأب بلانك فهو لا يملك بيتًا بعد".

نهضت چين ودنت من يون. طبيعتها الرقيقة استدعت إلى الذاكرة صورة غزالة تصرخ مع طفل تاه في الغابة طلبًا للمساعدة.

"عش هنا معنا. يمكننا الذهاب إلى الغابة معًا. هنالك غزلان في الغابة المواجهة للجسر".

نكس يون رأسه فمالت چين بوجهها أسفل وجه يون مصممة على الحصول على جوابٍ. كم من الوحدة عاشها هذا الفتى الصغير طوال سنين حياته! فكرت سوه وهي تتأمل في صمت هذا التغيُّر في چين، اختلاف شاسع عن موقفها حين سألتها سوه إذا كانت لا تمانع أن يبقى يون معهما مبكرًا هذه الليلة. عندما لم يرد يون، سحبت چين يده نحوها وكتبت على كفه بإصبعها:

"عش هنا معنا".

تحدثت سوه التي كانت تراقبهما:

"يمكن للمرء أن يمرض من العيش وحيدًا، تعرف ذلك؟ ألا تود أن تحيا مع شخص ما؟"

نهض يون وتوجه إلى بلانك وفرد كفه. لاحظت چين التباين بين يد يون العظمية النحيلة وذراع بلانك المشعرة.

"أين ستذهب يا أبي؟"

"أينما ذهبتُ، فلتعلم أن الرب وأنا سنكون دائمًا بجوارك".
"هل ستأتي لرؤيتي؟"
"بالطبع!"[٢٥]

"بالطبع" قلدت چين فرنسية بلانك. انفجر الآخرون ضحكًا مما خفف قليلاً من الأجواء الجادة. في تلك اللحظة فقط اطمئن الفتى وأومأ موافقًا.

"تفكير سديد. يمكنك دائمًا العودة إلى الأب بلانك بمجرد أن تستقر أحواله. انظروا، سيبرد العشاء. فلنعد للطعام".

التف الأربعة حول الطعام من جديد. باتوا أكثر استرخاء من أي غرباء يتناولون وجبتهم الأولى معًا. بينما يغرف بلانك ملعقته داخل اليخنة اصطدمت بملعقة چين. الشيء الآخر الذي أدهش بلانك بالإضافة لكمية الأرز التي يلتهمها الكوريون هي البساطة التي يتشاركون بها الأكل من القِدر نفسه. لكنه اعتاد على الأمر وأدرك أن الطعام يكون ألذ حقًا بهذه الطريقة.

"ما اسم الفتاة؟"
"أدعوها صغيرتي".
"لا اسم لها؟"

"هكذا هو الأمر. في البلاط الملكي يدعونها "مرافقة المحظية الأرملة الصغيرة". أعتقد أن علينا أن نمنحها اسمًا مناسبًا".

---

٢٥ بالفرنسية في الأصل.

أبعد يون طبق الأرز وكتب الحروف الكورية لكلمة "إيون بانغويل"- جرس الفضة. [٢٦]

"جرس الفضة"، ردد سوه وبلانك الاسم معًا بصوت عالٍ.

"لا بُد أنها تبدو جميلة بالنسبة إليه كزهرة جرس الفضة. لماذا لا نناديك بـ"جرس الفضة" من الآن فصاعدًا؟"

بينما تقول سوه هذا، فكرت چين أن يون لن يستطيع أبدًا مناداتها بالاسم الذي اقترحه هو نفسه فأحزنها ذلك.

"كم هي بارعة في تقليد الفرنسية!"

"تتعلم بسرعة. في مرة رأت راقصة ترقص في البلاط، فأدت الحركات نفسها بإجادةٍ تامة مستعينة بذاكرتها في الفناء الخلفي للبيت. تجمع الناس لمشاهدتها. علِّمها شيئًا مرة واحدة ولن تنساه أبدًا. لقد تعلَّمت كيف تقرأ في بلاط المحظية الأرملة التي ترافقها. يمكنها أن تقرأ وتكتب أي شيء. خطها ممتاز. تراقبني وأنا أعمل باستمرار وبات بإمكانها أن تطرز بشكل غاية في الجمال. كان والدي مترجمًا لذا تعلمت منه بعض الكلمات الصينية. علَّمتُها إياها فاستوعبتها في الحال. كانت تتبادل الحوار بالصينية مع طالب صيني أقام هنا لفترة ببراعة منقطعة النظير. هي ذكية جدًا. لا أعرف ماذا أفعل معها بعد الآن".

كان بلانك على وشك ارتشاف رشفة من ماء الأرز الساخن الذي صبته سوه في صحنه فأعاده على الطاولة.

---

٢٦ أو الزهرة الهاليزية أو زهرة الثلج: أزهار بيضاء تتدلى من أشجارها في الربيع على شكل جرس. تبدو في الخلفية الخضراء كأنها قطع من الفضة أو ندف الثلج.

"هل نجرب تعليمها الفرنسية؟"

"الفرنسية؟"

التفتت سوه إلى چين ثم إلى بلانك. ماذا ستستفيد فتاة كورية من تعلم الفرنسية؟ بادر بلانك إلى الحديث وكأنه قد قرأ أفكارها.

"كوريا تتغيَّر بسرعة. إجادة الفرنسية مهارة نادرة هنا وقد تستفيد منها يومًا ما. الشيء الوحيد الذي أتفوق فيه عن أي كوري هو إجادتي للفرنسية، فلماذا لا أتشارك في معرفتي هذه معها!"

تولد مشاعر الحب رغبةً طبيعية في تعليم من تحب شيئًا ما، أي شيء قد يعين من تحب وقت الحاجة.

"يبدو أنها طفلة ذكية حقًا. أقول إنني سأعلِّمها الفرنسية، لكن الحقيقة هي مَن ستحسن كوريَّتي".

تابع بلانك عرضه السخي مضيفًا أنه قد نسخ بيده قاموسًا فرنسيًا/كوريًا كتبه الأب ڤيرون الفرنسي والذي يمكن استخدامه مرجعًا في الدراسة.

"نسختَ قاموسًا كاملاً؟!"

"من النسخة الأصلية المكتوبة بخط يد الأب ڤيرون نفسه. هكذا تعلَّمتُ الكورية".

لا يمكن معرفة إذا كانت الموهبة النادرة نعمة أم نقمة في حياة المرء. الطريقة الوحيدة لاكتشاف ذلك هو أن تواصل الحياة وترى بنفسك.

لو كانت فتى! فكرت سوه وهي تربت على شعر چين، التي نظرت بعيون سعيدة وواسعة إلى عرض بلانك بتعليمها الفرنسية. عرفت سوه منذ مدة أن قدرة چين على تشرب الكلمات والكتابة موهبة استثنائية. لو كانت چين فتى، لكانت قد تلقت الإشادة على فهمها للكتب وقدرتها على الكتابة والتحدث بطلاقة. تنهدت سوه تنهيدة أسى. ما هي الحياة التي تنتظر فتاة كورية ذكية مثل چين؟ كانت بارعة في الرسم والرقص أيضًا.

واجهت سوه التي بالكاد كانت سيدة من طبقة النبلاء في شبابها، نقدًا لاذعًا على عشقها للقراءة. كان والدها يصرخ في وجهها: "لماذا تحتاج فتاة من العامة مثلك لكل هذه الكتب؟" مع هذا كان والدها يستمتع بالعثور على كتب جديدة ليجلبها معه إلى البيت من أجلها. أحبت سوه القراءة قبل أن تتزوج وكانت القراءة ليلاً مصدر للسلوى ولتبديد خوفها في سنوات الطفولة. لكن عائلة زوجها اعتبروا حبها للقراءة شيئًا غير لائق. حتى حين كانت تقرأ في أوقات راحتها القليلة بعد أن تنتهي من كل أعمال المنزل، كانوا يستاؤون من حملها لكتاب بين يديها بدلاً من تركيز جهودها على إنجاب طفل. كان زوجها غير مبالي بالأمر ولم يدافع عنها أبدًا. مع مرور السنين، لم تستطع الاستمرار في تحمل المهانة والإذلال اللذين كانت تواجههما لعدم إنجابها الأطفال في صمت. مع كل نظرات الاتهام والشتائم اللاذعة، تولد بداخلها إحساسٌ ينذر بالانفجار في أي لحظة. إحساس كان يزداد حدة مع الوقت. في النهاية رحلت عن بيت زوجها. كانت الكتب هي من أوحت إليها بهذا التمرُّد وجعلته ممكنًا.

اسودَّ وجه سوه حين فكرت في أن التعلُّم قد يسبب لچين المعاناة نفسها التي سببها لها في الماضي.

* * *

عاد بلانك إلى حجرته بعد العشاء. جعل بلانك چين تكرر الكلمات الفرنسية على ضوء المصباح المتوهج الموضوع بينهما. جلس يون بجوارهما بينما تغسل سوه المواعين وهي تنصت لچين وهي تكرر الكلمات. كانت چين تتبع تعليمات بلانك بطاعةٍ تامة، عندما سألته فجأة ما هي الكلمة الفرنسية المرادفة لـ "زهور".

استخدمت چين لسانها وحلقها ومنخارها وحنجرتها، أجزاء لم تستخدمها في الكلام من قبل في حياتها لتنطق الكلمة التي نطقها الأب بلانك.

عندما رصَّت سوه الصحون لتجف، فتحت شقًا صغيرًا في باب حجرة الضيوف لتختلس نظرة داخلها. لا تكمن المتعة في تعليم طفل فقط، بل في مشاهدته وهو يتعلَّم أيضًا. ينتابك شعورٌ مشابه لرؤية بذور الليلك وقد غُرِست في التربة عامًا، قبل أن تنبت من الأرض وتتفتح زهورها. هكذا شعرت سوه وهي تشاهد عيني چين تلمعان في ضوء المصباح، بينما تكرر الأصوات الغريبة التي يلقنها إياها بلانك. أثَّر ذلك في سوه. لا يجب أن تكتفي بمجرد الحفظ. كانت تخشى أن المعرفة قد تؤذي الطفلة، ولكن ثمة رغبة جديدة نمت في قلبها. إذا كانت متحمسة هكذا للتعلُّم والمعرفة، فكرت سوه، فمن الجيد أن يكتشفوا مواهبها ويساعدوها على إدراكها وتنميتها.

التفت بلانك إلى سوه الجالسة على العتبة خارج الحجرة وقال: "انظري كم هي بارعة!" ثم ابتسم ملء شدقيه. عندما علَّم بلانك چين كلمة "نحن" أو "نو" بالفرنسية، انتقلت چين ببصرها بين سوه ويون وبلانك وهي تقول "نحن" كما لو كانت تَضمهم جميعًا تحت مظلة هذه الكلمة.

بالنسبة لهؤلاء الذين يتذوقون الموسيقى حقًا، يمكن لأغنية أن توحِّدهم مع ذواتهم، حتى لو كانوا يجلسون بين جمعٍ من البشر لأن الموسيقى لا تنبع من الجسد الخارجي بل من الروح الداخلية. كان وجه چين يتورَّد من المجهود الذي تبذله كي تلوي لسانها وتتلفظ بالكلمات بالشكل السليم. بينما على الجانب الآخر، كان يون يُنصت لموسيقى الكلمات الخارجة من فم چين المستدير وهو يميل برأسه. بدا كما لو أنه متوحِّد في عالمٍ خاص به. أغلقت سوه باب الحجرة بهدوءٍ شديد. سمعت بلانك يقول إنَّه لا يجب على چين أن تحتفظ باللغة بداخلها بل عليها أن تتدرب بأعلى صوتٍ ممكن.

استيقظت چين -التي تعلَّمت كلمات جديدة وغريبة طوال الليل- متأخرة في صباح اليوم التالي. أبت النهوض من الفراش، رغم تذكير سوه لها بأنها يجب أن تكون مستعدة قبل أن تأتي الخادمة لي من القصر. مرَّ بخاطرها وجه يون وبلانك، فاحمر وجهها خجلاً. غادرت فراشها وفتحت الباب ونظرت إلى الفناء الخلفي. كان يون هناك يكنس الفناء، بينما يرفع بنطاله الكتان الفضفاض لأعلى بين فينة وأخرى. وكان بلانك يصلح السور الخشبي القديم. أنهى يون الكنس ونفض التراب عن المقشة قبل أن يسندها على السور. سارعت چين بالعودة إلى حجرتها قبل أن تلتقي عيونهما. عندما أطلت برأسها مرة أخرى، كان يون يسير باتجاه البئر. لا بُد أنه أراد غسل يديه ووجهه. أغلقت چين الباب، وابتسامة تعلو وجهها. يكون الفناء خاليًا عادةً وقت الفجر، لكن هذا الصباح كان هنالك شخص يكنسه وآخر يُصلِح السور، كأنه أحد البيوت حيث يربي الوالدان أطفالهما. شعرت بالسعادة وابتسمت وهي ترتب سريرها. كانت الكلمات الفرنسية التي تعلَّمتها ليلة الأمس تحوم كالفراشات في رأسها.

وصلت الخادمة لي قبل أن تتاح لجين الفرصة كي تتناول فطورها. رغم تهرُّبها من الأب بلانك بالأمس، كانت تعبيرات وجه الخادمة لي اليوم مشرقة نوعًا ما. لم توبخ جين أو تستعجلها كما تفعل عادة عندما تتأخر الطفلة في الإفطار. بدلاً من ذلك، بدا أنها ترغب في قول شيء في وجود يون والأب بلانك.

"هل قررتَ المكوث هنا؟"

توقف بلانك عن العمل عند سماعه سؤال الخادمة غير المتوقع. أجابت سوه بالنيابة عنه بوجه متشنج:

"يخططان للمكوث هنا في الوقت الراهن، لماذا تسألين يا سيدتي؟"

"هل ستقيم قداسًا هنا؟"

نظرت سوه إلى بلانك الذي كان لا يزال يقف بجوار السور وهي لا تعرف بماذا تجيب.

"ماذا تقصدين؟"

ترددت الخادمة لي. ثم سحبت محفظة جلدية من كمها كأنها قد حسمت أمرها أخيرًا. ناولتها إلى بلانك. عندما فتحها، وجد صليبًا ومسبحة ونسخة بخط اليد من صلاة للرب.

لا يمكن للسر أن يبقى سرًا إلا إذا مات كاتمه، وحتى هذا أمر مشكوك فيه. بدت الخادمة لي كما لو أن قلبها مُثقلٌ بالأسرار وهي تبدأ بالحديث:

"هذه مُتعلِّقات والدتي. رجاءً لا تسألني عنها. هذا كل ما تركته لي في هذا العالم. هذا هو السبب الوحيد لاحتفاظي بها. كنت مرعوبة دائمًا من

احتفاظي بها معي ولا أزال. لكن لأنها من تركتها لي، لم أستطع تحمُّل التخلص منها".

"رجاءً خذها من أجلي، يا أبتاه! بهذه الطريقة حتى إذا لم تكن معي، فأنني لن أكون قد خيبت أملها فيّ".

أسرَّه رجاء الخادمة لي غير المتوقع، فعجز عن رد المحفظة والمُتعلَّقات الدينية التي تحويها إليها. لم يستطع سوى التحديق في المحفظة. كان شكلها مألوفًا. تشبه كثيرًا الأكياس المتدلية من العوارض الخشبية للبيوت في "سابيونيلي" التي رأها أثناء زيارته للأب ريديل. لقد انتهى الاضطهاد الوحشي الذي ترك الكثيرين دون بيت أو عائلة، لكن لا يزال الكاثوليك عاجزين عن الجهر بإيمانهم.

"رجاءً احتفظ بها من أجلي!"

لم يستطع بلانك أن يتخيل مقدار المعاناة التي عانتها أمها كي تخاف هذه الشابة من الاحتفاظ بمسبحتها معها. بدت قصة الخادمة لي نذيرًا بمدى صعوبة المهمة التبشيرية التي تنتظره في كوريا.

"سأفعل، سيدتي".

استعادت الخادمة لي هدوؤها من جديد، وفي المقابل تجهم وجه بلانك كمدًا.

وقف يون وبلانك إلى جانب سوه وهم يشاهدون چين تغادر ممسكة بيد الخادمة لي. كلما التفتت چين إلى الوراء، لوح إليها يون.

أثناء النهار بينما چين في القصر، تجوَّل بلانك ويون حول بيوت "بانشون" ذات الجدران الطينية، المنتشرة وسط أشجار جار الماء والكستناء. حدَّق يون في قطع اللحم المُعلَّقة أمام محل الجزار، وتتطلع نحو الغابة التي تقول چين أن فيها غزلان. التفت ثورٌ مُحمَّلٌ بالخضراوات والحطب نحو بلانك أثناء مروره. كان بلانك يقترب من الناس بوجهٍ بشوش، لكنهم كانوا يبتعدون عنه بسرعة. فرَّت النساء بجوار البئر بعيدًا عنه، والدلاء فوق رؤوسهن نصف ممتلئة فقط، وتجنَّبه أيضًا بائع صنادل القش والتجار الآخرون بينما يمر أمامهم. حين يحاول زيارة أي بيت، يسارع أهله للاختباء بسرعة خلف البوابات منخفضة السقف، أو يغلقون الأبواب في وجهه. لم يضايق ذلك بلانك، الذي توقف ببساطة خارج بوابة أحد البيوت -حيث ينمو الحبق والحشائش الفضية ونباتات شوكية- ليلتقط أنفاسه.

عندما غربت الشمس، استند يون بظهره إلى الجسر الممتد فوق الضفة وانتظر عودة چين. في اللحظة التي لمح فيها الخادمة لي وچين، امتلأت عيناه بالسعادة.

اعتاد يون الفتى الهادئ أن يعدو حين يرى چين. يعدو حتى يصبح خلفها، كأنه يتأكد من سلامتها، ثم يقترب حتى يصبح بجوارها. في كل مرة، تتركهما الخادمة لي وتستدير عائدة إلى القصر وقد اطمأنت لوجود چين مع يون بدلاً من توصل چين حتى فناء بيت سوه. مع مرور الوقت تلاشى الخوف الذي أظهرته الخادمة لي، حين رأت الأب بلانك أول مرة، وصارت أحيانًا تقف صامتة في الفناء تستمع إلى بلانك، وهو يقرأ مزمورًا بصوتٍ عالٍ:



"أجل إذا سِرتُ فِي وَادِي ظِلّ الموْتِ لَا أَخَافُ شَرًّا، لأنّكَ أَنْتَ مَعِي. عَصَاكَ وَعُكَّازُكَ هُمَا يُعَزِّيَانِنِي. تُرَتِّبُ قُدَّامِي مَائِدَةً تُجَاه مُضَايِقِيَّ. مَسَحْتَ بِالدُّهْنِ رَأْسِي. كَأْسِي رِيًّا".[٢٧]

لا تتذكر چين أو يون مَن أخذ المبادرة، لكنهما سرعان ما صارا يعودان إلى البيت ممسكين بيد بعضهما البعض.

كان الصيف يمضي بسرعة، والخريف يدق على الأبواب. كانا يعبران البوابة المسقوفة ويداهما المتشابكتان تتمايل في الهواء. كانت سوه الواقفة في المطبخ تستقبلهما بابتسامة.

بينما تتلقى چين دروس تعلُّم الفرنسية من بلانك، كان يون يعزف على نايه بجوارهما. إذا طال الدرس، كان يون يستخدم حِجر بلانك كوسادة، ويستغرق في النوم.

* * *

توغل الخريفُ. كان ذلك في منتصف ليلة في نوفمبر، في قصر غيونجبوكجيونغ، حيث استغرق الوصي على العرش سبع سنوات ليسترد ويعضد من سيطرته على العرش.

ملأ الهواءَ دخانٌ أسود. كانت المحظية الأرملة تشولين قد أبقت چين في القصر. امتنعت بشكل خاص عن إرسالها إلى البيت في تلك الليلة، وهكذا قضت چين أول ليلة لها في بلاط القصر. عمت الفوضى جنبات القصر الصامت فجأة. لم يعد هنالك أهمية للرُتَب. تُفتَح الأبواب وتُغلق

---

٢٧ المزمور الثالث والعشرون من مزامير داوود.

من دون استئذان. تبعت چين خادمات المحظية الأرملة بينما يهربنَ من النيران لكن عند نقطة ما سقطت چين. عندما نهضت، كانت وحيدة وسط فوضى النيران. يتطاير الشرر بينما يزحف اللهب اتجاه جناح المحظية الأرملة. أسرعت چين نحو جناح الملكة، مُتذكرة الراحة التي شعرت بها في وجود الملكة التي أطعمتها الكمثرى.

لاحقًا انتشرت شائعة بأن مصدر الحريق هو جناح الملكة. كان يصعب تمييز المبنى بسبب الدمار الذي حلّ به. استُدعِي عددٌ لا يحصى من البشر لمحاولة إخماد الحريق، لكن الدخان ظل يتصاعد دون توقف نحو السماء. أخيرًا وجدت چين مَن تبحث عنها؛ الملكة واقفة بالقرب من البوابة المزدوجة. كان جسد الملكة مضاءً بنور النيران التي كانت تومض مثل ألسنة شيطانية. كانت إحدى سيدات البلاط تحثها على الهرب، لكن ظلت الملكة ثابتة في مكانها. تمكنت چين من التسلل عبر الجموع إلى الملكة. لم تلحظ حاشية الملكة المذهولة من الحريق الهائل دنوّها منها. هزّت كُم رداء الملكة. قبل أن توقف رئيسة الخدم چين، كانت الملكة قد أبعدت عينيها عن النيران التي تلتهم جناحها ونظرت لأسفل نحو الفتاة الصغيرة. خاطبتها الملكة كأنها بالغة:

"انظري إلى هذا! لقد حاولوا قتلي".

قبضت الملكة على يد چين بشدة، لدرجة أنها شعرت بيدها تكاد تنكسر.

"لكني لا أموت!"، أضافت الملكة بحزم.

حتى اللحظة التي انهار فيها جناح الملكة، ظلت الملكة واقفة في إباء، وهي تمسك بيد چين. كانت شدة قبضتها ـ التي تتبع مد وجزر المشاعر المسيطرة على قلبها ـ قوية جدًا حينًا، وواهنة جدًا لدرجة أن يد چين تكاد

تنزلق منها حينًا آخر. بدا أن الملكة غير مدركة بأي يد تمسك. واصلت رئيسة الخدم حثها للملكة كي تحتمي بمكان آمن لكن أبت الملكة التحرك. شاهدت بأم عينيها جناحها يتحول إلى حفنة من الرماد. حتى حين أتى الملك بنفسِهِ إليها، ظلت عيناها مثبتتان على النيران دون أن تلتفت إليه.

"لا بُد أن نتحرك إلى قصر تشانجيونغجونغ".

كانت كلمات الملك عقيمة أيضًا. عندما لم تُجد كلماته، نظر الملك لأسفل فرأى چين التي تتشبث الملكة بيدها بقوة. بادلته چين النظر. كان وجه الملك يعكس النيران المتموجة. رقص التنين المطرز على ردائه في ضوء النار.

"مَن هذه الطفلة؟"

في تلك اللحظة فقط، التفتت الملكة إلى چين. عيناها تعكسان اللهب أمامها.

"طفلة ستبقيني آمنة".

كان هذا أول ما تفوهت به الملكة إلى الملك.

"لكن مَن هي؟"

"مهما كانت هذه الفتاة، هل سأكون أكثر آمنًا بين يدي والدك في قصر أونهيونجونج؟"

كان صوتها باردًا.

"هل تعتقدين أن وصي العرش وراء هذا الحريق؟"

"هل تخالفني الرأي، جلالتك؟"

"..."

"هل تخالفني؟! هل يوجد أحد آخر في كوريا يمكنه أن يدبر مثل هذا الحريق في عمق القصر ؟!"

"..."

" لقد حاول قتلي!"

"لو أُصبتِ بينما تقفين هنا، فمَن سيعتني بالأمير؟ فكري في الأمير!"

"ربما كنت ميتة الآن بالفعل!".

قست ملامح وجه الملك. شاح بوجهه عن الملكة مثقلاً بالقلق ثم سار مبتعدًا. بعد أن التهمت النيران جناح الملكة، امتدت إلى حجرات المحظيات وأحرقت ثمانين جناحًا في القصر، قبل أن يخمد الحريق أخيرًا وقت الفجر. احترق وانسحق الجدار المزخرف بزهور الأقحوان والرمان والفوانيا، وتمثال الطير النائم على غصن شجرة مشمش فوقه أيضًا. فجأة بدا أن الملكة التي وقفت متسمرة في مكانها حتى الفجر قد استعادت رباطة جأشها. نظرت لأسفل نحو الشيء الذي كانت تقبض يدها عليه بقوة طوال ذلك الوقت. كان بإمكان چين أن ترى الشعيرات الدموية الدقيقة في عيني الملكة المُحتقنة بالدم. تسلَّل التوتر مغادرًا جسد الملكة. ارتخى ذراعها أخيرًا وأفلتت يد چين.

"أنا ممتنة لأنك كنت معي هنا!"

أبعدت الملكة عينيها المحتقنتين عن چين ثم بدأت في المشي، بظهر منتصب، رغم قضائها الليل بطوله واقفة على قدميها. لم تكن الملكة لتسير بهذه المشية المنتصبة لو لم تكن مُصمِّمة على أن تُظهر للجميع أنها لم تُهزَم بعد. حاولت چين أن تتبعها لكن منعتها خادمات الملكة. شقت چين طريقها إلى خارج القصر بمفردها. بزغ النور ولا تزال ألسنة اللهب تومض

من بين الأطلال. عبرت جناح الملك وقاعة الحكم الرشيد وخرجت من بوابة استقبال الخريف. تجمع حشدٌ بطول جدار القصر الخارجي. سمعت صوت ينادي.

"جرس الفضة!"

جرى شخص ما نحوها. حدقت چين المغطاة ببقع من الرماد اتجاه يون الذي يجري نحوها ويصرخ باسمها. لم تسمع صوته من قبل أبدًا. كان يون يجري بطول جدار القصر. لم يبطأ أو يتوقف حتى وقف أمام چين وأنفه يكاد يلامس أنفها. بدا أنه قد انتظر چين طوال الليل خارج القصر فثيابه الكتان كانت مبللة بقطرات الندى.

"هل ناديتني؟"

"..."

"يمكنك الكلام؟"

لم يستطع يون سوى التحديق نحوها بعينين متسعتين.

"ألم تنادني جرس الفضة الآن؟"

بدا يون مندهشًا أكثر منها. كان قد قضى الليل يشاهد أعمدة النيران تتصاعد فوق القصر. خذلته ركبتاه عندما فكر في احتمال موت چين داخل الحريق. الخوف الذي ملأ قلبه جعله يتنفس بسرعة وعندما رأى چين تبرز من بوابة استقبال الخريف في ضوء الفجر، اعتقد أن نفسه سينقطع. هذا كل ما كان يعرفه.

تأملت چين يون، الذي بدا أنه قد تقوقع مرة أخرى داخل عالمه الصامت، ثم بدأت تمشي من جديد. كانت أول مرة تعود إلى بيت سوه

من دون الخادمة لي. كانت معتادة على تأمل المناظر الطبيعية بينما تقودها الخادمة لي إلى البيت لكن هذه المرة ركزت ذهنها في الطريق فقط.

"تعرف كيف تتكلم!"

"..."

"سمعتك بوضوح".

في البداية لم يخش يون من أن چين قد لا تعود. وقف ينتظرها على الجسر كالمعتاد حتى وقت متأخر من الليل. أخبرته سوه أن چين ستقضي الليلة في القصر، رغم ذلك عاد إلى الجسر بعد العشاء وظل ينتظرها. حينها رأى النيران البرتقالية المتوهجة في قلب الظلام. لم يعتقد أن النيران قادمة من القصر في البداية وراح يتساءل عن هذه النار البعيدة. ثم خطر بباله فجأة أنه قد يكون القصر حين استمرت النيران البرتقالية في السماء لمدة طويلة. عندما فكر أن چين ربما تكون عالقة وسط النيران، ركض كالسهم، متجاوزًا أجمة القصب وغابات أشجار الصنوبر وشق طريقه عبر المياه. كان يثب حين كان يشعر بأن المياه تعوق جريه. لكن عندما بلغ القصر، منعوه من الدخول. احتقنت عيناه بالدم كعيني الملكة وهو يقف خارج جدران القصر يحدق عاجزًا اتجاه النيران.

أخيرًا لحا بيت سوه على مبعدة. شعرت چين بالتعب والخواء لكنها أسرعت الخطى. لم يكن أحدٌ في انتظارها حين خطت داخل فناء البيت.

بيتٌ دون أحد ينتظرك فيه يبدو أوسع وأكثر وحشة من سماء خالية، مهما كان هذا البيت صغيرًا. كانت سوه رغم ما قد يشغلها من أعباء تحرص على التواجد في البيت قرب موعد عودة چين من القصر. شعرت

چين بالدوار في هذا الفراغ، فدفعت بقوة باب الحجرة التي تتشارك فيها مع المرأة سوه. كانت أدوات خياطة سوه مبعثرة في كل مكان. كانت حجرة الضيوف التي يعطيها بلانك دروس الفرنسية اليومية فيها خالية أيضًا. حتى باب الفرن كان مغلقًا بإحكام. دفعت الباب المفضي إلى الفناء الخلفي. لم تكن سوه في بستان البامبو أو بجوار القدور الأرضية الضخمة التي تُخزَّن فيها الصلصات والبهارات. جلس يون على العتبة التي تطوق الفناء وراقب چين تدخل وتخرج من البيت بحثًا عن سوه وبلانك. في النهاية جلست چين بجواره.

"أين ذهبا؟"

سحب يون يد چين إليه وحاول أن يكتب عليها لكنها انتزعت يدها.

"قلها بملء صوتك!"

أبعد يون يده. ران الصمت بينهما لفترة. استسلمت چين في النهاية ومدت إليه كفها.

القس رحل.

شعرت چين بالحيرة.

"أين ذهب؟"

بدلاً من الإجابة، نهض يون وذهب إلى حجرة الضيوف. عاد حاملاً قاموس بلانك الفرنسي/ الكوري القديم. داخل هذا المجلد الضخم الذي تعلو صفحاته آثار بصمات الأصابع من كثرة الاستخدام، وجدت چين خطابًا مكتوبًا بالكورية والفرنسية:

"أنا سعيد جدًا لقدومي إلى كوريا ولقائك. واصلي التفكير. واصلي التعلُّم".

لكن يون هو مَن يستحق هذه الرسالة. يون هو الذي تعلّق بكل كلمة ينطقها بلانك حتى حين كان يُقلّب صفحات القاموس ويُعلّمها لغته الغريبة كل ليلة. هكذا فكرت چين.

"لماذا لم تتبعه؟"

"..."

"هل أنت على ما يرام؟"

شبك يون أصابع يده قبل أن ينكس رأسه مرة أخرى. فكرة رحيل الأب بلانك جعلت چين تشعر بخواءٍ رهيب بداخلها. بدت السعادة التي شعرت بها حين كان أربعتهم يجلسون حول طاولة العشاء الصغيرة وأدوات المائدة تصطدم ببعضها البعض وهم يتناولون الطعام، ذكرى بعيدة.

وصل خبر الحريق في قصر غيونجبوكجونغ إلى المرأة سوه متأخرًا فسارعت إليه. عند عودتها إلى البيت وقد استولى عليها الحزن، لمحت يون وچين جالسان على العتبة فاندفعت راكضة. انفجرت چين باكية في اللحظة التي وقعت فيها عيناها على سوه. لم تبكِ لرؤية النيران، ولا في وجود الملكة، ولا لرؤية يون، لكنها بدأت في البكاء الآن. رؤية سوه جعل كل الخوف الذي كبتته بداخلها يغمرها. احتضنت چين القاموس بقوة.

"لو متِ، سأموت أنا أيضًا".

التقط يون كفها وكتب من جديد.

"لو متِ، سأموت أنا أيضًا".

"لن أموت!"

صاحت چين في وجه يون ثم غرقت في الصمت.

أتتها ذكرى صوت الملكة العنيد: "لكني لا أموت"، وهي تحدق في النيران الحمراء تلتهم جناحها. لم يكن وجه الملكة القاسي والبارد الممتلئ بالوحدة والغضب، يشبه بأي شكل وجه الملكة التي أطعمت الكمثرى لچين. رددت چين الكلمات نفسها بالنبرة نفسها:

"أنا لا أموت".

* * *

في هذه الأثناء، كانت فرنسا تروِّج للنظام المتري ـأحد إنجازات الثورة الفرنسيةـ كمعيار دولي للقياسات بينما أعلنت ألمانيا للعالم عن اختراعها محرك الاحتراق الداخلي. أما في كوريا، فقد احتضنت فتاة صغيرة، شهدت احتراق قصر بلدها التي بدأت تنفتح بحذر على العالم، قاموسًا فرنسيًا/ كوريًا وراحت تبكي.

الجزء الثاني

(١)
النظرة الأولى

"صاحبُ السعادة،

من دواعي سروري أن أُعلمكَ إنني قد دخلت سول في يوم السادس من يونيو، بعد أن أعددنا العدة مَنذ وصولنا إلى جيمولبو في يوم الثالث من الشهر نفسه. في اليوم التالي، قدّمتُ طلبكم للجهة المختصة في هيئة التجارة والدبلوماسية بوصفي ممثلاً للجمهورية الفرنسية.

سأبقى خادمك المطيع والمخلص وفقًا للصلاحيات التي منحتها إلى شخصيِ المتواضع.

فيكتور كولين دي بلانس
العاشر من يونيو ١٨٨٨، سول".

ثمة مواقف في الحياة تكون سريعة ومقتضبة كقطرات ندى تتبخرُ بسرعة من على أوراق الشجر لكنها مع هذا تدوم في الذاكرة إلى الأبد.

كان هذا في أحد صباحات يونيو ١٨٨٨ م. كان "ڤيكتور كولين دي بلانس" يرتدي رداءه الرسمي أمام مرآتِه في مسكنِه في مبنى المفوَّضية الفرنسية، بالقرب من بوابة "سيسومون"[٢٨] في سول. رُكِبتْ نافذةٌ زجاجيةٌ في غرفته داخل هذا البيت، بخلاف ذلك كان البيت مصممًا على الطراز الكوري. كانت النافذة تطلُ على فناءٍ يمتلئ بالزهور والأشجار. وسط الهدرانج والفوانيا والمستحية، ينمو أيضًا السفرجل الصيني وأشجار البرسيمون (الكاكي) وعلى مسافة أبعد، تتزاحم شجيراتُ البرسيم والعُوسج خلف أشجار التمر حنا الإفرنجية بأغصانها المتشابكة مع نباتات مُتسلِّقة.

كلما انتاب ڤيكتور التوتر أثناء استعداداته أمام المرآة، كان يلتفت إلى الخارج نحو أوراق شجرة عنقاء[٢٩] تتمايل مع رياح أوائل الصيف. شعر أن الأسيويين يحبون هذه الأشجار. كانت هنالك شجرة عنقاء مزروعة في الرقعة التي تشغلها المفوَّضية الفرنسية في الصين أيضًا. عندما تعرف عليها هنا، أخبره المترجم الكوري التابع للقصر أن الأساطير في كوريا تقول إن طائر العنقاء لا يأكل سوى ثمار البامبو، ولا يبني عشه إلا فوق شجرة العنقاء. أخبره مسؤول صيني بالأمر نفسه. سأل ڤيكتور المترجم الكوري إذا كان قد رأى عنقاء من قبل. رد عليه المترجم أن رؤية العنقاء تعني أن المرء سيعيش للأبد. تمنى المترجم أن يتمكن ڤيكتور من رؤية واحد أثناء

---

٢٨ عرفت أيضًا بالبوابة الجنوبية الغربية وهي إحدى بوابات سول الثمانية في الجدار الذي كان يُحصن سول وأحاط المدينة في عهد مملكة جيوسون.

٢٩ شجرة العنقاء: الاسم العلمي لها هو استركوليا الخضراء وهي شجرة ذات أوراق ضخمة ومظهر استوائي لافت وتتميز بظلها الكثيف. تتواجد بكثرة في آسيا. موطنها هو الصين. لها فوائد طبية كثيرة ويرد ذكرها في الأساطير الصينية القديمة.

تواجده في كوريا. تلقى ڤيكتور الإجابة نفسها في الصين. يزرع الصينيون والكوريون الشجرة نفسها لكن لا يبدو أن أي أحد في أي من البلدين قد شاهد هذا الطائر الخرافي المذهل. قال المترجم الكوري مازحًا أن عدم تمكُن أحد من رؤية العنقاء أمر جيد تمامًا، كما لو أنه قد رأى واحدًا منها بالفعل. فهذا ينطوي على قدرٍ من العدالة. أعجب ڤيكتور بهذه الطريقة الشرقية في الكلام، كيف أن شيئًا ما قد يعني شيئًا آخر في نفس الوقت.

أبعد ڤيكتور نظره عن الشجرة وعاد للتركيز في المرآة من جديدٍ.

سمع ڤيكتور هذه القصة بمجرد أن وصل إلى كوريا: ذهب "توماس واترز"، في نهاية خدمته الطويلة في كوريا كممثلٍ أعلى للقنصلية البريطانية، إلى القصر مرتديًا رداءً فاخرًا بدلاً من الزي الرسمي كي يودع الملك. بعد أن أُرغِم على الانتظار لساعتين، أُعلِم واترز أن زيه غير ملائم للمثول أمام جلالة الملك. كرر واترز طلبه لمقابلة الملك بعد ذلك عدة مرات كي يودعه رسميًا، لكن القصر لم يستجب لطلبه إلا قبل يومين من إبحاره. كان قد أرسل زيه الرسمي مع أمتعته الأخرى إلى بريطانيًا وقد يأس من أن يتلقى ردًا من القصر. لم يبقِ سوى على السترات المسائية، واعتقد أنه سيمتلك الفرصة ليبرر الأمر عندما يكون في حضرة الملك، لكنه أُجبِر على الرحيل من دون أن يتمكن حتى من تقديم خليفته إلى الملك.

اعتبر ڤيكتور أن من واجبه تجنُّب أي أخطاء وترك انطباع جيد لدى الملك. لمَّع النجوم الفضية والذهبية وشارة الكتف مرة إضافية، وعدل الشُرَّابات فوق صدر الرداء، وشدَّ الوشاح على كتفه كي يكون مستويًا تمامًا. وضع قطرات من الزيت في كف يده وملَّس شعره ولحيته. توقف للتفكير وهو يلقي نظره طويلة على انعكاسه ويحاول أن يلملم شتات نفسه. التقط كاميرته الجديدة ووضعها داخل الجيب السري للصديري.

شغلت عدسة الكاميرا الأربعون مللي، الفراغ في عروة السترة. سيمكّنه الضغط خلسةً على سلكٍ في جيبه متصلاً بالكاميرا من التقاط الصور. كان بإمكان ڤيكتور أيضًا تثبيت الكاميرا على دعامة ثلاثية القوائم إذا احتاج لذلك. ولعه الشديد بالتصوير منذ خمس سنوات جعله يُفتَن بهذه الكاميرا المصممة خصيصًا من أجل التصوير السري.

كان الملك سيستقبله في الحادية عشرة صباحًا، لكنه انطلق إلى القصر ساعة قبل الموعد كي يصل قبل اللقاء بوقتٍ كاف. كانت الأرض طينية بسبب هطول الأمطار ليلة الأمس لكن حقل الخضراوات أمام مبنى المفوَّضية كان ناضرًا ومنتعشًا وقد غطته قطرات المطر. كان يمكن لڤيكتور رؤية هيكل مبنى المفوَّضية الروسية على مبعدة. رؤيته لهذا المبنى جعله يفكر أن قرار فرنسا بافتتاح مفوَّضية لها في كوريا قد جاء متأخرًا جدًا. كان قد مر عامان بالفعل منذ إرسال كوريا عريضة إلى فرنسا كي ترسل موفَدًا رسميًا لها. كان ڤيكتور أول مندوب فرنسي رسمي يدخل إلى كوريا، حاملاً خطاب اعتماده من وزارة الخارجية الفرنسية.

حين وصل ڤيكتور إلى ميناء جيمولبو عن طريق الصين، أتى مسؤول من هيئة التجارة والدبلوماسية من سول كي يرافقه. بمجرد أن تأكد أن ڤيكتور يحمل الوثائق الضرورية كموفَد فرنسا الرسمي إلى كوريا، أعلن بسرور أنه سيُعْلِم الملك فورًا بوصوله.

الأمر الذي ترك أثرًا عظيمًا في نفس ڤيكتور عن كوريا، خلال الطريق من جيمولبو إلى سول، كان الوجود الطاغي لتلّات الدفن سُواء على الهضاب المنخفضة أو بين أشجار الصنوبر في الجبال. تساءل علنًا عن طبيعة هذه التلّات العشبية المدوَّرة التي لا تتناثر على سفوح الجبال فقط، بل قرب الحواجز التي تحد الحقول أو أي جانب مشمس من هضبة قرب

القرى. قِيل له أنها تلأات الدفن. رؤيته لها جعلته يشعر بإحساسٍ غريب مشابه للإحساس الذي يتولّد داخل المرء عندما يلمح سرابًا على مبعدة. فكر في هذا المسكن الأخضر المستدير والمريح للموتى. انتابه شعور بالقلق والإثارة في آنٍ واحد من فكرة العيش في هذا البلد، حيث يعيش الأحياء والأموات قريبين جدًا من بعضهما البعض.

أراد ڤيكتور أن يسير في درب الرموز الأربعة، وطريق الدواوين الستة الممتد من بوابة القصر الرئيسية (غوانجهوامون) المحفورة بين ذراعي جبل "إنوانجسان". لكن المترجم المبعوث من البلاط الملكي أخبره أن السير أمام البوابة الرئيسية ممنوع. لم يملك ڤيكتور خيارًا سوى ركوب المحفّة. كان جسده يهتز في كل مرة يقفز فيها حاملو المحفّة لتجنُّب الوحل، مما جعله يولي اهتمامًا كبيرًا لزيه الرسمي. حين نزل أمام البوابة الرئيسية حيث يقف الحرس وتربض تماثيل النمور الحجرية العظيمة، اقترب منه مندوب من القصر يجيد الصينية ليرشده إلى داخل القصر. واجه ڤيكتور النمور الصخرية وسحب السلك في جيبه. التقط صورًا للتنانين المحفورة في الشواهد الحجرية الثلاثة للبوابة الرئيسية من دون ن يلحظ الموظف أي شيء. داخل القصر، كان عليهما أن يشقا طريقهما إلى قاعة الاستقبال عبر الجداول والجسور لملاقاة الملك.

كانا يجتازان بركة محاطة بصخور الجرانيت.

تفاجأت مجموعة من فتيات القصر بستراتهن الصفراء وتنانيرهن الوردية كنَّ يلعبن ، بمظهر ڤيكتور. حدقنَّ باستغراب في شعره البني المميز وشحوب بشرته. لا بُد أن الرداء الرسمي الفاخر كان ملفتًا أيضًا. عندما توقف ڤيكتور عن السير للحظات، ركضت فتيات القصر مبتعدات، وقد انفجرنَ ضاحكات. إحدى الفتيات نظرت إليه كأنها ترى شبحًا. سحب

ڤيكتور السلك ليلتقط صورة للفتيات وهن يركضنّ بعنفوانٍ. بينما تختفي الفتيات عن أنظاره، أخبره مندوب القصر أنهن أصغر نساء البلاط اللاتي يتدربن ليصبحن خادمات رسميات في القصر.

"هل يعشنّ في القصر في هذا السن الصغير؟"

"أجل كي يكتسبن شيم سيدات البلاط".

"ماذا يتعلمنّ هنا؟"

"عادات وتقاليد القصر، الغناء، الرقص، فنون التداوي، الأدب الكلاسيكي والكتابة الكورية".

جرت المياه الصافية لجدول الحرير (جيومشيونجيو) أسفل أحد الجسور. في نهاية الجدول كان مقرّ إقامة الملك. عندما توقف ڤيكتور لتأمل الجدول، لمح خادمة كبيرة تتبعها أخرى شابة تجتازان الجسر في اتجاهه. كانت الخادمة الكبيرة ترتدي نعلاً أزرق وتمشي بخطوات واثقة. مشية تنم عن كبرياء وعزة اكتسبتهما من مكانتها في البلاط. وجه ڤيكتور الكاميرا نحو الخادمة الشابة ذات النعل الأحمر التي تتبع رئيستها.

بعض النظراتِ تغيرُ الأقدار.

شعر الموظف بوجود شيء خاطئ فالتفت إلى ڤيكتور. في نفس تلك اللحظة تبادل ڤيكتور والخادمة الشابة النظرات. عندما التقت عيونهما، شعر ڤيكتور بالذهول فعيون الخادمة السوداء العميقة كانت تعكس ودًا ودفئًا. كانت أول مرة تقع فيها عينا ڤيكتور على نظرة من شخص كوري لا تحمل شعورًا بالضيق أو المفاجأة أو الفضول. لكن لم يكن هذا الود هو الذي جعله يتسمر في مكانه فقط بل تلك الذكرى المفاجئة التي عادت إليه. عادت إليه ذكرى وجه كان يعتقد أنه قد نسيه من خلال العيون السوداء

اللامعة لهذه الخادمة الشابة. شعر كأن مشاعره المتدفقة بغزارة محمولة على تيار ماء سريع. قبل أن يدرك الأمر، وجد ڤيكتور نفسه يحيي المرأة التي كانت يداها متعانقتين برقة أمامها. خرجت الكلمات منه بالفرنسية:

"صباح الخير".

فاجأه ردُها عليه بلطف.

"صباح الخير".

لم يصدق ڤيكتور أذنيه؛ امرأة في حاشية البلاط في قصر كوري تتحدث الفرنسية! سحب ڤيكتور السلك من جديد بشكل غريزي -وقد سيطر عليه إحساس بالارتباك والحيرة- ليلتقط صورة أوضح لعينيها السوداوين. أخفت الخادمة طيف الابتسامة الذي رسمته على وجهها بسرعة، ثم أشاحت بعينيها إلى أسفل والتفتت مبتعدة. بدت كفراشة تقف على زهرة وتطوي جناحيها. سحب السلك بسرعة ليلتقط صورة لجسد المرأة وهي تلتفت لتواجه رئيستها. ردائها الأخضر الياقوتي، وتنورتها الزرقاء النيلية وسترتها الحريرة، كل هذا رفرف في نسيم أوائل الصيف.

ظل ڤيكتور يتساءل عما حدث منذ قليل وهو يواصل السير وراء مندوب البلاط من جديد بمحاذاة الجدول نحو قاعة الاستقبال. "بون جور"، لقد أجابته امرأة البلاط بالفرنسية بكل تأكيد. كبت رغبته في سؤال المندوب إذا كان سمعها تنطق بالكلمة أيضًا.

نسى خطتَه بالتقاط الصور للأشياء التي تجذب انتباهه فقد استحوذت الذكرى التي استدعتها عيون الفتاة السوداء على تفكيره. ذكرته بمكان ولادته الذي لم يخطر على باله منذ مدة طويلة. قرية "بلانس" في شمال شرق فرنسا. بوالده الروائي، المهاجر الإيرلندي. بوالدته التي أحبت

كتابة وإلقاء الشعر. أطلق ڤيكتور تنهيدة عميقة. تذكر "ماري" الفتاة الوحيدة في بلانس ذات الشعر الأسود والعينين السوداء. لقد أذلت قرية بلانس عائلة ڤيكتور وأجبرتها على هجرها. بمجرد انتقال العائلة إلى باريس، نسى "آل كولين دي بلانس" القرية التي اعتبروها يومًا وطنًا. لم ير ڤيكتور القرية بعد ذلك أبدًا. التفكير فيها لا يجلب له سوى الألم. لم يتوقع أن تراوده أفكارٌ عنها في قصر ملكي في بلاد بعيدة جدًا في الشرق.

"يا ترى ما اسمها؟"

التفت مندوب القصر السائر أمامه، تعلوه نظرة استفهام كأنه يسأل "اسم من؟"

"امرأة البلاط التي رأيناها للتو".

"الخادمة كيم أو شوي أو بارك، شيء كهذا بالتأكيد".

"عذرًا؟"

"هكذا نسميهنَّ في القصر. لا توجد خيارات كثيرة".

تطلع ڤيكتور نحو شجرة الصنوبر العملاقة التي تُلقي بظلٍ واسعٍ على الأرض.

"مِن المحرم عليك اشتهاء إحدى نساء البلاط الملكي"، حذره المندوب. لا بُد أن المندوب قد استشعر اختلاجات قلب موفَد فرنسا.

"كل النساء في القصر ملكًا لجلالتِه. اشتهاء نساء الملك بمثابة ارتكاب جريمة لا تغتفر أبدًا وستنتهي بالقضاء على سلالتك".

ابتسم ڤيكتور ابتسامة شاحبة مصطنعة ردًا على نصيحة المندوب وتحذيره المبطن.

يتدفق الجدول من الجانب الشمالي الغربي لبوابة قاعة الاستقبال ماضيًا جهة الجنوب. تتدفق المياه حين تكون حرة وتركد حين تُعاق. عندما يُزال العائق، تعاود التدفق من جديد. تحدث مندوب القصر بأدب بعد أن اتبعا الماء حتى وصلوا إلى جسر آخر:

"مياه مباركة. تتدفق حاملة آمال رعية القصر في الإخلاص في خدمة الوطن بقلوب نقية وطاهرة".

"أرى أن الرغبة في التعلم من الماء متماثلة في الشرق والغرب".

قال فيكتور هذا قبل أن تجتاحه ذكريات قديمة راحت تطفو على السطح بسرعة كفقاعات تتصاعد من شلال.

"ها قد وصلنا".

توقفا أمام قاعة الحكم الرشيد. كانت القاعة محاطة بأربع حوائط مسنودة بدعامات من الجوانب الأربعة. أشار المندوب إلى الصوان الذي يرتفع وسط بلاط رخامي ضخم وأخبره أنه المقعد الذي يجلس عليه الملك لاتخاذ القرارات السياسية. تنتهي الدعامات الخشبية الضخمة والمتينة للقاعة بسقف مُبلط ومزخرف برؤوس تنانين مُلونة. أرضيات القصور في "مملكة تشينغ" مصنوعة من الطوب الطيني بينما تقف القصور الكورية على أرضية من الجرانيت. بدت القمة الصخرية البيضاء في أعلى نقطة من السقف كأنها تحدق للأسفل بنظرة إحسان تشمل القاعة بأكملها.

جلس فيكتور على كرسي في حجرة الانتظار حتى ينادي خادم الملك على اسمه. كانت حجرة الانتظار صغيرة، لكنها تطل على ممر يقود إلى غابة كثيفة من أشجار الصنوبر. على عكس الصين حيث تنتشر الكراسي في كل مكان، أشيع أن كوريا تعارض استخدامها. لكن هنا في حجرة

الانتظار كانت توجد طاولة غربية وكراسي في الأغلب مستوردة من مملكة تشينغ. على الطاولة مزهرية بداخلها زهرة هدرانج متفتحة حديثًا. بينما يتأمل ڤيكتور الزهرة بإعجاب ويلقي نظرة من حين إلى آخر على ممر الغابة خارج النافذة، أحضروا له بسكويت إنجليزي، و-لدهشته- نبيذ فرنسي وتبغ من مانيلا أيضًا. أخبره خادم من خدم البلاط أن الملك سيتأخر بسبب زيارته الملكية السنوية بالأمس. لم يفهم ڤيكتور قصده، فشرح الخادم أن الزيارة الملكية تعني مشاركة الملك في مراسم تأبين الأسلاف في المدافن الملكية، وأن الملك قد عاد في وقت متأخر من ليلة الأمس لهذا تأخر هذا الصباح.

انتظر ڤيكتور لمدة طويلة.

في نهاية الأمر عاد الخادم ونادى على ڤيكتور ليقابل الملك. بعد عبور بابين، دخلا إلى قاعة واسعة. جلس الملك على طاولة. وقف مجلسه الاستشاري خلفه على كلا الجانبين مرتدين أرديتهم الرسمية. كانت ظهورهم محنية في حضرة الملك. تواجد مترجم ليساعد في مراسم الاستقبال الرسمي.

نظر ڤيكتور إلى المركز حيث يجلس الملك. بدت التنانين المنقوشة على ذراعي المقعد حقيقة جدًا وكأنها حية. ها هو ملك مملكة جوسون الكورية يجلس، رجل بشارب رفيع وابتسامة بشوشة.

انحنى الخادم الذي أدخل ڤيكتور للقاعة على ركبتيه أمام الملك. همَّ ڤيكتور بتقليده لكن الملك أوقفه.

"هذا غير ضروري. يمكنك أن تحييني وفقًا لتقاليدكم".

أحنى ڤيكتور رأسه بإجلال.

"سمعنا أنكم وصلتم إلى هنا في الثالث من هذا الشهر. لا يوغرنّ صدرك أننا لم نستدعكم لمقابلتنا إلا بعد مرور عشرة أيام".

"سمعت توًا عن زيارتكم الملكية، جلالة الملك".

كانت حركات الملك محدودة وصوته منخفضًا.

"هل أحضرت خطاب اعتمادك؟"

"أجل".

لم تتخلى عينا الملك الوديعة عن ابتسامتها. بدا أن الملك قد أحبه، هكذا فكر ڤيكتور. حاول ڤيكتور ألا يفسد انطباع الملك الأول عنه فحرص على الانحناء برأسه متى بدأ في الإجابة على أسئلة الملك. ظلت كوريا منعزلة بإرادتها عن العالم الخارجي وكانت قد بدأت في فتح أبوابها منذ فترة وجيزة. كان من الحتمي أن تجد البلاد نفسها عالقة وسط نوايا الأمم القوية في تحقيق أهدافها من خلالها. الثقافات الغربية تحدث تغيُّرات دراماتيكية في الحياة اليومية للشعوب، امتزاج الجديد المثير بالقديم الراسخ.

"كيف كانت رحلتك البحرية؟"

"هبت بعض العواصف لكن المياه كانت هادئة في العموم".

"وكيف حال رئيس جمهوريتكم؟"

ناوله ڤيكتور رسالة من "ماري فرانسُوا سعدي كارنو" يعلن فيها انتخابه رئيسًا لفرنسا. بدا الرضا على وجه الملك، وهو يستمع لقراءة المترجم لفحواها.

"من دواعي سرورنا أن يكون هنالك مفوّضية لفرنسا في كوريا. ستُعلّم فرنسا بموقف بلادنا وتطلعنا لعهد جديد من التوافق والتعاون بين الأمتين".

"سأبذل قصار جهدي، جلالتكم".

كانت كوريا تحاول أن تخلق توازنًا بين تأثير القوى الخارجية عليها.

كانت روسيا مهتمة بإنشاء ميناء بحري على خط عرض أقل من ميناء "فلاديفوستوك"، فسارع البريطانيون بحصار جزيرة "جومون دو" وسموها "ميناء هاملتون". بدورها فرضت الصين نفوذها على مملكة جوسون متخذة من التمرُّد الحادث في الجيش حجة كي تبني مركزًا إداريا لها في كوريا. الدافع الظاهري لذلك هو التأكد من مدى توغل اليابان داخل البلاد، لكن في الحقيقة كان الغرض هو التدخل في شؤون كوريا الداخلية.

"لا بُد أنك تجد صعوبات جمة في العيش في بلد غريب".

انحنى ڤيكتور تقديرًا لاهتمام الملك.

"إذا احتجت إلى شيء، أخبرني".

"هنالك طلب واحد، جلالتكم".

"طلب واحد فقط؟"

"نعم".

أراد أن يلتقط صورة للملك لكن لم يكن هنالك داعي للمخاطرة في أول لقاء بينهما.

"أعترف لكم انني أحمل كاميرا في جيبي. أعلمكم بذلك لشعوري أني أرتكب خطأ".

"لديك كاميرا في ردائك؟"

"نعم".

"لا بُد أنها صغيرة جدا؟"

"صُنعتْ في أمريكا منذ عامين. مُصمَّمة كي يضعها المرء في ردائه كي يلتقط الصور. تبدو العدسة كزر لمن يجهل وجودها. أتساءل إذا كان الغرض من اختراعها هو التقاط الصور خلسة. بيع منها خمسة عشر ألف قطعة عند طرحها في الأسواق. لا بُد أن هنالك الكثيرون ممن يحبون التقاط الصور سرًا. ولابد أنني واحد من هؤلاء".

انفجر الملك ضاحكًا.

"هلا التقطت صورة لي؟"

"من المستحيل فعل ذلك هنا في الداخل. لا تتوفر إضاءة جيدة".

"هذا أمر سيء جدًا".

أكد تعبير وجه الملك أنه صادق في أسفه.

"لو أحببتم ذلك جلالة الملك، يمكننا أن نخرج للهواء الطلق كي نلتقط الصورة. أعدكم بأن أجلبها معي في زيارتي القادمة".

ظن فيكتور للوهلة الأولى أن طلبه سيقابل بالرفض لكن الملك أذعن لاقتراحه ونهض من على عرشه. تفاجأ مستشاروه بذلك. حثوه ألا يفعل. قال أحدهم حتى أن التصوير يخطف روحَ من يُصور.

"ما هذا الهراء؟ ألم يلتقط جي ويونج صورة لي مرة وأراني إياها! هل لا زلتم تؤمنون بهذه الخرافات؟"

رمى الملك اعتراضاتهم وراء ظهره ووقف أمام مدخل قاعة الحكم الرشيد.

التقاط صورة يعني أن تشحذ حواسك.. تحديد المسافة والظروف التي تلتقط فيها الصورة لشخص ما تعني ببساطة أن تخلق ذكرى جديدة لهذا الشخص. وهكذا لأول مرة منذ دخوله للقصر، وجه ڤيكتور الكاميرا بدقة نحو الشيء الذي يصوره ثم سحب السلك. ظل مستشارو الملك يرفعون أيديهم ويحتجون هاتفين "جلالتك! جلالتك!" أثناء التقاط الصورة.

عندما عاد الملك إلى عرشه، كانت هنالك ابتسامة رضا مرسومة على شفتيه، كما لو أنه قد فعل شيئًا بديعًا جدًا. أُعجِب ڤيكتور بالملك. بدا الملك إنسانًا غير معقد، انطوائي ظاهريًا لكنه يحب التعرُّف على خبرات ثقافية جديدة. فكر ڤيكتور بأسف أن الملك كان ليعجب بخزف السيفر، الهدية التي أمده بها وزير الخارجية. كان من المفترض أن تكون الهدية قد وصلت بالفعل لكن شركة النقل البحري اليابانية تأخرت في إيصالها.

"كم كان الأمر مسليًا. علينا أن نقيم مأدبة قريبًا احتفاء بتعينك هنا ونلتقي مرة أخرى".

"أنا ممتن لكم، جلالتكم".

كان مصممًا ألا يعطي ظهره للملك أبدًا فخرج من لقائه مع الملك وهو يمشي للوراء متبعًا القواعد التي حفظها. كانت جبهته مبللة بحبات العرق عند خروجه. اتبع المسار نفسه الذي جاء منه. تركت قاعدة حذائه

الموحلة آثارًا على التراب بسبب المطر المتساقط ليلة الأمس. كان يطوف بعينيه في المكان راجيًا أن يرى امرأة البلاط. تذكر خفة حركتها كالفراشة وعينيها السوداوين المليئتين بالحزن. لكن خاب رجاءه.

* * *

عندما عاد إلى مكتب المفوّضية سأل السكرتير "غيران" عن أسرع أستديو تصوير في كوريا. أراد أن يرى صورة امرأة البلاط التي قابلها قرب جسر جدول الحرير. لم يخبر غيران عن السبب الحقيقي واكتفى بإخباره أنه يتشوق لرؤية كيف ستكون صورة الملك.

"هل تقول إنك قد التقطت صورة للملك؟!"

"أجل فعلت. هذا ما أقوله لك".

"التصوير ممنوع في القصر. من المدهش أنك تمكنت من التقاط صورة للملك نفسه! هذا شيء لا يُسمح به إلا بعد إجراءات معقدة".

قال ڤيكتور أنه لم يجد صعوبة في ذلك بل أن الملك من طلب منه ذلك بنفسه عندما علم أنه يحمل معه كاميرا. أشرقت عينا غيران عندما ذكر ڤيكتور أن الملك سمح له بالتقاط الصور بحرية داخل جنبات القصر.

"تهانيّ!"

صدم ڤيكتور من ردة فعل غيران المبالغ فيها.

"هذا يدل على مدى ترحاب الملك بك. هنالك دبلوماسيون ينتظرون شهورًا من أجل أول لقاء بينهم وبين الملك. والكثيرون ضُرِب لهم موعدٌ فقط كي يُرفَض دخولهم عند بوابة القصر. من الطبيعي أن تنتظر بضع

ساعات في حجرة الانتظار. لكن حقيقة أنك قابلته بعد عدة أيام فقط من وصولك وأن الملك خالف قواعدَ القصر ووافق على التقاط صورة له، معروفٌ غير متوقع".

اطمأن ڤيكتور لكنه كان يدرك جيدا أن معروفَ الملك ليس حبًا فيه بالطبع، بل من أجل الحكومة الفرنسية.

في تلك الليلة ـكجزء من مهامه الرسمية بوصفه موفَد لفرنسا في كورياـ كتب خطابًا لوزير خارجية فرنسا يُطلِعه على لقائه بالملك:

"صاحبُ السعادة،

قابلت اليوم ملك كوريا. بدا جلالته مهتماً جداً بمعرفة الثقافات الأجنبية".

أنزل ڤيكتور قلمه وخرج إلى فناء المفوَّضية. ظل وجه امرأة البلاط ذات العيون السود يطارده، ويملأ المساحة الفارغة من الرسالة. شعر كأنه يكتب على وجهها. اقترب كلبِ "جِندو" كان لا يزال مستيقظًا من ڤيكتور عند سماعه لوقع أقدامه في الفناء. أعطاه مندوب البلاط "تشوه بيونجسيك" الكلب هدية. وُلِد هذا الكلب في منطقةٍ جنوب كوريا تسمى "جِندو"، الاسم الذي يُطلق على سلالة الكلاب أيضًا. أخبره أنهم يحضرون الكلاب إلى هنا في سن شهر واحد فقط كي تكون في عمر صغير يمكنها من التعوُّد على حياة مالكيهم. كانت الجندو فصيلة من الكلاب مشهورة بإخلاصها الشديد لصاحبها لدرجة أنها تقضي أيامًا وربما شهورًا بحثًا عن أو في انتظار عودة مالكها المفقود. كان للكلب الصغير فرو أبيض زغبي، ربت عليه ڤيكتور، قبل أن يتوجه إلى شجرة العنقاء. تبعه الكلب.

كان الأرستقراطيون في قرية بلانس يقتنون كلابًا بيضاء عديدة في بيوتهم. عندما كان ڤيكتور يخرج ليلاً للقاء ماري، كانت الكلاب تركض لتحيته أولاً.

في الظلام أخرج ڤيكتور سيجارة ووضعها بين شفتيه. زفر نفثات طويلة من الدخان في الهواء. أمطرت في الليلة الماضية، لكن السماء الآن صافية مليئة بالنجوم. تمايلت أوراق شجرة العنقاء. علا صياح طائر عندليب من مكان ما.

أحيانًا لا يحرس الكلب بيتًا، بل عزلة صاحبه.

"كان يجدر بي سؤالها عن اسمها".

أفضى ڤيكتور بمكنون صدره إلى الكلب عند قدميه.

"كيف سيمكنني رؤيتها مرة أخرى إذا كنت أجهل اسمها حتى؟"

انحنى لأسفل ومسَّد ظهر الكلب.

التقت عيناهما للحظة، مع هذا أحكمت تلك العينان السوداوين قبضتها على شغاف قلبه. كان الأمر أشبه بالنظر إلى ساعة جيب ثمينة ظن أنها ضاعت منه منذ زمن طويل، وهو العاشق لهذه الساعات. لقد قالت بوضوح "بون چور". قالتها بتلقائية شديدة. نطقها ومخارج حروفها. كانت تعرف كيف تتكلم لغته، لا جدال في ذلك! اعتدل ڤيكتور في وقفته كما لو أنه يحاول أن يبعد هذه الأفكار الهائمة في رأسه. شعر بتقزُّزٍ من نفسه لأنه يتسكع هكذا في فناء المفوَّضية. رمى سيجارته وسحقها بحذائه. تمنى لو بقي ساكنًا في مكانه، لكنه عاد إلى مسكنه وجلس مرة أخرى على المكتب. أخرج المرسوم الوزاري الذي استلمه مع خطاب الاعتماد:

"مهمتك الرئيسية هي أن تراقبَ بدقة إذا كانت بنود المعاهدة الموقعة بين فرنسا وكورَيا في الرابع من يونيو ١٨٨٦م تُنفذ على أرض الواقع أم لا. كذلك من الأمور ذات الأهمية الخاصة، المهمة تمامًا كالمسائل السياسية مع كوريا: المعاهدة الموقعة بشأن البعثات التبشيرية الفرنسية في كوريا. فرضم

عدم تردد كوريا في تقبل الثقافة الأوروبية، يظل هنالك تاريخ طويل من الضغينة ضد المسيحية".

طوى ڤيكتور المرسومَ مرة أخرى ووضعه في الدرج. السبب في ترحاب الملك به هو أن النفوذ الفرنسي على كوريا ليس خطيرًا. لا يمكن للملك أن يعبر عن نواياه الحقيقية أمام مندوبي وقناصل اليابان وبريطانيا وروسيا أو مملكة تشينغ الصينية. كلمة خاطئة واحدة من الملك، قد تعيد تشكيل خيوط شبكة الصراع بين هذه القوى.

وقعت فرنسا معاهدتَها مع كوريا منذ عامين فقط. في تلك الأثناء كانت فرنسا مهتمة أكثر بڤييتنام، لذا دخلت في صدامات متكررة مع الصين التي كانت تحاول التوسع في جنوب آسيا. الآن توجد علاقات رسمية بين فرنسا وكوريا، لكن لا يوجد تبادل حقيقي بين الشعبين بعد.

اهتمام فرنسا الرئيسي بكوريا لا ينبع من المكاسب الاقتصادية، بل القضية الدينية المُتعلِّقة بانتشار الكاثوليكية. أرسلت البعثات التبشيرية في كنائس باريس ثلاثة قساوسة سرًا إلى كوريا أثناء مرحلة انعزال كوريا عن العالم. أُعدِم الثلاثة. تبع ذلك استشهاد ثمانية آلاف كوري كاثوليكي وتسعة قساوسة فرنسيين.

أشعل ڤيكتور سيجارة أخرى ووضعها بين إصبعيه مستمعًا لنباح الجرو جندو الخافت وهو يحاول أن ينام في هذه الليلة من أوائل الصيف قبل أن يشرع في كتابة الرسالة من جديد.



(٢)
الرَاقِصةُ

"صاحب السعادة،

طلبت كوريا من الحكومة الأمريكية إرسال ضباط جيش للمساعدة في إعادة هيكلة القوات المسلحة الكورية. وافق الملك على إرسال بعثات كورية إلى باريس ولندن وبرلين وروما وسان بطرسبرج. رغم المعاهدة، هنالك مواقف لا يزال يواجه فيها قساوستنا المتاعب في أداء مهامهم التبشيرية. أؤمن بضرورة أن تولي وزارة الخارجية أهمية خاصة بهذا الأمر.

لا بُد أن الأخبار قد وصلت إلى معاليكم بلا شك بعودة الحاميات العسكرية إلى ميناء جيمولبو في يوم الثالث والعشرين من يونيو. ستظل الحامية الأمريكية حتى نهاية هذا الشهر. تركت القوات الروسية حامية مكونة من ستة أفراد عندما أخلوا المفوَّضية الروسية. لكنني أعتقد أن هذه الإجراءات لم تعد ضرورية. الأجواء تبدو مسالمة تمامًا. أؤمن أن نية يوان شي كاي[٣٠] بعد أن أدرك تقلص نفوذ تشينغ في كوريا كانت إثارة فوضى داخلية من خلال نشر

---

٣٠ سياسي وقائد عسكري صيني زادت نفوذه في أواخر أيام مملكة تشينغ قبل أن يصبح أول رئيس لجمهورية الصين عام ١٩١٢. عين موفد مملكة تشينغ الى مملكة جوسون الكورية عام ١٨٨٥ حتى ١٨٩٤ (زمن أحداث الرواية).

الإشاعات وبالتالي تبرير التواجد العسكري الصيني في كوريا من خلال تصوير الأمر كأن الحكومة الكورية غير قادرة على الحفاظ على السلام والاستقرار الداخلي.

الثالث والعشرون من يونيو ١٨٨٨
فيكتور كولين دي بلانس".

هل كانت مقلتيها السوداوين؟ شفتيها الحمراوين؟ بشرتها اللامعة كعينيها؟

كان وجه چين مثل الزهرة. حاجباها دقيقان كخطوط مستقيمة ومقلتاها اللتين تسكنان بين حواجبها الكثيفة، شديدة السُواد والعمق والنقاء. خداها ورديان، وأصابعها بيضاء وطويلة. نهداها وفخذاها مكتنزان. جبهتها مثالية، ملامحها بهية. معصماها وكاحلاها رفيعة. ما يجب أن يكون داكنًا كان داكنًا، وما ينبغي أن يكون أحمر كان أحمر. وما يتطلب أن يكون نحيفًا كان نحيفًا، وما يلزم أن يكون لامعًا كان لامعًا. الأماكن في جسمها التي يفترض أن تحوي انحناءات، كانت كذلك. كانت كاملة بالنسبة إليه.

أخيرًا، وضعت چين تاج اللوتس على رأسها. أصبحت جاهزة للرقص في المأدبة. كانت حجرة الانتظار مكتظة بالراقصات اللاتي يتجهزن لأدائهنَّ. بدا رداء چين الأصفر، لون طائر الأوريول، أكثر توهُجًا في ضوء لمعان بشرتها البيضاء. أبرز حزامها الأحمر خصرها الممشوق. ثبتت الشرائط السبعة الملونة بكم ردائها ولوحت بذراعها لتتأكد من شكلها مع الحركة قبل أن تلقي نظرة خارج الحجرة. لم يُظهِر المطرُ المنهمرُ منذ الصباح

أي إشارة على قرب توقفه. اكتست أشجار القصر ببريق منعش في مثل هذه الأيام الممطرة لكن الطرق الترابية غير المُعبدة تصبح موحلة تحت الأقدام. كانت خيوط المطر رفيعة لكنها لا تبطئ أبدًا ولابد أن ضيوف المأدبة متضايقون من الوحل العالق بأحذيتهم.

ستتاح لي فرصة رؤية يون مرة أخرى.

حدقت چين في المطر المنهمر في الخارج وهي تفكر في يون. لا بُد أنها تمطر في "بانشون" أيضًا. تساءلت عن أحوال سوه أيضًا.

سمعت چين أنّ مأدبة الليلة للترحيب بموفَد فرنسا الجديد إلى كوريا. رقصت چين في مآدب كثيرة أُقيمت على شرف الموفَدين الأجانب لكن هذه المرة الأولى التي ترقص على شرف ممثل فرنسا. فرنسا... لم تزرها أبدًا مع ذلك كانت أقرب دولة إلى قلبها فقد علّمها الأب بلانك الفرنسية وهي طفلة. أصبح بلانك الآن أسقف الكنيسة في كوريا.

استدعتها الملكة ليلة الأمس بينما تعمل في جناح التطريز الملكي. كانت الملكة معتادة على أن تُوكِل لچين أداء الرقصة المنفردة في المناسبات المهمة في القصر.

"سمعت أن موفَد فرنسا المدعو إلى مأدبة الغد إنسانٌ حساس وصادق".

"أجل، جلالتكِ".

"عاش لمدة طويلة في الصين ويتحدث بلسانهم أيضًا. أظن أن هذا الرجل النبيل ملائم تمامًا لكوريا".

"أرى ذلك".

"موقف فرنسا اتجاه كوريا مختلف عن موقف الصين أو اليابان. هم بعيدون عنا، لذا يحافظون على سياسة محايدة. وجوده سيساعد بلادنا".

أحنت چين رأسها وهي تنصت إلى كلمات الملكة.

"دع موهبتك تسطع كي يأخذ فكرة حسنة عن كوريا".

"سأفعل، جلالتكِ".

همت چين بالمغادرة لكن أوقفها نداء الملكة.

"خادمة سوه!"

توقفت چين.

"أثقُ بكِ".

أثقُ بكِ. ألقت كلمات الملكة بحمل ثقيل على كتفي چين وهي تغادر جناح الملكة. صارت الملكة التي كانت رقيقة يومًا قاسية وصلبة في وجه تمرُّداتٍ عديدةٍ ومكائد سياسية كادت تعصف بها.

لم تهتم الملكة التي أبقت چين الطفلة قريبة جدًا منها بأن تناديها باسمها حتى وبدأت تخاطبها بـ "الخادمة سوه". لم يكن بمقدور الملكة أن تثق بأناس جدد. أحاطت نفسها بأفراد العائلة فقط. في كل مرة كانت الملكة تشك أنَّ شخص ما يقف في طريق مصالحها، كانت تنفيه خارج القصر، حتى لو لم تكن تملك دليلاً ماديًا على ارتكابه أي إثم.

"فيما تفكرين بعمق هكذا؟"

تمايلت زهرة عود الصليب أمام عيني چين فأخرجتها من استغراقها الحالم في الذكريات التي استدعتها ربتات المطر الرتيبة على الأرض.

هناك وقفت سُوا. كانت سُوا ناضرة كزهرة وقفت تحت رذاذ المطر منذ الصباح. كانت سُوا قد لوحت للتو أمام وجه چين بزهرة عود الصليب التي تستخدمها راقصات البلاط العشر من أجل رقصة "الجميلات يقطفن أعواد الصليب". انتهت سُوا من الاستعداد للأداء الراقص أيضًا. كان تاج الزهور يكلل رأسها. كانت ترتدي رداءها الاحتفالي الأصفر والأخضر فوق تنورة زرقاء داكنة. كان حذاء الرقص الأخضر يبرز من أسفل حاشية ردائها.

"لا يجب أن تعبس راقصة هكذا قبل بدء المأدبة".

ابتسمت سُوا ابتسامة زاهية وهي تقول هذا وتهز الزهرة من جديد أمام وجه چين. مالت چين برأسها إلى الوراء كي تتجنبها فلمعت الزهرة والزينة المتلألئة على تاج اللوتس ذي السبعة ألوان على رأسها.

"اتمنى الا يكون هنالك أي خطأ".

"أنتِ تغيِّرين الموضوع".

"أنا على ما يرام.... كنت أفكر فقط في طلب الملكة الخاص ليلة الأمس".

"ما هو؟"

"تريد أن يأخذ الوفد الفرنسي انطباعًا جيدًا عن بلادنا".

"لكن جلالتها تقول ذلك دائمًا".

"لكن الأمس كان مختلفًا. على أية حال، من الأفضل أن ترقصي أفضل ما عندك الليلة لتتلقي هدية من الملكة".

"لا يمكن أن أنال هذا وأنت ترقصين أيضًا. أنا أرقص في الرقصات الجماعية فقط".

تأملت سُوا چين جيدًا.

"كما أرى فقد طلبت منكِ أن تؤدي رقصة أوريول الربيع. لا بُد أن مأدبة الليلة مهمة جدًا بالنسبة إليها".

كانت الضغينة التي تكنها الملكة تجاه والد الملك، وصي العرش، الذي يقيم في قصر أونهيونجونج كافية لدفعها كي توقف حصانًا أثناء عدوه بيديها العاريتين. في الوقت نفسه، كان قلق الملكة على الأمير ولي العهد السقيم شديدًا جدًا. كانت الملكة تُغير من مكان نومها من يوم لآخر خوفًا على حياتها. أحيانًا توسوس إليها نفسها بأن تُغيِّر مخدعها في منتصف الليل. كانت متأهبة دائمًا لتوجيه توبيخ قاسٍ لمن تُسوِّلُ له نفسه أن يُظهر أقل قدر من التعاطف مع وصي العرش، ولطرد أي رجل من رجال البلاط يبدي نقدًا ولو كان تافهًا إلى الأمير من عمله.

كان توتر الملكة يُعدِي چين بطريقة ما ويشغل تفكيرها. أحيانًا تتمادى الملكة في قلقها، لدرجة أن تعلن صراحةً أن لا أحد من القوى الخارجية في كوريا يهتم بهم حقًا. اتهمت ما تدعوها بـ"الحضارات الحديثة" بأنها لا تهتم سوى بمصالحها الخاصة فقط. كانت تشكو كيف أنهم يبتسمون في وجهها نهارًا، ويحنون رؤوسَهم لوصي العرش ليلاً. لم تستطع الوثوق في أي أحد.

ألهذا صارت تهتم كثيرًا بكلمات عرّافة القصر؟

أفلتت تنهيدة عميقة من بين شفتي چين.

كان بروتوكول القصر أن تتواجد العرّافة في وقت انعقاد الحفلات أو الطقوس الشعائرية فقط، لكن الملكة القلقة طلبت وجودها الدائم في

القصر. كانت تعتمد على كلام العرَّافة خصوصًا فيما يتعلق بولي العهد. لهذا كانت تُقام الكثير من الطقوس الشعائرية صغيرة كانت أم كبيرة في القصر. فكرت چين بأسى أن الملكة التي بدا أن قلبها يتحول إلى جليدٍ تمتلك العرَّافة على الأقل كي تلجأ إليها حين تعصف بها الظنون لكن إلى من تلجأ هي؟ هكذا هو القلب البشري لا يكف عن التمني. يتمنى جدولاً حين يُمنح بركة، ونهرًا حين يعطى جدولاً، وبحرا حين يمتلك نهرًا. أن الطبيعة البشرية تجعل الإنسان يقف أمام محيطٍ ومع هذا يفكر أن مياهه ليست كافية.

كانت چين ممتنة لعطف الملكة عليها لكن العرَّافة كانت تغار من تفضيل الملكة لچين. في صباح يوم ربيعي، بينما تأخذ الملكة جولة نادرة في الحديقة حيث تفتحت زهور الهدرانج بعد هطول مطر الربيع، أشارت العرَّافة إلى چين وقالت بنبرة اتهام للملكة:

"تلك الصبية مثل غزالةٍ تفوحُ منها رائحة المسك".

قالت هذا في وجود چين.

عندما طلبت الملكة من العرَّافة توضيح كلماتها، قالت:

"چين فاتنة جدًا. قُدِّرَ لفتنتها أن تسرقَ قلوب الآخرين".

بدا كلامها مديحًا للوهلة الأولى.

"هي استثنائية جدًا. إذا لم تمت صغيرة، سترحل إلى بلاد بعيدة جدًا"، استطردت العرَّافة، "لو أبقيتها قريبة منكِ، ستسرق قلب الملك".

أقلقت كلماتُ العرَّافة الملكةَ. بالطبع كان مخططًا خبيثًا لزرع الكراهية في قلب الملكة إزاء چين.

همت چين بسؤال سُوا:

لو كانت الملكة على سجيتها، هل كانت ستبصرُ النية الحقيقية وراء كلمات العرّافة؟

عشرة آلاف زهرة تتفتح وتكسو القصر بالأحمر..

كانت سُوا تتمتم بكلمات الأغنية المصاحبة لرقصة "الجميلات يقطفنَّ أعواد الصليب"، قبل أن تتوقف فجأة وتلتفت إلى چين.

"ماذا هناك سُوا؟"

"وجدت كتابًا لنقرأه الليلة. هلا قرأتِه بصوتٍ عالٍ من أجلي كما تفعلين مع الملكة؟"

"إذا أردتِ ذلك".

ابتسمت سُوا ابتسامة عريضة، كاشفةً عن أسنان بيضاء، فبادلتها چين الابتسامة ودفنت سؤالها بداخلها. لا يمكن لأحد أن يقاوم ابتسامة سُوا، خاصة الابتسامة في عيونها التي تمتد بتلقائية حتى خديها.

لم يمر يوم واحد حتى على كلام العرّافة المسموم إلى الملكة حتى أصدرت قرارًا بنقل چين من جناح الملكة إلى جناح التطريز. كان المغزى واضحًا. تحظى نساء جناح الملكة باهتمام أكبر من الملك، وكان على چين أن تتوارى عن ناظريه.

في اليوم الذي انتقلت فيه چين خارج جناح الملكة، رمقتها الملكة بنظرة طويلة.

"هل تذكرين ما حدث في عام الحصان الأسود؟"

١٨٨٢. عضت چين على شفتها. كيف يمكنها الا تذكر الأحداث الجسام التي شهدها ذلك العام؟

"عندما يتعلق الأمر بكِ...".

غرقت الملكة التي تتحدث عادة بتصميم وعيون متقدة، في صمت مقتضب قبل أن تتحدث من جديد:

"... عندما يتعلق الأمر بكِ، لا أتمنى أن يفسدَ رجلٌ ما بيننا".

"جلالتكِ!"

"هذه هي تقاليد البلاط".

قالت الملكة هذه الكلمات بحدة ثم دفنت نفسها في الصمت. صمتت چين بدورها.

أجل، هذه هي تقاليد البلاط. أرادت چين أن تنظر إلى عيني الملكة، أن تقرأ الكلمات التي تخفيها. هل أرادت الملكة أن تقول إنه لا يمكن التنبؤ بما يمكن أن يحدث بين رجل وامرأة؟ سُواء لفتت امرأة بلاط عين الملك أم لا، في النهاية كل نساء البلاط مِلكٌ للملك. ألم تعن كلمات الملكة أن في البلاط الملكي، فقط قلب الملك من له اليد العليا؟

لكن رغم كل هذا.. لم تستطع چين أن تمنع دموعها من التجمُّع في عينيها. لم تكن دموعها بسبب نقلها من جناح الملكة. وجودها في جناح التطريز لن يمنع الملكة من استدعائها متى شاءت لتقرأ لها، أو لتدوّن أوامرها بخط البلاط المنمق. كانت چين ترقص للملكة في الأيام التي تغتم فيها الملكة. كخادمة في جناح الملكة وراقصة بلاط، ساعدت چين الملكة في مراسلاتها وفي نقل رسائلها الى حاشية البلاط، في الأيام التي لا تشهد

مآدب أو حفلات. لن تتغيَّر هذه المهام كثيرًا. مع ذلك، شعر قلبها بفراغٍ قاتل كورقة صغيرة سقطت من شجرة عملاقة.

"أوه، المأدبة على وشك أن تبدأ".

هزَّت سُوا عود الصليب أمام وجه چين مرة أخيرة قبل أن تنضم لراقصات الرقصة الجماعية الواقفات في انتظار الدخول إلى القاعة. خيَّم صمتٌ قصير على حجرة الانتظار، بينما تسترخي الراقصات بعد أن أنهينَ الاستعدادات، قبل أن تعج من جديد بجلبة من الأصوات إيذانًا ببدء المأدبة.

علم ڤيكتور بعد وصوله فقط أن مكان المأدبة قد تغيَّر من قاعة الاستقبال إلى سرادق الاحتفالات (غيونجهورو). كان هذا التغيير بسبب المطر. رأت الملكة أن المطر سيحجب الإضاءة داخل قاعة الحكم الرشيد، بينما جانب السرادق المفتوح سيمنح الحضور إطلالة خلابة على البركة وقطرات المطر تتساقط على سطح مائها.

طلب ڤيكتور لقاءً شخصيًا مع الملك قبل الانتقال إلى المأدبة حيث سيتواجد دبلوماسيون من دول أخرى. كان يرغب في تقديم هدية تنصيبه المُرسَلة من وزارة الخارجية: خزف السيفر الشهير، بعد أن وصل الطرد إلى كوريا أخيرًا. سأل حارس القصر ڤيكتور عن محتوى هذا الطرد الملفوف بالحرير. عندما أخبره ڤيكتور أنها هدية من الحكومة الفرنسية، سمح الحارس لڤيكتور بالعبور من البوابة الوسطى في مدخل القصر الرئيسي. شرح مترجم ڤيكتور له أن البوابة الوسطى مخصصة للملك نفسه، وأن ڤيكتور قد مُنح هذا الشرف لأنه يحمل هدية للملك. كل هذه البروتوكولات الكورية أصابت ڤيكتور بالتوتر. أثناء خدمته السابقة في الصين، طمأنه

موظف في مملكة تشينغ، عند سماعه بتعين ڤيكتور في كوريا، أن الأزياء الكورية مشابهة لنظيراتها في الصين وأنه لن يواجه سوى صعوبات قليلة كي يتأقلم مع الحياة الجديدة. لكن كان ڤيكتور يكتشف يومًا بعد يوم أن لكوريا أسلوبها الخاص. رغم التشابهات الكبيرة بين البلدين، كانت هنالك اختلافات جوهرية في التفاصيل.

أدرك ڤيكتور سبب تغيير مكان المأدبة بعد أن رأى سرادق الاحتفالات. كان للمنظر جمالاً من عالم آخر. لرؤية أزهار الزنبق الطافية فوق الماء ورذاذ المطر المتساقط على سطح البركة مفعولٌ سحري على أي روح مُعذّبة. فوق سطح البركة تربض جزيرةٌ أقيم عليها سرادق منظره يخطف الأنظار. تتواجد ثلاثة جسور على الجانب الشرقي تقود إلى الجزيرة. الجانب الغربي ينتهي بسلم من عدة درجات يهبط إلى داخل الماء. لا بُد أنه للضيوف القادمين بالقوارب. تتشكل دوائر من قطرات المطر، وتنتشر إلى الخارج بعيدًا عن مركزها فوق سطح البركة قبل أن تتلاشى لتتكون دوائر جديدة.

رحب الملك بڤيكتور ترحيبًا دافئًا عند وصوله للمأدبة.

"مرحبًا!"

جلست الملكة بجوار الملك. بجوار الملكة كان ولي العهد. التفتت الملكة التي كانت تركز اهتمامها على الأمير، إلى ڤيكتور. انحنى ڤيكتور بشدة. سمع ڤيكتور الكثير عن حكمة الملكة في تفسير شؤون العالم، وأنها قارئة نهمة وعلى معرفة واسعة بالعديد من الثقافات، وفوق كل هذا لها تأثيرٌ طاغي على قرارات الملك. لكن نسى الجميع أن يخبروه كم كانت جميلة! عيناها الداكنتان تتقدان بذكاءٍ حاد وبشرتها تلمع كثمرة كمثرى طازجة، صافية جدًا لدرجة أنه اعتقد إن بإمكانه أن يرى انعكاسه عليها. تبرز

الخطوط الدقيقة لعنقها الطويلة والرفيعة الممتدة من ردائها الأخضر الزمردي، المُصمم كي يمنحها مظهرًا وقورًا ومحتشمًا.

"كيف حالك؟ أتمنى أن تكون إقامتك هنا جيدة؟"

"هي كذلك، جلالة الملكة".

بينما يجيب على سؤالها، دار بخلد ڤيكتور ذكرى أيام تعيينه الأولى المشحونة بسبب الشائعات التي كانت لا تنقطع بين العامة عن أن الأجانب يخطفون ويبيعون الأطفال الكوريين. كانت هنالك إشاعات أيضًا عن إشراكهم في طقوس تتضمن أكل لحوم البشر. تنتشر الكلمات بين البشر كما لو كانت لها أجنحة. وضعت تلك الشائعات الخدم الأجانب في موقفٍ محرج، بعد أن بدأ الناس يشكون في تواطؤهم مع الخاطفين المزعومين. ثم في يوم ما عُثِر على جثة خادم مقتولاً في الشارع وقبل أن يُكشف اللثام عن الجريمة الأولى، قُتل أكثر من عشرة آخرين في يومين فقط. زاد الطين بلّة أن الخدم الكوريون هجروا الخدمة في مساكن الأجانب بشكلٍ جماعي، خوفًا على حياتهم.

في هذا السرادق الفخم، تذكر ڤيكتور فجأة عبارةً قرأها في الصين:

"الملكُ قاربٌ، وشعبُه هو الماء، قد يجعل الماءُ القاربَ يطفو لكن يستطيع أيضًا أن يقلِبه في أي لحظة".

أكثر مَن خاف من تلك الإشاعات هم التجار اليابانيون المقيمون في كوريا. لأنهم يتحدثون بعض الكورية، كانت توجه إليهم أصابع الشك في أن يكونوا جواسيسًا أو حتى العقول المدبرة وراء عمليات الاختطاف. انتشرت إشاعة أن حشودًا غاضبة تخطط لمهاجمة المفوَّضية اليابانية. واجه

اليابانيون هجومين مشابهين في الماضي. وشمل هذا إحراق مبنى المفوَّضية. فاستعدوا لأي هجمة محتملة. لكن لم يحدث الهجوم أبدًا. بدلاً من هذا، تعرض المبنى الذي يحوي المفوَّضية البريطانية والأمريكية وكذلك مكاتب الجمارك والهواتف لمناوشات بشكل يومي مع العامة. عقدت كل مفوَّضية اجتماعات عاجلة وطلبت تعزيز التأمين من الحكومة الكورية. أصدر وزير العدالة الكوري ورئيس الشرطة فرمانات لحفظ الأمن في الشوارع. لكن عززت هذه الفرمانات إيمان العامة بصدق الإشاعات بخصوص اختطاف الأجانب للأطفال الكوريين.

راود ڤيكتور إحساسٌ بأن الصين وراء هذه الإشاعات.

بعد وصوله إلى كوريا، عيَّن ڤيكتور كيم هوليم مترجمًا مرافقًا له. رجل يتحدث الصينية بطلاقة، رشحه له الموفَد الصيني في كوريا "يوان شي كاي". كان كيم يتردد على المفوَّضية الصينية حتى بعد أن أصبح مترجمًا لڤيكتور. أدرك ڤيكتور أن الرجل الذي ينشر الشائعات -أن دار أيتام الأسقف بلاك، أول دار من نوعها تُفتتح في كوريا، تحتجز الأطفال كي يأخذوا عينات من دمائهم- هو كيم هوليم نفسه. لكن كان كيم قد لاذ بالفرار بالفعل خوفًا من أن يسلمه ڤيكتور للشرطة. والمكان الوحيد الذي كان يمكن لكيم أن يسمع فيه مثل تلك الإشاعات هو المفوَّضية الصينية. أكدت حقيقة انتشار إشاعات مشابهة في "بيجين وتيانجين"[٣١] تخميناته. ناهيك عن انسحاب الموفَد الصيني من المشاركة في الاجتماعات الدبلوماسية مُتعلّلاً بمرضه منذ انطلاق الإشاعات. كانت المفوَّضية الصينية البعثة

---

٣١ مدينة في شمال الصين.

الدبلوماسية الوحيدة التي رفضت المشاركة في الجهود المشتركة لدحض هذه الشائعات.

لكن السؤال الأهم كان "لماذا؟". غالبًا تسعى الصين لإجبار كوريا على الاعتراف بعجزها عن السيطرة على رعاياها، وبالتالي منح الصين الذريعة كي تبقي قواتها على الأراضي الكورية. حيلة لمراقبة التأثير المتنامي لليابان في شبه الجزيرة الكورية. سرت في بدن ڤيكتور القشعريرة حين فكر في الصراع الأبدي بين الصين واليابان على كوريا. كان عليه تقبله والتعامل معه طالما هو موجود في كوريا. ولو كان حدسه صحيحًا، فقد نجحت الصين بالفعل في توريط دول أخرى في مخططها التآمري.

"هل عادت فرقتكم العسكرية؟"

رغم هدوئه، كان صوتها يحمل في طياته تصميمًا على ألا تدعه يتهرب من الإجابة. ألقى ڤيكتور نظرة على رذاذ المطر المتساقط على البركة. بدا صوت الملكة البارد وكأنه يحمل نبرة اتهام أيضًا. كأنها تقول له "ألم يكن استدعاء فرقتكم العسكرية إلى حصن سول أول قرار تتخذه بعد تعيينك هنا؟!"

طلب الدبلوماسيون الفرنسيون والأمريكيون والبريطانيون من قوات بلادهم المتمركزة عند ميناء جيمولبو إرسال فرق تتكون كل منها من عشرين جنديًا إلى العاصمة، خوفًا من اندلاع ثورة تمرُّد في البلاد. قدَّروا أن الشرطة المحلية غير كافية لإبطال فتيل أي تمرُّد قد يندلع. كانت تلك خطوة جماعية غير مسبوقة مِن قِبل الدبلوماسيين. وصلت الفرق المشتركة إلى سول بعد يوم واحد من المسير. حينها فقط أصاب المسؤلين الكوريين الذهول وأدركوا حجم المشكلة، وبدأوا في إعطاء التطمينات اللازمة

للبعثات الدبلوماسية بأنهم سيتبنون الإجراءات التي طالب بها الدبلوماسيون أنفسهم. أعطى المسؤولون الضمانات اللازمة للحفاظ على أمن المفوّضيات الأجنبية وطالبوا بأن ترحل القوات التي أرسلوها. في النهاية تدخل الملك بنفسه. وعد أن يلقي القبض على من اعتدى على الأجانب أو مساكنهم وأن يحاكمهم. وأنه سيعلن عن مكافأة لمن يساعد في القبض على المعتدين. أصدر فرمانًا لتتبُع أثر مروِّجي الشائعات حتى يُعثر عليهم. عندها فقط هدأت الجماهير الغاضبة.

كلما زاد المرء في الكلام، زاد احتمال أن يُساءَ فهمُه خاصة عندما يتكلم عن جهل.

"يؤسفني ذلك. لكن أخشى أنه لم يكن أمامنا خيار آخر سوى استدعاء الفرقة العسكرية".

"وهل قلت غير ذلك؟ كنت أسأل فقط إذا كانوا قد عادوا إلى ثكناتهم بعد أن استتب الاستقرار مرة أخرى؟"

لا ريب *أن الملكة تعرف جيدًا أن الجنود قد عادوا*. مسح فيكتور العرق عن جبهته بدلاً من الإجابة وانحنى بجسده بداية من خصره. فكر أن الليلة ليلة مأدبة، وهو على وشك تقديم هدية خزف السيفر إلى الملك. قال لنفسه أنه ليس الوقت أو المكان المناسب للحديث في مسائلٍ حساسة كهذه.

"كان الأمر مُقلقًا. لكن نحن ممتنون لانتهائه".

ظلت نبرة الملك هادئة ورقيقة.

"أعتذر عن القلق الذي قد سببه لكم الأمر".

"اللوم يقع على الشائعات".

طلب ڤيكتور من مندوب البلاط تشوه بيونجسيك القبض على كيم هوليم مصدر الإشاعات الفظيعة التي تؤرق الأسقف بلانك. كان ڤيكتور مصممًا على الحصول على اعتراف من كيم عمن يمده بالشائعات. نقل تشوه بيونجسيك طلب ڤيكتور إلى الملك الذي أمر ببدء البحث فورًا. كان فرمان الملك ينص على قطع رأس كيم هوليم بمجرد ثبوت التهمة عليه. لكن ڤيكتور ظن أن قطع الرأس عقوبة قاسية جدًا وطلب من تشوه أن يأخذ بالنفي خارج البلاد في عين الاعتبار كعقوبة بديلة.

بعد مرور فترة طويلة فقط، علم ڤيكتور أن كيم هوليم قد قُبض عليه مختبئًا في معبد بوذي وأنه أعدم بطريقة فريدة جدًا بكوريا. قُيد وأُرقِد على الأرض ووجهه مغطى بقطعة قماش بيضاء مبللة. تسد القماشة منخاريه وفمه وهكذا سيختنق ببطء شديد حتى الموت. لم يخبر تشوه ڤيكتور بالقبض على كيم أو إعدامه وكان الأمر قد انتهى عندما علم ڤيكتور به. وقتها تيقن ڤيكتور أن المفوَّضية الصينية هي المسؤولة عن الإشاعات. الحقائق التي كان ليعترف كيم هوليم بها أثناء استجوابه كانت ستضع مملكة تشينغ في مأزق وتعرض حياة العديد من المسؤولين الكوريين للمحاسبة. لقد أسكته الكبار للأبد ودُفِنت معه أسراره.

تحدث ڤيكتور إلى الملك بصوت باسم كما لو كان يبعد تفكيره عن كابوس.

"جلالتك، خزف السيفر الذي أرسلته الحكومة الفرنسية بمناسبة تعييني وصل بالأمس فقط".

"أخبرتني الملكة أن فرنسا لا تُضاهى في إنتاجها للأعمال الحرفية".

ابتسم الملك في وجه الملكة. دفعته طبيعته المراعية لمشاعر الآخرين أن يسعى لتبديد لحظة التوتر بين الملكة وفيكتور.

"أنا ممتن لأنكم تعتقدون ذلك. لكن اليوم أذهلني هذا السرادق. وجود مبنى جميل كهذا هنا. كوريا هي حقًا أمة الحرفيين".

انحنى فيكتور مرة أخرى وحدق نحو الملكة التي أبقت عينيها عليه. امتدت يد الملكة لتمسك بيد ولي العهد الجالس بجوارها.

"يقدر الملك الخزف الجيد. لديَّ فضول لرؤية كيف يبدو الخزف الفرنسي".

باتت كلمات الملكة مهذبة تمامًا وقد تخلَّتْ عن قسوتها السابقة. كانت هنالك ابتسامة عفوية على شفتيها أيضًا. وضع فيكتور الطرد الملفوف بالحرير على الطاولة أمام الملك.

"فلتفتح الطرد رجاءً".

ترجى فيكتور الملك، وقد فك العقدة المصنوعة من الحرير الأحمر بالفعل. سمع فيكتور أن في كوريا يُسمح للملك فقط أن يستخدم الأحمر، ولهذا وجد مشقة في العثور على الحرير الأحمر.

انزاح الحرير كاشفًا عن جرة تتخذ شكل قلعة فرنسية، وأطباق منقوشة بشخصيات خرافية، وإبريق شاي صغير له مقبضان على جانبيه على شكل أذنٍ.

دائمًا ما تلي رؤية الأشياء الجميلة لحظات صمت. مال الملك نحو خزف السيفر. لم ينطق أي منهم بأي كلمة. استمرت المياه القريبة من

السرادق في صنع حلقات صغيرة بفعل قطرات المطر، مولِّدةً تموُّجات راحت تبتعد وتبتعد.

"نعرف أن فرنسا تضع الكثير من الجهد في صنع الأعمال الفنية، لكن هذه الهدية فاقت توقعاتنا".

التفت الملك إلى الملكة، وابتسم كأنما يسعى لانتزاع موافقتها.

"سمعت أن حتى الصينين يستوردون الخزف من فرنسا؟"

"هل هذا صحيح؟ الصينيون؟!"

"يستخدمون خزف السيفر في بلاطهم الإمبراطوري".

"البلاط الإمبراطوري؟"

"نعم، جعلني هذا أتساءل لماذا يستورد البلاط الصيني الخزف الفرنسي، لكني عرفت الآن أن هذا بسبب جماله الأخاذ".

ارتاح ڤيكتور لتعليق الملكة. كاد أن يبتسم لكنه أدرك أنه اهتم بردة فعل الملكة أكثر من الملك عن غير قصد. الإفصاح عن ذلك سيكون غير لائق.

""سيفر" اسم مكان في فرنسا؟"

"أجل، جلالتك. كانت مصانع الخزف في ڤينسين، لكن مدام دي بومبادور[٣٢] عشيقة الملك لويس الخامس عشر أحبت عملهم كثيرًا، فجعلت الملك ينقل مصانعهم قرب بيتها في سيفر. لا تجذب المدينة إليها

---

٣٢ مدام دي بومبادور (١٧٢١ـ١٧٦٤): سيدة أرستقراطية مثقفة أثرت في النواحي الثقافية والفنية والسياسية، وكانت عشيقة للملك لويس الخامس عشر. ماتت بالسل.

الخزفيين فقط بل الرسامين أيضًا. تتخلّص سيفر من أي قطعة خزفية بها عيب ولو كان ضئيلاً. كي تمنع رواج الأعمال المعيبة، منعت طلائها بطبقة تخفي عيوبها. يتم تحديد أصالة الخزف ودقته من لمسة الطلاء الأخيرة، وإذا كانت تحمل المقابض ذات شكل الأذن المميزة لخزف السيفر".

"مذهل، رائع حقًا! نشكرك على إحضار مثل هذه الهدية الثمينة. رجاءً فلتنقل امتناننا إلى رئيس فرنسا".

"سأفعل، جلالتكم".

لُفَّ الخزف بالحرير الأحمر من جديد وحُمل بعيدًا. عادت الملكة التي حافظت على تعبير مهذب أثناء تقديم الهدية إلى تجهمها السابق.

"بعد أن سمعت بذوق سعادتكم الرفيع فإني متأكدة أنكم ستهتمون بإلقاء نظرة على سيلادون[٣٣] كوريا. أتمنى أن تلقي نظرة على السيلادون الأبيض بشكل خاص. ستجده مُرضيًا جدًا"، قالت الملكة.

"سأفعل".

انحنى ڤيكتور باحترام للملكة وفقًا لقواعد البلاط. الملكة التي لم تنس وسط إعجابها بخزف السيفر أن تشير إلى جودة "السيلادون" الكوري.

بدأ الدبلوماسيون في الوصول إيذانًا ببدء المأدبة. كان موفَد أمريكا "هيو دينزمور" أول الواصلين تبعه موفَد روسيا "كارل ويبر". وصل بعد ذلك موفد

---

٣٣ سيلادون: أحد أنواع الخزف الذي تشتهر به كوريا على وجه الخصوص. يتميز بلونه الأخضر الزمردي ونقائه الشديد. هنالك متاحف كاملة في كوريا مخصصة لعرض قطع السيلادون التي تعود إلى الممالك الكورية القديمة.

بريطانيا "كولين فورد" وموفَد اليابان "ماسوكي كوندو". كسروا الجليد بالحديث عن المطر الذي ينهمر منذ الصباح. موفَد الصين "يوان شي كاي" كان آخِر الواصلين. أعلِن عن وصوله بضحكةٍ مجلجلة. كان جسمه الضخم مقرونًا بثقةٍ شديدة. قدَّم الدبلوماسيون الاحترام والتحية للملك ولبقية المدعوين فور دخولهم السرادق. بعدها كان يسأل الملك عن صحة الرؤساء والحكام في البلاد الأخرى. وقف ڤيكتور على مبعدة، يراقب الموفَدين وهم يجيبون على أسئلة الملك بنبراتٍ مرحة ويضحكون، وهو أمر غير معتاد مِن الدبلوماسيين. ربما لأنها أمسية مأدُبة، بعيدة عن جدية السياسة. عندما حاول فورد، المُعيَّن حديثًا مثل ڤيكتور، أن ينحني للملك على الطريقة الكورية بأن تلامس ركبتاه ويداه الأرض، أوقفه الملك.

"نأسف لعدم تمكننا من رؤية الموفَد والترز قبل مغادرته كوريا. سمعنا أنه جاء إلى البلاط لكن لم يُسمح له بالدخول".

انحنى فورد الذي لم يقابل الملك من قبل حتى هذه اللحظة بشدة لكلمات الملك المختارة بعناية.

"حاول أن تنس أحداث الماضي القريب المؤسفة وأن تستمع بهذه الليلة".

بعد أن ختم الملك كلامه، اتخذت المأدبة طابعًا احتفاليًا.

قفزت الضفادع الكامنة بين الأعشاب النامية قرب البركة إلى الماء، بينما بدأ المدعوون بالحركة للجلوس في أماكنهم. جلس الدبلوماسيون بزيهم الرسمي على كراسي قرب منتصف السرادق. يفصل كل دبلوماسي عن الآخر المترجم الخاص بكل منهم. فضل بعض المدعوين الوقوف

مستندين إلى درابزين السرادق. اختلطت الكورية باللغات الأخرى، مُشَكِلةً موسيقى من نوعٍ خاص. تحرَّكتْ الخادمات الشابات من جناح الطعام برشاقةٍ بين الدبلوماسيين، حاملات صواني المقبلات والشراب. كان عددًا من الدبلوماسيين قد انهمكوا في شرب النبيذ بالفعل.

دخل للسرادق راقصتان تحملان طاولة صغيرة مُثمَّنة الأضلاع، فوقها مزهرية مليئة بزهور أعواد الصليب، ثم تبعهم الموسيقيون. أسكت ظهور الراقصتين اللتين وضعتا الطاولة في وسط السرادق ألسنة الدبلوماسيين. صار مركز السرادق مسرحًا للرقص. أول رقصة لراقصات البلاط كانت "الجميلات يقطفن أعواد الصليب". اتخذ الموسيقيون مكانهم في نصف دائرة خلف طاولة أعواد الصليب.

جلس ڤيكتور بجوار غيران قرب مجلس الملك وبدأ يحتسي شايًا إنجليزيا بينما يُحدِّق نحو البركة حيث استمر المطر في السقوط. ارتعشت أزهار الزنبق المنقوعة بماء المطر والطافية على سطح البركة. حوَّل ناظريه إلى التماثيل الحجرية للوحوش التي يرتكز عليها الدرابزين. كان السرادق ضخمًا من بعيد لكنه مليءٌ بالتفاصيل عن قرب. عندما خطر بباله أن يلتقط صورة للمكان، سمع الصوت المميز لـ "الباك"، أداة نقر موسيقية مصنوعة من البامبو، إيذانًا بانتهاء مقطوعة موسيقية وبداية أخرى. ظهرت ثماني راقصات ترتدين أردية خضراء وصفراء ونيلية من على يمين ويسار المسرح. تمايلتْ تيجان الزهور على رؤوسهنَّ كلما تقدَّمن للأمام أو تراجعن للوراء. على أنغام الباك، انقسمت الراقصات إلى مجموعتين، دارتا حول المسرح دورة أخيرة. مع ضربة أخرى على الباك، تشابكت أيديهنَّ ووقفنَّ متجهين بأجسامهنَّ نحو الشمال. ثم شرعنَّ في إنشاد هذه القصيدة:

"عشرةُ الآلافِ زهرةً تتفتحُ وتكسو القصر بالأحمر.
تتمايلُ عشراتُ الزهور الحمراء والصفراء أملاً في أن تُرى.
يصدح ناي ياقوتي جديد بموسيقى السلامِ.
وترفرفُ الفراشاتُ فوق بتلات الزهور الفوَّاحة".

ثم عزف الموسيقيون أغنية "الربيع والشباب الأبديين"، مقطوعة تتميَّز بموسيقاها الرصينة والمُتضرِّعة. كلما أحاطت الراقصات بأعواد الصليب، عكست تيجانهن الضوء المحيط بهنَّ وومض اللون الأخضر لنعال الرقص أسفل تنانيرهنَّ.

"هل يرمز اللون القرمزي لأرديتهن إلى الجنوب والصيف حقًا؟"

لم يستطع غيران أن يجيب على سؤال ڤيكتور. رد عليه بدلاً من ذلك بسؤال آخر: "ألا يرمز القرمزي إلى الشمال؟"

"ظننت أن الشمال هو الشتاء، وأن اللون الأسود يرمز إليه".

هز غيران رأسه وابتسم.

"من الأفضل أن تستمع بالرقص كما هو دون أن ترهق نفسك بالتفكير".

ربما عنى أن هذه مأدبة احتفالية وأنهم هنا لقضاء وقت ممتع، هكذا فكر ڤيكتور متذكرًا كيف أنه حين علم أنهم سيشاهدون رقصات في قصور كوريا، انكب على دراسة الرقصات الكورية ومعناها. كانت طبيعته أن يستعد مُقدَّمًا لكل شيء. سأل غيران -الذي اتضح أن معلوماته أقل حتى من معلومات ڤيكتور- ومترجمه عن رقصات القصر قبل أن يقرأ الكثير من

الكتب عنها. كان هنالك كمٌّ عظيم من المعلومات عن ألوان الثياب والتيجان والأحزمة التي ترتديها الراقصات حول خصورهنَّ في كل رقصة.

انتقل تركيز ڤيكتور إلى أعواد الصليب في منتصف المسرح وحركة الراقصات من حولها. طغى إحساسٌ بالنظام على الرقصة. كانت الراقصات يتحركن بانضباط وتوافق لا يشي بأي علامة على عاطفة شخصية. كانت هنالك ثماني راقصات يلتقطن الزهور من المزهرية لكن بالنسبة لڤيكتور كنَّ جميعًا كيانًا واحدًا. ألقت الراقصات بالشرائط المثبتة على أكمامهن بالتتابع وقمنَّ بالدوران حول أنفسهنَّ حتى آخر ضربة للباك. توقفنَّ عن الحركة في اللحظة نفسها التي توقفت فيها الموسيقى. ظل موظفو البلاط الكوريون والخادمات صامتين بينما انفجر الدبلوماسيون في تصفيقٍ حار.

"هل التصفيق بعد انتهاء الرقصة من العادات المتبعة خارج كوريا؟" ألقت الملكة السؤال باسمة، وهي تلاحظ الدهشة التي اعتلت موظفي جوسون.

حضرت الملكة حفلات الشاي والمآدب مع زوجات الدبلوماسيين لذا كان من المستحيل ألا تعرف الإجابة بالفعل.

"هي إشارة تقدير لجهود الراقصات".

أجاب موفَد أمريكا دينزمور.



"وما هو الوضع في روسيا؟"

تفاجأ ويبر من السؤال. أنزل فنجان الشاي فأصدر رنينًا عند ملامسته للطاولة. ابتلع ويبر البسكويت في فمه بسرعة قبل أن يجيب:

"إذا كان الأداء مؤثرًا حقًا، فنحن نقف على أقدامنا لنصفق".

ابتسمت الملكة وهي لا تزال ممسكة بيد ولي العهد.

"أرى ذلك. إذا فلنصفق نحن أيضًا خاصة أن الرقصة التالية ستؤديها أفضل راقصة في كوريا كلها".

ارتفعت العديد من الحواجب اهتمامًا بكلمات الملكة.

نُحيتْ الطاولة جانبًا وفُرِشتْ مكانها حصيرة من القش مُطرَّزة بأشكالٍ ملونة. على وقع ضربات الباك، خطت راقصةٌ تمد يديها أمامها وقد أخفت وجهها بخطوات صغيرة إلى المسرح كما لو كانت توازن جسدها بحرص. ارتدت صنادل خشبية. تلألأ التاج على رأسها وتوهج رداؤها الأصفر فوق الحصيرة. توقفت الراقصة أخيرًا ووقفت وحيدة على المسرح. بمجرد توقف الباك عن العزف، انساب صوتٌ عذب من بين شفتيها:

"بينما أمشي تحت ضوء القمرِ الناعمِ البهي..
رفرفتْ أكمامُ ثوبِي الحريري في قلبِ الرياح.
مفتونًا بجمالي الذي يفوق جمالَ الزهور،
منحني حبيبي قلبَه كي أحتفظ به وأرعاه".

أنهتْ الراقصة إنشادها للكلمات، ثم ألقت يدها وراء ظهرها ومالت برأسها. ازدرد ڤيكتور النبيذ الذي كان يحتسيه. عيون الراقصة! تجمد ڤيكتور منتظرًا أن يرى تلك العيون مرة أخرى. دقق النظر في الراقصة التي دارت ودارت بجسمها فوق الحصيرة، فردت ذراعيها لأقصى مدى كطائر يفرد جناحيه نحو السماء.

إنها هي!

أفلتت شهقةٌ مكتومة من فم ڤيكتور. المرأة التي قابلها على "جسر جدول الحرير" في يوم لقائه الأول بالملك. المرأة التي حيَّاها بتلقائيةٍ، فردَّتْ تحيَّته بفرنسيةٍ سليمة.

هي راقصة بلاط إذًا.

شعر ڤيكتور بالهواء يغادر جسده. كاد ينهض من مجلسه من دون أن يدرك ذلك. تسمَّرتْ عيناه عليها وهي تتحرَّك بخفةٍ كما لو كانت تطفو في الهواء. رمق غيران والدبلوماسيون ڤيكتور بنظرةِ تنبيه، فقد اتخذ جسده وضعًا غريبًا بين الجلوس والوقوف. لاحظته الملكة أيضًا. شدَّه غيران من كمِه لكنه لم يتمكن من جعل ڤيكتور يجلس من جديد. كان مستغرقًا بكل حواسه في الرقصة. شدَّ غيران كم ڤيكتور بقوة أكبر وهمس في أذنه.

"عينا الملكة عليك".

عندها فقط استعاد ڤيكتور رُشده وجلس.

هل كانت كغصن يهتز في مهب الريح

هل كانت مثل تبعثُر حفنة من رمال ذهبية؟

رفعت الراقصة يدًا لأعلى وخفضت الأخرى لأسفل، بينما تُحرِّك قدمها لأعلى ثم تُنزِلها في تناغمٍ دقيق. خطتْ ثلاث خطوات للأمام ثم رفعت ذراعيها فوق رأسها. أدتْ حركةً ترمز لارتقاء برجٍ.

هل كانت تلتقط بتلات الزهور المتطايرة في النسيم؟

تمايلت يدها في الهواء بانسيابية. علا وجهها طيفُ ابتسامة كما لو كانت تبدي إعجابها الداخلي بالزهور المتفتحة. كانت الابتسامة جزءًا من

الرقصة وليست مرتجلةً، ومع هذا خطفت أنفاس ڤيكتور. سبحت يدها اليمنى لأعلى وأسفل في الهواء مثل زهرة تسقط على سطح ماءٍ متدفق، بينما تتحرك يدها اليسرى كأنها تنثر بتلات الزهور في الهواء. تسرَّب الحزن إلى وجهها بينما تتوارى ابتسامتها وتتلاشى. شعر ڤيكتور بإحساس في رقصها، لم تنجح الراقصات الثماني السابقات في نقله إليه.

في يوم لقائه الأول بالملك، ذهب ڤيكتور إلى أستوديو تصوير "هوانج شُول" في ضاحية "جانجوجاي" في "نامشون"، لتحميض الصور التي التقطها بالكاميرا التي كان يخفيها في ردائه. كان قد قابل المصور الكوري هوانج شُول في محل تصوير عندما كان يعيش في الصين. يتحدث هوانج الصينية بطلاقة. وعنده ولع شديد بالكاميرات والتصوير، لدرجة أن حماسه هذا كان ينتقل لمن حوله. خطط هوانج لتعلُّم التصوير في الصين ثم القيام برحلة إلى اليابان لمراقبة طبيعة العمل في أستوديوهات التصوير في ناجازاكي وكوبه وأوساكا وكيوتو. عندما وصل لعِلم ڤيكتور أن هوانج يمتلك أستوديو في جانجوجاي، شعر ڤيكتور أنه عثر على صديق قديم بالصدفة. لا يحب الكوريون أن تُلتقط لهم صورًا، لذا كانت معدات التصوير شحيحة في كوريا. قرر ڤيكتور أن يزور الأستوديو بنفسه نظرًا لإيمانه بأنه سيحتاج لخدمات هوانج بشكلٍ متكرر أثناء فترة عمله في كوريا. ناهيك عن شغفه لرؤية وجه امرأة البِلاط مجددًا؛ المرأة التي قابلها على جسر جدول الحرير.

اتسعت عينا هوانج عندما علم أن ڤيكتور قد التقط صورة لوجه الملك نفسه. لم يتمكن من فعل هذا سابقًا سوى چي ويونج. حتى حين تمكن چي من فعل ذلك، هاج وماج مستشارو الملك وتمكن چي أن يفلت من المعاقبة بشق الأنفس. كان هوانج متحمسًا لرؤية وجه الملك، وبفضل

تلك الذريعة تمكن ڤيكتور من رؤية وجه امرأة البلاط حتى ولو كان ذلك من خلال الصورة فقط. كانت نظرات امرأة البلاط في الصورة خالية من أي ضيقٍ أو دهشة. كانت تعكس ودًا وحميمية كما لو كانت تعرفه. ثمة لقطة لها لا تبتسم فيها، وهي تهم بالالتفاف كي تتبع الخادمة الكبيرة التي كانت تصحبها و أخرى وهي تهبط جسر جدول الحرير بسترتها الخضراء وتنُّورتها النيليَّة الطويلة. *هل سيراها مرة أخرى؟* كان يحتفظ بالصور في درج مكتبه ويتأملها كثيرًا، لكن ها هي الآن ترقص أمام عينيه.

لم يكن هو الوحيد الذي يمعن النظر إلى الراقصة، التي كانت تركز نظراتِها على بقعةٍ وهمية ثابتة، وتتمايل بجسدها فترفرف أكمامها الواسعة مع حركتها. الملك نفسه لم يُبعد عينيه عنها للحظةٍ، بينما تعلو وجهه ابتسامة رضا إمَّا لاستمتاعه برقصة "أورويل الربيع" أو لأنه مفتون بجمال الراقصة، أو الاثنين معًا. كانت عينا يون، الذي كان يعزف على ناي البامبو ضمن الموسيقيين مقطوعة "جبل سانجيونغ" من "موسيقى أوراق الصفصاف الجديدة"، مثبتة على جين. هكذا تركزت نظرات الرجال الثلاثة عليها، بينما تتواصل الرقصة.

راقبت الملكة الملك وڤيكتور. بدا أن الراقصة قد استولت على قلبيهما. التفت الملك إلى الملكة فالتقت عيونهما. ابتسم الملك بارتباك.

"تلك الصبية مثل غزالة تفوح منها رائحة المسك".

"هي استثنائية جدًا. إذا لم تمت صغيرة، سترحل إلى بلاد بعيدة جدًا".

"لو أبقيتها قريبة منك، ستسرق قلب الملك".

رغم *تذكرها كلمات العرَّافة*، رسمت الملكة على وجهها ابتسامةً مصطنعة عندما التقت عيناها بعيني الملك. حاولت الملكة نسيان النبوءة،

لكنها طاردتها بإصرار. تنهدت وهي تتذكر وجه چين الحزين حين أمرت بنقلها من جناح الملكة إلى جناح التطريز. عرفت الملكة چين منذ كانت طفلة في الخامسة من عمرها. أرادت چين أن تغادر القصر عندما انتهت فترة مرافقتها للمحظية الأرملة تشولين. كانت الملكة بنفسها من استدعت چين إلى جناحها ، وعينتها خادمة في البلاط.

كان رذاذ المطر المتساقط على البركة المحيطة بالسرادق يغمر شباك العنكبوت المتكوّنة على أعواد القصب وأوراق الزنبق. عبست الملكة وهي تنظر إلى الماء. كبُرت چين بجوار الملكة حتى صارت هذه المرأة الشابة. كانت بجانبها دائمًا حتى خلال عام النمر الأحمر "وانقلاب جابسين".[٣٤] أثناء كل أزمة هددت حياة الملكة، كانت چين بجوارها محنية الرأس استعدادًا لفعل أي شيء من أجلها.

"تلك الصبية مثل غزالة تفوح منها رائحة المسك".

قبل أن تتفوّه العرّافة بتلك الكلمات، لم تنظر الملكة أبدًا إلى چين بوصفها امرأة. كانت ابنة غالية وراقصة جميلة وكاتمة أسرار حكيمة. كانت الملكة تُجلِسها قريبة منها، رغم أن ذلك لا يتماشى مع قواعد القصر. جعلت چين تقرأ لها وتكتب رسائلها، وأحيانًا توكل إليها تمشيط شعرها. لكن كلمات العرّافة أحالت تلك الطفلة الصغيرة ذات العيون الدامعة،

---

٣٤ انقلاب جابسين ١٨٨٤: محاولة انقلاب فاشلة دامت لثلاثة أيام قادها الإصلاحيون الكوريون بدعم من اليابان لوضع حد للامتيازات الاجتماعية التي تنالها طبقة اليانغ بان. لكن في النهاية تعرض الانقلاب للإجهاض مع تدخل الصين العسكري. بعد هذا الانقلاب سيطرت الصين على القرارات الكورية بشكل غير رسمي ونمت نفوذها داخل بلاط جوسون.

التي أطعمتها بيدها ملاعق من لب الكمثرى، إلى امرأة ذات جمال لا يضاهى.

على أنغام الباك، سارت الراقصة في دائرة كبيرة، ردائها يرفرف مثل ناسك جبالٍ خالد يعبر جسرًا سماويًا. أسكتت رقصتها السرادق كله، عدا موسيقى الناي التي ظللت المأدبة كصوت الرياح. عندما التقت يدا الراقصة برقةٍ ولامست أكمام ردائها جانبيها، كانت الملكة أول المُصفّقين. شرع الدبلوماسيون في التصفيق أيضًا. حتى المترجمين الذين كانوا غير متيقنين إذا كان عليهم التصفيق أم لا، انضموا إلى المُصفّقين في النهاية.

أن تصفق للجميع هو أن تصفق للا أحد. يفقد الفعل معناه إذا كررته مع الجميع. كان ڤيكتور الدبلوماسي الوحيد الذي لم يصفق للراقصة.

"لم تنل الراقصةُ إعجاب موفَد فرنسا ؟"، قالت الملكة.

كان ڤيكتور مأخوذًا بچين لدرجة أنه لم يفكر حتى في التصفيق. التفت برأسه إلى الملكة.

توقفت الموسيقى. لملمت چين أكمام ردائها. كانت تتحرك مبتعدةً عن المسرح كأنها طير يحلق عائدًا إلى عشه.

"أيتها الخادمة سوه!"

نادت الملكة چين التي كانت تهمُّ بمغادرة المسرح. لم تصدق ما سمعته أذناها. هل نادت الملكة عليها؟ للحظة فكرت أنها تُهلوس.

"هذه المأدبة على شرف موفَد فرنسا. لكن يبدو أنه الوحيد الذي لم يصفق. ربما لم يحب رقصك".

"جلالتكِ"، التقطت چين أنفاسها وانحنت بجسدها لأسفل.

عندما سمع ڤيكتور الملكة تقول عكس ما يشعر به حقًا، احس بحاجته للكلام والتوضيح، لكن الجو المتوتر ألجم لسانه. انتقلت نظرات الدبلوماسيين من الملكة إلى چين ثم إلى الملكة من جديد.

"وماذا ينبغي أن تفعلي بخصوص ذلك؟"

"سامحيني، جلالتك".

"كيف يمكنك إرضاء موفَد فرنسا؟"

تفاجأت چين من ردة فعل الملكة مثل الجميع. لم يحدث شيء كهذا من قبل. عندما تنهي الراقصات رقصة ما، يلملمن أكمامهن ويغادرن المسرح كما لو أنهن لم يكنَّ هناك منذ البداية. التصفيق ممنوع في القصر. عجزت چين عن مغادرة المسرح في انتظار الملكة أن تتكلم مرة أخرى. تساقطت قطرات العرق المتكونة على جبهة چين على حصيرة القش أسفلها.

كانت الملكة مدركة تمام الإدراك أن چين قد أدت رقصة أورويل الربيع بشكل استثنائي عن أي مرة سابقة. لم يكن ذلك بسبب طلب الملكة الشخصي فقط، بل لأن چين شعرت من أول خطوة تخطوها على المسرح بتوافقٍ بين الأرض وبين قدميها. انسجم خصرها بتلقائيةٍ مع الإيقاع، ورفرفت أكمام ردائها بخفة كما لو كانت تحت الماء. لم تستطع أن ترى وجهه، لكن بمجرد أن أدركت أن يون من يعزف على الناي، امتلأ قلبها بالاشتياق إلى المرأة سوه والسعادة لوجود يون. هذا الاشتياق وتلك السعادة أزالا توترها وحررا قلبها من أجل أداء الرقصة.

"ألم أسألك سؤالاً؟ ماذا ستفعلين للموفَد؟"

لا يمكن الإعجاب بجمال إنسان دون أن يشوب هذا الإعجاب شيءٌ من الحسد.

تأملتْ الملكة چين. كان جسدها كله رغم الرداء الذي يحجبه يشع بحيوية طائرٍ مُغرِّد مُفعَم بالنشاط. كم هي *جميلة!* تنهَّد قلب الملكة. خيَّم عليها الصمت، كما خيَّم على الراقصة التي كانت متسمرة في مكانها كشجرة في عز الصيف.. كزهرة خوخ.. كخيط من الحرير. زاد صمت الملكة من توتر المأدبة. وقفت چين دون حركة على الحصيرة، عاجزةً عن مغادرة المسرح بينما تنظر إليها الملكة. أفزعت ردة فعل الملكة الغريبة الملك. كانت كل العيون على المشهد ما عدا الأمير الذي التفت إلى البركة ليراقب هطول المطر كما لو كان يشعر بالملل. لم يكن أحد يراقب يون لكنه وضع الناي على ركبته وثبت ناظريه على ظهر الراقصة. همَّ ڤيكتور بالوقوف لاسترضاء الملكة، معتقدًا أنَّ مُعاقبة الراقصة لأنه تأخر في التصفيق أمرٌ مبالغٌ فيه، لكن غيران جذبه وأجلَسَه، هامسًا في أذنه: "ستزيد الأمر سوءًا فقط".

جلس ڤيكتور والتفت إلى الراقصة التي بدت مستغرقة في أفكارها.

لم يعِ ڤيكتور أن الرقصة قد انتهت. لم يلاحظ تصفيق الدبلوماسيين. نسي حتى أنه كان في مأدبة مع مبعوثي دول أخرى وموظفي البلاط. نسى وجود الملك نفسه. لم يلحظ توقُّف الموسيقى. كان عقله منشغلاً تمامًا بحركة الراقصة.

"ألم أسألك ماذا ستفعلين لموفَد فرنسا؟"

كان صوت الملكة قاسيًا. فتحت چين، التي ظلت منحنيةً نحو الملكة في صمت، فمها أخيرًا.

"إذا كان هذا سيسُرُ جلالتك، فسأحقق أي أمنية يشتهيها موفَد فرنسا".

"جلالة الملك، سمعت اقتراح الخادمة سوه؟"

ابتسم الملك، غير متأكد من فهمه.

"هل تسمح للخادمة سوه بتحقيق أمنية لموفَد فرنسا مهما كانت؟"

"نثق بحكمة الملكة في هذه المسألة".

في تلك اللحظة فقط أدرك الملك الأمر. أن السبب وراء تصرُّف الملكة هذا هو رؤيتها له مسحورًا برقص چين.

"هل تمنحني كلمتك؟"

"بالتأكيد".

ظهرت ابتسامة غريبة على شفتي الملكة.

"صاحب السعادة!"

في تلك اللحظة تحوّلت عيون الجميع في المأدبة إلى ڤيكتور. خيم صمتٌ تام على المكان، لدرجة أن صوت سقوط المطر على البركة بات مسموعًا.

"الخادمة سوه هي أفضل راقصة في كوريا. تقول إنها مستعدة لتحقيق أي أمنية لك، كاعتذار على فشلها في إرضاءك برقصها يا صاحب السعادة. ما قولك؟"

ارتعد ڤيكتور.

"ما قولك؟ لقد وافق الملك بنفسه على الأمر"، أضافت الملكة.

"الأمر مفاجئ جدًا. لا أعرف ماذا أقول؟"

"هل هذا رفض؟"

مالت چين برأسها المحني أمام الملكة في اتجاه ڤيكتور. التقت نظراتهما في الهواء. لم تكن نفس العيون السوداء الودودة التي أجابت على تحيته على جسر جدول الحرير. كانت عيون مليئة بالشك والضغينة تجاهه.

يؤمن ڤيكتور أن الصدق أكثر أشكال الدبلوماسية حكمة في المواقف غير المتوقعة. لم ير مخرجًا آخر من هذا الموقف سوى أن يعبر عن مشاعره الحقيقية.

"جلالتكِ، لا بُد أن أقول إنه شرف لي أن أطلب شيئًا من راقصة البلاط. لكني أسف لعدم استعدادي لمثل هذه الفرصة السعيدة. إذا أمكن ترتيب الأمر، هل يمكن أن تزور الخادمة سوه مبنى مفوَّضيتنا؟"

"مبنى المفوَّضية الفرنسية؟"

"نعم، جلالتكِ".

"لماذا؟"

"أتمنى أن أريها مكاتبنا مكافأةً لها على رقصها الجميل. ولو كان مسموحًا لي، فإني أود التقاط صورة لها أيضًا. كما أنني لا أعرف العاصمة جيدًا، وسيكون من الرائع لو زرنا العاصمة معًا".

بدا أن الملكة تفكر في كلماته. قال ڤيكتور ما قاله لأن الموقف فرض عليه ذلك، لكن بزغ أملٌ بداخله أن أمنيته ستتحقق. لو أتت الراقصة إلى مبنى المفوَّضية، ستتاح له فرصة التواجد بالقرب منها. قد يتمكن من التحدث معها بهدوء.

"كلماتك تشي بأنك قد استمتعت برقص الخادمة سوه".

"بالطبع، جلالتكِ".

"إذًا لماذا لم تصفق؟"

"لم أر رقصًا جميلاً كهذا من قبل. سحرني جمال الرقصة لدرجة أنني نسيت التصفيق".

سرت غمغمة في المكان عقب كلماته تلك لكن سرعان ما انحسرت.

التفتت الملكة للملك من جديد.

"ماذا سنفعل، جلالتك؟"

التفت الملك برأسه إلى الراقصة.

"إذا كان هذا سيسر جلالتك". لقد اشترطت حين موافقة الملكة والملك، لكن تحقيق أمنية هذا الموفَد الأجنبي سيخل بمكانتها كامرأة في بلاط القصر في نهاية الأمر. من المستحيل لامرأة ببلاط ألا تعرف هذا، فكر الملك. في تلك اللحظة تعرف عليها الملك، الخادمة التي كانت دائمًا إلى جانب الملكة منذ تلك الليلة التي احترق فيها جناح الملكة. أشاح بوجهه عن الراقصة والتفت إلى الملكة. كان واضحًا للجميع أن ڤيكتور لم يصفق لأنه كان مأخوذًا بجمال الرقصة. يعرف الملك أن الملكة قد لاحظت ذلك أيضًا. ألم تكن ثاقبة النظر، وذكية جدًا في حكمها على الأمور دائمًا؟ كانت الملكة تحاول فقط أن تقرأ أفكاره من خلال تلك الحيلة.

"نترك الأمر لحكم الملكة".

"الأمر ليس سهلاً هكذا، جلالتُك. يجب أن تفكر في الأمر بحرص"، قالت الملكة.

"لقد مُنح وعدٌ للموفَد بالفعل".

"لكن القرار قرارك، جلالتك، في التغاضي عما يخالف فرمان الملك".

كانت الملكة تدفع الملك لإعلان موافقته على الملأ. ابتسم الملك ابتسامة جوفاء:

"تمام. على الخادمة سوه تحقيق أمنية موفَد فرنسا".

علت ضحكات الارتياح والتصفيق من قبل الدبلوماسيين. ظهر طيف ابتسامة على شفتي الملكة. لا يمكن أن تجزم إذا ما كانت الابتسامة هناك أم لا.

تنهدت چين بعمق بينما لا تزال تقف على الحصيرة. كانت المرأة سوه تنصحها دائمًا بوضع نفسها مكان الملكة، كيف أن حياة جلالتها في خطر دائم. فقط حينها ستتمكن من فهم أفعال الملكة. كانت عيونها الآن على عكس ما كانت حين نظرت لڤيكتور منذ لحظات، خالية من أي مشاعر. لا أثر لأي ضغينة أو لوم. كان يون الجالس خلف چين والناي على ركبته من يحدق بشك اتجاه موفَد فرنسا في تلك اللحظة.

بينما تنسحب چين من على المسرح ويداها ملتصقتان أمامها، سُحِبتْ الحصيرة وحُمِلتْ بعيدًا قبل أن يعود الطابع الاحتفالي السابق إلى السرادق كأنَّ شيئًا لم يحدث.

(٣)
اسمك

"صاحب السعادة،

منذ عام ١٨٨٥، تتصل كوريا بالصين بواسطة التِلغراف الممتد بين سول وبكين. لأن الصين، وهي المسؤولة عن تركيب التِلغراف، قد احتكرته لعشرين عامًا، كانت توقِف التلغراف أو تمنع استخدامه حسب أهوائها. في هذه الأثناء اقترحت اليابان مدَ كابل بين ناجازاكي وبوسان، والتكفُّل بـربطه بـسول على نفقتها الخاصة. نتفهم جيدًا ما ستجنيه اليابان من خط اتصال مباشر مع كوريا، لكن لا يمكن إرسال التلغرافات اليابانية إلى كوريا دون إذن الحكومة الصينية. وحتى حينها يجب أن يعاد توجيه الرسائل عبر شانغهاي وتيانجين بتكاليف باهظة. رفضت كوريا العرض الياباني أملاً في تجنُّب مزيد من تدخُّل القوى الخارجية في شؤونها الداخلية. قررت الحكومة الكورية تأسيس شركة تلغراف كورية ومدِّ أسلاكها بنفسها بعد أن أدركت أن تحرير اتصالاتها من الرقابة الصينية، ومد شبكة اتصالاتها إلى روسيا عبر حدودها الشمالية بواسطة خطٍ جديد، سيخدم مصالحها الوطنية بأفضل صورةٍ ممكنة. كلف الكوريون السيد "هاليفاكس" الأوروبي الوحيد المستعد لخوض غمار هذه المهمة العسيرة: مهمة مد خطوط الاتصال عبر المناطق الجبلية الوعرة،

وزوَّدوه بفريقٍ كوري. تمكنوا من إنهاء هذه المهمة في ثلاثة شهور. افتُتِحتْ ثلاثة مكاتب تلغراف في كوريا، وحُدِّد سعر البرقية كالآتي:

من سول إلى غيونغجو: ١٦ وون.
من سول إلى غونغو: ١٨ وون.
من سول إلى دايجو: ٢٠ وون.
من سول إلى بوسان: ٢٢ وون.

يؤدي الكوريون معظم العمل. دُرِّب الموظفون على المهارات الضرورية، وتلقوا دروسًا في اللغة الإنجليزية لمدة سنة قبل أن يُسمَح لهم بتولي مهام العمل. أتوقع أن ينجح الكوريون في إدارة مكاتب التلغراف الخاصة بهم دون مساعدة من الأجانب، كما فعل الصينيون من قبل.

٢٧ يوليو ١٨٨٨.
ڤيكتور كولين دي بلانس".

"بينما ينمو العشب، يجوع الجياد".

خطر في بال ڤيكتور هذا المثل الذي قرأه من قبل في إحدى مسرحياتِ شكسبير، حاملاً معنى جديدًا، بينما كان ينتظر لقائه براقصة البلاط بفارغ الصبر. تحقق الوعد الذي مُنح له في يونيو في صباحٍ صيفي في أواخر يوليو.

ملأت "السيكادا" المنتشرة بين أغصان شجرة العنقاء حديقة المفوَّضية بصيحاتها. استيقظ ڤيكتور مبكرًا عن أي يوم آخر منذ قدومه إلى كوريا. رغم أنه لم يكن استيقاظًا بالمعنى الحقيقي للكلمة فهو بالكاد قد نام في الليلة

الماضية. بمجرد أن فتح عينيه، أنصت إلى صوت المطر خارج نافذة حجرة نومه. كان موسم الأمطار الموسمية طويلا هذا العام . لم يكن المطر شديدًا لكن الشمس ظلّت مُحتجبة خلف الغيوم. كانت العاصمة مُوحلة وغارقة في المياه، والجو رطب طوال الوقت. بارت الأرض الزراعية أمام المفوّضية وركز المزارعون جهودهم لإعادة ممر المشاة الخَرِب إلى طبيعته في الوقت الراهن. عبرت الرياح الموسمية البلاد منذ يومين، لكن ڤيكتور لم يستطع التخلُّص من قلقه من أن تمطر مجددًا في أي لحظة.

لكن بدلاً من المطر، كان كل ما سمعه هو الصراخ المزعج للسيكادا. فرد جسمه. ها هي السيكادا تبشر برحيل الرياح الموسمية. أخبره الأسقف بلانك أن الشمس ستُشرق طوال اليوم إذا سمع المرء غناء السيكادا عند الفجر. لم يرغب ڤيكتور أن يستقبل زائرته المهمة تحت المطر. عاش بلانك فترة طويلة في كوريا الآن وبات يعرف جيدًا قوانين البلاد وتقاليدها وطقسها والطريقة التي يعيش بها أهلها تقريبا مثل أي من كوري.

نُصِّب بلانك أسقفًا سابعًا للكنيسة في كوريا بعد أن رحل الأسقف السادس ريديل عن الدنيا. منذ تعيين بلانك أسقفًا، أصبح هنالك تسامح أكبر تجاه الدين المسيحي، وبات المؤمنون به الذين دفعهم الاضطهاد في الماضي إلى الاختباء تحت الأرض، أكثر اطمئنانًا من أي وقت مضى. بمجرد أن صار بلانك أسقفًا، أسس دارًا للأيتام كان يخطط لها منذ وصوله إلى كوريا. اشترى بيتًا في حي "جوندانجول" وأجرى تعديلات عليه بمساعدةٍ من المرأة سوه، قبل عام من توقيع كوريا وفرنسا معاهدة التجارة المشتركة. في دار الأيتام تلك، جمع بلانك الأطفال المُشرَّدين الذين لا يمتلكون بيتًا. ساعده الكاثوليك الكوريون لكن معظم أعمال الدار كانت تقوم بها المرأة سوه ويون. بذلت المرأة سوه التي لم تحظ أبدًا بأطفال كل طاقتها لرعاية

اليتامى. حاكت لهم الثياب وعلّمتهم الكتابة وأعدت لهم الطعام. أعانها يون دائمًا.

تأذت المرأة سوه ويون بالإشاعات التي روَّجها "يون شي كاي" مثل بلانك تمامًا. عندما تأكدوا من أنهم في خطر، لجأ بلانك إلى موفَد فرنسا المُعيَّن حديثًا لطلب المساعدة. بفضل استجابة ڤيكتور السريعة والحازمة، أُنقِذَ ماء وجه بلانك. ومن وقتها صار صديقًا لڤيكتور، وبات يناقش معه الأحداث التي تشهدها كوريا.

نهض ڤيكتور من سريره وهو ينصت إلى غناء السيكادا كما لو كان موسيقى مُبهجة. ماذا يجب عليه أن يُري راقصة البلاط أولاً؟ فكر في الأمر منذ أن زاره أحد خدم البلاط ليُعلِمه بموعد زيارتها، لكن لم يستطع أن يقرر. هل يريها لوحةً، أم صورة فوتوغرافية التقطها؟ ابتسم لهذا القَدِر المحمودِ من القلق الذي انتابه.

هل عليه أن يتبع نصيحة بلانك ويسعى لاكتساب اسمًا كوريًا؟

فكر ڤيكتور بالفعل في ذلك، وابتسم حين اقترح بلانك عليه الأمر كأنه يقرأ ذهنه. "إحدى أهم مزايا مصادقة كوري هي أنه سيمنحك اسمًا كوريًا"، أخبره بلانك. اسم بلانك الكوري هو "بايك جُيوسام". علَّل بلانك ذلك بأن الكوريين يحبون أن ينادوا أصدقائهم بأسمائهم طوال الوقت، والأسماء الأجنبية يصعب عليهم نطقها. قرَّر ڤيكتور أن يتبع نصيحة بلانك.

تلاشت ابتسامته حين تذكر اعترافه لبلانك بأنه وقع في حب امرأة كورية جميلة، وتمنَّى لو علَّمه بعض التعبيرات الكورية ليستخدمها معها.

ضحك بلانك بعفويةٍ ووافق على تعليمه، لكن وجهه تجهم عندما علم أنه يحب امرأة من بلاط القصر.

يُجبَر المرء كثيرًا على الاختيار بين السير وراء تقاليد مجتمعه، أو وراء غريزتِه وقلبِه. على الدبلوماسي أن يسير وراء المجتمع دائمًا. حتى لو كانت قوانين المجتمع خاطئة، فيجب أن تُتبع.

"لكوريا قوانينها الخاصة"، علا القلق وجه بلانك الذي يتمتع عادةً بروح مرحة وودية ومطمئنة البال.

"لا يمكن لامرأة قصر أن تمتلك حياة خارج البلاط دون إذن الملك".

عمَّق صمت ڤيكتور من قلق بلانك.

"لا نعيش هنا في جمهورية. لا يعلم أحد ماذا سيحدث لك لو سمحتَ لحب امرأة من نساء القصر بالتسلُّل إلى فؤادك. وأنت هنا تمثل فرنسا في هذه البلاد، أليس كذلك؟ لا يجب أن تنسى أبدًا أننا لسنا في فرنسا".

تذكير بلانك له أنهم ليسوا في فرنسا مزَّق أحشائه وأيقظه من حلمه، حيث كان يَعدّ الأيام حتى لقائه مع راقصة البلاط.

حتى فرنسا لم تكن تعني الحرية الكاملة؛ المحاكمات التي واجهها والده المهاجر الأيرلندي كانت بسبب قوانين فُصِّلتْ لخدمة مصالح النبلاء. اضطر والده للانتقال إلى باريس ثم إلى بلچيكا، ثم عاد إلى قرية بلانس كرسام كي يتبع أحلامه في أن يكون كاتبًا وأرستقراطيًا. في النهاية حُوكِمتْ أسرته لاستخدامها اسمًا أرستقراطيًا بشكل غير قانوني، وطُرِدوا من القرية. لكن أن تحتاج إذنًا ملكيًا إذا رغبت في رؤية امرأة تحبها وأن تنتظر شهرًا كاملاً لتفعل ذلك! مثل هذه الأمور لا تُقبَل في فرنسا.

أبعد ڤيكتور تلك الأفكار عن ذهنه، بينما ينهض ويشرع في ارتداء ثيابه. لهذه البلد القدرة على استدعاء الماضي في لحظاتٍ غير متوقعة. لكن ربما الأمر لا يتعلّق بالبلد بل براقصة البلاط، التي لم يتبادل معها أي حوار حقيقي أبدًا.

التحق ڤيكتور بالمدرسة اللاهوتية في باريس بعد رحيل أسرته من قرية بلانس. لكن بخلاف بقية رفقائه، دخل جامعة اللغات الشرقية بعد التخرُّج. ظن الجميع أن قراره غريبٌ خصوصًا والده. رحل ڤيكتور إلى بكين بعد حصوله على شهادة في القانون واللغة الصينية. تساءل ڤيكتور كثيرًا إذا كان اختياره دراسة الشرق كي يهرب من أبيه الذي لم يتوقف أبدًا عن محاولاته للتخلُّص من وضعه كمهاجر. الرجل الذي كان مهووسًا بفكرة أنه كي تصبح فرنسيًا مثاليًا عليك أن تصبح أرستقراطيًا.

بدأت حياة ڤيكتور في الشرق في بكين. لم يكن لديه سبب محدد كي يختار دراسة اللغات الشرقية، لكنه سعد باختياره لأنه قاده إلى شرق آسيا. الصين، اليابان وكوريا: أرض الغموض. أعجب الفرنسيون وبخاصة النبلاء بالحاجيات الكثيرة التي كان يجلبها معه من رحلاته: الكتب والسيلادون والحلي الشرقية كانت مقتنيات مرغوبة من النبلاء الفرنسيين الذين لا يكفُّون عن التباهي بمجموعاتهم من التحف.

تناول ڤيكتور فنجان قهوة بتمهل، قبل أن يخرج إلى الفناء. أتى كلب الجندو الذي كان يحوم حول شجرة العنقاء لتحيته. تعلّم الكلب الكثير خلال الشهرين الماضيين. هز الكلب ذيله وهو يجثم أمام قدم ڤيكتور كي يحثه على تمسيد ظهره. هذه هي الطريقة التي يقولان بها مرحبًا لبعضهما.

"اليوم يوم خاص جدًا".

لعق كلب الجندو اليد التي تمسد ظهره بمرح، كأنه قد فهم ما قاله فيكتور. ثبت فيكتور سلسلة في طوق الكلب. لأنه يعرف ان هذا يعني أن فيكتور سيصطحبه للتمشية، وثب الكلب على قوائمه الأمامية لأعلى في الهواء. كان هذا أسعد جزء في اليوم بالنسبة للكلب. يعرف فيكتور من تجربته طوال الشهر الماضي، كم من الصعب أن تنتظر شخصًا ما. سيستهلك المشي بعض من هذا الوقت.

"دعنا ننطلق!"

فتح فيكتور بوابة المفوَّضية وهو يمسك بالسلسلة في يده.

يوم واحد هو حياة صغيرة. أيام معينة بالتحديد قد تُعادل حياةً كاملة.

أنزل حاملو المحفّة چين أمام بوابة المفوَّضية الفرنسية قبل الحادية عشرة بقليل. كان موعد الزيارة هو الحادية عشرة. كان أول نهارٍ صافٍ منذ مدة طويلة. غمرت أشعة الشمس العالم. شاهدت چين من مجلسها في المحفّة البيوت، وقد نُشر كل ما يحتاج أن يَجف من ثياب في الخارج. أغرقت الأمطار الممشى وامتدت للأرض الزراعية، حتى صار من الصعب أن تحدد أيهما الممشى وأيهما الأرض الزراعية. شاهدت چين حاملي المحفّة يسيرون بغرابةٍ على أطراف أصابعهم خلال الوحل، قبل أن تلتفت إلى بوابة المفوَّضية. لم تكن اليوم راقصة البلاط التي ترتدي ردائها الحريري في سرادق الاحتفالات، بل خادمة من جناح التطريز ترتدي رداءً أخضر داكنًا وتنورة نيلية طويلة. كانت كما رآها فيكتور تمامًا لأول مرة فوق جسر جدول الحرير. جمعت شعرها في ضفيرةٍ طويلة عُقِصتْ على شكل كعكة. كانت الطريقة التي ترتدي بها كل نساء البلاط من نفس مركزها. كانت تُمسِك في يدها معطفًا لونه أخضر كردائها. كان هنالك طيف من

الفضول على وجهها مشمشي اللون، بينما تدفع بوابة المفوَّضية وتلقي نظرة إلى الداخل.

أول شيء ملأ مجال رؤيتها كان الأوراق الخضراء لشجرة العنقاء في الجزء القصيِّ من الفناء. ثم وقعتْ عيناها على أوراق نبات الهدرانج شديدة الخضرة حيث كانت الزهور من قبل في فصل الربيع، وعروش الكُروم المثمرة، وأشجار العرَّعر والصنوبر الواقفة في تناسق مثالي في مستوى العين. في جانب من الحديقة انتشرت أزهار الخوخ وشب الليل كما لو كانت رسمًا منقوشًا بعناية. تكفي نظرة مقتضبة كي يدرك المرء أن هذه الحديقة تحظى برعاية خاصة ومنتظمة. كانت چين على وشك أن تخطو إلى داخل الفناء بنعلها الأحمر عندما فُتِحت نافذة في مبنى المفوَّضية وأطل ڤيكتور برأسه. عندما لمح چين، سارع بارتداء حذائه الجلدي وخرج من المبنى.

"كنت على وشك الخروج لاستقبالك أمام البوابة".

فاجأه وصولها المبكر لدرجة أن الكلمات خرجت من فمه بالفرنسية. ما قاله كان صحيحًا. كان على وشك الذهاب إلى البوابة مع مترجمه وغيران. كان لا يزال هنالك بعض الوقت على موعد وصولها، لكنه كان يُحدِّق من النافذة منذ الصباح الباكر، حين وقعت عيناه على نعلها الأحمر يخطو إلى داخل الفناء.

"لقد وصلتُ مبكرة قليلاً".

قرَّبتْ السترة فوق ذراعها من جسمها وانحنت له. حدَّق ڤيكتور للحظة في چين التي تحدثت معه بفرنسية طليقة.

"مرحبًا. أنا ممتن لمقابلتك".

لم تتح له الفرصة لاستخدام تلك التعبيرات الكورية القليلة التي تعلمها من أجلها. بدلاً من ذلك، استقبلها بتلك العبارة الخرقاء: "كنت على وشك الخروج لاستقبالك أمام البوابة" بالفرنسية، فآل الأمر به إلى أن يسمع چين تتحدث بالفرنسية.

"شرف لي أن تكوني هنا".

انحنى ڤيكتور لچين مثلما انحنت له. ابتسمت چين ابتسامة شاحبة.

تلك العيون. تلك العيون السوداء التي خلت من العدائية وامتلأت بالمودة. كانت حدقتا عيناها أكثر سوادًا حين يتطلع إليهما عن قرب. من دون أن يدرك ما يفعله، فتح ڤيكتور ذراعيه وعانق چين وطبع قبلة على خدها. حدث ذلك قبل أن تتمكن چين من فعل أي شيء. تجمَّدت في مكانها ورمقت ڤيكتور بنظرة قاسية.

تنهد ڤيكتور وهو يرى چين وقد تلاشت نظرة المودة من عينيها وباتت تنظر إليه كأنه غريب. وقفتها مُتشنِّجة من الفزع.

"لقد نسيت أننا في كوريا. كم أن الأمر غريبٌ! لا أعتبركِ إنسانة غريبة. لذا أردتُ أن أتصرف معك وفقًا للإتيكيت الفرنسي. هكذا نقول "مرحبًا". رجاءً أن تفهمي ذلك كإشارة على المودة فقط".

قست تعبيرات وجه چين ثم أشاحت بوجهها عنه. تذكر ڤيكتور نصيحة سمعها في بريطانيا: يجب أن تطلب العفو إذا أخطأت في حق رجل، وحتى إذا لم تخطئ في حق امرأة.

"لقد أخطأت خطأ عظيمًا في حقك".

"رجاءً سامحيني!"

ضاعفت السيكادا من صراخها.

التفتت إليه چين بعينيها السوداويتين، بعد أن بدت لوهلةٍ غير مبالية بطلبه الغفران.

"هل يمكنني أن أطلب طلبًا، سيدي؟"

كان صوتها واضحًا وهادئًا.

"لو غفرتِ لي خطئي، سأنفّذ لك أي طلب في وسعي تنفيذه".

ارتسمت ابتسامة رفيعة على شفتي چين. تنفس ڤيكتور الصعداء.

"ما طلبك؟"

"اسمح لي بزيارة جونداجول!"

"حي جونداجول؟ هناك تقع دار أيتام الأسقف بلانك".

"تعيش السيدة التي ربتني في جونداجول. لكن لأنني امرأة في بلاط القصر، فمن الصعب عليَّ زيارتها متى أردتُ ذلك. أطلب منك ذلك فقط لأني أتمنى من كل قلبي رؤيتها قبل عودتي إلى القصر. رجاءً ارفض لو كان الأمر صعبا جدًا ".

أحنت چين رأسها بتواضع وهي تتساءل عما إذا كانت قد بادرت بطلبها أسرع مما ينبغي، وقد دخلت إلى فناء المفوّضية منذ لحظات قليلة فقط. كان غيران بسترته الغربية والمترجم الكوري بردائه الكوري، يسيران بخطواتٍ سريعة من باب مبنى المفوّضية نحوهما. كان رد ڤيكتور فوريًا.

"سنفعل ذلك. لكن فلتدخلي الآن".

"تعني ذلك؟"

"أعني ماذا؟"

"أيمكنني أن أزور جوندانجول؟"

"سنغادر بمجرد أن ننهي الغداء".

"معًا؟"

"نعم. ألم أخبرك أنني أريد أن أتعرف على العاصمة أكثر؟ جوندانجول أحد الأماكن التي أود زيارتها".

غمرت السعادةُ وجه چين. ستتمكن من رؤية المرأة سوه التي لم تسنح لها الفرصة لزيارتها منذ انتقال المرأة سوه من بيتها في "بانشون" للإقامة في دار أيتام بلانك في جوندانجول.

"سيكون هذا يوم لا يُنسى بالنسبة إليّ".

اتسعت عينا غيران من قدرة چين وڤيكتور على تجاذب أطراف الحديث من دون مساعدة المترجم. أتى كلب الجندو إلى ڤيكتور وجثم قرب مكان وقوفه. توقف رجلان كوريان يعملان في المفوَّضية خلال عبورهما الفناء ونظرا إلى چين.

"أنا سكرتير المفوَّضية غيران. تقابلنا من قبل في المأدبة".

فهمت چين كلماته الفرنسية وانحنت له بينما نظر إليها المترجم بدهشة.

"هل تفهمين الفرنسية؟"

"إلى حد ما".

"يمكنكِ التحدث بها أيضا ؟ "

"إلى حد ما ".

انحنت چين بأدب للمترجم اعتذارًا على منحها الجواب نفسه لكلا السؤالين.

"أنا شوي جا، مترجم المفوَّضية. اسمي المسيحي هو بول. ينادونني هنا بول شوي. يسرني معرفتكِ، سيدتي. شخصان من بلدين مختلفين يتحدثان اللغة نفسها، أمر منعش لأذنيْ. الأمر أشبه بظهور الماء في وسط الصحراء".

قاد الرجال الثلاثة چين إلى مبنى المفوَّضية. لم يستطع ڤيكتور التوقف عن التفكير في أنها تبدو كزهرة متلألئة بقطرات الندى في يوم صيفي بعد توقف المطر. مع هذا لم يجرؤ على النظر إليها أثناء سيرهم، واكتفى بالإنصات للحوار بينها وبين المترجم.

"كيف وصلتِ إلى هنا؟"

"أعارتني الملكة محفَّة".

"محفَّة؟"

"نعم".

أشرق وجه چين تطلُّعًا لرؤية المرأة سوه، لكن حين ذكرت الملكة غرقت في أفكارها. بالكاد رأت الملكة منذ ليلة المأدبة. كانت أطول فترة تمر عليها دون التحدُّث معها منذ دخولها القصر. حتى رفيقتها في الحجرة سُوا كانت قلقة. بحثت چين عن ليدي سوه لتسألها عن أحوال الملكة. لكن عندما مَثُلتْ أمام ليدي سوه، عجزت عن سؤالها. كانتا المرأتان معتادتين على التحدُّث بصراحةٍ واستفاضة عن صحة الملكة وأحوالها. كانتا

الخادمتين المقربتين من الملكة، وإن كانت ليدي سوه تسبقها في الأقدمية. لكن هذه المرة شعرت چين ببرودةٍ غريبة في تعامل ليدي سوه معها. رغم أن قناع من الصرامة كان يكسو وجه ليدي سوه دائمًا، إلا أن چين كانت قادرة دائمًا على استشعار حب ليدي سوه لها تحت هذا القناع. لكن الآن باتت ليدي سوه ترفض ذكر اسم الملكة أمامها ، وتتهرَّب من رؤيتها. مع هذا أتت ليدي سوه بالأمس لتخبر چين أنها ستزور المفوَّضية الفرنسية في اليوم التالي. مرت أحداث المأدبة منذ شهر في ذهن چين عندما لاحظت نظرة القلق في عيني ليدي سوه.

"الخطأ غير مسموح به. لدى الملكة قلاقل كثيرة".

عجزت چين عن فهم ما عنته ليدي سوه بالضبط. هل الملكة قلقة بخصوص البلاد أم بخصوص چين؟

" جلالتها لم تُحملني بأي رسالة. سوف تتحدث إليك مباشرة".

أرادت چين أن تسأل ليدي سوه عما يقلق الملكة لكن كانت ليدي سوه قد مضت مبتعدة. خيم التوتر على چين طوال اليوم منتظرة أن تستدعيها الملكة. لم تُؤمر بالذهاب إلى جناح الملكة إلا حين انتصف الليل. كانت الملكة في ثياب النوم وشعرها متدلٍ كأنها على وشك النوم. تأملت چين في صمت وهي تقف أمام باب حجرة نومها. بعد مرور خمس دقائق، تحدثت الملكة إليها بكلمات مقتضبة.

"عليكِ زيارة المفوَّضية الفرنسية في الصباح".

"حسنًا، جلالتكِ".

"سأعيرك محفّة".

"حسنًا، جلالتكِ".

"ستخبرينني بكل شيء تتذكرينه بمجرد عودتك".

"حسنًا، جلالتكِ".

"هذا كل شيء. غادري".

شعرت چين بأنها عاجزة عن الامتثال للأمر. كان لقاءً جافًا بعد شهر كامل لم تر فيه الملكة. تمنّتْ لو قالت الملكة أكثر من ذلك لكن بقيت الملكة صامتة. عضت چين على شفتيها وهي تغادر جناح الملكة. لماذا؟ لماذا كانت الملكة باردة جدًا معها ؟ لم تستطع چين النوم تلك الليلة بينما يتلوّى جسدها ويتقلّب بجوار سُوا النائمة.

شرعت چين في النظر حولها وقد تدنّت معنوياتها فجأة.

لم تر نوافذ زجاجية في بيت له سقف "باغودا"[٣٥] من قبل. لم تر من قبل فانوس خارجي يعمل بالزيت كالموجود أمام فناء المفوّضية الفرنسية. شرح لها غيران أن الجزء الداخلي من المبنى هو مكتب المفوّضية، بينما يتكون الجزء الخلفي من حجرة الطعام ومكتبة وحجرة نوم. في الشرفة الخارجية للمبنى تنتشر مقاعد في مواجهة الفناء، جُلِبتْ خصيصًا من فرنسا. على يمين المبنى الرئيسي، مبنى ملحق تمتد مظلة أمامه. نوافذه كلها من الزجاج ومُصمَّمة على الطراز الغربي وتنسدل عليها الستائر من الداخل.

"هذا المبنى بمثابة امتداد للمفوّضية".

---

٣٥ سقف باغودا: سقف على شكل برج متعدد الطبقات ميز المعابد البوذية القديمة على وجه الخصوص.

ألقت چين نظرة داخله. شاهدت حائطًا عريضًا مبنيًا من الطوب ومكاتب ومقاعد خشبية لها ظهور مقوسة قليلاً. التفتت چين إلى ڤيكتور الذي وقف هناك من دون أن يتفوه بكلمة.

"يقولون إن من تبقيكَ مستيقظًا طوال الليل تكون المرأة التي تعشق. أنتِ هي تلك المرأة".

كتب ڤيكتور ذلك في رسالة إلى چين ليلة الأمس. كان هنالك الكثير من تلك الرسائل التي كتبها لها واحتفظ بها في درج مكتبه دون أن يرسلها.

"لا أزال لا أعرف اسمك"، قالت چين.

"أوه، هذا صحيح".

كاد ينفجر ڤيكتور ضاحكًا. لم يسأل أي منهما الآخر عن اسمه حتى الآن. لقد كتب رسائل حب في قلب الليل إلى امرأة لا يعرف اسمها! كل ما ألهم قلمه هو عيناها الداكنتان.

"ڤيكتور أوغسطس كولين".

امتنع عن إكمال اسمه. ڤيكتور أوغسطس كولين دي بلانس. لم يرغب في أن يذكر لها اسمًا طويلاً أو ربما لأن "دي" في اسمه لا تُمنَح سوى للنبلاء. لقد سعى والده طوال حياته من أجل إلحاق أداة التعريف تلك باسمه. ولهذا اتهم اللورد بلانس والده بإساءة استخدام لقبه، وأحاله إلى المحاكمة. دافع والد ڤيكتور عن نفسه قائلاً إن شهرته ككاتب رفعت من مكانة قرية بلانس، وأفاض في الحديث عما قدَّمه للقرية خلال تلك السنين، وأشار

لصلة الدم بينه وبين چورج چاك دانتون[٣٦] عدة مرات. لم تضع مجهودات والد ڤيكتور، حتى بعد أن خسر القضية وحُكِم عليه بالنفي خارج قرية بلانس. فقد تمكن بحيلةٍ ما من تغيير سجل الأسرة بعد عام من الانتقال إلى باريس، واستطاع أخيرًا أن يُلحِق باسم ابنه كل الأسماء الأرستقراطية التي كان يحلم بها طويلاً. في مرحلةٍ ما، حوَّلت رغبة الأب في الانتماء إلى الدوائر المجتمعية الأرقى، اسم "ڤيكتور" إلى "ڤيكتور إميلي ماري چوزيف كولين دي بلانس".

توقف ڤيكتور قبل أن يتحدث من جديد.

" اسمي ڤيكتور. نادني ڤيكتور".

"..."

"وما اسمكِ؟"

مضى وقت طويل منذ آخر مرة سألها أحد ما هذا السؤال. نادتها المرأة سوه بـ"صغيرتي"، ويون بـ"جرس الفضة"، ورفيقتها سُوا بـ"چين چين"، والملكة بـ"الخادمة سوه". أخبرتها المرأة سوه أن أمها كانت تناديها "إيواها" (أي "زهرة الكمثرى").

"كانت هناك الكثير من أزهار الكمثرى أمام بيتكم. عندما تتفتح، كانت تخفي بيتكم عن الأنظار".

---

٣٦ چورج چاك دانتون (١٧٥٩ ـ ١٧٩٤): زعيم ثوري فرنسي ومحامي وخطيب مفوه. لعب دورًا مهمًا في سقوط الملكية في فرنسا. وقع في خلاف شديد مع رجل الثورة الشهير روبسبير على المبالغة في الإعدامات والعنف بعد الثورة فأحاله روبسبير للمحاكمة بتهمة محاولة إعادة الملكية وأعدم في ٥ أبريل عام ١٧٩٤.

لا تملك چين أي ذكرى عن المرأة التي تقول المرأة سوه أنها أمها التي ولدتها، وبطبيعة الحال لا تتذكر مناداتها لها بـ"إيواها". كانت چين لتتخذ من المرأة سوه أمًا لها، لكن سوه ظلت مصمِّمة على تذكير چين بأمها الحقيقية وبضرورة أن تُبجلها چين. شعرت سوه بالأسف أنها لم تحرص على معرفة اسم عائلة چين: هل هو بارك أم يو أو أي اسم آخر؟ ولامت نفسها كثيرًا على ذلك. قالت المرأة سوه لها أن والديها المجهولين قد أخفيا اسميهما لسببٍ غامض وأنهما لم يفصحا عنه حتى بعد مرور سنوات من اختبائهما في بانشون.

أحيانًا كانت المرأة سوه تطلق تنهيدة عميقة، أثناء قراءة چين كتابًا لها بصوت عالٍ.

"لا أعرف من أين أنت، لكن لا بُد أنك من بيت كان يعج بالكتب، فأنت تتعلمين بسرعة مذهلة".

كانت سوه تقول لنفسها وهي تراقب چين.

لاحقًا أصبح عدم وجود اسم لچين يمثل مشكلة، عندما أمرتها الملكة بالانضمام إلى القصر كامرأة بلاط. قررا أن تلتحق بالقصر باعتبارها ابنة مُتبنّاة من قبل الليدي سوه الأخت الصغرى لسوه. سألت چين المرأة سوه لماذا لم تمنحها اسمًا رسميًا قبل ذلك، فأخبرتها سوه: " كنا نعتقد دائمًا أن شخصًا من عائلتك سيأتي إلى بيتي يومًا ما ويصحبك معه. وأنه سيمنحك اسمًا شرعيًا.

" ما هو الاسم المناسب لامرأة بلاط؟ "

"الخادمة سوه سيفي بالأمر".

عبس وجه چين وهي تتذكر ذلك بينما تتفقد الصور على جدران المفوّضية.

عجز ڤيكتور عن أن يجد شيئًا ظريفًا يمكنه أن يرفع به من روح سوه الحزينة، فانتهى به الأمر مفصحًا عن أمر كان قد خطط لإبقائه في قلبه فقط.

" أود أن يكون لي اسمٌ كوري. هل يمكنك أن تقترحي اسمًا؟ "

بدا بول شوي وغيران أكثر اندهاشًا من چين نفسها من النظرة التي رمقا بها ڤيكتور. لم تستوعب چين ما طلبه منها ڤيكتور بالتحديد فالتفتت للمترجم من أجل توضيح الأمر.

"الموفَد يرغب في اسم كوري ويسألك سيدتي أن تختاري واحدًا له".

"يسألني؟ أنا؟"

"أجل".

التفتت چين بعيونها السوداء إلى ڤيكتور، وقد فاجأها طلبه الغريب.

"الخطأ غير مسموح به. لدى الملكة قلاقل كثيرة".

لا تدري لماذا خطرت كلمات الليدي سوه في ذهنها في تلك اللحظة. هل رفض طلبه خطأ؟ هل قبوله خطأ؟ لماذا يطلب منها هذا الرجل أن تنتقي اسمًا له؟ رمقت چين ڤيكتور بنظرة شك لكن ظل قلبها مشغولاً بالملكة. لم تجب، بينما ساروا بعيدًا عن مكاتب المفوّضية نحو الجزء الخلفي من المبنى، حيث تقع المكتبة وقاعة الطعام. بالأحرى لم تعرف بمَ تجيب.

"هناك الكثير من الكتب في هذه الحجرة".

قادها ڤيكتور إلى داخل المكتبة. تجوّلت في الحجرة التي كانت واسعة بشكل غير معتاد بالنسبة لبيتٍ كوري. لا بُد أن أحدهم قد غيَّر من تصميم الحجرة من أجل زيادة مساحتها. أشرق مُحيَّاها لرؤية الكتب كما لو كانت قد اكتشفت عالمًا جديدًا. جبال من الكتب مكدسة على الرفوف في مكان واحد تنتظر أن تُقرأ! تصل الرفوف لأعلى حتى السقف وكل رف ممتلئ عن آخره بالكتب. ركن للكتب الصينية واليابانية، وآخر للكتب الكورية. تحركت چين براحة وألفة داخل متاهة الكتب على عكس خطواتها المتمهلة الحذرة منذ دخولها للمفوَّضية. سجل ڤيكتور ملحوظة في ذهنه أن المكتبة أكثر مكان أثار اهتمام چين. ابتسم حين فكر أنه أخيرًا اكتشف شيئًا يثير اهتمام چين حقًا. تجاوزت چين رفوف الكتب الصينية واليابانية ثم الكورية، قبل أن تتوقف أمام رف مليء بمجلدات عن التاريخ والفلسفة الفرنسية. "الرسائل الفارسية" لمونتيسيكو،[٣٧] موسوعة تتجاوز الثلاثين مُجلدًا، "تأملات شعرية" للامارتين[٣٨] والأعمال الكاملة لمالارميه[٣٩] ورامبو[٤٠] وڤيرلين[٤١]. مرت چين بعينيها على "البؤساء" لهوجو و"الأحمر

---

٣٧ شارل لوي دي سيكو: المعروف بمونتيسيكو (١٦٨٩ –١٧٥٥): فيلسوف فرنسي شهير صاحب نظرية الفصل بين السلطات. من أهم أعماله الرسائل الفارسية كتاب ساخر ينتقد فيه أنظمة الحكم في أوروبا في ذلك الوقت وروح القوانين الذي يعد مرجعًا ضخمًا في العلوم السياسية.

٣٨ ألفونسو دي لامارتين (١٧٩٠-١٨٦٩): شاعر وسياسي فرنسي لعب دورًا كبيرًا في الثورة الفرنسية. من أشهر أعماله تأملات شعرية وجوسلين وسقوط ملاك.

٣٩ ستيفان مالارميه (١٨٤٢ – ١٨٩٨): شاعر فرنسي من رواد المدرسة الرمزية.

٤٠ أرثر رامبو (١٨٥٤ – ١٨٩١): شاعر فرنسي تميز بمشواره الأدبي القصير فقد كتب جل شعره في فترة المراهقة وتوقف عن الكتابة في سن الحادية والعشرين. مات بسرطان العظام في سن السادسة والثلاثين.

٤١ بول ڤيرلين (١٨٤٤-١٨٩٦): شاعر فرنسي عاش حياة عاصفة بالخلافات الشخصية والنزوات حتى أنهكه المرض ومات ميتة بائسة ووحيدة بعد أن أنهكه المرض.

والأسود" لستاندال و"التربية العاطفية" لفلوبير، قبل أن تتناول طبعة من شعر بودلير كانت موضوعة على رف بجوار "مدام بوفاري" وفتحته. قلّبتْ في صفحاته، حتى سقطت عيناها على المقطع الافتتاحي لقصيدة "دعوة إلى السفر":

"طفلتيّ، أختي،
فكري كم من الجميل
أنْ نذهبَ ونعيشَ هناك معًا!
أنْ نعشق بدون حد.
أنْ نعشق حتى يأتنا الموت!"

لم تستطع چين أن تزيح عينيها عن القصائد. قرأت القصيدة تلو الأخرى، وهي تشعر كما لو أنها تغوص في كل صفحة بحواسها كلها، ثم تذكرت أين هي فالتفتت إلى ڤيكتور:

"هل هذا ما تريد أن تريني إياه؟"
"لا".
"..."
"هنالك شيء آخر أريد أن أريكِ إياه".
حدقت چين نحوه في صمت.
" أريد أن أريكِ باريس".

رأى ڤيكتور ارتجافة حدقتيها. ما عناه حقًا هو أن يُريها قرية بلانس التي طُرِدَتْ عائلته منها. اعتقد لسببٍ ما أنه قد يتمكن من زيارتها مرة أخرى، لو ذهب إليها بصحبة هذه المرأة التي يحبها.

أن تمتلك مكانًا ترغب بشدة في زيارته مع شخصٍ ما، يعني أنك قد وقعتَ في حبه.

"أود أن أذهب معكِ إلى باريس في يوم ما".

"*معكِ*". هدأت حدقتي چين بعد ارتجافها مثل سكون سطح الماء بعد عبور موجة. أغلقت الكتاب برقة قبل أن تقول:

"لا يمكنني مغادرة القصر. السبب الوحيد الذي مكنني من الحضور إلى هنا هو إذن خاص من الملكة". كان صوتها صارمًا وخاليًا من أي مشاعر. انتقلت چين ببصرها إلى مجموعة من الكتب في إحدى زوايا المكتبة. القاموس النقدي، الآثار والصور الإعجازية.. لاحظ ڤيكتور نظراتها إليها فقال: "أبي هو مَن كتبَ هذه الكُتُب".

التفتت چين إليه من جديد.

"هل كان كاتبًا؟"

"أجل".

بعد فشل حلمه بالنشر في باريس، سافر والده إلى بلچيكا قبل العودة إلى وطنه في بلانس حيث عثر على دار نشر بمساعدة بعض الأصدقاء القدامى وطبع كتبًا يغلب عليها الطابع الديني. أحب ڤيكتور رائحة الطابعة والورق المطبوع حديثًا. هناك قضى جل أيام طفولته. هل لا تزال الطابعة في المكان نفسه الآن؟ والبحيرة؟ هل لا تزال أسراب مالك الحزين تحلق فوق تلك البحيرة في موسم هجرتها؟

لم تكن چين مستعدة لمغادرة المكتبة، فظلت تنظر إلى الكتب وهي تشق طريقها خارجة منها. مررت أطراف أصابع يدها اليسرى، اليد التي لا تحمل المعطف فوق حواف الكتب أثناء سيرها.

"هل ترغبين في استعارة بعض الكتب؟"

أشرقت عينا چين للحظة، لكنها ظلت صامتة.

"لو كنت تودين قراءة أي كتاب، رجاءً تفضلي باستعارته!"

"لكن كيف سأعيده؟"

"سأجدكِ أنا".

"أنت؟"

"نعم".

سيكون ذلك مستحيلاً. لا يمكن لامرأة بلاط وموفَد دولة أجنبية أن يلتقيا سرًا حتى لو كان ذلك داخل أروقة القصر. خمّن ڤيكتور ما يدور في ذهن چين فابتسم.

"ربما عليَّ أن أرشح لكِ عددًا من الكتب بنفسي. ماذا تحبين أن تقرأي؟"

هل يمكنها أن تقبل عرضه؟ ترددت، لكن عشقها للكتب طغى على حذرها.

"أود قراءة كتاب من فرنسا"، أجابت بتصميم مناقض لترددها الداخلي.

"كتاب معين؟"

"لم أر كتبًا فرنسية قبل اليوم. رفيقتي في الحجرة سُوا تستمتع حين أقرأ لها. لو أمكن لفخامتك أن تختار كتابًا قد يعجبها؟"

عندما بدا على ڤيكتور عدم الفهم، تدخَّل بول شوي.

قالت چين أنها تريد أن تقرأ كتابًا لسُوا، لكنها في الحقيقة كانت تقصد الملكة. أرادت أن تقرأ للملكة كتبًا عن أشياء غربية ، فهي تعرف عشق الملكة للثقافات الأجنبية. ستستغرق چين بعض الوقت لترجمة الكلمات الفرنسية إلى الكورية لكنها كانت تفكر من الآن بفضول في ردة فعل الملكة، التي قرأت لها العديد من الكتب من الصين واليابان، على هذه الكتب الفرنسية غير المألوفة .

بينما تفكر چين في الملكة، فكر ڤيكتور في أمه التي تزوجتْ في سن السابعة والعشرين. كان والده في التاسعة والخمسين، وكان ذلك هو زواجه الثاني، لكن الأول لوالدته. تذكر طموح أبوه القديم، وصوت أمه الشابة تقرأ بصوت عالٍ. تمتلك المرأة الواقفة أمامه قدرةً على استدعاء تلك الذكريات المنسية من الجانب الآخر للزمن.

"سأفكر في كتابٍ لتأخذيه معكِ بينما نأكل"، أجابها ڤيكتور.

غادر الأربعة المكتبة ودخلوا قاعة الطعام، حيث كانت طاولة الغداء قد أُعِدتْ. تناول ڤيكتور المعطف الأخضر من يد چين. بعد أن علّقه على المشجب، توجه إلى الجرامافون الذي جلبه معه من باريس، وشغّل أسطوانة "السيمفونية الخيالية" لبِرليوز.[٤٢]

الموسيقى نعمة وُهِبت لكل الناس.

بينما يحرك غيران المقعد كي تجلس عليه چين، أخبرها أن فخامة موفَد فرنسا ـڤيكتورـ قد اختار هذه السيمفونية من أجلها خصيصًا.

---

٤٢ هيكتور بِرليوز (١٨٠٣ـ١٨٦٩): ملحن فرنسي من أشهر أعماله "السيمفونية الخيالية"، "قداس الموتى الكبير"، "الطروادين"، و"روميو وجولييت".

أنصتت چين للموسيقى التي كانت مغايرة تمامًا لموسيقى ناي "الدايغوم" التي يعزفها يون أو موسيقى "القوتشين".[٤٣] كان لحنًا عذبًا لدرجة أنه يمكنه جعل ورقة شجر تتراقص في يومٍ صيفيٍ جاف بلا رياح. في وسط الطاولة وضعت صينية فوقها كؤوسٌ شفافة وزجاجة شامبانيا بينما أمام كل مقعد وُضِعتْ بنظامٍ شوكة وسكين وملعقة. قدمت طباخة المفوضية ، امرأة كورية في منتصف العمر، ترتدي مئزرًا، لكل منهم طبق حساء كريمي ساخن. تبادلت النظرات مع چين.

"الطبق الرئيسي اليوم هو الدجاج بالنبيذ".

أخبر غيران چين بابتسامةٍ، في اللحظة نفسها التي انضم فيها ڤيكتور إلى الطاولة بعد أن انتهى من ضبط الجرامافون.

"إنه طبق دجاج شهير في فرنسا. أعتقد أن الكوريين سيحبونه. لقد اختار فخامته قائمة الطعام بنفسه. لا بُد أن تستمعي به. كان يتصرف كفتى صغير وهو يعكف على اختيار الموسيقى وقائمة الطعام".

انضم المترجم بول شوي لغيران في مزاحه المُبطن بالتلميحات فركز ڤيكتور على فتح غطاء الشامبانيا.

"هذه الزجاجة هي أفضل زجاجة لدينا في المفوَّضية. جاءت مباشرة من مقاطعة شامبانيا. لقد أخرج ڤيكتور من قبو المشروبات أفضل زجاجة

---

٤٣ القو تشين: آلة وترية نقرية صينية قديمة شهيرة تشبه القانون. وتعتبر جزءًا أساسيًا من الأغاني الصينية القديمة.

شامبانيا من أجلك سيدتي. لم يخرجها من أجل صديقه الأسقف بلانك حتى".

صبَّ ڤيكتور الشمبانيا في الكأس الزجاجي أمام چين، محاولاً أن يشتت ذهنها بعيدًا عن كلمات غيران. تلألأت فقاعات النبيذ التي تشبه الندى في ضوء الحجرة.

"هل يزوركم أسقف بلانك كثيرًا؟"

نظر الرجال الثلاثة إليها في الوقت نفسه.

"هل تعرفين أسقف بلانك؟"

"سيدتي، هل أنتِ كاثوليكية؟"

تحدث غيران والمترجم في التوقيت نفسه. تفاجأ ڤيكتور من ذكرها للأسقف بلانك.

"لقد عرفته منذ كنت صغيرة. كان هو من علمني الفرنسية".

"الأمر كذلك إذًا".

ملأت السعادة ڤيكتور. اكتشافه أن بلانك جسرًا قد يمكنه من الوصول إلى هذه المرأة التي يعشق، والتي ظن أنه غريب تمامًا عنها كان مثل العثور على جبل ثابت يمكنه أن يستند عليه. لم يستطع أن يمنع الابتسامة الكبيرة من الظهور على محياه. ولا عجب في ذلك فقد عصف به القلَق من التفكير المستمر فيما سيفعل بعد عودة چين إلى القصر.

لكنه سرعان ما تذكر التعبير القلِق الذي علا وجه بلانك، حين أخبره أن المرأة التي يحب من نساء البلاط، فتلاشت ابتسامته سريعًا.

بينما يقوم ڤيكتور بملء كأسيّ غيران وبول شوي بالشامبانيا، وضعت الطباخة سلطة بالزيتون وصلصة الخل البلسمي بجوار كل طبق حساء. قدمت أيضًا طبقًا يحتوي بعضًا من قطع الخبز والجبن النورماندي، بالإضافة إلى الزبدة.

"سيدتي، هل أنتِ كاثوليكية؟" سألها المترجم.

"لا أستطيع قول ذلك".

عبرت مسحة خفيفة من الإحباط وجه بول شوي بعد جواب چين المُبهم.

كان بلانك معارضًا لأن تُعمَّد چين وتصبح كاثوليكية بشكل رسمي، بعد أن شَهِدَ بنفسه الإهانة المضاعفة التي واجهها مَن يعتنق الكاثولَيكية من البلاط الملكي. نصحها بأنه يكفي الاحتفاظ بإيمانها في قلبها فقط، حتى تمنح كوريا الكاثوليك الحرية الكاملة لاعتناق دينهم. كان للمرأة سوه الرأي نفسه. كانت ضد تحوُّل چين للكاثوليكية. لكن كانت هي ويون أتباعًا مخلصين للكاثوليكية بالفعل.

"أشعر أن القدر هو من كتب لنا لقاءك. كان علينا أن ندعو الأسقف بلانك ليشاركنا هذا اليوم أيضًا".

ابتسم ڤيكتور لكلمات غيران.

"ربما في المرة القادمة".

فاحت رائحة الشمبانيا حول الطاولة. رفع الرجال الثلاثة كؤوسهم والتفتوا إلى چين.

ألم يكن "لي باي"[٤٤] مَن كتب:
"جلست أحتسي الخمر وحدي مع الزهور
لكن القمر جاء مع ظلي فأصبحنا ثلاثة".

تذكر ڤيكتور شِعَر "لي باي" الذي لم تخلو أمسية من أمسيات الشرب الكثيرة التي حظي بها مع موظفي مملكة تشينغ أثناء عمله في الصين مِن ذكره.

"هل تودين بعضًا من الشامبانيا؟"

سأل ڤيكتور چين. ترددت چين غير متيقنة إذا كان عليها شرب الشامبانيا في منتصف اليوم فأنشد ڤيكتور قصيدة أخرى لـ لي باي:

"سأذهب للفراش لأنني سكران.
فلتذهبي الآن لكن لا تنس
أن تحضري القانون معكِ
عندما تعودين في صباح الغد".
"بالكاد تُسكر الشمبانيا المرء".
"وهي تساعد على إبراز مذاق الطعام".

لاطف غيران وبول شوي چين ليطمئناها. استرخت چين ورفعت كأسها بدورها. تردد صوت ارتطام كؤوسهم بوضوح في الهواء.

---

٤٤ شاعر صيني شهير. يعتبر مع دو فو من أعظم شعراء الصين القدامى. عُرف بترحاله وعشقه الشديد للخمر والنساء والطبيعة.

كانت الملكة تستمتع بتجاذب أطراف الحديث، مع زوجات الساسة الأجانب الذين يحضرون للاجتماع بالملك، أو مع "ليليا أندروود" زوجة طبيب الملك. عندما كانت تُحكى لها قصص البلاد على الجانب الآخر من المحيط، كانت نظراتها تختلف عن نظرات الملكة المسؤولة عن الرعية - الصارمة والقلقة أغلب الوقت، والحزينة والمتوترة أحيانًا. كانت نظراتٍ تشع بالترقُّب واللهفة لاستكشاف قصص لا حصر لها تملأ صفحات مئات الكتب. يصاحب هذه الأحاديث عادة زُجاجة شامبانيا، وصنوف متنوعة من الطعام أيضًا. ارتشفت چين رشفة من كأس الشامبانيا وأغلقت عينيها. انتشرت في فمها رائحةٌ عذبة كالموسيقى المنبعثة من الجرامافون.

التقط ڤيكتور ملعقته وتذوّق الحساء الكريمي، قبل أن يَدهن الخبز بالزبدة ويأكله. عندما أحضرت الطباخة الدجاج بالنبيذ، تذوق طعمه أولاً مستخدمًا الشوكة والسكين. كان يحاول أن يظهر لچين كيفية استخدام أدوات المائدة وفقًا للأسلوب الغربي دون أن يشعرها بالخجل. راقبت چين ڤيكتور، بينما تجرب الحساء بنفسها وتستخدم الشوكة لتناول السلطة، دون أن تظهر عليها أي بادرة ارتباك.

من حين لآخر يطغى صوت صراخ السيكادا القادم من شجرة العنقاء على "السيمفونية الخيالية" لبِرليوز. تذوّقتْ چين الدجاج بالنبيذ غير المألوف إليها بترويةٍ وحذر، فعلا وجه ڤيكتور طيف ابتسامة وهو يمسح العرق عن جبهته. كان يفكر في لحظة وصول چين لأرض المفوّضية؛ كيف نسي أنها كورية وعانقها. عاد الإحساس الجميل لتلك اللحظة إليه فجأة بينما يجلسون حول الطاولة. تذكر أيضًا عيني المرأة التي حدّقت نحوه وهو يعتذر عن تحيتها بالطريقة الفرنسية.

"دار الأيتام الكورية التي أسسها الأسقف بلانك في جونداجول أيضًا".

ماذا قالت؟ هكذا فكر غيران الذي كان يعيد ملء كؤوس الشامبانيا، وبول شوي الذي كان يمسح ردائه بمنديل بعد أن أسقط بالخطأ بعضًا من الثوم المشوي بداخل كمه الطويل، قبل أن يلتفتا الى ڤيكتور.

"السبب الذي دعاني لأن أطلب منك زيارة جونداجول هو رغبتي في رؤية دار الأيتام".

"حقًا؟ نفكر نفس التفكير إذًا".

ابتسم ڤيكتور الى چين مرة أخرى فهربت چين بعينيها الى اللوحتين المُعلّقتين على جدار قاعة الطعام. لاحظ ڤيكتور اهتمامها بهما.

"هذه اللوحة هي "محطة سان لازار" لمونيه. وتلك اللوحة هناك هي لوحة "على جزيرة جات بعد ظهر يوم أحد" لسورا.[٤٥] لوحة مونيه هي صورة التقطتُها بنفسي للوحة الأصلية، أما لوحة سورا فهي نسخة مقلدة".

تأملت چين اللوحتين بدقة كما لو كانت تطابقهما بكلمات ڤيكتور. لوحات من بلد هذا الدبلوماسي دمث الخلق واللطيف. بلد عاصمتها باريس. كيف تبدو باريس هذه، المدينة التي نُشِرت فيها الكتب في المكتبة، وحيث أُبدِعت تلك الموسيقى التي تسحر الآذان، وحيث رُسِمت تلك

---

٤٥ جورج سورا(١٨٥٩ـ١٨٩١): رسام ومصور فرنسي شهير. من مؤسسي الحركة الانطباعية الجديدة في أواخر القرن التاسع عشر.

اللوحات التي تأسر الأبصار؟ لأول مرة، تملك چين فضولٌ شديدٌ لمعرفة كيف تبدو باريس.

إحدى متع الحياة أن تتشارك أحد أطباقك المفضلة مع شخص تكنُّ له مشاعرَ عميقة. شعر ڤيكتور بالسرور لأن چين قد أكلت الدجاج المطبوخ على الطريقة الفرنسية من دون نفور أو تمنُّع. كم مضى عليه منذ آخر مرة شاهد بسعادة امرأة تشاركه الطعام؟

اقترح غيران أن يحتسُوا القهوة تحت المظلة أمام المبنى الملحق بالمفوَّضية. نهض أربعتهم للانتقال إلى هناك. قبل أن تدفع چين مقعدها لتنهض، كان ڤيكتور يقف ورائها كي يسحب المقعد بنفسه. تفقدت چين الصور المُعلَّقة على الجدار ريثما يحضر ڤيكتور معطفها من الحجرة الأخرى. تساءلت هل هؤلاء هم عائلة الموفَد؟ ابتسمت إليها وجوه رجال ونساء ملامحهم غربية من خلف الأطُر. كان ثمة رجل أبيض الشعر وسيدة ترتدي عقدًا من اللؤلؤ. صورة أخرى لڤيكتور بزيه الدبلوماسي. جذبها صبي في الخامسة أو السادسة من عمره في إحدى الصور القديمة. مهما كان ما يدور في ذهنه لحظة التقاط الصورة، كان فم الفتى مغلقًا بإحكام. كان عابسًا كما لو كان قد أُمِر بأن ينظر أمامه دون أن يتحرك أثناء التقاط الصورة.

"هذا أنا حين كنت صبيًا".

اقترب ڤيكتور منها وألقى نظرة على الصورة التي تتأملها چين.

"هي أقدم صورة التُقِطتْ لي".

أومأت چين بينما تتناول معطفها الطويل من ڤيكتور وتحمله على ذراعها.

"أتساءل كيف كنت تبدين عندما كنت صغيرة؟!"

عندما كنت صغيرة.. أثارت الكلمات ذكريات بانشون والمرأة سوه، ويون الذي كان يكتب على أي سطح، والمحظية الأرملة الحزينة التي رافقتها في طفولتها. يون! يون الذي لم يكن يتكلم لكن كان يعزف على نايه. أين يمكنها أن ترى مثل تلك الصورة الآن؟! يون الذي صار عازفًا في معهد "جانجاكوون"[٤٦] الآن. تذكرت كيف غادرت المأدبة تلك الليلة من دون أن تنظر إلى وجهه نظرة جيدة. هل ستسنح لها الفرصة لرؤيته في جوندانجول؟

"الناس في بلادي هنا لا يحبون أن تُلتقَط لهم الصور".

"أدرك ذلك".

"يظنون أن أرواحهم ستُسرق منهم إذا التُقِطت لهم صورة".

"هل هذا ما تظنيه أنتِ أيضًا؟"

"لا أعرف، فلم تُلتقَط لي صورة من قبل".

"حسنًا إذًا هل يمكنني التقاط صورة لك؟"

سارع ڤيكتور إلى حجرته كما لو أن أمرًا قد خطر بباله فجأة وعاد حاملاً بين يديه صورة الملك. أمعنت چين النظر في الصورة. يقف الملك أمام قاعة الحكم الرشيد.

"لقد التقطت تلك الصورة للملك. التقطتها منذ شهرين. لا يزال الملك كما هو دائمًا، أليس كذلك؟" قال ڤيكتور مازحًا.

---

٤٦ معهد لتعليم الفنون الكورية التقليدية من موسيقى ورقص في عهد مملكة جوسون.

ناولها صورة أخرى. تفحّصتها چين في يديها. استغرق الأمر منها لحظات كي تدرك أن امرأة البلاط في الصورة هي چين نفسها. لم تتخيّل أبدًا أنها قد صُورِت في تلك اللحظة.

نظرت إليه بدهشة.

"إنها أنتِ".

لم تخف چين تعبير الحيرة الذي علا وجهها وهي تنظر إلى ڤيكتور مباشرة.

"قابلتكِ على جسر في زيارتي الأولى للقصر".

تعرف چين ذلك. لم تنس ذلك الأجنبي الذي قال لها "بون چور" بينما تجتاز جسر جدول الحرير مع ليدي سوه. عرفت أن هذا الأجنبي كان موفَد فرنسا في المأدبة. عاتبتها ليدي سوه بشدة ذلك اليوم، لأنها ردت على ڤيكتور التحية بالفرنسية. وبختها ليدي سوه التي تتمتع بطبع هادئ معظم الوقت.

"كيف تجرؤ امرأة بلاط أن تلقي التحية على أجنبي؟ هل عليَّ تعليمك قواعد القصر من الصفر؟" كان توبيخ ليدي سوه لها هو السبب الذي جعل چين لا تنسى تلك الحادثة.

لكن متى التقط لها الموفَد تلك الصورة؟

قرَّبت چين الصورة من عينيها وقد أصابها الذهول. يبتلع الزمن كل شيء في طريقه، ثم يمضي من دون عودة. كانت هنالك صورتان التقطهما لها على الجسر. لاحظت وجود ليدي سوه في الصورة. لكن بينما كانت چين واضحة، كانت صورة ليدي سوه مهزوزة. ربما بسبب مشي ليدي سوه النشيط. تفاجأت چين كيف بالإمكان حفظ لحظات من الماضي بتلك

الدقة. لحظة ردها التحية إليه بتلقائيةٍ والتفاتها لتلحق بليدي سوه التي كانت تمشي أمامها، واللحظة التي التفتت برأسها كي تلقي نظرة ثانية على الموفَد ـ تلك اللحظات من الماضي لم تختفِ، بل استمرت في الحياة داخل هذه الصور.

"هل يمكنني الاحتفاظ بتلك الصور؟"
"إذا سمحت لي بتصويرك اليوم".

تبادل الاثنان الابتسام لأول مرة. خرجت چين إلى فناء المفوَّضية ريثما ينتهي ڤيكتور من التجهيزات لالتقاط الصورة. اخترقت صيحات السيكادا أذنيها ولفحت وجهها حرارة منتصف النهار. كان بول شوي وحيدًا في الفناء، مستغرقًا في أفكاره، ينتظر قدوم الحلوى تحت مظلة المبنى الملحق. بينما تقترب چين من المكان، ابتسم بول شوي وقال:

"لم أر الموفَد هكذا من قبل. هو إنسان مجد ونشيط في مهام عمله لكن كنت أراه باردًا قليلاً ومُنعزلاً خارج نطاق العمل. لكن اليوم يبدو مختلفًا جدًا".

"يبدو اليوم لطيفًا وودودًا، أليس كذلك؟"
"لست متأكدة أنني أفهم مقصدك".

برز غيران من مبنى المفوَّضية الرئيسي بعد أن أنهى بعض الأعمال. حجب عينيه بيده ليحميها من ضوء الشمس الساطع. ضيَّق إحدى عينيه وهو يهز كتفيه. بدا غير معتاد على مِثل هذا الحر. رؤية غيران جعلت بول شوي الذي كان على وشك قول شيء ما، يلوذ بالصمت من جديد.

أحضرت الطباخة فناجين القهوة وقطع الكعك إلى الطاولة البيضاء أسفل المظلة.

انضم إليهم ڤيكتور قادمًا من المبنى الداخلي للمفوّضية حاملاً حقيبة جلدية كبيرة، وتتبعه الطبّاخة حاملةً حزمة ملفوفة في حرير. بينما تضعها على كرسيٍ خالٍ أسفل المظلة، اختلستْ نظرة أخرى الى چين.

"هلا أخذنا صورة تذكارية؟"

فتح ڤيكتور حقيبته الجلدية وأخرج كاميرا من داخل صندوق خشبي وثبتها على الدعامة ثلاثية القوائم. لم تكن هذه هي الكاميرا الصغيرة التي كان يخبئها في جيب ردائه ليلتقط الصور خلسة أثناء لقائه الأول بالملك.

انزلق ڤيكتور برأسه تحت قطعه القماش السوداء خلف الكاميرا.

"لينظر الجميع في هذا الاتجاه رجاءً!"

نظر بول شوي وغيران باتجاه الكاميرا، بينما شعرت چين بمزيج من الارتباك والخجل، فقررت النظر نحو شجرة العنقاء على الجانب الآخر من الفناء بدلاً من الكاميرا. لمحت كلب جندو يرقد أسفل الشجرة، وقد أنهكه الحر. سمعت چين تكة صادرة عن الكاميرا.

برز رأس ڤيكتور من خلف قطعة القماش السوداء وخاطب چين:

"رجاءً، تقدمي للأمام قليلاً".

عندما سارت چين الى الشجرة التي حددها ڤيكتور ووقفت هناك، اختفى ڤيكتور أسفل قطعة القماش مرة أخرى. "ألا يشعر بتلك الحرارة الشديدة؟" تساءل بول شوي.

ضغط ڤيكتور على مصراع الكاميرا مرات لا تحصى. التقط صورة لچين وهي تحتسي القهوة وصورة لها وهي تسند رأسها على ذراعها، وصورًا لها وهي تبتسم لدعابات غيران.

في النهاية التفتت چين إلى ڤيكتور بينما يلتقط الصور على مبعدة.

"ألم تقل إنك تريد اسمًا كوريًا؟"

قالت چين هذا بينما أتى ڤيكتور لينضم إليهم أسفل المظلة. أشرق وجهه لقولها.

"ماذا عن غيلين؟ غيل أي اليُمن وحُسن الطالع ولين تعني الصفاء. يبدو الاسم قريبًا من كولين أيضًا".

كتبت چين حروف الاسم على الطاولة بإصبعها. "غيلين".

بينما يجرب ڤيكتور نطق الاسم الكوري الذي منحته إياه چين، داعبت نسمة هواء حبيبات العرق المتكونة على جبهته.

(٤)
عِشْ هنا معنا

"صاحب السعادة،

منذ التوقيع على المعاهدة بيننا وبين الكوريين في عام ١٨٨٦، سعى الأسقف بلانك دون كلل أو ملل لشراء الأراضي من أجل إسكان القساوسة وبناء الكنائس والمدارس، واشترى أيضًا آلة طابعة. كما بنى دار أيتام من أجل الأطفال الـمُشرَّدين. حصلنا على موافقة من الـمُلَّاك جميعًا ودفعنا لهم لإيجاد مساكن أخرى، واستلمنا منهم عقود الملكية. هدمنا أكواخهم المسقوفة عديمة الفائدة، وبدأنا بوضع الأساسات التي نحتاجها لكن بدأت كوريا مؤخرًا بالادعاء أن التل الذي يرغب الأسقف في البناء فوقه ملك للحكومة الكورية. استمعوا لحجة الأسقف بلانك لكن لم يقبلوا بها في النهاية. هنالك أيضًا مشكلة المزار الموجود قرب التل. لقد استقرت البعثات التبشيرية الأمريكية في هذه الأرض بالفعل لكن موقفنا نحن لا يزال غير مؤكد. شرحت لمندوب البلاط تشوي بيونجسيك البند الرابع من المعاهدة الذي ينص على "*ولهم الحق في ممارسة دينهم*" وأن بناء مكان للصلاة فيه في المدن والمرافئ المفتوحة يعد جزءًا من هذا الاتفاق. لكنه أصرَّ أن ذلك لا يَسري على حصن العاصمة. يجب

أن نواصل حوارنا بهذا الشأن. يتمنى الأسقف بلانك أن يبدأ البناء بحلول الربيع القادم لكن سيتطلب ذلك صبرًا عظيمًا في التفاوض.

الخامس من أغسطس ١٨٨٨
ڤيكتور كولين دي بلانس".

حاشية الرسالة: "تمكنتُ من رسم خريطة مختصرة لسول. أرسل لفخامتكم النسخة الأولى منها. يمكنك أن ترى فيها موقع الأرض التي اشترتها البعثة التبشيرية وموقع المزار. يفصل بين الموقعين قرابة مائة متر".

هل كانت أشعة شمس الصباح؟ غمر ضوء ساطع الحجرة. خارج النافذة، في البستان على الجانب الآخر من الماء، تميل أشجار الكمثرى تحت ثقل ثمارها الصفراء. على الرغم من محصول الكمثرى المتدلي من الأشجار، كانت هناك بتلات من الأزهار تحلق في ضوء الشمس مثل الثلج.

أين هي؟
"هل مذاقها حلو؟"
أومأت الطفلة، وهي تأكل ملعقة أخرى من لُب الكمثرى الأبيض.

نظرت المرأة ذات التوهُّج الداخلي إلى الطفلة بحزن. كانت الملكة. قطعت الملكة الثمرة كاشفةً عن لُب الكمثرى الأبيض الرطب. كانت الملكة تجلس أمامها، لكن ليس في جناحها في القصر بل في بيت المرأة سوه في "بانشون". كانتا في الحجرة التي تعلَّمتْ فيها الفرنسية على يد بلانك،

بينما يجلس بجوارها يون عازف ناي الدايغوم. لاحظت الأقمشة التي تستخدمها المرأة سوه في الحياكة مُرتَبة بعناية في زاوية الحجرة. لم تكن الملكة ترتدي ردائها الملكي الأخضر، بل ثياب المرأة سوه. مرَّرتْ الملكة الملعقة داخل الثمرة مجددًا. ملأتها قبل أن تُدني الملعقة من فم الطفلة. كانت عينا الطفلة مُغلقتين في سلام، بينما تستمر في فتح فمها لتناول لُب الكمثرى الأبيض الذي تقدمه لها الملكة. دامتْ الحلاوة التي انتشرت في فمها للحظة.

"هنا أعيش! هنا أقف، حية!"

لم يكن شعر الملكة مُزيَّنًا كما هي العادة. مجرد مشبك شعر فضي يثبت كعكة شعرها في مكانها. كانت تبدو ربَّة بيت عادية. جمَّدت الكلمات التي صاحت بها دماء چين. انفطر قلب چين لرؤية الملكة ترتدي تنورة ومعطف بسيطين، وقد عقصت شعرها للوراء على هيئة كعكة. عينا الملكة اللتين كانتا يومًا مضيئتين للغاية لدرجة أن الآخرين كانوا يتراجعون خطوة للوراء عند رؤيتهما، صارتا محتقنتان بالدماء. تخطى وجهها حد الشحوب فبدا الآن أبيض كملاءة الفراش.

"أن يصل الأمر إلى درجة إقامة جنازة من أجلي وأنا لا أزال حية.. كيف يحدث هذا بينما أقف هنا حية؟!"

صباح الملكة، ببشرتها الشاحبة شحوب الموتى، أيقظ چين من نومها فزعة. بدا المشهد حقيقيًا جدًا كي يكون حلمًا. حاولت چين أن تُبقِ عينيها مفتوحتان لكنها عجزت عن ذلك. رفعت يدها ووضعتها على جبهتها. لمست عرقها البارد. كانت يداها مبللتان بالعرق أيضًا.

في عام الحصان الأسود، هربت الملكة من القصر. تخلّت عن أي علامة تكشف عن طبيعتها الملكية وتنكرت في هيئة ربة بيت. حلمت چين للتو بالملكة وقد عادت لتلك الفترة حين تسلقت طريق الجبال حيث لا يمكن للمحفّة أن تحملها. لم يمض وقت طويل جدًا على اضطرار الملكة العيش مختبئة من دون أي اتصال بالملك. في أحد الأيام في مخبأها سمعت الملكة خبرا عن أن والد الملك، وصي العرش، قد أمر باعتبارها ميتة وإقامة جنازة لها فثار جنون الملكة.

حاولت چين أن تفتح عينيها من جديد. من خلال مجال رؤيتها الضيق، تمكنت أن ترى يون ببنطاله ومعطفه الكتاني. رغم حيرتها، ارتجفت عيناها سعادةً لرؤيته. جلست المرأة سوه على مسافة أبعد وإلى جوارها جلس ڤيكتور.

"آه"، قالت چين حين نجحت أخيرًا في فتح عينيها وتحريك جفناها المتورمين لأعلى.

"هل يمكنكِ سماعي؟"

"هل أنت بخير؟"[٤٧]

تحدثت المرأة سوه وڤيكتور في اللحظة نفسها. غمر الأسى وجه يون الجالس قربها. وضعت المرأة سوه يدها على جبين چين ونظرت إليها بعيون مليئة بالقلق. أمسك يون بيد چين من دون أن يعي ذلك قبل أن يريحها على الفراش بحرص ويتركها. حين حاولت چين الجلوس شعرت بألم في ثديها الأيسر.

---

٤٧ بالفرنسية في الأصل.

"ابقِ ساكنة. سيسوء الجرح إذا تحركت".

اعتلى الألم وجه يون وهو يشاهد چين مجبرة على الاستلقاء مرة أخرى. اتسعت عينا چين عندما رأت قطعة قماش ملفوفة حول كتف يون اليسرى وقد تلطخت بالدم.

"ماذا حدث؟"

في اللحظة التي سألت فيها ذلك السؤال، تجلى مشهد في ذهنها، فلاذت بالصمت.

أحيانًا يمكن لحادثة غير متوقعة لم تدم سوى لحظة واحدة من عمر الإنسان أن تجرَّ معها تاريخ حياته بأكملها عند تذكرها.

كان الوقت بعد الظهر عندما غادرت چين وڤيكتور المفوَّضية. اقترح ڤيكتور استئجار محفَّة لكن چين أصرت على المشي. أرادت أن تمشي. منذ أن صارت بعيدة عن الملكة، باتت چين تستيقظ عند الفجر كل يوم -بحذر شديد كي لا توقظ سُوا- ثم تسير إلى جناح الملكة وتعود ثانية. عندما تعود، تجد قطرات الندى المتلألئة قد تناثرت على حاشية تنورتها. هدأت هذه التمشية الصباحية التي لم تَبُح بسرها إلى أي أحد، قلبها المثقل بالهموم قليلاً.

في طريقها من القصر إلى المفوَّضية، ألقت چين نظرة من المحفَّة على الشوارع التي عصفت بها الرياح الموسمية والأمطار خلال الأيام السابقة، فاجتاحتها رغبة عارمة للمشي في تلك الشوارع المُوحِلة. كم مضى منذ آخر مرة وطأت بقدمها خارج حدود القصر؟ أرادت أن تفرد كتفيها وتسير بخطى سريعة وهو شيء لم يكن مسموحًا لها أن تفعله داخل جدران القصر.

خلع ڤيكتور معطف سترته وشمر أكمامه استعدادًا للمشي إلى جوندانجول. كان يحمل تحت إحدى ذراعيه البيضاء في ضوء الشمس القوي، حزمة ملفوفة بالحرير بداخلها الكتب الفرنسية التي انتقاها لچين.

سرعان ما ندمت چين على اختيارها المشي بدلاً من ركوب المحفَّة، فقد لاحقتهما تحديقات الناس المستغربة من مرافقة أجنبي لامرأة من البلاط الملكي. ناهيك عن ردائها الملكي الفاخر الذي جذب الأنظار إليه. أثار المشهد غير المألوف لهذين الشخصين معًا القيل والقال في عصر هذا اليوم الصيفي المُضجِر. حدَّق موظف بردائه الأحمر وشاب من طبقة النبلاء يرتدي قبعة من القش نحوهما بينما يجتازانهما. تكرر ذلك مع تاجر وبائع صنادل من القش. تتكدس السلع فوق الألواح التي يحملانها بتوازن، كما لو كانا يمارسان حيلة في سيرك. و مع المرأة الواقفة أمام محلج القطن بينما يبرز وجهها من خلال المعطف الطويل الذي يغطي رأسها، وحتى مع الأطفال الصغار اللذين يلعبون في الشوارع وقد تجرَّدوا من قمصانهم. لاحظ ڤيكتور أن ملامح الوجه القوية للرجال الكوريون وجبهاتهم العريضة وعظام وجنتهم العالية، تشبه الرجال الذين يعيشون في منطقة "بريتاني" شمال غرب فرنسا. هذا كل ما فكر فيه ڤيكتور. أما چين فقد نكست رأسها، واحمر وجهها ليس بسبب الحرارة، بل لشعورها بالخجل.

كان من السهل العثور على دار الأيتام التي بناها بلانك. بدأت الدار كبيت واحد له سقف من القرميد ومصمم على الطراز الكوري لكن مع مرور الوقت اشترت الكنيسة بيتين آخرين مجاورين لها لتستوعب الدار عددًا أكبر من الأطفال. أدركا أن البيوت الثلاثة المتجاورة ذات الأسقف القرميدية هي وجهتهما بمجرد أن وصلا للحي. سارعت چين الخطى بمجرد أن صارت دار الأيتام في مرمى البصر. في تلك اللحظة خرج

رجلان من زقاق في الجهة المقابلة لدار الأيتام. كان وجهاهما متوردين كما لو كانا قد قضيا النهار بطوله يشربان. كان أحدهما يحمل لوحا خشبيا فارغًا على ظهره. ألقيا نظرة على چين وكانا على وشك المضي في طريقهما عندما وقعت عيونهما على ڤيكتور. اكفهر وجهاهما وشرعا في الصياح:

"ابن عاهرة أبيض! إنه هنا ليخطف الأطفال!"

شعرت چين بالامتنان لجهل ڤيكتور بالكورية وكانت على وشك الالتفات بعيدًا عن الرجلين عندما بدأ الرجل الذي يحمل اللوح، بالتلويح بعصا نحو ڤيكتور.

حدث كل شيء في لمح البصر. هل كان مِعولاً أم سكينا؟ لمع شيء ما في يد الرجل الآخر. آخر شيء تتذكره چين قبل فقدانها للوعي هو انفتاح باب الدار واندفاع يون خارجًا منه بينما يهم الرجل الذي يحمل السلاح بمهاجمتها.

عاد الطبيب الذي كان قد غادر الحجرة بعد أن أجرى لچين الإسعافات اللازمة، بعد استعادتها لوعيها. يزور الطبيب دار الأيتام من وقت لآخر ليعالج الأطفال.

"جروحك أعمق مما تبدو عليه، سيدتي".

قست تقاسيم وجه المرأة سوه بينما اعتصر الألم وجه يون عند سماع كلمات الطبيب. التقت عينا ڤيكتور، الذي لا يفهم الكورية، بعيني چين.

"قال إنني سأكون بخير"، قالت له.

أمعن ڤيكتور النظر في وجهي المرأة سوه ويون القلقين، فأدرك أن چين لم تخبره بالحقيقة. كانت عينا چين تؤلمها، لذا استخدمت چين كل قوتها لتبقيها مفتوحة لأطول وقت ممكن. أخذت بقعة الدم على ضماد الكتان الملفوف حول ذراع يون تتسع شيئًا فشيئًا. رفعت چين يدها ولامستها.

"هل تؤلمك كثيرًا؟"

"كل ما أفعله هو جرحَك". اتسعت عينا چين حزنًا بينما تحدِّق في ذراعه المصابة.

هز يون رأسه أن لا.

بدا ڤيكتور، الذي لا يعلم بحقيقة أن يون أخرس، محتارًا لماذا يجيب يون على أسئلة چين بعينيه وليس بالكلمات. هز ڤيكتور رأسه مُفكرًا أن عيني يون السوداوان تحت حاجبيه الكثيفين تشبهان عيني چين لحد ما. لم يعلم ڤيكتور أيضًا أن يون قد تعرَّف عليه، أو أن يون يحاول أن يبتعد عنه وأن يتجنَّب التقاء نظراتهما. يتذكر يون جيدًا أن ڤيكتور كان الرجل الوحيد الذي لم يصفق على رقصة "أورويل الربيع" التي أدتها چين في مأدبة سرادق الاحتفالات مما عرضها لإهانة الملكة. لم يفاجأ يون لرؤية چين مع فيكتور. لم ينس كيف أوقفت الملكة چين أثناء مغادرتها المسرح، وقالت لها بقسوة: "ربما لم يعجب موفَد فرنسا برقصك. ماذا ستفعلين بخصوص ذلك؟ " حتى لو كان ڤيكتور قد رأى يون في تلك الليلة ضمن الموسيقيين يعزف على الناي، فإنه لم يتعرف على وجهه الآن. يختلف يون الذي كان يرتدي رداء معهد "جانجاكوون" تمامًا عن يون الآن، بثيابه العادية وشعره المصفف في ضفيرة منسدلة على ظهره.

"لماذا بادرت بالهجوم بينما كان بإمكانك تجنُّب ذلك؟"

فحصت المرأة سوه ذراع يون بقلقٍ، بعد أن أخبرت چين بما قاله الطبيب بأن العلاج الذي منحه ليون سيوقف النزيف قريبًا. صُدمت المرأة سوه من الجرح الغائر في صدر چين، فلم تتمكن من الاعتناء بيون بعد. الآن وقد أصيبت ذراعه، لن يكون يون قادرًا على العزف على الناي في الوقت الراهن. لم تُبعِد چين عينيها عن ذراع يون المصابة. تتذكر چين كيف أصيب يون من أجلها في عام "الحصان الأسود" وعام "الحصان الأزرق". كم مرة أصيب يون بسببها؟!

"ماء.."

كان فمها جافًا فخرج صوتها متحشرجًا. قبل أن تعتدل چين في جلستها، كان يون قد هرول لإحضار بعض الماء لها. برز الأسقف بلانك من خلال الباب المفتوح. ابتسمت چين لرؤيته. أتى بلانك مسرعًا حين بلغه خبر إصابة چين، لكنه توقف عندما رأى ڤيكتور.

"فخامتك!"

تحوَّل تعبير وجه بلانك من الحيرة إلى الفزع بسرعة. تذكر قول ڤيكتور أنه يعشق امرأة من بلاط القصر، وطلبه منه أن يعلمه الكورية كي يتمكن من تحيتها بلغتها عندما يتقابلا. هل كانت چين امرأة البلاط التي وقع الموفَد في حبها؟ أظلم وجه بلانك. عاد يون إلى الحجرة حاملاً جرة سيلادون بيضاء ممتلئة بالماء. لاحظ ڤيكتور أنه لم يحيي بلانك بالكلمات أيضًا، واكتفى بمجرد نظرة من عينيه السوداوين. تمكنت چين من شرب جرعات قليلة من الماء بمساعدة من سوه. راقب بلانك چين بعيون قلقةٍ، بينما تعاود الاستلقاء من جديد.

"كيف حدث ذلك؟"

"أعتقد أن شائعات اختطاف الأجانب للأطفال الكوريين لا تزال رائجة..".

كانت المرأة سوه على وشك أن تضيف أن ظهور چين بصحبة رجل أجنبي قد أثار حفيظة السكارى بلا شك، لكنها ابتلعت كلماتها. لم تستوعب بعد غرابة ظهور چين؛ امرأة بلاط يفترض تواجدها في القصر في جوندانجول ومع موفَد فرنسا بالتحديد.

"قلبي لا يزال ينبض بقوة!"

تمكنت المرأة سوه من الحفاظ على رباطة جأشها حتى تلك اللحظة، لكن عينيها امتلأت بالدموع فجأة. مدت چين يدها وأحاطت يد المرأة سوه. غزا الشيب شعر المرأة سوه أكثر، وزادت تجاعيد وجهها عن آخر مرة رأتها فيها چين. حاولت چين أن تبتسم، لكن ألم صدرها أعاقها عن الابتسام.

هل الشهوة طائشة مثل ذلك الشعور الذي يجتاحه الآن؟ قاوم فيكتور رغبة ملحة لتقبيل شفتي هذه المرأة المصابة. أحس بتلك الرغبة تسري في دمه، حين رأى يون يلتقط يد چين ببديهية وعندما أبصرت عيناه چين تلمس ذراع يون المصابة والأسى يعلو قسمات وجهها. تذكر شذا جسدها كلما دنا منها أثناء سيرهما من المفوّضية إلى جوندانجول. طفت لحظات الإثارة تلك على السطح فتحولت غيرته من يون إلى نداء داخلي لا يقاوم يدعوه لتقبيلها.

"ماذا حدث للمعتدين؟"

"أخِذوا إلى الشرطة".

وقف ڤيكتور في مكانه يراقب أربعتهم يتناقشون فيما بينهم كما لو كانوا أفراد أسرة واحدة.

"علينا أن نرسل رسالة إلى القصر. لا يمكنك العودة في هذه الحالة".
"لكن يجب عليّ العودة".
"ليس هكذا!"

فكرت چين في الملكة التي تنتظر تقريرًا مفصلاً عن زيارتها للمفوَّضية الفرنسية.

"لن نرسل أحد. سأذهب بنفسي".

كانت المرأة سوه تعني أنها ستذهب إلى القصر وتتحدث مع أختها ليدي سوه وتلتمس منها أن يُسمح لچين بالبقاء خارج القصر حتى تلتئم جروحها.

"لكن عليّ العودة".

أجبر عناد چين المرأة سوه على الالتفات إلى بلانك الذي التفت بدوره إلى ڤيكتور. قال ڤيكتور أنه سيستدعي محفَّة لتنقل چين الى المفوَّضية الفرنسية. فكر أن القصر يعتقد أن چين في المفوَّضية، ومن الأفضل لها أن تكون هناك حين يُعلِموا القصر. حاولت چين التي تصر على العودة إلى البلاط أن تُبقي عينيها مفتوحتين. عندما أخبر بلانك المرأة سوه باقتراح ڤيكتور، أبدت قلقها من أن الاهتزاز المتكرر للمحفَّة قد يُفاقِم من جراح چين. كرر ڤيكتور طلبه بضرورة نقل چين للمفوَّضية قبل أن تصل رياح

ما حدث للموظفين الدبلوماسيين في القصر. أضاف أن للمفوَّضية طبيبًا خاصًا يمكنه أن يساعد في سرعة شفاء چين.

بدأ يون في الكتابة على الأرضية أمام سوه:
"أخبري ليدي سوه بما حدث. ستخبركِ هي بما يجب فعله".
"أجل، سأفعل".

شاهد ڤيكتور يون يرسم الحروف على الأرضية. لم يفهم ما كتبه بالكورية لكنه فهم أخيرًا أن يون أخرسٌ. لم يخطر هذا الاحتمال في رأسه من قبل.

"إذًا فلتذهبي الآن من فضلك!"

وقفت سوه استجابةً لطلب بلانك. فتحت الخزانة، وأخرجت الثياب التي ترتديها في زياراتها النادرة إلى القصر كي ترى ليدي سوه، ثم غادرت الحجرة لتُبدِّل ملابسها.

أخيرًا خارت قدرة چين على التحمُّل، فتركت عينيها المرتعشتين من التعب تنزلق منغلقة. تحدث الطبيب:

"علينا أن نتركها وحدها كي تستريح".

وقف بلانك وڤيكتور لكن لم يستطع يون النهوض. ظل يحدق في عيني چين المغلقتين.

"هما مثل أخ وأخت...".

تمتم بلانك ففكر ڤيكتور: *إذًا هما ليسا أخًا وأختًا.* ظن ڤيكتور في البداية أنهما قد يكونا شقيقين، عندما رأى الألفة في التعامل بينهما، وكيف يشبهان بعضهما البعض إلى حدٍ ما.

عندما غادرا الحجرة، كان قد تجمع خارجها عددٌ من الأطفال، يتساءلون عما يدور في الداخل ويحدقون جميعًا نحو بلانك طلبًا للأجوبة. أتى أيضًا طفلٌ، كان يقرأ كتابًا في ظل شجرة، راكضًا والكتاب في يده. دنا بلانك من الأطفال وربت على رأس كل منهم.

"كانت هنالك مشكلة لكنها قد حُلَّت الآن. لا تقلقوا".

اندفع بعض الأطفال نحو يون عندما برز خارجًا من الحجرة. لم يستطع بلانك إلا أن يبتسم لرؤية يون محاطًا بالأطفال. كان مولعًا بمقولة إن البشر الذين لا يمتلكون قلوبًا مُحِبةً للأطفال، لن يدخلوا الجنة أبدًا. تزاحم بقية الأطفال حول بلانك. صاح أحد الأطفال عندما لاحظ الضمادة المُلطَّخة بالدم على ذراع يون. تحدث الأطفال في الوقت نفسه تقريبًا. لا يمكن حتى لصيحات السيكادا القوية أن تغطي على ضجيج الأطفال.

"هل يمكنه فهم كلامهم؟"
سأل ڤيكتور بلانك، وهو يحدِّق نحو يون المحاط بالأطفال.
"نعم".
أجاب بلانك باقتضاب وهو يمسح العرق عن جبهته.
"من هو؟"
"موسيقيٌّ في معهد "جانجاكوون"".
"أي أنه يعزف موسيقى البلاط؟!"

"ناي الدايغوم. حسب علمي، هو يعزف كل الآلات الموسيقية الكورية وليس فقط الدايغوم. هو ممتاز في العزف على قانون الآجاينج أيضًا".

"إذًا فهو قادرٌ على السمع؟!"

"أجل".

"كيف لرجل أخرس أن يكون موسيقيًا في البلاط الملكي؟"

رمق بلانك ڤيكتور بنظرة جانبية مُستغربة. وجد اهتمام ڤيكتور بيون عجيبًا نوعًا ما. كان ڤيكتور الذي يعرفه بلانك دبلوماسيًا مُحنّكًا ومسؤولاً في تصرفاته، ولا يُظهِر أبدًا ما يفكر فيه حقًا. يمتلك القدرة على إنجاز المهام التي تُوكل إليه، ويعرف كيف يلوذ بالصمت عندما يُسأل عن رأيه، مُجبرًا الشخص الآخر على الإفصاح عما بداخله أولاً. كان ڤيكتور رجلاً حصيفًا وهادئ الطباع. لم يكن إظهار اهتمامه بموسيقيٍ كوري أخرس متماشيًا مع شخصيته.

عاش بلانك في كوريا لسنوات طويلة ويشعر أنه ينتمي إلى كوريا عمليًا، لذا لم تعجبه طريقة تفكير ڤيكتور في كوريا والكوريين. كان بلانك ممتنًا لمساعدة ڤيكتور له في مواجهة الشائعات المُغرِضة عن تأسيسه دار الأيتام لسرقة دماء الأطفال الكوريين، لكنه يعلم أن ڤيكتور كان العقل المُدبِر للخطة التي استدعت القوات الفرنسية لحماية بيوت الفرنسيين داخل نطاق العاصمة في فترة الشغب والفوضى. من المتوقع أن يسعى الدبلوماسي لتحقيق مصالح بلده مستخدمًا أي وسيلة متاحة أمامه، لكن كان بلانك يُمنّي نفسه بأن يفهم ڤيكتور، باعتباره أول دبلوماسي فرنسي يُعيَّن في كوريا بشكل رسمي، الشعب الكوري فهمًا أفضلَ من ذلك. كان بلانك مُحبَطًا بالفعل من اهتمام ڤيكتور بالسيلادون والكتب الكورية أكثر

من الشعب الكوري. كان ذلك يتماشى مع سمعة فيكتور كجامع للتحف والكتب. علم بلانك أن المبنى الملحق بالمفوّضية يعج باللوحات والكتب الكورية وتحف السيلادون والستائر الخشبية المطرزة.

"تعامُل كوريا مع المعاقين لا يختلف كثيرًا عن فرنسا. لا يضطهدونهم أو ينبذونهم بشكل خاص. حتى لو كانوا موسيقيين في البلاط الملكي".

نظر فيكتور إلى بلانك متعجبًا؛ كيف يمكن أن يكون بلانك عنيدًا هكذا في دفاعه عن الكوريين بعد كل تلك الشائعات المزيفة التي لا يمكن تصديقها والتي اكتوى بنارها الأجانب وأولهم بلانك نفسه، شائعات انتشرت وصدقها الكوريون من دون دليل لدرجة أنها قادت إلى اعتداء ضده؟ أدرك فيكتور في تلك اللحظة أن بلانك "رجلُ دين" أكثر من كونه "رجل فرنسا".

"ينتابني الفضول للاستماع إلى عزف رجل أخرس!"

"لقد استمعتَ إلى عزفه بالفعل"

"أنا؟!"

"كان هناك في ليلة المأدبة التي أُقِيمتْ على شرفك".

"كان هناك؟!"

في تلك الأثناء، كانت الملكة تناقش زوجة طبيب القصر دكتور "هوريس أندروود" بخصوص مستشفى "جوانجهيون" الجديدة المُشيَّدة على الطراز الغربي، حين لاحظت تعبير الصدمة الذي كسا وجه ليدي سوه أثناء قراءتها لرسالة ناولتها لها خادمة شابة. تحركت ليدي سوه للوراء كي تغادر عندما أوقفتها الملكة: "هل يوجد شخص ما هنا؟"

ترددت ليدي سوه.

"ما سبب تعبير الصدمة على وجهك؟"

"اعذريني جلالتكِ!"

"هل الرسالة قادمة من قصر أونهيونجيونج؟"

متى علا تعبير الصدمة هذا وجه ليدي سوه، كان ذلك يعني عادةً أن ثمة أخبار قادمة من وصي العرش في قصر أونهيونجيونج.

تأسست مستشفى "جوانجهيون" في حي "جايدونج" بناءً على توصية من دكتور "ألين"، الذي عالج مِن "يونج إيك" أحد أقارب الملكة عندما أصيب بطعنة سيف. تعالج المستشفى الجديدة من سبعين لثمانين مريضًا يوميًا ويجري دكتور هوريس من أربع إلى خمس عمليات جراحية كل يوم. تطوع دكتور هوريس طبيب الملك الخاص الذي درس الطب في أمريكا قبل أن يأتي إلى كوريا، للمساعدة في جوانجهيون، وتعليم الطلبة الكوريين الفيزياء والكيمياء.

بينما تنصت الملكة لحديث مسز أندروود، سرح بالها في ابنها الأول الذي مات بعد خمسة أيام فقط من ولادته. أصيب الوليد بالإمساك فأعطوه عشبة "الجنكة"[٤٨] التي أُرسِلتْ من قصر أونهيونجونج. مات بعد يومين من ذلك بسبب حمى شديدة. لو كانت مستشفى جوانجهيون موجودة آنذاك، فربما ما كانوا ليُقدِمون على فعل غبي مثل إطعام طفل رضيع عشبة

---

٤٨ الجنكة أو الجنكو: نبات صيني معمر و تعتبر شجرة الجنكو الملقبة بشجرة المعبد وشجرة الحياة إحدى أقدم الأشجار على وجه الأرض. و تعتبر عشبة الجنكة ذات فوائد علاجية كثيرة.

الجنكة. ربما ما كانت لتخسر ابنها الأمير بلا معنى. انغرست تلك الفكرة في رأسها بعمق مثل "درنات الأروروت".[٤٩]

"لا، جلالتكِ. الخادمة سوه، لقد ذهبت إلى المفوّضية و..."

"ماذا حدث لها؟"

"..."

"ماذا حدث للخادمة سوه؟!"

"لقد جُرِحت".

"جُرِحت؟!"

"نعم".

ارتجفت حدقتا الملكة. استأذنت من مسز أندروود من خلال المترجم، ثم التفتت إلى ليدي سوه من جديد.

"كيف حدث ذلك؟"

"هُوجِمت".

"هُوجِمت؟! لماذا؟"

"سوء تفاهم على الأغلب، عندما شُوهِدت تسير بصحبة موفَد فرنسا. اعتقدوا أنها جاسوسة".

شدَّت الملكة على يدها، مُشكِلةً قبضة محكمة فوق الطاولة الأرضية.

---

٤٩ الأروروت أو نبات الطاعة: نبات معمر ينمو في الغابات المطيرة. له فوائد طبية كثيرة. يعتبر أصل الجذر (الدرنة) الجزء الأهم في النبات.

كانت السياسة الدبلوماسية لكوريا تقتضي الحفاظ على توازن القوى بين اليابان والصين، لكن بعد انقلاب جابسين، زاد النفوذ الصيني داخل كوريا. أرسلت الصين "يوان شي كاي" مع تعليمات واضحة بمعاملة كوريا كولاية تابعة. يكاد نفوذ يوان يضاهي نفوذ الملك نفسه. صحيح أن الملك قد عاد للسلطة بمساعدة الصينين بعد محاولة الانقلاب الفاشلة، لكن الملكة وجدت نفسها في خلافاتٍ متكررة مع الإجراءات التي يفرضها يوان. فكرت أن الصين واليابان لم تعودا كافيتين لتحقيق التوازن الذي يحافظ على أمن المملكة. تحتاج كوريا الآن إلى قوة روسيا وأمريكا وبريطانيا وفرنسا.

"الرسالة تقول إنها لن تستطيع العودة إلى القصر اليوم. يلتمسون منحها عدة أيام للعلاج قبل أن تعود للقصر".

"مَن حمل الرسالة إلى هنا؟"

سألت الملكة هذا السؤال لتعرف ما إذا كان حامل الرسالة هو الموسيقي يون كانغ، الذي ساعدها في عام "الحصان الأسود" وعام "الحصان الأزرق".

"المرأة سوه المدبرة المنزلية في دار الأيتام في جوندانجول، جلالتكِ!"
أحنت الليدي سوه رأسها إلى أسفل.
"أين جُرِحت؟ وكيف؟"
"لقد طُعِنتْ بسكينٍ في كتفها اليسرى".
ارتعشت حواجب الملكة. أغمضت عينيها.

من طباع البشر ان يصِرُّوا على طلب المستحيل رغم يقينهم من استحالة تحققه.

نظرت مسز أندروود إلى الملكة بعين القلق وفكرت: "مسكينة هذه الملكة!"

فتحت الملكة عينيها قليلاً، قبل أن تقول لليدي سوه بصوت هادئ وخالٍ من أي عاطفة:

"أخبري الخادمة سوه أن تبقى في مبنى المفوَّضية حتى تتعافى".

تسمرت ليدي سوه في مكانها بلا حراك، وقد ظنت أنها أخطأت السمع.

" *لماذا أرسلتُ تلك الطفلة إلى خارج القصر؟*" لم تقوَ الملكة، التي أعطت أمرًا يناقض إرادتها، على فتح عينيها من جديد.

رغم دعاء ليدي سوه أن تسمح الملكة بذلك منذ لحظات قليلة، كانت تعرف أن طلب إحدى نساء البلاط المكوث خارج القصر أمرًا استثنائيًا وغير مسبوق. لم تستطع ليدي سوه أن تستوعب كيف أعطت الملكة موافقتها بتلك السهولة.

"أخبري الخادمة سوه أن تبقى في مبنى المفوَّضية الفرنسية". تغلغل الندم داخل قلب الملكة. كانت الملكة هي من أرسلت چين خارج القصر بسبب غِيرتها. تذكرت الملك وموفَد فرنسا في المأدبة التي أُقيمت في سرادق الاحتفالات. تذكرت كيف أسرت چين قلب الملك أثناء تأديتها رقصة "أورويل الربيع"، وكيف لم يُبعِد عينيه عنها ولو للحظة. تذكرت كيف

نسي موفَد فرنسا نفسه، كيف بدا كأنه لا يرى في تلك اللحظة وذلك المكان أحدًا سوى الراقصة.

"أخبريها أن تظل هناك حتى إشعارٍ آخر".

تجرأت ليدي سوه على رفع رأسها كي تختلس النظر إلى الملكة. هل تفكر في طرد چين من البلاط الملكي؟ سقط قلبها إلى الأرض. كان أمرًا جللاً أن تقضي امرأة بلاط ليلة واحدة خارج جدران القصر. الحصول على إذنٍ بليلةٍ واحدة أمر صعب المنال، لكن البقاء خارج القصر حتى إشعار آخر! وليس أي خادمة، بل چين التي كانت تستدعيها الملكة دائمًا إلى جناحها وتوليها رعاية خاصة؟ ترددت ليدي سوه، بينما يُفضي كل سؤال إلى سؤال آخر في رأسها، حتى أخرجها من تفكيرها صوت الملكة:

"هذا كل شيء. فلتغادري الآن!"

ها هو الصوت الصارم الذي تستخدمه الملكة حين يكون قرارها نهائيًا.

"أمر جلالتك!" سارعت ليدي سوه بالإجابة.

التفتت الملكة إلى مسز أندروود من جديد.

عندما خرجت ليدي سوه إلى فناء جناح الملكة، سارت المرأة سوه التي كانت تنتظر بنفاد صبر، نحو أختها لتقلص من المسافة بينهما.

"ماذا قالت، ليدي سوه؟"

رغم أن ليدي سوه هي الأخت الأصغر، إلا أن المرأة سوه لم تنس أبدًا مخاطبة أختها امرأة البلاط بلقبها الشرفي.

"تأمر الملكة الخادمة سوه بالبقاء في مبنى المفوّضية الفرنسية، حتى إشعارٍ آخر".

"كيف هذا؟"

"هذه هي تعليماتها ويجب أن نتبعها".

علا الإحباط وجه المرأة سوه. كانت تتمنى أن تبقى چين معها في دار الأيتام حتى تتعافى جراحها على الأقل. لم يُسمح لها بقضاء ليلة واحدة مع چين منذ أن التحقت بالقصر كامرأة بلاط. لم يكن بمقدورها رؤيتها متى أرادت. كان بإمكان المرأة سوه دخول القصر لرؤية چين بإذنٍ خاص فقط، ولم تكن مثل تلك اللقاءات النادرة كافية أبدًا. قادت ليدي سوه أختها إلى البوابة المزدوجة لجناح الملكة.

"هل حدث ذلك من قبل؟"

"أبدًا. ولم نضطر لتقديم تقرير عن أفعال خادمة شابة من قبل. أمرت الملكة بأن يتم إعلامها بكل شيء تفعله الخادمة سوه بالتفصيل المُمل".

"لكن لماذا؟"

"لا أعرف.. هل إصابتها بالغة؟"

"ستحتاج لبعض الوقت كي تتماثل للشفاء".

توقفت المرأة سوه فجأة، ثم التفتت إلى ليدي سوه.

"أفهم أن هذا هو أمر الملكة، لكني أرغب في أن تمكث چين الليلة معي. لا يمكن أن ترسل الملكة أي أمر آخر في منتصف الليل، أليس كذلك؟ يمكنني أن أصحبها بنفسي إلى المفوَّضية غدًا. هل يمكنني ذلك؟"

لا تقولي لا. كانت تلك هي الكلمات التي لم تنطقها المرأة سوه، لكن مع هذا كانت مسموعة عبر التصميم الكامن في نبرة صوتها.

يبوح الليل بكل شيءٍ، بما في ذلك وجع النهار.

فتحت چين عينيها أخيرًا. ثمة عرق بارد يتصبب على جبهتها. أمكنها رؤية يون جالسًا بجوارها، يمسحه عن جبهتها باستمرار. كان عاجزًا عن الكلام، لكن عينيه كانتا أبلغ من أي كلمات. كانت المرأة سوه نائمة على الأرض بجوارها. بدا أنها قد غفت بينما تسهر على راحتها مع يون.

"تأمرك الملكة بالبقاء في المفوَّضية حتى إشعار آخر". اعتصر الألم قلبَ چين، وهي تتذكر ما قالته لها المرأة سوه بعد عودتها من القصر. هل كان حلمًا؟ تتذكر كيف ابتسم ڤيكتور عند سماعه تلك الكلمات، بعد أن ترجمها له بلانك. تتذكر جلوس المرأة سوه بجوارها وقد نزل عليها الغم. أحست بقوتها تخور، قبل أن تغرق في النوم.

تلوَّن وجه يون بمزيجٍ من القلق والألم، بينما يمسح العرق المتصبب دون توقفٍ على جبين چين.

"كم الساعة؟" بالكاد خطر السؤال في رأس چين. مع ذلك، سارع يون لالتقاط قلم حبر ودفتر صغير، وكتب "ساعة بعد منتصف الليل"، قبل أن يُري چين ما كتب. لم ترَ چين أدوات الكتابة الخاصة بيون من قبل. لاحظ يون نظرتها المتسائلة فالتقط قلمه ودفتره وكتب أن القلم الحبر هدية من موفَد فرنسا، والمفكرة هدية من الأب بلانك.

"موفَد فرنسا!"

أومأ يون. رأت چين أقلام ريشة على المكاتب في مبنى المفوَّضية لكنها لم ترَ قلم حبر من قبل. كان ثمة حصان بري مرسومًا على جسم القلم

الفضي. نظرت چين إلى القلم الذي يكتب بحبرٍ يندفع من سِنِّه، والمفكرة المصنُوعة أوراقه من ورق توت تتصل ببعضها بخيوط رفيعة من القطن.

تتبع يون نظراتها التي استقرَّتْ على القلم والدفتر. يتذكر يون كيف نهض ڤيكتور، الذي كان يجلس على حافة السرير بجوار چين النائمة، كأنه قد تذكر شيئًا ما. وقبل أن يغادر الحجرة، أخرج القلم الحبر من جيبه وأعطاه ليون. لم يفهم يون كلمات الموفَد الفرنسية. أخرج بلانك مِن جيبه دفترًا صغيرًا كان يحمله معه دائمًا. التقط القلم الحبر وأزال غطائه وكتب:

"يمكنك أن تقبل هديته. يقول إنه شيء تحتاجه بشدة".

شاهد يون الحبر يتدفق من القلم، بينما يواصل بلانك الكتابة:

"يقول أيضًا إنه يتمنى لك النجاح".

"لماذا يقدم إليّ مثل هذا الشيء؟" حدَّثه قلبه أن يرفض، لكن يون وجد القلم بين يديه بالفعل. كانت الحروف المرسومة بالحبر المتدفق من القلم، متى حرك به يده، أشبه بسربٍ من الفراشات المُحلِّقة.

"وأين الموفَد؟"

كتب يون أن ڤيكتور ذهب إلى المفوَّضية، وأنه قال إنه سيرجع في الصباح. بينما يكتب يون، أدرك لماذا حثَّه بلانك على قبول القلم. لم يعد في حاجة للكتابة على أكفِّ الناس أو على الأرضية بعد الآن. شعر يون بالحرج من قبول هدية من شخص قابله للتو، فقال له بلانك أن عليه أن يعزف الناي من أجل الموفَد، تعبيرًا عن امتنانه، بعد أن يلتئم جُرح ذراعه، فالموفَد يتطلع للاستماع لعزفه. منع يون چين من الجلوس. يمكن لجراحها أن تتفاقم إذا ظلت تتحرك.

"أنا عطشى.. أشعر بالاختناق".

حين أدرك يون إصرارها، قرر أن يساعدها على الجلوس. أمكنها الجلوس لكن ليس بمفردها، فمالت بجسدها على يون. رفع يون جرَّة الماء وقربها من شفتيها. بعد أن شربت الماء، لاحظت وجود حزمة ملفوفة بالحرير بجوار وسادتها. حزمة حملها ڤيكتور معه من المفوَّضية ذلك اليوم. حوت الحزمة كتبًا فرنسية. حدقت نحوها. لو لم يحدث أي من هذا، لكانت في القصر الآن تقرأ هذه الكتب لسُوا. ماذا يمكن أن تكون ردة فعل سُوا عندما تسمع كلمات فرنسية لأول مرة؟ غالبًا كانت لتنام في الحال. ثم ربما بعد نوم سُوا، كانت چين ستقضى الليل تترجم الكلمات الفرنسية إلى الكورية لتقرأ الكتاب للملكة.

الملكة! عندما يتلاشى النور من قلب المرء، تبدو أكثر الحجرات إضاءة شديدة الظلمة.

"خذني إلى الخارج!"
عبس يون.
"أحتاج للهواء".

تطلع الاثنان إلى المرأة سوه النائمة في التوقيت نفسه. كانت تجلس وقد اتخذت من ذراعها وسادة. تغضنت جبهتها بالتجعيدات.

كان چين ويون متعبيْن جدًا كي يخرجا إلى الفناء، اكتفت چين بالجلوس على حافة الشرفة الطويلة التي تطل على الفناء، وفرد قدميها بمساعدة يون. بمجرد أن جلسا، اتكأت بجسدها على جسد يون من جديد. حدقت چين اتجاه الظلام حيث أشجار النخيل والبرسيمون المزروعة في فناء دار الأيتام.

"انظر إلى القمر!"

ارتفع القمر المكتمل في تلك الليلة الحالكة. نظرا لأعلى نحو القمر المحاط بعدد لا يحصى من النجوم.

"تشبه الليلة تلك الليلة في عام "الحصان الأسود"".

"..."

"لم أكن أعرف أنك تجيد استعمال السيف. متى تعلمت ذلك؟ "

"..."

ضحكت چين بخفة. كثيرًا ما تتناسى حقيقة أن يون أخرسٌ.

انفجر "تمرُّد إمو" بسبب التميز بين الجيش القديم والجيش الحديث.[50] لم يُهمَش دور الجيش القديم فقط بل مضت عدة شهور من دون أن تُدفع رواتبهم. وعندما حصلوا على حصتهم، صُدموا لاكتشافهم أن الأرز نصفُ عفن وممزوجٌ بالرمل والتبن. هُوجمت مخازن الطعام وسُرقت الأسلحة. كان المتمرِّدون يتحينون الفرصة للهجوم. وبمجرد أن اشتعلت الشرارة الأولى، انفجر الموقف وخرج عن السيطرة. بدأ التمرُّد بجنود الجيش القديم لكن سرعان ما انضم إليهم المدنيون الفقراء، المستاؤون من قوى حركة التنوير التي لا تبالي بمعاناتهم. أُحرقت بيوت الموظفين الكبار واقتحم المتمرِّدون مفوَّضية اليابان. لم يمض وقت طويل قبل أن يوجه الجنود الغاضبون والفلاحون جام غضبهم شطر القصر. تدفقوا بأعداد غفيرة نحو البلاط الملكي.

---

٥٠ تمرُّد إمو أو حادثة إمو أو ثورة العسكر: تمرُّد عنيف انفجر في سول في الثالث والعشرين من يونيو عام ١٨٨٢ تسبب فيه قرار الملك غوجونغ بتزويد الجيش بأحدث الأسلحة وبالتالي تهميش دور الجيش القديم المعتمد على الأسلحة البسيطة كالرماح. بالإضافة إلى استعانة الملك بمستشارين عسكريين من الجيش الياباني ضمن خطته للإصلاح والانفتاح على العالم. تدخلت الصين لينتهي التمرُّد بتوقيع معاهدة مجحفة بين البلدين جعلت كوريا تابعة للصين في الكثير من القرارات.

تنهدت چين بعمق ومالت أكثر على يون.

كانت الجماهير الغاضبة تستهدف الملكة. اعتبروها السبب في إفقارهم، لأنها دعمت الإصلاح عن طريق خلق جيش حديث منفصل عن الجيش القديم ، وفتحت أبواب كوريا على مصراعيها أمام التجارة الخارجية، وسمحت للأجانب أن يبسطوا نفوذهم على البلاد. استدعى الملك والده، وصي العرش إلى القصر، ظنًا منه أنه الوحيد القادر على تهدئة الجموع الغاضبة، مما دفع الملكة إلى الفرار. تمكنت الملكة من الهرب بمساعدة حارس البلاط "هونج جيهون". رافقتها في هروبها الخادمة الشابة چين. أثناء هروبهما، تعرفت مجموعة من الجنود الثائرين على چين، كواحدة من حاشية الملكة، فطاردوهما. تفتق ذهن چين عن خطة: اختبأت الملكة وسط العشب الطويل قرب الطريق، وركبت چين المحفّة بدلاً منها. أسر الجنود القافلة. سرعان ما أدركوا أن مَن بداخل المحفّة هي چين وليست الملكة، فوجهوا سيوفهم إليها في غضب. في تلك اللحظة التي كانت فيها چين على شفا الموت، سمعت أحدهم يناديها:

"جرس الفضة!"

برز رجلٌ مُتَشحٌ بالأسود، ويضع وشاحًا أسود على وجهه، بين الجنود وچين. كان يمسك سيفًا في يده. كان حمالو المحفّة قد لاذوا بالفرار من اللحظة الأولى. كانت چين قد بدأت في العَدو، لكنها توقفت فجأة إثر الفوضى التي أحدثها ظهور الرجل الغامض.

جرس الفضة! هل كان يون؟!

لم تر يون أبدًا يمسك السيف بدلاً من "ناي الدايغوم" أو "قانون الآجاينج". حدقت في الظلام بينما يقاتل الرجل المتشح بالسُواد الجنود.

كان يجيد المبارزة ببراعة لدرجة لا يمكن أن يكون يون حقًا، هكذا فكرت. زأر الجنود فقط بينما ظل الرجل المتشح بالسُواد صامتًا. تمكن الرجل من صد هجوم الجنود حتى وصل هونج جيهون. استسلم جندي أصيب في ذراعه وبدأ الجنود الآخرون في التقهقر. اختفى الرجل المتشح بالسواد في قلب الظلام. بدا أنه قد أصيب بإصابة خطيرة في ذراعه هو الآخر.

واصلت الملكة رحلة هروبها بعد أن لحقت بها چين. كانت تختبئ وحُراسها أثناء النهار وتسافر فقط مستترة بظلام الليل مبتعدة بأكبر قدر ممكن عن العاصمة. كانت چين تشعر بوجود شخص ما يتبعهم طوال الطريق. عندما نفذ زادهم، وجدوا لفافة تحوي كرات الأرز على قارعة الطريق، وعندما كانوا يحتاجون للتنكر، كانت الثياب تظهر فجأة.

في إحدى الليالي، عندما كان القمر يتوسط السماء، في منحدر جبلي مكشوف حيث لا مكان للاختباء، قابلت چين يون وجهًا لوجه. كانت الملكة المنهكة القوى قد عجزت عن مواصلة التقدم فتركتها چين لتبحث عن الماء بمفردها. جعلت چين يون يفرد ذراعه المصابة على حِجرها بينما جلسا يتأملان القمر المرتفع فوق الوادي.

البيت هو المكان الذي يشعرون فيه بألمك. البيت هو المكان الذي يرثون فيه رحيلك.

"أتمنى لو كان بإمكاننا العودة بالزمن إلى الوقت الذي كنا نحيا فيه في بيت بانشون".

همست چين بتلك الكلمات كما لو كانت تخاطب نفسها بينما تستند على كتف يون.

أين كان ذلك المنحدر الجبلي، حيث تبعها يون كظلها رغم ذراعه المصابة؟ لا يمكنها التذكر.

"أريد أن أعيش في مكانٍ بعيدٍ عن هنا".

التفت يون إلى چين التي عارضت نفسها بعد أن قالت إنها تريد العودة إلى "بانشون". تذكّره چين دائمًا ببيت المرأة سوه القديم في "بانشون". لا يزال يسمع صوت چين الطفلة وهي تقول له: "عِشْ هنا معنا" حين حاول أن يتبع بلانك بعد رحيله. تذكر أيام تشرُّده عندما كان يتنقل من بيت لآخر، يأكل وينام حيث يحمله القدر قبل أن يلتقي بلانك. كانت المرأة سوه وچين الشخصين الوحيدين اللذين طلبا منه أن يعيش معهما.

ماذا تعني بـ"مكان بعيد عن هنا"؟ تساءل يون بينما يتأمل القمر. لو لم تصبح امرأة بلاط، كيف كانت ستبدو حياة چين الآن؟ كثيرًا ما كان يفكر يون في ذلك السؤال عندما يختلي بنفسه.

"قل شيئًا!"

لم تقل له چين ذلك منذ مدة طويلة.

"يمكنكَ الكلام. لقد هتفت "جرس الفضة" اليوم". سمعته چين يهتف باسمها، قبل أن تفقد الوعي أمام دار الأيتام ذلك الصباح.

لم يهتف باسمها اليوم فقط. فجر اليوم الذي تلا اندلاع النيران في جناح الملكة عندما خرجت چين وحدها من بوابة القصر، ناداها يون "جرس الفضة" وهو يهرول اتجاهها. وعندما أحاط الجنود المتمرّدون بچين، وهي ترافق الملكة إلى بر الأمان أثناء عام الحصان الأسود سمعته ينادي بوضوح: "جرس الفضة!"

انفتح باب أحد المباني، وخرج طفل وهو يدعك عينيه بينما يسير نحو المرحاض الخارجي.

"تعرف كيف تتكلم". لم يأخذ يون كلماتها بمحمل الجد عندما قالتها أول مرة لكن في لحظة ما وجد نفسه يتساءل إذا كانت على حق. فتح فمه وحاول أن يقول شيئًا لكن لم يسمع الصوت الذي قالت چين أنها قد سمعته.

لو أمكنه الحديث، فماذا سيقول لهذه المرأة؟ متى خطر هذا السؤال باله، عزف على ناي الدايغوم أو قانون الآجاينج. كان يستخدم الآلات الموسيقية بديلاً عن صوته المفقود. أحيانًا يقضي النهار بطوله أو الليل كله، يعزف الموسيقى ويتخيل چين ترقص أمامه كفراشة تحلق في وسط الرياح أو طائر كركي.

بينما يجلسان على حافة الشرفة وينظران إلى القمر، استيقظت المرأة سوه. صُدِمت عندما لم تر چين في سريرها فاعتدلت في جلستها بسرعة. كانت على وشك الوقوف عندما رأت ظل الاثنين المستندين على باب الشرفة فجلست من جديد.

"أرغب في الرقص"، قالت چين.
شعرت المرأة سوه بقلبها يتحطم.
" تحت ضوء القمر. على أنغام عزفك للناي"، أضافت.

خفض يون كتفه، كي تتمكن چين من الاستناد عليه بشكل أفضل. شعر بانتشاءٍ في قلبه. بالكاد كان يمكنه التنفس. كان يعتقد أنه لن تتاح له الفرصة أبدًا كي يعزف الناي من أجل چين في مكان لا يتواجد فيه

سُواها، وليس في مأدبة في البلاط الملكي. لولا جراحها، لودَّ أن يراها وهي ترقص، كمياه متدفقة أسفل نور القمر.

"لا أحد يعزف الناي ببراعة مثلك".

أراد يون أن يقول لها الشيء نفسه: أنه لا توجد امرأة في العالم كله يمكنها أن ترقص بجمال مثلها. عندما ترقص چين، تبدو كأنها ليست من هذا العالم. تكون خفيفة كنسمة هواء، مرنة كالحرير، ومنتعشة كعشب نبتَ حديثًا.

ارتجف ظل الاثنين في الحجرة. حدقت المرأة سوه في ظل چين وهو يميل على كتف ظل يون.

لم تكن هذه أول مرة تندم فيها من كل قلبها أنها سمحت لتلك الفتاة أن تدخل البلاط الملكي.

(٥)

اعتراف

"صاحب السعادة،

قبل قدومي إلى كوريا، كنتم قد قررتم ميزانية المفوَّضية، ووعدتم بزيادة راتبي، والذي لا يزال حتى الآن مؤقتًا.

لهذا أتقدم لوزير الخارجية بالميزانية المتفق عليها من أجل هذه المفوَّضية. أخذًا بالاعتبار حقيقة أن الدبلوماسيين الأجانب الآخرين يتلقون ضعف رواتب ممثلي فرنسا، وأنني أتلقي راتبًا أقل بكثير من نظرائي في "تيانـجـين" و"جوانجدونج" و"يوكوهاما". أود أن أحيطكم علمًا أن النفقات هنا أكثر بكثير من أي مكان آخر. فالمسؤولون الكوريون لا يزورون الدبلوماسيين الأجانب بشكل متكرر فقط، بل تستمر زياراتهم لوقت أطول مقارنة بالمسؤولين في الدول الأخرى. من الضروري أن نقدم لهم الطعام والنبيذ. فكما تعلمون، نحتاج إلى دعوتهم على موائد العشاء في المناسبات الهامة، إذا كنا نتطلع لإقامة علاقات أقوى معهم. لا أخفي عليكم إن سبب نجاح المفوَّضية الأمريكية والروسية في الحصول على نفوذ أعظم، هو استضافتهم المستمرة

لمسؤولين كوريين رفيعي المستوى. وهو أمر يصعب علينا تنفيذه نظرًا لمحدودية تمويلنا.

رجاءً فلتأخذوا بالاعتبار أن معاهدتنا مع كوريا لا تضمن المعاملة الحسنة للمسيحيين، وثمة مناسبات كثيرة نكون فيها عاجزين عن مقابلة المسؤولين بخصوص النزاعات الدينية الكثيرة. أبذل قصارى جهدي كي أقابل مسؤولين رفيعي المستوى بالإضافة إلى محاولاتي الحثيثة للحفاظ على قنوات اتصال بيننا وبين المعارضين لفرنسا بسبب بعثاتها التبشيرية الكاثوليكية. هلا تكرمتم -يا صاحب السعادة- بالموافقة على هذه الإجراءات: ألتمس بكل الاحترام زيادة تمويل المفوَّضية من عشرين ألف فرانك إلى خمسة وعشرين ألف فرانك من أجل تحقيق تلك المساعي.

العاشر من أغسطس ١٨٨٨
ڤيكتور كولين دي بلانس".

نهض ڤيكتور من على مقعده في حجرة الانتظار من أجل لقاء الملك. كان توتره الشديد يمنعه عن الجلوس بارتياح. كان عقله مشغولاً أيضًا بالرسالة في جيبه، الرسالة التي أعطتها چين إليه قبل خروجه من المفوَّضية هذا الصباح كي يسلمها إلى الملكة. ماذا كتبت يا ترى؟ تضخم فضوله حتى تحول إلى عصبيةٍ واضحة.

اختفت أيام الصيف، واختفت معها صيحات السيكادا، والحرارة الشديدة التي بدت وكأنها تُوقِفُ الزمن نفسه عن الحركة مع هبوب نسمات الهواء الباردة الأولى إيذانًا ببدء الخريف. كان هذا هو أول خريف بالنسبة إلى ڤيكتور في كوريا.

كانت الثياب البيضاء التي يرتديها الكوريون متناغمة مع الزرقة العميقة للسماء. هبط الخريف على القصر فبدت الأشجار أكثر انتعاشًا من ذي قبل. بدت أشجار الصنوبر أكثر خضرة من أي وقت مضى، بعد أن تخلصت من ضوء الشمس الصيفي القوي. بدأت ألوان الأوراق في بعض الأشجار في التحوُّل بالفعل تمهيدًا لتساقطها وبدت العوارض الخشبية لأسطح الباغودا المطلية بألوان زاهية نابضة بالحياة بعد أن تجاوزت حرارة الصيف.

بدأ ڤيكتور في المشي داخل حجرة الانتظار.

أرسل الملك من دون استشارة الصين، وزير الداخلية الچنرال "شو شين هي" إلى روسيا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا كموفَد ملحق إلى تلك البلاد. كما أرسل "باك جونجيانغ" إلى واشنطن موفَدًا لكوريا في الولايات المتحدة. وفقًا لمعاهدة وقعتها كوريا مع الصين يجب أن تطلب كوريا الإذن من الصين قبل أن ترسل ممثلين كوريين إلى البلدان الغربية.

يعني اتباع تلك المعاهدة أن الملك يحتاج لموافقة الصين قبل إرسال أي موفَد خارج البلاد، شرط محدد بإجراءات تنفيذية دقيقة. على ممثلي كوريا أن يصطحبوا معهم ممثلي الصين، أثناء زياراتهم لوزارات خارجية البلاد المرسلين إليها. يحق لممثلي الصين التحدّث بلسان كوريا في اللقاءات الرسمية. بمعنى آخر، الشيء الوحيد المسموح لبعثات كوريا الخارجية أن تفعله هو الوقوف في صمت خلف ممثلي الصين، بينما يتحدث الصينيون في المسائل المتعلقة بكوريا.

"ثمة مادة في المعاهدة تنص على أن بنود الاتفاقية قابلة للتغيير مع الزمن".

شرحت چين لڤيكتور. لكن في الأغلب أضيفت تلك المادة الخاصة بتغيير البنود كأداة لتمكين الصين من الضغط على كوريا في الوقت الذي تراه مناسبًا وليس للسماح لكوريا بالاستقلال بقراراتها في النهاية.

"تقدم موفَد كوريا إلى اليابان بخطاب تعيينه إلى إمبراطور اليابان بالفعل من دون استشارة الصين".

نظر ڤيكتور إلى چين فبادلته النظرات. كانت نظرتها تصرح بوضوح أن بإمكان موفَد كوريا إلى فرنسا أن يفعل المثل.

بات من الواضح لڤيكتور أن چين ليست مجرد امرأة جميلة. تعمق حبه لها بمرور كل يوم فأصابه ذلك بالأرق. تفاجأ ڤيكتور من قدرة چين على إبداء رأيها بجرأة في الموقف الحرج لكوريا العالقة بين قوى العالم. يتذكر المرة التي اصطحب فيها "لوسيان ليوفيل"، المعلم في مدرسة اللاهوت التي بُنِيت في العاصمة، تلاميذه الكوريين في جولة بمحاذاة القصر فتجاوز بالخطأ حدود جدرانه. حتى عندما أخبر بلانك ڤيكتور بجسامة الخطأ والعقوبة المغلظة التي تنتظر لوسيان، ظن ڤيكتور أن الموقف يمكن حله بسهولة، حتى حذرته چين بكلمات هادئة وواضحة :

"تجاوُز حدود القصر حيث يقيم الملك دون إذن يعتبر جريمة فادحة عقوبتها قطع الرأس أو النفي خارج البلاد. عليك أن تقابل مسؤولاً وتتفاوض من أجل إطلاق سراح لوسيان قبل أن تُفرض عليه تلك العقوبة".

نصحته أيضًا بأن من الممكن حل المشكلة بطريقة ودية عن طريق لقاء الأمريكي "أو. أن. داني"، عضو المجلس الاستشاري الأجنبي للملك، والذي تربطه بڤيكتور علاقة جيدة. كانت چين محقة. تجاوز الجدران

الخارجية للقصر فقط جريمة جسيمة تستحق الإعدام أو النفي على أقل تقدير.

لا تزال چين تقيم في مبنى المفوَّضية الفرنسية منذ الصيف الماضي بناءً على أوامر الملكة. عالجها الطبيب الفرنسي الخاص بالمفوَّضية على الطريقة الغربية. تكاد جراحها تتماثل للشفاء. مع هذا دفنت نفسها في الصمت عندما اقترب الخريف من دون أن تصلها أي كلمة من الملكة واعتزلت بنفسها في مكتبة ڤيكتور.

في المقابل وجد ڤيكتور، الذي ينمو غرامه لچين مع كل يوم يمضي، نفسه يتساءل ما إذا كانت ثمة طريقة لمنع عودة چين إلى القصر. كان ڤيكتور مستغرقًا في أفكاره، عندما وصله خادم من القصر ليعلمه أن الملك في انتظاره.

كان الملك يجلس بجوار الملكة عندما دخل ڤيكتور إلى قاعة الحكم الرشيد. وقف ڤيكتور على الحصيرة المطرزة بالزهور أمام الملك يفصل بينهما مترجم البلاط قبل أن ينحني بشدة تحية للملك.

"استدعيناكَ هنا طلبًا للمساعدة. كما تعلم فإن وزير الداخلية الجنرال "شو شين هي" قد غادر كوريا كموفَد ملحق إلى أوروبا. ولّيناه منصب موفَد كوريا، ليس فقط في روسيا بل أيضًا في بريطانيا وفرنسا وألمانيا. رغبةً من بلادنا في التواصل أكثر مع الغرب. لذا أتمنى أن تساعدوا "شوي شين هي" على أداء عمله كمبعوث لنا عندما يصل إلى فرنسا".

حدقت الملكة نحو ڤيكتور.

لقد قوضت الصين سلطة الملك منذ التمرُّد العسكري. في عام الحصان الأسود، كانت الملكة من أقنعت الملك باستدعاء الجيش الصيني لينفي وصي العرش الذي لم يكن مدركًا لاختباء الملكة في "جانجهوون". تمكنت الملكة من العودة إلى القصر بمساعدة الصينيين وأُخِذ وصي العهد ضد إرادته إلى الصين. في عام القرد الأزرق، اضطرت الملكة لاستدعاء الصينيين من جديد تحت تهديد الصعود السريع لإصلاحي حزب التنوير: "بارك يونغ" هو "وهونغ يونجسيك". أرغم الصينيون القوات اليابانية التي تدعم الإصلاحيين على مغادرة كوريا وهكذا انتهى انقلاب جابسين في ثلاثة أيام فقط لكن نتيجة لذلك باتت الصين تحشر أنفها في كل مسألة تخص سياسات كوريا الداخلية.

"كوريا ليست ولاية تابعة للصين".

بدا أن الملك يفكر في أن ڤيكتور قد يكون له كلمة في معاملة فرنسا كوريا كولاية تابعة للصين أم بلد مستقل بذاته.

بدأت الملكة التي كانت تجلس حتى هذه اللحظة صامتة يشغلها شعورُ الذنب الذي يأكل قلبها، بالحديث:

"هل يرى موفَد فرنسا أن من اللائق أن يصطحب موفَد الصين موفَد كوريا في زيارته لوزارة الخارجية الفرنسية، وأن يقف ممثلونا وراءه طوال الوقت؟ "

أجاب ڤيكتور على سؤالها بشكل غير مباشر، متخذًا أمريكا مثالاً:

"وصل لمسامعي أن موفَد الصين حاول أن يرافق البعثات الكورية في أمريكا لكن باءت مساعيه بالفشل وعقد اللقاء الرسمي مع رئيس أمريكا من دون وجود الصينيين".

لانت النظرة الصارمة في عين الملكة. تمكن الملك أيضًا من رسم ابتسامة طفيفة على وجهه.

"نتمنى أن تعامل فرنسا أيضًا موفدنا إليها باعتباره ممثلا لأمة مستقلة".

لن يكون هذا سهلاً. فلكي تنفذ فرنسا طلب ملك كوريا عليها أن تتجاهل رغبة الصين. دخلت فرنسا في صراع مباشر مع الصين من قبل لبسط نفوذها على فيتنام. لم تعتقد فرنسا أن مصالحها تكمن في يد الكوريين لهذا تأخروا في إرسال مبعوث لها إلى كوريا والانخراط في السياسات الكورية مقارنة بأمريكا أو بريطانيا أو ألمانيا. كانت المهمة الرئيسية التي أُرسِل من أجلها ڤيكتور من الصين إلى كوريا كموفَد فرنسا هي وضع حد لاضطهاد البعثات الكاثوليكية وليس السياسة. لم تكن فرنسا مستعدة لإثارة حفيظة الصين، خصوصًا وأنها قد انتصرت للتو في الحرب في "الهند الصينية"، [٥١] إذا لم يكن لفرنسا منفعة من وراء ذلك.

"فلتسمحوا لموفَد كوريا أن يقيم في عاصمة فرنسا كما تقيم أنت هنا في عاصمتنا!"

---

٥١ اسم يطلق على منطقة شرق الهند وجنوب الصين، وتشمل فيتنام وميانمار المتأثرة بالصين وكمبوديا ولاوس وتايلند المتأثرة بالهند. المصطلح فرنسي وأطلق على المستعمرات الفرنسية في ذلك الوقت: فيتنام ولاوس وكمبوديا.

في السياسة، لا بُد أن يكون وراء كل فعل ظاهر خمسة دوافع خفية على الأقل. رفض ڤيكتور أن يقول بصراحة إنه سيحاول تنفيذ طلب الملك واكتفى بأن أحنى رأسه بأدب.

"هنالك أيضًا أشياء كثيرة نحتاج لمناقشتها مع فرنسا".

"بالطبع، جلالتك!"

"هل لديكم أي طلبات؟"

انحنى ڤيكتور بأدب مجددًا، قبل أن يلتفت إلى الملكة بتعبيرات وجهها المبهمة، المختلفة عن الملك بسجيته البريئة الواضحة.

"لي طلب واحد، جلالتك!"

"ما هو؟"

"قبل أن أفصح عنه، أود أن أقدم لكم الصورة التي التقطها لكم. ولدي شيء أيضًا لجلالة الملكة".

أمعنت الملكة النظر في عينيّ ڤيكتور المتوترة.

"لديّ رسالة لجلالة الملكة من الخادمة سوه التي تقيم في مفوّضيتنا".

راقب ڤيكتور تعابير وجه الملكة، بينما يتقدم أحد رجال البلاط ليأخذ الصورة والرسالة منه. ظلت محافظة على هدوئها. توتر ڤيكتور لأنها لم تسأله سؤالاً واحدًا عن چين، رغم الفضول الذي لا بُد وأنه يتملكها بخصوصها. لم يستطع الملك أن يبعد عينيه عن الصورة. كان يبدو على الملك دائمًا الاهتمام بالثقافة والفن أكثر من السياسة.

"كيف ترين الصورة مقارنة بالصورة التي التقطها چي ويونغ؟"

ناول الملك الصورة للملكة. كان بال الملكة مشغولاً برسالة چين. مع ذلك فحصت الصورة عن كثب.

"تبدو الصورة مهتمة بالتفاصيل أكثر من أي لوحة".

"أنها رائعة!"

"هل تسمح الملكة لي بالتقاط صورة لها؟!"

اتخذت الملكة وضعية التصوير راسمة ابتسامة جادة على وجهها.

بعد أن التقط فيكتور الصورة، التفت إليه الملك.

"قلت أن لديكم طلبًا؟"

شجع فيكتور نفسه.

"ما هو؟" أضاف الملك.

"ألتمس منكم طلبًا مستحيلاً!"

نظر الملك والملكة إلى فيكتور باهتمام. كانت شفتا الملكة مطبقتين بإحكام.

"يتعلق الطلب ببقاء راقصة البلاط معنا في المفوّضية".

أخيرًا أظهرت الملكة التي بدت رابطة الجأش حتى تلك اللحظة رعشة طفيفة في عينيها. رمقها الملك بنظرة غاضبة كأنه يقول: راقصة في المفوّضية؟!

"الخادمة سوه، جلالتك!"

"الراقصة التي أدت رقصة "أورويل الربيع"". اعتدل الملك في جلسته.

لم يعرف الملك متى لفتت تلك الفتاة اهتمامه بالتحديد أثناء زياراته إلى جناح الملكة. كان وجهها يعكس جمالاً أخاذًا وذكاء متقدًا. لعينيها بريق

خاص ولبشرتها لون المشمش. جذبه إليها الحمرة الطبيعية لخديها وإشراقة وجهها النابضة بالحياة لشخص عاد لتوه من رحلة قصيرة. كانت الخادمة سوه من حملت إليه الأخبار في عام الحصان الأسود عن اختباء الملكة في قرية "جانجهوون" مع "يو تايجون". كانت هي أيضًا من رافقت الملكة كظلها عندما لاذت الملكة بالفرار إلى قصر "غيونجيونجيونغ". اعتمدت الملكة على چين أكثر من أي وقت مضى بعد أن حاولت خادمة كبيرة مُقرَّبة من الملكة، تدعى "كو دايسو"، بأمر من المتطرف التنويري "كيم أوكغيون" تنفيذ مخطط تفجيري داخل القصر. متى شعرت الملكة بعدم قدرتها على تذكر شيء بنفسها، كانت تلتفت إلى چين. كانت چين تنشط ذاكرة الملكة بخصوص الشؤون الداخلية للبلاد كما لو أن چين امتدادًا للملكة نفسها. لكن يومًا ما اختفت الفتاة ولم يجرؤ الملك على سؤال الملكة عنها، معتقدًا أن هذا سيكون غير لائق. تساءل ماذا جرى لها حتى وقعت عيناه عليها تلك الليلة تؤدي رقصة "أورويل الربيع"، في المأدبة المقامة على شرف موفَد فرنسا. كان جمالها يخطف الأنفاس.

عندما همَّ فيكتور بالكلام، بادرت الملكة قائلة:

"أخشى أنني أحتاج لبعض الهواء".

ارتباك الملكة جعله يتردد. نظر الملك إلى الملكة من جديد متسائلاً ماذا ألَمَّ بها. تحول وجهها للأبيض.

"لماذا وجهكِ شاحبٌ لهذه الدرجة؟"

"أحتاج للاختلاء بنفسي للحظة".

"هل تشعرين بالمرض؟ هل أستدعي الطبيب؟"

"لا، جلالتك. أحتاج فقط للحظة".

أفزع خروج الملكة المفاجئ ليدي سوه. كان أمرًا غير اعتيادي أن تغادر الملكة القاعة في منتصف المحادثة. عندما بدأت حاشية الخدم في السير وراء الملكة، أعطت أمرًا صارمًا ألا تتبعها أي خادمة سوى الليدي سوه.

فردت الملكة كتفيها وأخذت نفسًا عميقًا، متحررة من الجو الخانق داخل القاعة. رمقت مبنى القاعة بنظرة حادة.

"ليدي سوه!"

"جلالة الملكة!"

"ماذا تظنين سيكون طلب موفَد فرنسا؟"

"لا يمكنني توقع ذلك، جلالتك!"

عبست الملكة. ظل وجهها شاحبًا فوق الحرير الأخضر لردائها الملكي.

حتى لو كان هنالك جبلٌ قائمٌ خلف هذا الجبل، فثمة مخرج دائمًا. التفكير بتلك الطريقة هو الوسيلة الوحيدة للمضي إلى الأمام. على عكس ليدي سوه، كان بإمكان الملكة أن تُخمِّن الطلب الذي يوشك موفَد فرنسا على طلبه. لا تمتلك أي اتصال رسمي بالمفوَّضية الفرنسية، لكنها تتلقى تقارير دورية عما يجري هناك من خلال الطباخة التي تعمل في المفوَّضية. تعرف جيدًا الرعاية الخاصة التي يوليها ڤيكتور لـ چين وعلاجها من إصابتها. استشارت الملكة طبيب الملك وحصلت منه على الدواء المناسب لعلاج چين لكنها لم ترسله مباشرة إلى المفوَّضية وانتظرت. سرعان ما اعتبر ڤيكتور طبيب المفوَّضية غير مؤهل لعلاج چين، وطلب من دكتور ألين في مستشفى "جوانجهيون" إحضار أدوية جديدة ومتابعة حالة چين باستمرار. عندما علم ڤيكتور، خلال مناسبة في النادي الدبلوماسي في "جيونجدونج"،

أن الروسيين قد طوروا مرهمًا يمنع تشكُّل الندبات، ذهب بنفسه في اليوم التالي ليترجى موفَد روسيا أن يمنحه بعضًا منه.

عرفت الملكة أيضًا أن ڤيكتور يركض كل صباح مع كلب "جندو" قبل أن يجمع الزهور من فناء المفوَّضية ويضعها على الأرضية قرب رأس چين. أخبرتها الطباخة كيف أن الزهور قد ملأت إحدى زوايا الحجرة وتراكمت في طبقات عدة. يقوم ڤيكتور أيضًا بتسخين الحساء بنفسه وحمله إلى حجرة چين. يكاد يبعث الشفقة في القلب وقوفه أمام چين كل يوم آملاً أن يعجبها الحساء.

"ليدي سوه!"

"أمر جلالتك!"

"هل تذكرين عندما تاهت الخادمة سوه داخل القصر وكانت تبكي؟"

"تقصدين ذلك اليوم حين قشرت الكمثرى وأطعمتها بنفسك؟"

"نعم، كم كان عمرها في ذلك الوقت؟ "

"كانت في الخامسة، جلالتكِ!"

عادت الملكة بذاكرتها لذلك الوقت. لو لم تمت الأميرة بعد أيام قليلة من ولادتها بسبب مرض غامض، لكانت الآن في مثل سن تلك الفتاة الباكية الآن.

"خمسة... هذا يعني أن عمرها الآن؟"

"تسعة عشر".

تمتمت الملكة بشيء ما ثم اعتدلت في وقفتها.

"لقد اقترفت خطأً".

"جلالتكِ...!"

شعرت ليدي سوه بالتعاطف مع الملكة رغم عجزها عن معرفة ما يدور بالتحديد في رأسها. ما الشيء الذي يثير اضطرابها؟ رفعت الملكة رأسها فجأة ومشت بتخبطٍ جهة الحدائق قبل أن تتوقف.

"جلالتكِ!" نادت ليدي سوه.

كانت عينا الملكة ممتلئين بالدموع. قالت الملكة بصوتٍ خافت، لليدي سوه التي تفاجأت من رؤية الملكة تبكي لدرجة أنها نست أن تقف وظهرها محني، أن عليهما العودة إلى الداخل. رأت ليدي سوه الملكة تعتصر أصابعها بشدة حتى كادت تتحطم من قبل. رأتها غاضبة جدًا لدرجة تكون معها الأوردة الدقيقة في عينيها مرئية لكنها لم ترَ الملكة تبكي أبدًا. تكره الملكة أن تظهر أي علامة على الضعف. سارت الملكة بهدوء متناسية وجود ليدي سوه كأنها تحاول أن تتخذ قرارًا في رأسها، بينما تتجه عائدة إلى قاعة الحكم الرشيد.

عندما احتلت مكانها بجوار الملك من جديد، رمقها الملك بنظرة قلقة.

"هل تشعرين بتحسن؟"

"رجاء سامحني إذا كنت أقلقتك!"

"دعكِ من هذا. لا تنس أن تعتني بنفسكِ".

أطالت الملكة النظر في وجه الملك الحنون قبل أن تلتفت إلى ڤيكتور.

عاود التوتر ڤيكتور مرة أخرى عندما التقت عيناه بعين الملكة. سارع للانحناء ببطء كي يخفي عصبيته، لكنه شعر ببرودةٍ تتسلل إليه كأنه دخل

إلى كهف. بدت الملكة وكأنها قد قرأت أفكاره فأبعدت عينها عنه وتحدثت إلى الملك بأدبٍ جم.

"هل تذكر المأدبة الأخيرة في سرادق الاحتفالات؟"

سعل الملك لا إراديًا، متهربًا من الإجابة.

من المستحيل سبر أغوار قلب إنسان عاشق تمامًا. يخفي الحب دافعًا آخر دائمًا.

"هل تذكر أن الخادمة سوه قد وعدت بزيارة المفوَّضية الفرنسية؟"

بالتأكيد يتذكر تلك الليلة، الليلة التي رأى فيها الراقصة كامرأة جميلة ومثيرة للمرة الأولى لكنه مال برأسه وكأنه يحاول التذكر. ظهرت ابتسامة غريبة على محيا الملكة. رغم أن الملكة قد حيرت الجميع في تلك المأدبة بمعاملتها الغليظة لجين، كان الملك قادرًا على الإحساس بنيران الغيرة المتقدة في قلب الملكة. رغم صرامتها وجرأتها في التعامل مع الحقائق السياسية المتغيرة بسرعة، فإن الملكة أنثى أيضًا. ويترعج الملك من غضبها كلما شكت في نظراته نحو امرأة أخرى. كانت كفه مبللة بالعرق من التوتر الذي انتابه تلك الليلة، لكن الراقصة تمكنت بذكاءٍ من قلب الطاولة وامتصاص غضب الملكة، بموافقتها على تلبية أمنية يطلبها موفَد فرنسا.

"في اليوم الذي زارت فيه الخادمة سوه المفوَّضية تنفيذًا لوعدها، جُرِحت بطعنة سكين لوح به سكير".

"يا له من أمر فظيع!"

أخفى الملك صدمته تحت قناع من الهدوء وهو يومئ برأسه.

إذًا لهذا اختفت عن أنظاره. سعى الملك لرؤية ليدي سوه ليتقصى عن الراقصة في الأيام التي تلت المأدبة لكن باء مسعاه بالفشل. وفي النهاية كل أمر مباشر يصدره كان يصل إلى أذني الملكة لذا لم يكن أمامه سوى الاستسلام.

عندما أدركت الملكة أنها لن تتمكن من إبعاد الراقصة عن الملك لمدة أطول، أرسلتها إلى المفوَّضية. كانت خطة الملكة من البداية أن تمنع عودة چين إلى البلاط حتى لو لم تتعرض چين للاعتداء.

"لذا مكثت في المفوَّضية طوال هذه الفترة".

تحوَّل الملك ببصره إلى ڤيكتور.

"الآن فهمنا ما حدث. لكن ما هو طلبك؟"

انحنى ڤيكتور بوقار أكثر من أي مرة سابقة.

"أرجو أن تسمح للراقصة بالبقاء في المفوَّضية!"

"الراقصة؟!"

"نعم، جلالتك!"

"ما معنى هذا؟"

تشجع ڤيكتور مدركًا أنه إذا تردد الآن، فسيعجز عن البوح برغبته للأبد. ذلك الاعتراف. شعر كما لو أنه يقف أعزلاً في مواجهة أمواج عاتية.

"لقد وقعتُ في عشق الراقصة".

ذُهِل المترجم الذي كان ينقل كلمات ڤيكتور إلى الملك والملكة، فاتسعت عيناه وظن لوهلة أنه أخطأ السمع.

"ما الصادم إلى هذه الدرجة؟" استفسر الملك.

سأل المترجم ڤيكتور في فزع إذا كان ما قاله هو حقًا ما أراده أن يترجمه للملك.

"هو كذلك!"[٥٢]

انساب العرق بغزارة على وجه المترجم عند سماعه إجابة ڤيكتور.

"يقول إنه قد وقع في عشق الراقصة، جلالتك!"

ساد الصمت.

أغمضت الملكة عينيها. كانت قد توقعت هذا الطلب. أبلغتها الطباخة أن ڤيكتور يخرج إلى فناء المفوَّضية كل ليلة ويحدق في اتجاه حجرة چين، وأنه يمشي ذهابًا وإيابًا في الفناء، حتى تطفئ چين التي تقتل الساعات الطويلة بقراءة أكبر عدد ممكن من الكتب الفرنسية، نور حجرتها لتنام. عرفت الملكة أن هذا اليوم قادم لكنها لم تتوقع أن يأتي سريعًا هكذا. ظنت أنها ستنتظر انقضاء الخريف على الأقل فڤيكتور ليس رجلاً عاديًا في نظر الملك. كان دبلوماسيًا يمثل فرنسا. مثل هذه العلاقة الغرامية: دبلوماسي يغوي إحدى نساء الملك قد تتسبب في فضيحة بكل سهولة. مهما كان عمق حبه لها، الاعتراف بهذا أمام الملك لم يكن أمرًا هينًا. الأمر أشبه بإشعال كومة قش جافة مدفوعًا بحرارة الرغبة المتقدة بينما لا يزال خطر تبدل المشاعر وعدم اليقين من القدرة على السيطرة على الحريق الناتج قائمًا.

---

٥٢ بالفرنسية في الأصل.

كان الملك من كسر الصمت الرهيب المخيم.

"كيف حدث هذا؟"

شعر ڤيكتور أنه عريان كغصن مجرد من الأوراق.

"لأنها جميلة".

ضيَّقت الملكة عينيها. شعرت بغضبٍ غير مفهوم من ڤيكتور. عندما لا يملك المرء شيئًا جيدًا ليقوله، فمن الأفضل أن يلتزم الصمت. تمنت الملكة لو صمت ڤيكتور للحظة مندهشة من جرأته في الاعتراف بحبه.

أحست الملكة بمشاعر ڤيكتور اتجاه چين في المأدبة ورغم اعتيادها على مثل تلك الأمور، وجدت نفسها رافضة لذلك بشدة. ماذا لو كان هذا هو البلاط الصيني وليس الكوري؟ لم يكن ليجرؤ على أن يقول إنه واقع في حب إحدى نساء إمبراطور الصين بتلك السهولة. فكرت الملكة.

فردت الملكة ظهرها.

"راقصات البلاط لسن جرار سيلادون يمكنك اقتنائها".

كان صوت الملكة باردًا كالثلج.

"ولسن كُتُبًا أو ستائرًا خشبية مزخرفة".

تعرف الملكة بولع موفَد فرنسا بالسيلادون الكوري والكتب والستائر الخشبية المزخرفة وتعلم أنه يشتري منها كل ما يقع في متناول يده. سمعت أن المبنى الملحق بالمفوَّضية مكتظ بتلك الأشياء، بأعداد كبيرة من المستحيل حصرها.

انحنى ڤيكتور مرة أخرى وقال بنبرة راجية:

"لو أذنتَ لي جلالتك، فإني أود الزواج من الراقصة!"

فرض الصمت نفسه على القاعة من جديد أثر كلمات ڤيكتور. هل مشاعر الموفَد اتجاه الراقصة يشبه شعوره اتجاه خزف "السيلادون" أو الكتب؟ شكت الملكة في ذلك، وهي تضيق عينيها أكثر؛ مصدومة من جرأة اعترافاته التي تقترب من الوقاحة.

"حقًا؟"

بدا الملك مضطربًا بشدة.

"في القرية التي ولدت فيها، كانت تعيش فتاة تدعى "ماري". كانت عشقي الأول. لكن عارض والدي تلك العلاقة وحرَّم عليَّ رؤيتها مرة أخرى".

"ماري"! ابنه لورد بلانس، الفتاة الوحيدة في القرية ذات الشعر الأسود الفاحم والعيون الداكنة. كان ڤيكتور مجرد فتى وهي مجرد فتاة، لكن والده عارض ارتباطه بها. ربما كان هذا السبب في نمو حبه لها أكثر. في يوم ما، رآهما والده نائمين معًا وقد تشابك جسداهما العاريان كمعلقتين، فوق كومة من القش في حظيرة في الأطراف البعيدة من أرض لورد بلانس. بعدها لم ير ماري أبدًا. لم يعرف ڤيكتور ماذا قال والده لعائلة ماري بالتحديد. بحث عنها ليل نهار في ذلك الربيع. ثم في صيف ذلك العام وجدوا ماري منتحرة بجوار ضفة النهر الذي يجري عبر قرية بلانس. كان هذا قبل أن تغمر مياه المطر النهر وتُغرق القرية بالفيضان. لم يكتشفوا جثة ڤيكتور بجوار ماري (هكذا أراد هو من كل قلبه) بل أحد كلاب لورد بلانس.

بذل ڤيكتور قصارى جهده ليحكي قصة ماري للملك والملكة. قضى الليل بأكمله يفكر كيف سيعترف بحبه لراقصة البلاط لكنه لم يتوقع التحدث عن ماري أمامهما.

بادر الملك بسؤاله:

"الخادمة سوه تشبه ماري؟"

"نعم، جلالتك!"

سارعت الملكة بالسؤال:

"ولو لم تكن تشبهها؟"

"الخادمة سوه جميلة مثل كوريا نفسها. لو لم تكن تشبه ماري، لكنت وقعت في حبها أيضًا".

كان الدور على الملكة لتصاب بالذهول. لم يكن بإمكانها هي حتى توقع حرارة كلمات الموفَد.

هل هنالك أمل لهذا الحب في النهاية؟!

تصبب العرق على جبهة ڤيكتور منتظرًا رد الملك.

أخبره بلانك أنه فقط من خلال التورط في قصة حب يائسة، يمكن للمرء أن يفهم المعنى الحقيقي للحب. ماذا يعني بلانك بذلك؟ كان ڤيكتور متيمًا بجين إلى حد الجنون.

"وكيف حال الخادمة سوه؟"

قطعت الملكة حبل أفكاره فالتفت إليها ڤيكتور.

"تقضي يومها في قراءة الكتب".

الأصدق أنها تقضي يومها في انتظار وصول أوامر الملكة.

"كتب من فرنسا؟!"

"نعم، جلالتك!"

في الأغلب تقرأ راقصة البلاط في حجرة مكتب ڤيكتور في هذه اللحظة. بالكاد غادرت حجرة مكتب ڤيكتور منتظرة كلمة من الملكة. كانت تتجول في المكتبة حتى تختار كتابًا وبمجرد أن تفعل، تقضي بقية اليوم في قراءته. أحيانًا تمتد قراءتها إلى الليل. وأحيانًا أخرى، يمكن للمرء أن يرى چين عند الفجر او في وقت متأخر من الليل تقف بمفردها قرب شجرة العنقاء. كانت چين تنظر في الاتجاه نفسه دائمًا عندما تقف أسفل الشجرة. فكر ڤيكتور أن الأمر غريب في البداية لكن في النهاية فهم السبب. أخبره "بول شوي" أن چين كانت تنظر شطر القصر.

"شُفِيتْ جراحُها؟!"

"أجل!"

شُفِيتْ جراحها بسرعة كما لو أنها تطيع رغبتها في العودة إلى القصر بأسرع وقت ممكن. أدهش ذلك الطبيب. لكن بدت چين أكثر مرضًا بعد التئام جروحها. انفجرت باكية في اليوم الذي أتت فيه المرأة سوه لزيارتها من "جوندانجول". بعدها خلا وجهها من أي تعبير. كانت متوحدة مع ذاتها تمامًا، تقضي يومها جالسة منتصبة الظهر، تقرأ في هدوء. أحيانًا في الساعات التي تظن أن لا أحد يراقبها، كانت تخرج إلى شجرة العنقاء وترقص تحت قبتها. عندما يزورها ڤيكتور، كانت تتعامل معه بلباقة وتراقب في صمت بلانك وهو يعلمه الكورية. في مرة سألها بلانك لماذا لا تقوم هي بتعليم ڤيكتور أثناء إقامتها في المفوّضية.

"عليَّ أن أكون مستعدة الليلة وكل ليلة للعودة إلى البلاط الملكي بمجرد وصول أمر الملكة".

غادرت الحجرة بعد أن منحته تلك الإجابة المقتضبة.

فكر ڤيكتور أن الضجر ربما حلّ بچين، فاقترح أن يصطحبها معه إلى النادي الدبلوماسي في "جيونجدونج" أو إلى "ساجوم جيونج" على ظهر حمار. لكن قوبلت اقتراحاته بالرد نفسه: أن القصر قد يرسل في طلبها في أي لحظة، وأنها لا يمكنها أن تبرح المفوَّضية حتى يحدث ذلك.

رآها ڤيكتور تبتسم مرة واحدة.

أرسلت المرأة سوه أعشابًا طبية من "جوندانجول" مع يون، وكان ڤيكتور من أخبرها بوصول يون. خبر وصول عازف "جانجاكون" رسم ابتسامة عريضة على وجه چين، التي كانت مستغرقة في قراءة كتاب في حجرة مكتب ڤيكتور. في ذلك اليوم عزف يون على الناي من أجل ڤيكتور، امتنانًا للقلم الحبر الذي أهداه إليه. كان وجه چين المسرور وهي تستمع لأنغام ناي "الدايغوم" مشتتًا جدًا لڤيكتور لدرجة أنه بالكاد أنصت إلى الموسيقى. ودعت چين يون وسارت معه حتى رقعة الخضراوات أمام المفوَّضية. شاهد ڤيكتور الاثنين يمشيان جنبًا إلى جنب في الطريق مخترقين الحقل ثم شاهد چين وهي تسير عائدة بمفردها وقد نكست رأسها في أسى.

"حضرة الموفَد!"

كان صوت الملكة منخفضًا.

"عليك أن تعود في وقت آخر".

اختلج قلب ڤيكتور. كان هذا يعني أنها لن تمنحه ردًا اليوم.

كُتِبَ الانتظار على العاشقين دائمًا.

مر شهرٌ على ليلة المأدبة قبل أن تفي راقصة البلاط بوعدها وتزور المفوّضية. كان لكل يوم في ذلك الشهر عدد الساعات نفسه لأي يوم آخر بكل تأكيد، لكن بدا كل يوم من ذلك الشهر أبديًا. لهذا كان لدى ڤيكتور إحساسًا داخليًا بما ينتظره إذا غادر البلاط الملكي من دون رد.

"سأتناقش في الأمر مع جلالته ونرسل لاستدعائك عندما نتخذ قرارًا".

لم تغفل الملكة الإحباط الذي علا وجه ڤيكتور. لقد راقبت في صمت مشاعره النامية اتجاه چين منذ البداية. حقيقة أن مشاعره نحو چين صادقة أراحتها لكن أثارت اضطرابها أيضًا لسبب ما لا تعرفه.

عضت الملكة شفتها شاعرة بشيء من المرارة. فكرت أن الخادمة سوه جالسة الآن في المفوّضية جاهلة تمامًا كيف اعترف ڤيكتور بحبه المُحرم لها ـ إحدى نساء القصر ـ أمام الملك نفسه.

"هذه ليست مسألة هينة. هنالك تقاليد وأعراف يجب أن تُراعى لإعفاء امرأة بلاط من قَسَمِها"، أضافت الملكة.

"لهذا أرجوكما بشدة جلالة الملك وجلالة الملكة..!"

شعر ڤيكتور أنه إما الآن أو أبدًا.. حاول أن يبدو متذللاً بقدر المستطاع. انحنى لأسفل بأكبر قدر ممكن واستخدم أكثر نبرة توقير يعرفها. لن ينال شيئًا إذا انسحب الآن سوى القيل والقال والهمسات من وراء ظهره. ستصبح فضيحة كبيرة بين الدبلوماسيين. كانوا لبقين بالقدر الكافي كي يتعاونوا معًا في بلد أجنبي من أجل صالح أوطانهم لكن من الصعب

توقع ردة فعلهم حين يعرفون بالأمر. كان جليًا له كيف قد تحور قصة حب دبلوماسي لإحدى نساء الملك. لو وصلت القصة مشوهة الى باريس، فأن مشواره المهني كدبلوماسي سينتهي للأبد. عليه ألا يرضخ للأمر الواقع. يعرف جيدًا أن حجة الملكة مجرد محاولة لإخفاء نواياها. يعلم جيدًا أنها تود إبعاد چين عن القصر وعن الملك.

ما الذي يمكنه أن يثير حفيظة الملكة، ويجعلها تتوقف عن التقهقر وراء الملك وأخذ زمام الأمور؟ قام ڤيكتور بحسابات سريعة في رأسه.

"جلالتك، سوف أتناقش مع رؤسائي بشأن المسألة التي استعصت عليكم في اليابان، العثور على مقر دائم للمفوَّضية الكورية في فرنسا".

حل الاهتمام محل العبوس على وجه الملك. كان يجاهد ڤيكتور كي يقرأ ردة فعل الملكة، لكنها لم تزعزع نظراتها بعيدًا عن الملك.

"هل هذا ممكن؟"
علا حاجبا الملك.

"صراعنا مع الصين بخصوص الهند الصينية انتهى. فرنسا الآن مستعدة لتعطي علاقتها بكوريا مساحة أكبر للازدهار".

"مقر دائم للمفوَّضية سيكون خدمة عظيمة لكوريا".

كان من الضروري أولاً توفير التمويل الكافي قبل محاولة إزاحة نفوذ الصين. نفذ المال من الموفَد الملحق "شو شين هي" وبات عاجزًا عن السفر الى أوروبا من هونج كونج. تآمرت الصين بمساعدة بريطانيا على إبقائه هناك وحل المرض بشو شين هي أيضًا لكن يظل شُحُّ المال هو السبب الرئيسي في عدم قدرته على أداء مهامه. كان طموح الملك أن يحافظ على

العلاقات الدبلوماسية مع الدول الأجنبية على قدم المساواة لكن مع الوضع الراهن المتأزم، وجد نفسه غير قادر على توفير الأموال لشؤون البلاد الداخلية حتى.

تبادل الملك النظرات مع الملكة. تعرف الملكة أكثر من أي شخص آخر العواقب الوخيمة للعجز في موارد البلاد المالية. قررت الملكة التي كانت لا تدخر مالاً عندما يتعلق الأمر بالأمير ولي العهد، ألا تقيم صلاة المائة يوم من أجل الدعاء له بالشفاء بسبب التكاليف الباهظة.

" سنأخذ اقتراحك بعين الاعتبار".

قالت الملكة لڤيكتور الذي لم يظهر أي علامة على التراجع.

" رجاء اتركنا الآن. سنرسل لاستدعائك".

مهزومًا تركهما ڤيكتور. بينما يهبط الدرجات الحجرية لقاعة الحكم الرشيد، شعر بركبتيه تتلويان. اجتاحه شعور بخيبة الأمل لم يشعر به أبدًا من قبل حتى في البلاط الإمبراطوري العظيم في الصين.

استقبله كلب الجندو الأبيض عند عودته إلى المفوَّضية. اتسعت عينا ڤيكتور حين رفع رأسه بعد أن ربت على الكلب الذي جرى نحوه ونظر إلى حقل الخضراوات. كانت چين تقف أمام بوابة المفوَّضية.

بالنسبة للعاشق فإن المعشوق مثل طائر قد يحلق بعيدًا عنه في أي لحظة. سارت چين نحوه. كانت لحظة غريبة بالنسبة لڤيكتور. كانت تلك هي أول مرة تقترب هي منه. شعر كأنه يهلوس. كانت أول مرة يراها تخطو خارج بوابة المفوَّضية منذ ذلك اليوم الذي ودعت فيه يون. وقفت چين أمامه.

"هل كنت تنتظرينني؟"

"أجل!"

كان يعلم ڤيكتور أنها لم تكن تنتظره هو بل الأخبار التي يحملها من البلاط. مع هذا أشرق وجهه العابس منذ انتهاء لقائه بالملك، عن ابتسامة.

"هلا تمشينا قليلاً؟!"

قبل أن ترفض چين طلبه، بدأ ڤيكتور المشي بالفعل حول حقل الخضراوات. سار خطوات قليلة قبل أن يلتفت وينظر إلى چين فتبعته. مشيا بمحاذاة قناة ري تمتد حول الحقل. كان المطر قد أحدث تصدعًا في القناة، نمت حوله براعم الفاصوليا.

"سلمتُ رسالتِك إلى الملكة".

قاومت چين رغبة ملحة في سؤاله عما قالته الملكة. انحنت لتدفع براعم الفاصوليا إلى داخل حدود الأرض الزراعية.

"قالت إنها سترسل رسولاً قريبًا".

"هل قرأت الرسالة؟"

"استلمتها فقط. لا بُد أنها قد قرأتها الآن".

ارتخنا كتفا ڤيكتور المتصبتان من التوتر، وهو يطرح عليها هذا السؤال:

"هل تودين العودة إلى البلاط الملكي؟"

لم ترد چين.

تفاجأ ڤيكتور عندما أعطته چين الرسالة وطلبت منه أن يعطيها إلى الملكة إذا كانت حاضرة في لقائه مع الملك. أذعن لطلبها لكنه لم يستطع إخفاء استيائه وهو يأخذ الرسالة منها.

التفت ڤيكتور وواجه چين.

"ألست مرتاحة هنا؟"

نظر في عينيها مباشرة.

" لم أكتب طلبًا للعودة إلى البلاط".

نظرت إليه چين ثم أشاحت ببصرها عنه. تأملت سطح المفوَّضية الروسية القائمة على مبعدة.

" كتبت للملكة كي أطلب منها البقاء هنا".

امتلأت عينا ڤيكتور بالدهشة.

ماذا كتبت في الرسالة أيضًا؟ تنهدت وهي تتذكر. كتبت أنها تمتلك سجلات سرية متعلقة بأحداث عام الحصان الأسود وأن سُوا ستتكفل بإيصالها إلى الملكة كي تحتفظ بها في مكان آمن.

كانت چين لا تفعل أي شيء سوى القراءة طوال اليوم لكن في الحقيقة كانت تمعن التفكير أيضًا في سبب عدم استدعاء الملكة لها كي تعود إلى البلاط حتى الآن. ومضت الإجابة في ذهنها فجأة في فجر أحد الأيام. تذكرت ما قالته لها الملكة يوم أمرت بنقلها من جناحها إلى جناح التطريز.

" عندما يتعلق الأمر بك، لا أتمنى أن يفسدَ رجلٌ ما بيننا".

كانت مُقربة من الملكة دائمًا لكن منذ ذلك اليوم، لم تعد قادرة على لقائها إلا إذا استدعتها الملكة بنفسها. وليلة المأدبة أرسل الملك إليها بعد انتهاء المأدبة ثلاث مرات لرؤيتها لكن في كل مرة كانت تتأهب فيها للقاء الملك، كانت تأتي إحدى خادمات الملكة لتعلمها أن لقاءها بالملك لم يعد ضروريًا. ثم فجأة جاءها الأمر بزيارة مفوَّضية فرنسا.

" حقًا؟" سألها ڤيكتور.

" نعم".

تابعت چين السير بينما تسمر ڤيكتور في مكانه مذهولاً. هرول كلب الجندو ليلحق بچين كان هذا طريقًا مألوفًا يسلكه الكلب مع ڤيكتور كل يوم. مدَّ ڤيكتور يده إلى الزهور البرية بشكل تلقائي. الزهور نفسها التي يقدمها إلى چين كل صباح. كانت باقات الزهور الجافة قد شكلت الآن حائطًا منخفضًا في إحدى زوايا حجرة چين.

" هل قرأت شيئًا اليوم؟"

" نعم".

" في أي كتاب؟"

" شعر رامبو. قرأت لفلوبير أيضًا".

" ما رأيك في رامبو؟"

" أجد أسلوبه مفعمًا بالسوداوية والقنوط. يجب أن يكون الشاعر شخصًا لديه القدرة على رؤية ما لا يراه الآخرون. لا أعرف لماذا، لكن شعرت كأن حجرًا ضخمًا يقبع فوق قلبي أثناء قراءة قصائده. رغم أنني لا أستطيع القول إنني فهمت كل شعره".

حدق فيكتور نحو شعر چين الأسود الفاحم بينما يستمع إلى صوتها العذب. كان يكتم أفكاره لكن فجأة تحطمت مقاومته وهو يصارع رغبة ملحة أن يمسد شعرها بيده.

" اريدك معي".

خرجت الكلمات من فمه قبل أن يستوعب الأمر. كان متشوقًا لأن يقول تلك الكلمات منذ مدة طويلة.

" لو عرفتِ ما قلته اليوم للملك والملكة، لكرهتني".
توقفت چين والتفتت لتنظر إليه.
" أخبرتهما أنني أُحبك".
"

" وطلبت منهما أن يسمحا لك بالإقامة معي".

بدا كأن عينيها السوداء العميقة ستخترق عينيه الزرقاء من حدة نظراتها.

" قلبي ممتلئ بحبك. لا يمكنني تصور حياتي من دونكِ".

هبت رياح المساء وأحاطت بهما في صمتهما. أشاحت چين بنظراتها القاسية عنه والتفتت مبتعدة. عرف فيكتور أن كلماته ستضايقها فمن الواضح أنها لا ترغب في أي شيء أكثر من العودة للبلاط الملكي. تبِعها عازمًا على قبول أي كلمات جارحة قد توجهها إليه.

" هل ستأخذني معك إلى فرنسا؟ "
تجمد فيكتور في مكانه. فاجأه السؤال. ظن انه قد أخطأ السمع.

" يومًا ما... يومًا ما".
" هل تلك هي مشاعرك حقًا؟ "
لم ير ڤيكتور الدموع التي تجمعت في مقلتيها.
" هل تقبلين بحبي؟ "

في ذلك الفجر، أدركت أن الملكة رغبت من البداية أن ترسلها إلى أحضان موفَد فرنسا. استقبلت چين أشعة الصباح الوليد وهي تقف أسفل شجرة العنقاء، مولية وجهها شطر القصر. كان استنتاجًا عديم القيمة في النهاية. حتى مع إدراكها أنها ربما لن تعود إلى البلاط أبدًا، لم يكن بيدها شيءٌ لتفعله. عبر وجه رفيقتها سُوا أمام عينيها. خطر ببالها أيضًا المذكرة التي احتفظت بها من أجل الملكة كجزء من مهامها. المذكرة التي دونت فيها تفاصيل ما حدث في عام الحصان الأسود.

" لقد وصلتني رسالة من القصر بالفعل".
" متى؟ "
" منذ أربعة أيام".

منذ أربعة أيام؟ كان بلانك هو الشخص الوحيد الذي زار المفوَّضية في ذلك اليوم.

" لقد حملت ليدي سوه رسالة رسمية من القصر إلى جوندانجول، ونقلها بلانك إليّ".

هل الأمر كذلك؟ لقد دارت محادثة طويلة بين بلانك وچين لكن لم يعرف ڤيكتور أن ثمة تبادل رسائل. لماذا لم يخبره بلانك بذلك؟ بدأ التوتر ينتاب ڤيكتور. هل كانت الرسالة تطلب منها العودة إلى البلاط؟.

عقل الإنسان كخصلة شعر متشابكة. كلما حاول المرء حلها باتت أكثر تشابكًا.

"كان أمرًا من الملكة بالبقاء في المفوَّضية حتى تغادر سعادتك كوريا".

لم يستطع ڤيكتور تصديق أذنيه. شعر أن الملكة قد خدعته. لم تمنحه الملكة أي إشارة ولو طفيفة أنها أرسلت أمرًا إلى چين وتركته يتوسل أمامها بدلاً من ذلك. ليس هذا فقط بل رفضت أن تمنحه الإجابة التي كان يتوق إليها فدفعته إلى ذكر احتمال بناء مبنى دائم للمفوَّضية الكورية. لقد قرأت عقله ككتاب مفتوح وتلاعبت به بدهاء.

" لماذا لم تخبريني بذلك؟"

" لقد آلمتني رسالتها".

لم يتفوه ڤيكتور بأي كلمة.

" هل تمنحني بعض الوقت لأحسم قراري؟"

" بعض الوقت؟"

ظلت چين صامتة. كانت تريد قول الكثير من الأشياء لكنها أبقت على شفتيها مغلقتين. تحدث ڤيكتور من جديد بنبرة حزينة.

" متي يمكنني توقع سماع ردك؟"

" في اليوم الذي أتخذ فيه قراري سأضع جراب عطري بين صفحات رواية البؤساء لهوجو في المكتبة".

أرته چين جرابًا رفيعًا بطول كفها تحمله في ثنايا كمها وتحتفظ فيه بعطر خشب الصندل. كان أحمر اللون ومطرزًا بحرير أصفر. حاكته سُوا من أجلها.

" هل سيعني هذا أنك قبلتِ بحبي؟ "

لم تجبه چين واكتفت بتنكيس رأسها. طار عصفور من فوق العشب نحو السماء.

سُواء قبلت بحب موفَد فرنسا أم لا فلن تتمكن أبدًا من العودة إلى البلاط إذا لم تغير الملكة رأيها. ما مصير نساء البلاط اللاتي لا يعدنَ إلى القصر؟ تنفست بعمق. يتحدث ڤيكتور كما لو أن لها مطلق الحرية لكن لم يكن الأمر كذلك. لم تُطرد من البلاط بشكل رسمي بعد لكن كان وضعها الآن لا يقل سوءًا. ولا يمكن حتى لامرأة بلاط مطرودة أن تتزوج من تشاء. قرار زواجها من موفَد فرنسا ليس بيدها أيضًا. تعرف الملكة ذلك. إرسالها چين إلى المفوَّضية كان يعني إرسالها بعيدًا عن القصر إلى الأبد. تلك هي الحقيقة المرّة.

شعر ڤيكتور بالشفقة نحو چين، التي وقفت محنية الرأس عاجزة عن الإجابة. كانت مثل طائر صغير سقط من عشه وراح يبحث عن سقف يحتمي به. حتى لو لم تكن تحبه، أراد أن يكون هذا السقف الذي يوفر لها الحماية.

" كان يصعب عليّ عدم التحدث بما في رأسي. لذا الآن وقد بحت بمكنون صدري، يمكنني أن أنتظر. انتظار إجابتك سيكون مؤلمًا لكن لذيذًا أيضًا. أملي فقط ألا يكون الانتظار طويلا جدًا".

راقب ڤيكتور چين تلمس بيدها أعواد الحشائش الخشنة بينما تنساب الدموع المتجمعة في عينيها على وجهها.

عندما سمعت أن ڤيكتور سيلتقي بالملك، قضت الليل كله تكتب رسالة إلى الملكة. باحت بما في قلبها على الورق. شكواها وعتابها. لكن في النهاية كورت الرسالة ثم كتبت سطرين فقط. الأول تصرح فيه بأنها ستخدم موفَد فرنسا كما أمرت جلالة الملكة والآخر تخبر فيه الملكة أن رفيقتها في الحجرة "سُوا" تعلم بمكان السجلات السرية التي تعود إلى عام الحصان الأسود وأن على الملكة أن تأخذها وتحتفظ بها.

في تلك الأثناء فضت الملكة أمامها المذكرات التي لفتها چين بعناية في لفافة من الكتان. كانت مذكرات چين التي حصلت عليها من "سُوا" عن طريق "ليدي سوه".

" مذكرات الشهر السادس من عام الحصان الأسود".

تعرفت الملكة فورًا على خط چين على غلاف المذكرات. ارتعشت إصبعها بينما تمررها فوق الصفحة الأولى.

"اليوم الثالث من الشهر السادس: -
انتقلت جلالتها إلى بيت مِن "أيونجسيك".

كان علينا أن نبدل ثيابنا التنكرية التي ارتديناها عندما غادرنا القصر. تعاني الملكة من احتقان في حلقها ولا يمكنها الحديث. حاولت أن أجعلها تشرب زيت النعناع ليلة الأمس لكن لم نستطع شربه. ربما لأنها نامت ببطن فارغ، حلمت جلالتها حلمًا غير سار. كانت تصرخ أثناء نومها. كان العرق يتصبب على جبهتها باستمرار. مسحته عنها.

استيقظت قبل الفجر وخرجت إلى عتبة البيت واستندت على عمود حتى أشرقت الشمس وعينيها مثبتة اتجاه القصر".

قطبت الملكة حاجبيها وهي تواصل القراءة. كانت المذكرات تؤرخ بالتفصيل أحداث أكثر من خمسين يومًا. كيف هربت الملكة من الجنود المتمرِّدين، لجوئها إلى بيت مِن "أيونجسيك" ثم انتقالها منه إلى "يوجو"، ثم "جانجهوون" وأخيرًا "شونجو".

تدوين شيء ما على الورق بمثابة محاولة لتهدئة النفس المضطربة. نسخت چين الأحكام العرفية التي أعلِنت بعد دخول الجيش الصيني إلى كوريا ودونت أحداث اليومين اللذين قضتهما الملكة في ظلام تام أثناء معاناتها من التهاب في العين وكتبت عن تلك المرة التي ظهر فيها دملٌ متقيحٌ في ظهر الملكة فاضطرت إمّا الجلوس أو الرقود على بطنها ولاصقة علاجية مُلصقة على جسمها.

"واصلت الملكة عبوسها وهي تقلب الصفحات.

اليوم التاسع والعشرون من الشهر السادس: -

عاصفة شعواء.

تكاد الملكة تُجن من إقامة جنازة رسمية لها رغم أنها حية ترزق. جلست منتصبة الظهر والدمل المتقيح لايزال في ظهرها، تزرف الدموع طوال النهار. لم تتفوه بكلمة.

لاحقًا في تلك الليلة، أرخت شعرها وواصلت البكاء من دون توقف مرددة:

" أنا إنسانة ميتة".

أعددت لها وصفة علاجية من شراب جذور الجريس والعرقسوس المخمر لكن أبت أن تشربه. لم تنم تلك الليلة.

اليوم الثاني من الشهر السابع: -

قرأت لها لكن بدا أنها لا تستمع. كانت مكبلة بهواجسها عن الأمير ولي العهد. في منتصف كتابتي رسالة موجهة إلى الملك تمليها عليّ، صرخت: "ماذا يمكن لإنسان ميت أن يكتب في رسالة ؟! " انتزعت الرسالة ومزقتها".

عندما وصلت الملكة إلى الجزء الذي تتسلل فيه چين إلى داخل القصر حاملة رسالة إلى الملك لتعلمه أن الملكة على قيد الحياة. هتفت بصوت مرتفع: " تلك المسكينة! ". أغلقت المذكرات بقوة. نظرت إليها ليدي سوه بانشداه. انتابها التوتر وهي ترى عيني الملكة تضيق. عرفت من ذلك أن الملكة على وشك أن تتخذ قرارًا مهمًا. أحيانًا قد تحمل تلك القرارات أمرًا بالقتل.

بعد أن أرسلت الملكة موفَد فرنسا خالي اليدين، هرولت خارج قاعة الاستقبال ومزقت المظروف الذي يحوي رسالة چين بينما تقف في الحديقة. كان هنالك سطران فقط في الرسالة. هل هذا كل شيء؟ أصاب الحزن الملكة كطعنة في صدرها. مجرد عبارة جوفاء أنها ستنفذ أوامرها وإشارة إلى المذكرات، ولا كلمة إضافية.

ضاقت عينا الملكة أكثر. شعرت بالتردد يتسلل إليها وهي تقرأ المذكرات عن عام الحصان الأسود. يمكنها أن تشعر بالقلق في أسلوب كاتبة المذكرات وهي تستفيض في وصف كل حركة وخلجة تقوم بها الملكة التي تخدمها. أدركت الملكة أخيرًا نوايا چين حين أشارت إلى مذكرات عام الحصان الأسود. أرادت أن تدفع الملكة لقراءتها وإعادة التفكير في قرارها على ضوء تلك القراءة. أرادت أن تثير عواطفها. أرادت أن تستدعيها إلى البلاط الملكي.

فكرت الملكة في وقع الرسالة التي أرسلتها منذ أربعة أيام على چين. لا بُد أنها بكت بشدة. لكن كيف يمكن لراقصة البلاط أن تعرف مشاعري الحقيقية؟! نادت الملكة على ليدي سوه بينما لاتزال يدها تلامس غلاف المذكرات.

" أين الملك؟"

" في قاعة الاستقبال، جلالتك".

" مع من؟"

" ولي العهد ووزير الخارجية".

" جهزي أدوات الكتابة الخاصة بي".

" حالاً، جلالتك".

بينما تجهز ليدي سوه الريشة وقنينة الحبر، خاطبتها الملكة من جديد:

" سأزوج الخادمة سوه إلى موفَد فرنسا".

شحب وجه ليدي سوه. التفتت إلى الملكة.

" من الأفضل لها أن تعيش في مفوَّضية فرنسا لا هذا السجن. ألا تتفقين معي في الرأي؟ "

" جلالتك، كامرأة بلاط في القصر الملكي....".

" أعلم أن ذلك خارج سلطتي. لهذا سأحصل على أمر بإعفائها من التزاماتها كامرأة بلاط من الملك".

قطبت الملكة حاجبيها بشدة، معلنة انتهاء النقاش في هذه المسألة.

(٦)
خُذني إلى اللوفر

"صاحب السعادة،

يُظهر ملك كوريا اهتمامًا جمًا بالنتاج الثقافي الفرنسي. أخبرني أنه قد سمع بجمال العمارة الفرنسية ويتمنى أن يعين معماريًا فرنسيًا للقيام ببعض الإنشاءات في القصور. بدأت التفاوض مع بنك باريس في "تيانجين". نجحت المفاوضات بسرعة بفضل تفهم وموافقة المعماري "سالابيل". تم الاتفاق على راتب شخصي له يقدر بثلاثة آلالاف وون في السنة.

طلب الملك استعارة بعض الكتب المصورة ليطلع بشكل أفضل على معمارنا. رغم مكتبتي الثرية، لا أملك أي كتاب في هذا الحقل. لهذا قدمت له المجلدات السبع لتاريخ فرنسا لغيزو[٥٣] وقد أعجب كثيرًا بالرسوم التوضيحية والصور بداخل تلك الكتب ورجاني أن يحتفظ بها. أظهر أيضًا اهتمامًا بالزي الرسمي الذي يرتديه الجنود في الجيش الفرنسي...

---

٥٣ فرانسو غيزو (١٧٨٧-١٨٧٤): سياسي ومؤرخ فرنسي شهير. تولى وزارة التعليم ثم الخارجية. له مؤلفات مهمة جدًا منها "تاريخ فرنسا" و"تاريخ التمدين في أوروبا" و"تاريخ الحضارة في فرنسا".

أطلب من سيادتكم إرسال كتب عن كنوزنا المعمارية: اللوڤر، قصر تويلري، قصر فرساي، وأهم آثار وكاتدرائيات باريس.

عبر الملك أيضًا عن اهتمامه بجيشنا في الشهور القليلة الماضية. لو كان الـجـنرال "ألبير أمادي" يخطط للزيارة، فليعلم أنه سيلقى استقبالاً حافلاً وسيتمكن من لقاء الملك كما يشاء. لقد طلب الملك بالفعل وصفًا كاملاً للقوانين التي تنظم سلاح المشاة والفروسية والمدفعية في جيشنا. أعلمته أنني لا أملك مثل تلك المعلومات وأن عليّ أن أرسل طلبًا إلى باريس. لقد ألح الملك عليّ في طلبه هذا لذا أكتب إلى سعادتكم لأعلمكم به.

العاشر من ديسمبر ١٨٨٨
ڤيكتور كولين دي بلانس

تساقطت أوراق شجرة العنقاء بخفة ذلك الفجر. قبل أن تبدأ رحلتها إلى "جوندانجول"، ذهبت چين إلى المكتبة وأخذت رواية "البؤساء" من على الرف.

كانت تحكي قصة "جان فالجان" الذي قضى تسع عشرة سنة في السجن لسرقته رغيف خبز. قرأتها ثلاث مرات، وبدأت تفكر في "جان" كصديق أكثر منه شخصية خيالية. كانت "البؤساء" أحد الكتب التي رشحها لها ڤيكتور حين كانت تقضي في المكتبة جل وقتها. أخبرها أن مؤلف الرواية هو أكثر الكتاب المحبوبين في فرنسا. رغم اضطرارها لتجاوز قليل من الأحداث التي لم تستطع فهمها، استحوذ الكتاب على تفكيرها أثناء قراءة وإعادة قراءة قصص تلك الشخصيات " البائسة ".

فتحت چين الكتاب على صفحة عشوائية ومرّت بعينيها على سطور من كلمات فرنسية. كان المشهد الذي يُقبض فيه على "فالجان" وهو يسرق شمعدان الأسقف "ميريل" الفضي الذي وفر له ملجأ ليقضي فيه ليلته.

لولا طيبة ميريل، ماذا كان سيحدث لفالجان؟

ابتسمت چين. تنبع متعة القراءة من محاولة تخيل الإجابة على ذلك السؤال بالتحديد: ماذا كان سيحدث لو؟

عندما شهِد الأسقف ميريل أنه قد أهدى الشمعدان إلى فالجان وأن فالجان ليس لصًا، شعرت چين بقلبها يكاد ينفجر من السعادة. ماذا كان سيحدث لفالجان إذا لم يفعل ميريل ذلك؟ لم يكن ليحيا حياة جديدة باسم جديد.

وضعت چين جراب عطرها بحرص على الفقرة التي يدرك فيها قلب فالجان القاسي الذي لم يعرف سوى الفقر والوحدة، قوة الحب. رأت ومضات من وجه يون على الجراب. وقفت منسمرة في مكانها لوقت طويل.

" لقد تساقطت أوراق شجرة العنقاء".

قطع صوت ڤيكتور حبل أفكارها. كانت تعتقد أنه لا يزال نائمًا، لكن هاهو يقف متأملاً الفناء.

" قد تصلح لصنع أوتار قانون غومونجو".
أشار ڤيكتور إلى شجرة العنقاء. اقتربت چين ووقفت بجواره.
" غومونجو.... " تمتمت.
" سأزور جوندانجول هذا الصباح". قالت له.

" هل من جديد يحدث في دار الأيتام؟ "

لا، لا جديد. ببساطة كانت لا ترغب في رؤية وجه ڤيكتور اليوم بعد أن وضعت جراب العطر في رواية "البؤساء".

" ماذا تخططين لفعله هناك؟"

" سأخبرك عندما أعود".

استعدت چين للمغادرة وسار معها ڤيكتور إلى البوابة.

حصد البستانيون محصول الكرنب فصار حقل الخضراوات عاريًا من الزرع. أخفت الريح الباردة تغريدات الطيور. الشتاء يقترب والأرض توشك على التجمد. راقب ڤيكتور چين وهي تختفي عن ناظريه غير مدركٍ بعد أنها قد وضعت ردها بقبول حبه لها بين صفحات البؤساء. لم تلتفت إلى الوراء أبدًا.

لشهور كان يذهب إلى المكتبة كل صباح ليرى إذا كان جراب العطر هناك في نسخة رواية هوجو.

عندما طلبت منه چين أن يسمح لها بالذهاب إلى دار الأيتام أول مرة لمساعدة المرأة سوه، رفض ڤيكتور ذلك. لا يمكنه نسيان الاعتداء الذي تعرضت له في ذلك اليوم المشؤوم لزيارتهما الأولى لدار الأيتام. رغم أن تلك الحادثة قد منحته العذرَ لمد فترة إقامتها في المفوَّضية، كان لا يزال يعتقد أن ذهابها إلى هناك يشكل خطرًا عليها. محبطةً من رفضه، حبست چين نفسها من جديد بين جدران المكتبة. سارع ڤيكتور بتقديم حل وسط. يمكنها الذهاب لكن محمولة على محفّة وعليها العودة قبل غروب الشمس. أخبرته چين أنها ستركب المحفّة فقط أثناء العودة لأنها ترغب في تأمل البشر أثناء ذهابهم إلى أشغالهم في الصباح. لم يملك ڤيكتور سوى الإذعان لطلبها.

كان عاجزًا عن رفض أي شيء تطلبه، فبالنسبة إليه كانت چين مثل طائر يمكنه التحليق بعيدًا في أي لحظة.

أعد ڤيكتور لها الحساء كل صباح. أحب الجلوس مواجهًا لها على طاولة الطعام ليتأملها وهي تتناوله قبل أن يخرج هو للركض مع كلب الجندو بينما تتوجه چين إلى "جوندانجول".

كانت تستمتع بنسيم الصباح أثناء مشيها. يحمل النسيم إليها شعورًا بالحرية، شعور لم تشعر به أبدًا أثناء تواجدها في القصر. كانت تمر بالعامة الذين يحملون بضائعهم أو خضرواتهم على ظهور بقراتهم ليبيعوها على جنبات الطريق، والنسوة اللاتي يمشين الهوينى، وجرار المياه فوق رؤوسهن، ومحل الجزارة والمحال الأخرى ومغزل الحرير التي لم تفتح أبوابها بعد. كانت تشعر بتوترها الداخلي يخمد تدريجيا كلما مضت في طريقها. كان عليها أن تسلك هذا الطريق على أقدامها كل صباح كي تشعر بالهمة والحيوية لبقية اليوم.

تنهدت المرأة سوه مدركة أن چين تحاول أن تهب نفسها لرعاية الأطفال اليتامى كي تنسى ما حدث في البلاط الملكي.

خصصت چين جلّ وقتها في دار الأيتام للتعليم. في الصباح كانت تعلم الكورية لراهبتين فرنسيتين مسؤولتين عن الأعمال الإدارية في الدار، وفي المساء تجمع الأولاد والبنات معًا لتعلمهم تاريخ كوريا. وإذا سنح لها الوقت، كانت تؤدي حركة راقصة بسيطة أمامهم أو تحكي لهم عن الحياة داخل القصر الملكي. كان الأطفال ينصتون إلى حكاياتها بعيون متسعة كما لو كانت حكايات خرافية.

في الساعات الأخيرة من النهار، تُسخن المرأة سوه بعض الماء لتحمم أطفال الدار. أمر بلانك ببناء حوض مياه صغير في الفناء الخلفي للدار بالإضافة إلى موقد شرقي وجرة معدنية لتسخين الماء. يستحم طفلان أو ثلاثة في كل مرة مما يعني أن كل طفل في الدار سيستحم مرة كل يومين. يجري الأطفال هربًا منها بينما تطاردهم المرأة سوه كي تحممهم. لكن بمجرد أن تتعب وتستسلم، يسارعون إلى القفز في الحوض بأنفسهم.

كما في أي يوم آخر، كانت چين تساعد سوه كي تُحمِّم الأطفال. كانت سوه تغسل الشعر بينما تتولى چين تنظيف الأقدام الصغيرة المتسخة. تقوم المرأة سوه بدعك ظهورهم ثم ترفع چين أذرعتهم لتنظف أسفل إبطهم.

راقبت المرأة سوه چين وقد أوقفت الأطفال في صف وراحت تجفف شعرهم بالمنشفة قبل أن تساعدهم على ارتداء ثياب كتانية. وجدت المرأة سوه نفسها تسأل چين: " هل يقلقك شيء ما؟ "

التفتت چين إليها متوقفة عن مساعدة فتاة على ارتداء سترتها.

" هل يبدو عليّ القلق؟"
" لم تقولي أي كلمة طوال اليوم".
" أماه! "

علت الدهشة وجه المرأة سوه. كانت چين تشير إلى سوه على أنها أمها أمام الآخرين لكن كانت تلك هي أول مرة تناديها بذلك مباشرة.

أنهت الفتاة ارتداء ملابسها وانتعلت حذائها وركضت نحو فناء دار الأيتام.

" لقد وضعت جراب العطر في الكتاب هذا الصباح".

كفت المرأة سوه عن جمع الثياب المتسخة التي تركها الأطفال ورائهم. أخبرتها چين من قبل أنها ستوافق على عرض موفَد فرنسا بالزواج إذا وضعت الجراب في كتاب فرنسي. صمتتا لبرهة.

" لقد انتظر ردي طويلاً".

أومأت المرأة سوه. لقد رأت بأم عينيها مدى حب موفَد فرنسا لچين. شاهدته ينتظر بشوق أن تفتح چين قلبها له. لو لم يكن يهيم بها حبًا، ما كان لينتظر كل هذا الوقت كي تقبل به امرأة الملك تلك بالتحديد. شعرت أن قرار چين صائب لكن أحزنها التفكير في ردة فعل يون. عرفت منذ زمن طويل رغم عدم ذكر يون لذلك صراحة، أن چين هي المرأة الوحيدة التي ملكت شغاف قلبه.

" أرغب في الرقص".

على أنغام ناي يون. أرادت أن تقول لكن لم تفعل.

نهضت المرأة سوه وغادرت الفناء الخلفي. عندما عادت، كانت تحمل حزمة ملفوفة بين يديها. وضعتها أمام چين من دون أن تتفوه بكلمة. لم تسألها چين عما بداخلها. كانت تعرف أنها شراشف وأردية نوم خاصة بليلة الزواج.

سألت چين المرأة سوه في أحد الأيام بينما تحيك قماشًا: "ماذا تحيكين؟" فأجابتها المرأة سوه بعد لحظة صمت: " تلك الأقمشة من أجلك".

كانت چين تتأمل الحزمة عندما أتى إليها صبيٌ، خداه متوردان من الإثارة وقال: " شخص ما يود مقابلتك". سألته چين: " من؟" لم يستطع الصبي الإجابة. جففت چين يديها المبللتين وذهبت إلى فناء الدار. كان ڤيكتور يقف عند البوابة. هل رأى جراب العطر الذي تركته بين صفحات "البؤساء"؟

شاهد ڤيكتور چين تدنو منه. أربكتها نظراته المثبتة عليها. كم هو غريب قلب الإنسان. شعرت بعدم قدرتها على التعامل معه بالطريقة التلقائية نفسها التي كانت تعامله بها قبل أن تضع جراب العطر. لمحت الأخت "چاكلين" إحدى الراهبات الفرنسيات ڤيكتور فحيته قبل أن تتابع السير في الفناء وتبتسم إلى چين. تنقلت نظرات الأطفال الخبيثة ذهابًا وإيابًا بين وجهي چين وڤيكتور.

" ما سبب حضورك؟"

ربما كان الأطفال من أربكوها. حدقت في رؤوسهم الصغيرة التي تبرز من أبواب دار الأيتام.

" أتيت إلى هنا كي أصحبك إلى أستديو التصوير قبل أن نعود إلى المفوّضية".

صار ڤيكتور يحمض صوره في أستوديو هوانج شُول، ويعتمد عليه في توفير قطع غيار الكاميرا التي يستوردها من الصين واليابان.

" لماذا الأستوديو؟"

اكتفى ڤيكتور بابتسامة عريضة.

" هل سنذهب إلى مكان ما مع هوانج شُول؟"

" لا، أرغب في التقاط صورة تذكارية لنا".
لقد رأى جراب العطر. احمرت أذنا چين الملساء.
" أريد أن أخلد ذكرى هذا اليوم معك".

كانت قد وضعت رسالة في جراب العطر بدلاً من الزهور المجففة. قالت إنها ستعد له الشاي في مساء إحدى الليالي ليتناقشا بشأن المستقبل لكن لم تتوقع أن تكون هذه الليلة. عنت الليلة التي سيجد فيها جراب العطر في "البؤساء". لم تدرك چين أن ڤيكتور يفتش في صفحات الكتاب ليلاً نهارًا أملاً في العثور على ردها.

أتت المرأة سوه ودعت ڤيكتور للدخول لكنه قال إن من الأفضل الرحيل الآن ونظر إلى چين.

" حسنًا، فلتسبقني إلى الخارج. لحظات وأقابلك خارج البوابة".

غادر ڤيكتور عبر البوابة يتبعه عددٌ من الأطفال. أحضرت المرأة سوه الحزمة الحريرية من الفناء الخلفي. هرول بعض الأطفال الذين كانوا منشغلين بجمع حبات البلح الأحمر من على نخلة، ليتحسسُوا الحرير الناعم. ربتت چين على رؤوسهم.

" لا تدعيه ينتظر طويلا". قالت المرأة سوه.

بينما تخطو چين نحو البوابة، التفتت إلى المرأة سوه فلوحت إليها كي تواصل السير. كانت عينا المرأة سوه مليئة بالدموع. وقفت في مكانها تشاهد چين تبتعد. *"لا بُد أن أحيك لها بعض الأثواب قبل أن يشتد البرد"*. فكرت قبل أن تعدل تنورتها وتقود الأطفال إلى داخل الدار.

خيم صمت ثقيل على ڤيكتور وچين بينما يغادران حدود دار الأيتام ويسلكان الطريق الرئيسي. بديا كزوچين فرغا من مشاجرة منذ لحظات.

منذ انتقالها للعيش في المفوَّضية كان من تتحدث معه چين بانتظام هما ڤيكتور وكلب الجندو فقط. كانت تهمس للكلب بأفكارها الدفينة لكن كان ڤيكتور من يحكي لها قصص لا نهاية لها عن الحياة على الجانب الآخر من المحيط. تحدث عن المحرك البخاري والطوابع البريدية وموسيقى الأرجون والكمان وقصص من الأساطير اليونانية وحكايات قديسي العصور الوسطى. حدثها عن فيلسوف اسمه "نيتشه" صدم المجتمع الأوروبي بإعلانه أن الربَّ قد مات. ذكر أيضًا كيف وصلت اللوحات من الصين واليابان إلى فرنسا. عندما صرح لها أن دولة واحدة قوية قد تحكم العالم في المستقبل، دخلت معه چين في مناقشة دامت لثلاث ساعات. ثمة ليالٍ أخرى كانا يقارنان فيها بين الكتب الفرنسية والكورية. كان الوقت يمضي سريعًا ولا يتسع أبدًا كي يصلا لأي استنتاج نهائي يرضي كليهما.

لكن ها هما الآن يلتزمان بالصمت بينما يسيران بجوار بعضهما البعض.

كان ثمة لوحة معلقة على مدخل أستديو التصوير للسفير المفوَّض "مِن يونج-يك" مع مجموعة من الأشخاص. تعلم چين أن "مِن" مقرب من الملكة لهذا تعرفت على وجهه. أنقذه دكتور هوريس عندما هاجمه قاتل أرسله كيم أوكغيون. كان هذا سببًا في إعجاب الملكة بالطبيب وموافقتها على اقتراحه بإنشاء مستشفى "جوانجهيون". ضمن أشخاص بأردية كورية تقليدية وبدل غربية وثياب طلبة في الصورة، كان "سيو جوانجبيوم" من الحركة التنويرية يمسك بصورة فوتوغرافية من إحدى رحلاته.

دنا ڤيكتور من چين التي كانت تحدق في وجه "مِن يونج-يك" في الصورة.

" من المؤسف أننا لا نستطيع أن نقيم حفل زفاف هنا في كوريا. لهذا فكرت أن نلتقط صورة معًا".

كانت هذه أول عبارة يتفوه بها منذ غادرا دار الأيتام.

كان هوانج شُول يتحدث مع زبون آخر لكنه رحب بڤيكتور بالصينية بحرارة عند دخولهما. كان زبونه هو "هونج جونغ-يو".

" يا لها من صدفة! كنا نتحدث عن سعادتك".

"أشياء جيدة كما أتمنى؟"

" لا بُد أنك قد فعلت أشياءً سيئة كثيرة لتسأل هذا السؤال". ضحك هوانج شُول على دعابته قبل أن يستطرد:" هونج جونغ-يو يستعد لمغادرة البلاد للدراسة في فرنسا وكان يرجو لقائك. سيكون أول كوري يدرس في فرنسا. لذا يحتاج لمساعدتك".

"سأكون مسرورًا بتقديم المساعدة".

"يتمنى دراسة القانون في باريس. يريد أن يعرف ماذا يمكن تعلمه في فرنسا قد يعود بالنفع على كوريا. رحلته إلى باريس رحلة غير مسبوقة في تاريخ كوريا. لذا هو غير متأكد ماذا يفعل بالضبط. حمل رسالة توصية من مسؤول رفيع المستوى مثل سعادتك سيساعد كثيرا".

انحنى هونج جونغ-يو بقامته الطويلة وقبعته ذات الحافة العريضة ورداته الأبيض التقليدي لڤيكتور قبل أن يلقي نظرة على چين. قال إنه

يملك جواز سفر معتمد من وزير العلاقات الدبلوماسية لكنه سيحتاج بالطبع لمساعدة ڤيكتور.

لا يلتقط هوانج شُول الصور الفوتوغرافية في الأستديو فقط بل يحمل معدات التصوير إلى الخارج ليلتقط صورًا للمعالم الأثرية مثل جدران الحصن و"قصر جيونجبوكجونغ" وجبل "إنوانغسان". أحيانًا كان ڤيكتور وچين يرافقانه. كانت چين تتخفى في زي رجل كي لا تلفت الأنظار.

بعد هذا اللقاء، سيرافقهم هوانج جونغ-يو في جولات التصوير تلك. كان ڤيكتور يواظب على التقاط صور لچين في تلك المواقع. كان هوانج شُول يمازح چين وڤيكتور بخصوص محادثاتهما التي تدوم لساعات عن الكتب والشعر والرسم الشرقي والغربي متسائلاً أمامهما كيف لشخصين يعيشان معًا أن يجدا مواضيع كثيرة جدًا للحديث عنها. انتقل عشق الملكة لكل شيء أجنبي إلى چين. كانت تستمع إلى ڤيكتور يتحدث عن العالم خارج حدود كوريا وتتخيل رؤيته بأم عينيها. في المقابل بدا هونج جونغ-يو غير مسرور خلال هذه الجولات وأشار بشكل مبطن إلى غرابة تواجد امرأة بلاط يفترض أن تخدم في القصر، في مفوَّضية فرنسا.

بمجرد أن بدأ هوانج شُول وهونج جونغ-يو يشاركانهما الحوار، امتدت آفاق الحديث إلى هونج كونج، وشانغهاي، واليابان. كان ڤيكتور متبحر المعرفة حين ناقشوا كيف انتزعت فرنسا الهند الصينية من قبضة الصين. تفاجأت چين بمدى معرفته عن الشرق. مكنتها تلك الحوارات من رؤية ڤيكتور من منظور مختلف.

" لكن لماذا أتيت إلى الأستوديو اليوم؟"

" نحن هنا لنلتقط صورة تذكارية".

نظر إليه هوانج شُول وهونج جونغ-يو باستغراب.
" نثق في قدرتك على التقاط صورة جيدة لنا معًا".

عبس هونج جونغ-يو. استدعى هوانج شُول مساعده لتجهيز مكان التصوير. شرح لهما أن عليهم الإسراع بالتقاط الصورة قبل أن يغيب ضوء النهار. كانت عدسة الكاميرا لا تزال تلتقط بعضًا من الإضاءة المتسللة عبر النافذة الزجاجية.

خطا ڤيكتور نحو حصيرة القش. وقف فوقها منتظرًا انضمام چين إليه. اتخذت چين مكانها بجواره واعية بنظرات هونغ المتجهمة.

"ربما علينا تناول العشاء معًا بما أنكم جميعًا هنا؟"

"علينا لقاء الأسقف بلانك. لكن سندعوكما للعشاء في المفوَّضية قريبا".

السعادة تجعل الأيام تبدو قصيرة. رمقت چين ڤيكتور بنظرة مستفهمة. ابتسم ڤيكتور لها. كذب لأنه يريد قضاء الليلة معها فقط.

استغرق التقاط الصورة وقتًا طويلاً. تطلب تجهيز كاميرا الأستوديو ضعف الوقت اللازم لتجهيز كاميرا ڤيكتور الحديثة. طلب ڤيكتور من هوانج شُول أن يولي عناية خاصة بتحميض هذه الصورة. أراد للصورة أن تحتفظ برونقها للأبد.

قبل أن يغادر، قال هونج جونغ-يو لڤيكتور باحترام أنه سيزور مبنى المفوَّضية قريبًا. بدت إيماءته إلى چين أقل احترامًا.

اندهش بلانك من زيارة ڤيكتور المفاجئة. استقبلهما في المبنى الملحق ببيته المشيد على الطراز الكوري التقليدي الذي يستخدمه ككنيسة. لا يزال يحلم ببناء كاتدرائية متكاملة لخدمة الكاثوليك في كوريا.

أخرج ڤيكتور صندوقًا خشبيًا صغيرًا من جيبه وفتحه. كان بداخله خاتمٌ قديم منقوش عليه ثلاث أوراق شجر متداخلة.

" خاتم أمي".

والدة موفَد فرنسا؟ شعرت چين بالتوتر.

لكل إنسان في العالم أم. كادت تنسى تلك الحقيقة، هي التي لم تر أمها أبدًا. لم تتخيل قبل تلك اللحظة كيف تبدو والدة ڤيكتور أو أي فرد من عائلته.

" هل تتقدم بالزواج منها؟"
" أجل".

لم يكن يشوب رد ڤيكتور أي شائبة تردد مما جعل بلانك ينظر إلى چين نظرة قلقة. بدا أنه يسألها إذا كانت تلك هي رغبتها أيضًا.

" رجاء فلتشرع في تزويجنا". أجابت چين.

أشرق وجه ڤيكتور لرد چين. لكن بدا بلانك جزعًا.
" لماذا هذه العجلة؟"

" لا عجلة في الأمر. لقد انتظرت تلك اللحظة منذ مدة طويلة. وفقًا للقانون الكوري لا يحق لامرأة بلاط إقامة زفاف ولا يمكنني من موقعي

كدبلوماسي أجنبي كسر القوانين المحلية. لكن من حسن الحظ أمتلك خاتم أمي معي. لذا أود أن أقطع وعدًا أمامك بدلاً من الزواج".

"سعادتك!"

" أتفهم مصدر قلقك. لقد فكرت في الأمر مليا. أرغب بها زوجة لي".

شحب وجه بلانك. كم ستدوم مشاعر ڤيكتور نحو چين؟ الوعود التي يقطعها الإنسان مدفوعا بحرارة عشقه المتقد سرعان ما تُنسى عندما يبرد وتضعف جذوته. كيف يأخذ قسم ڤيكتور بجدية؟

أحيانًا تنتاب بلانك الشكوك حول رسالته رغم دخوله كوريا واهبًا نفسه لخدمة الرب. ما الخطأ في ترك الكوريين يعيشون وفقًا للطريقة التي يريدونها؟ احتلت فرنسا الهند الأوروبية واستولت على أخشاب وأرز وفحم ولؤلؤ تلك الشعوب. هذه هي الإمبريالية التوسعية. هل التبشير بالمسيحية تحت تلك الظروف عمل أخلاقي؟ ليقمع هواجسه، كان يطلب كثيرًا من المسؤولين في باريس زيادة التمويل المخصص لدار الأيتام.

فهم رغبة ڤيكتور بالزواج من چين لكن لم يكن ليسمح بضمير يقظ لڤيكتور أن يفعل ما يريد. كان قلقًا من اعتقاد ڤيكتور أن چين لؤلؤة أو ناب عاج منهوبة من الهند الصينية، يمكنه امتلاكها.

أقلق صمتُ بلانك ڤيكتور.

" سنكون معًا دائمًا. لن أتخلى عنها".

ثم هنالك يون! فكر بلانك. لقد سعى بلانك للتقريب بين چين ويون. لا يمكن لأي إنسان يمتلك ذرةً من عقل ألا يدرك مشاعر يون نحو

چين. لقد أراد بلانك أن يقود الصبي الأخرس إلى الكهنوتية لكنَّ الصبي أصرَّ على أن يكون موسيقيا في البلاط الملكي ليكون قريبًا من چين. استسلم يون لحقيقة أن لا شيء يمكن أن يُفعل طالما كانت چين امرأة بلاط. لكن أن تصبح زوجة موفَد فرنسا! كان ذلك أمرًا يستحيل تخيله. كم سينفطر قلب يون عندما يكتشف الحقيقة. هذه الفتاة الذكية والبشوشة والجميلة المحيا التي عرفها منذ كانت طفلة. من كان يعرف أن تعليمه الفرنسية لها سيقودها إلى هذا القدَر؟ لكن كل شيء موجود له بداية في مكان ما من الماضي.

أنصتت چين لحفيف أوراق الشجر المتساقطة التي تتلاعب بها الرياح في فناء المفوَّضية. تسللت لمسة البرودة القارصة عبرها. يمكنها سماع أنين كلب الجندو من وقت إلى آخر. الكلب الذي أهداه وزير العلاقات الدبلوماسية إلى ڤيكتور عند وصوله إلى كوريا. لقد كبر الكلب كثيرًا لكن كان هذا أول شتاء له. أول مرة يرى فيها ذبول الأوركيد وانزواء شجرة القيقب الحمراء وتساقط أوراق شجرة العنقاء. كل ورقة عريضة من أوراقها تشبه وجه إنسان.

تأملت چين الخاتم الذي وضعه بلانك في يدها نيابة عن ڤيكتور.

عندما غادرت حجرة المكتب هذا المساء، وجدت أن طباخة المفوَّضية قد وضعت على طاولة الطعام طبقًا فرنسيًا مكونا من لحم سوتيه وفطر وخضار وثوم. وُضِعت زهرة أقحوان في مزهرية وسط المائدة ورقدت زجاجة نبيذ داخل سلة طويلة. لم يتفوه أي منهما بأي كلمة أثناء الأكل. شعرت چين أن الجو يخنقها. تنامى التوتر بينهما لدرجة أن ارتطام الملعقة بالطبق كان يحدث جلبة تملأ الحجرة. غادرت الحجرة بمجرد أن فرغت من الأكل.

لم تعطها المرأة سوه مجموعة واحدة بل اثنتين من الشراشف والأردية الحريرية الخاصة بليلة الزفاف. إحدى المجموعتين كانت لڤيكتور. كان ضمنها رداء نوم بأكمام وسيقان طويلة. داخل ثنايا الشراشف الكتانية البيضاء كان يوجد بعض من عطر خشب الصندل الذي كانت تستخدمه چين وهي في البلاط الملكي. عصفت بها الذكريات. احتقن حلقها بالدموع. استغرقت وقتًا طويلاً قبل أن تكفكف دموعها وتسخن بعض الماء للاستحمام. أفرغت عطر خشب الصندل في الماء. خلعت ثيابها. أغلقت المصباح واستلقت في الماء.

سمعت ڤيكتور الذي كان يقف في الفناء، يخلع حذاءه ويدخل من خلال باب الشرفة. توقفت قدماه أمام حجرتها. انتظرت طرقاته لكن لم يطرق الباب. لم تسمع صوت أقدامه تبتعد أيضًا. نهضت چين من على سريرها وفتحت باب حجرتها ببطء. وقف ڤيكتور أمام الباب في الظلام. تنحت جانبًا فدخل. كان طويلاً جدًا لدرجة اضطر معها للانحناء كي يتجاوز الباب.

أشعلت چين الشمعة وثبتتها على شمعدان فرنسي أهداه لها ڤيكتور من قبل. تراقصت ظلالهما على الجدران. أطفئت المصباح لأنها أرادت استخدام ذلك الشمعدان بالتحديد. رأى ڤيكتور أكوام الزهور البرية الجافة المتراكمة في زاوية الحجرة. ذبُلت أزهار البنفسج والقرنفل من دون أن تُروى. تتناثر أعشاب ذيل الثعلب وأعواد الخيزران وسط الزهور الذابلة. رُصّ طاقم شاي بعناية على طاولة منخفضة بجوار الزهور. عاد ڤيكتور بذاكرته لتلك الأيام التي كان يُحضر فيها الزهور لچين أثناء مرضها. نظر ڤيكتور إلى يد چين البارزة من أكمامها الواسعة. كان الخاتم

الذي وضعه بلانك في خنصرها في مكانه. لم يستطع سوى أن يتفوه بعبارة سخيفة.

" شكرًا لاتباعك رغباتي اليوم".

كان الخاتم الذي ارتدته أمه عند زواجها بأبيه الذي كان يكبرها بسنوات كثيرة. كذب ڤيكتور حين ادعى أمام بلانك أن أمه من أعطته هذا الخاتم. كان قد سرق الخاتم من صندوق مجوهراتها كي يعرض الزواج على ماري في قرية بلانس. لكن لم تسنح الفرصة له كي يريها إياه حتى. انقلب بيت عائلته رأسًا على عقب عندما اكتشفت أمه ضياع الخاتم. أبقاه معه منذ ذلك الوقت ونساه. ثم عثر عليه بالصدفة مدفونًا داخل درج عندما كان يحزم أغراضه من أجل السفر إلى الصين. تأمله للحظة ثم وضعه في حقيـبة سفره.

" هل تود بعض الشاي؟"

بينما تقف لتجهز فناجين الشاي، عانقها ڤيكتور برقة من الخلف. رفرف ردائها الحريري. شم رائحة خشب الصندل. هبت ريح قوية بالقدر الكافي لتُسقِط آخر أوراق شجرة العنقاء. تناثرت أيضًا ثمارها التي تشبه القوارب الشراعية بعيدًا بفعل الرياح. حدق ڤيكتور في جبهة چين التي تشبه نصف قمر، وعينيها الداكنتين وشفتيها الدقيقتين المخمليتين.

"هل تعرفي لماذا ذهبت إلى جوندانجول اليوم؟"

" ألم يكن ذلك لالتقاط الصورة ولقاء بلانك؟"

" أردت فعلاً أن ألتقط صورة معك وأن يضع بلانك الخاتم في أصبعك. لكن السبب الأساسي هو قلقي من أنك لن تعودي".

أغلق ڤيكتور عينيه واستنشق شذا شعرها.

" انتابني جزع شديد في اللحظة التي وجدت فيها جراب العطر".

" كم كان شعورًا غريبًا. لقد انتظرت رؤية الجراب لمدة طويلة، لكن بمجرد أن رأيته، استولى علي الخوف أنني لن أراكِ ثانية. لم أستطع الجلوس هنا وانتظار عودتك".

لماذا فكر أنها لن تعود أبدًا؟ كانت چين ممتنة لسماحه لها بالعمل في دار الأيتام لذا حرصت على العودة إلى المفوَّضية دائمًا كما وعدته على ظهر محفَّة قبل الغروب. عند عودتها كانت تعد له عشاء كوريًا وأحيانا يتناولان الشاي ويتحدثان مع غيران أو بول شوي.

سألها ڤيكتور مرة بنبرة من يطلب طلبًا صعبًا إذا كان بإمكانها المشي معه تحت ضوء القمر. مشيا بعيدًا حتى بوابة استقبال الخريف. زارا النادي الدبلوماسي في "جيونجدونج". زار موفَد روسيا الذي وطّد ڤيكتور علاقته به المفوَّضية مرة. يعامل الدبلوماسيون چين أمام ڤيكتور على أنها عشيقته الرسمية. بغض النظر عما يظنونه في السر، كانوا يبدون الاحترام لها في العلن.

ثمة أمسيات كانت تُقام فيه مائدة عشاء رسمية في المفوَّضية يحضرها مسؤولون من هيئة التجارة والدبلوماسية ورجال فرنسيون. كان يتورد وجه الطباخة من ضغط توفير آنية جديدة وضرورة ذهابها إلى ميناء "مابو" لشراء مكونات طازجة لإعداد الطعام. كانت چين لا تتأخر في مساعدتها فرقّ قلب الطباخة اتجاهها. حتى غيران الذي كان يرى أن وجود چين في

المفوَّضية أمرًا غير لائق، أشار إلى أن جوًا من الألفة قد ساد المفوَّضية منذ انتقال چين للعيش فيها وكيف باتت أشبه ببيت حقيقي. لا بيت من دون امرأة.

باستثناء الأوقات التي كانت تشعر فيها چين بالغمّ مفكرة في الملكة (كانت كثيرًا ما تفكر في الملكة) كانت تجد معظم أيامها مفعمة بالرضا والطمأنينة.

" كان جزعي مبالغًا فيه. أعتقد أن بإمكاني الشعور بالراحة الآن".

كم كانت أفكارهما مختلفة. كان ڤيكتور متوترًا أنها قد لا تعود إليه بينما كانت چين تخشى أن يتخلى هو عنها. فبعد أن تيقنت أن عودتها إلى البلاط باتت ضربًا من المحال لم يعد ثمة مكان تلجأ إليه سُواه. خوفها كان الدافع الأول وراء وضعها لجراب العطر في رواية "البؤساء".

لم يكن هذا هو سبب خوفها فقط. كانت تخاف مما سيحدث لفؤاد يوهان حين يعرف.

" أحبك".

أمال ڤيكتور چين برقة بين ذراعيه. لثم جبهتها. كانت يده ترتعش وهي تحل عقدة شريط ردائها. انكشف كتفاها أسفل الحرير ثم ظهر الحزام الأبيض الذي تلف به صدرها. برزت قمة ثدييها المكتنزين بينما يحاول بارتباك حل عقدة الحزام قبل أن يتحررا. غطت چين مكان جرحها بيدها. كان قد التئم لكن خلّف وراءه ندبة. أزاح ڤيكتور يدها برقة ثم قبّل الندبة. جفلت چين من اللذة. دفن ڤيكتور وجهه بين نهديها

الطليقين. لا يمكن لشيء آخر في العالم أن يكون أكثر استدارة أو نعومة منهما. كانا مثل غيمتين بيضاوين، أو قمر شديد البياض، أو مياه صافية.

من هذا الرجل بالنسبة إليك؟ تردد السؤال في ذهنها. بدا أن لحظة واحدة قد مرت بين وضع ڤيكتور الزهور في حجرتها أثناء مرضها وتجريدها من ثوبها الآن طبقة تلو الأخرى. ظلت يدا چين في يديه.

احتوت وجهه بين يديها. التقت نظراتهما وإيقاع أنفاسهما المتسارعة. نظرت عينا چين السوداوين إلى عيني ڤيكتور الزرقاوين تحت ضوء الشمعة. تحسست يد چين جبهة ڤيكتور ثم عينيه وأنفه وشفتيه. كانت يدها تتحرك ببطء مثل لمسات أعمى يحاول استكشاف طريقه من دون عكاز. عندما لمست چين شفتيه شعرت بالدموع تترقرق في عينيها. تحركت شفتا ڤيكتور ببطء نحو وجهها. لعق بلسانه النداوة المالحة التي تجمعت أسفل عينيها. تذكر الاسم الذي اختارته چين له في أول يوم أتت فيه إلى المفوَّضية.

" أنا غيلين. أنا مَلَكُكِ. مَلَكُكِ وحدك".

أغمضت عينيها الدامعتين وهمست له:

" خذني إلى اللوفر".

" لك هذا".

"خذني إلى نوتردام".

" لك هذا."

" خذني إلى غابة بولونيا".

" لك هذا".

"خذني إلى الحي اللاتيني".



" " لك هذا".

" والأوبرا".

ظلت عينا چين مغمضتين بينما تردد شفتاها أسماء أماكن في باريس، معالمها وحدائقها. اندهش ڤيكتور. متى تعلمت كل تلك الأسماء التي تخرج من شفتيها بسلاسة كحبات عقد؟! تتكلم كامرأة عاشت في باريس طوال حياتها وراحت تتذكر كل الشوارع التي مشت فيها وكل مكان زارته. حديقة لكسمبورج، والشانزليزيه، وليزانفاليد[٥٤] وجزيرة إيل دولاسيتي... قطع ڤيكتور هذا السرد الموسيقي للأمكنة بقبلة طبعها على شفتيها.

"سأذهب إلى أي مكان في العالم معكِ".

أبعدت چين يديها عن وجهه لتحرر شعرها المعقود على هيئة كعكة. امتدت ضفيرتها أسفل كتفيها. خلع ڤيكتور ثيابه وعانق بجسده العاري جسد چين بقوة كأنه لا يريد أن يتركها أبدًا. داعبت خصلات شعرها برائحته الذكية صدره. مررّ شفتيه على شحمة أذنيها وعنقها وما بين نهديها وبطنها وفخذيها وعانتها ثم نهديها مرة أخرى. دفن ڤيكتور وجهه فيهما واستلقى ساكنًا كما لو كان ينصت إلى صوت تنفسها. كيف كان بإمكانه أن يعرف أنه سيعشقها كل هذا العشق، هذه المرأة الكورية ذات العيون السود؟ كما انجذب إلى سحر جمالها، انجذب إلى جسمها الدافئ. التحم جسداهما.

---

٥٤ ليزانفاليد: مجمع من المباني في الدائرة السابعة من باريس يحتوي على متاحف ونصب تذكارية عسكرية ومستشفى ودار للمتقاعدين من قدامى المحاربين بالإضافة لموقع دفن أبطال الحرب في فرنسا وعلى رأسهم نابليون بونابرت.

تطايرت أوراق شجرة العنقاء المتساقطة في وسط الفناء. تلاعبت بها الرياح يمينًا ويسارًا.

كانت چين أول من استيقظ وقت الفجر. تسربت أشعة الشمس الأولى عبر النوافذ الزجاجية. كانت الحجرة هادئة كما لو كانت في أعماق البحر. اعتادت على الاستيقاظ على رائحة شذا الزهور المكدسة بجوار فراشها لكن الآن امتزجت تلك الرائحة برائحة المحيط. لم تنم عارية من قبل. ظلت الشراشف التي حاكتها سوه مكومة بجوار الفوتون. حاكتها سوه من أجل ليلتهما الأولى معًا لكن لم تتح الفرصة لچين كي ترتديها أو تضعها تحتها كي تتلطخ ببقع الدم. كان هذا هو الغرض منها وفقًا للتقاليد الكورية.

ارتسم طيف ابتسامة على شفتي ڤيكتور النائم، الذي لابد أنه قد وجد النوم على "فوتون" بدلاً من سريره أمرًا غير مريح. أعاد شاربه المشذب بعناية إليها ذكرى أحداث ليلة الأمس فاحمرت خجلاً. كان لهذا الشارب الذي لامس وجهها وشفتيها وثدييها وحتى أصابع قدميها لمسة خشنة كفرشاة كتابة وناعمة كالحرير في آن واحد. تنفس ڤيكتور بعمق. همت چين بالنهوض قبل أن توقظه حركتها لكن ڤيكتور الذي ظنت أنه نائم همس: " طائري الأزرق". قبل أن يجذبها ثانية إلى تحت الملاءات.

كان ذلك قبل عام من الانتهاء من تشييد برج إيفل الذي وقف شامخًا بجوار نهر السين في باريس تخليدا للذكرى المئوية للثورة الفرنسية.

الفهـرس

الصفحة

الكتب خان للنشر والتوزيع ®

١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.

تليفون: ٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+

بريد إلكتروني: info@kotobkhan.com

موقع إلكتروني: www.kotobkhan.com



"رواية مستلهمة من قصة حقيقية عن راقصة بلاط في أواخر القرن التاسع عشر، تناقش رواية شين ثيمات عن الاختلاف والتوافق والهوية بين حضارتين عن طريق وضع تاريخ كوريا إلى جانب راوي من الغرب. تلقي شين الضوء على التباين الشاسع بين أوروبا وكوريا الأمة الآسيوية الأكثر عزلة. تتعمق راقصة البلاط في مناقشتها لما يمكن أن تفقده بلد ما من هويتها في مقابل الحداثة."

جريدة الواشنطن بوست

عالم صاخب بالأحداث، تنفتح مملكة كوريا المنعزلة على العالم للمرة الأولى، حيث وجدت كوريا نفسها في السنوات الأخيرة من القرن التاسع عشر أمام تغيرات عالمية سريعة، جارتان تطمعان في السيطرة عليها وتحويلها إلى تابع "الصين و اليابان"، كذلك تسعى الإمبريالية التوسعية لغزوها بحجة التحديث.

قصة حياة "جين لي" الفتاة الجميلة اليتيمة التي شاءت لها الأقدار أن تكون راقصة البلاط الملكي، وأن تكون موضع اختبار للتحولات الكبيرة التي يمر بها وطنها، بين جنة طفولتها القديمة في قريتها الصغيرة وبين مؤامرات البلاط الملكي، بين حبها لعازف الناي الأخرس "يون" وبين قدرها الجديد في المفوضية الفرنسية. ماذا ستفعل راقصة البلاط بعد أن انفتح أمامها عالم فلوبير، فيكتور هوجو، عالم رامبو واللوفر؟!

رواية شائقة مكتوبة بحرفية عالية تختفي وراء البناء البسيط واللغة الهادئة، وتكشف عن عمق وفهم للألم الإنساني، وترصد لنا مجتمعا كاملا وتحولات جذرية يمر بها الناس والأوطان.

كيونغ شوك شين: (١٩٦٣) من أشهر الروائيين في كوريا الجنوبية وأول امرأة تفوز بجائزة مان الآسيوية الأدبية عن روايتها "أرجوك اعتني بأمي" سنة ٢٠١٢. ترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات وحازت الكثير من الجوائز والتقدير.

محمد نجيب: كاتب ومترجم وطبيب مصري من مواليد المنصورة ١٩٩٢، صدرت له العديد من الترجمات عن الكورية منها "الكتاب الأبيض" و"أرجوك اعتني بأمي" وغيرها.




ISBN 978-977-803-100-3
9 789778 031003



كيونغ سوك شين

راقصة البلاط

ترجمة محمد نجيب

رواية

راقصة البلاط

(جين لي)



리진1, 2
신경숙

The Court Dancer

Originally published in Korea by
Mun hakdongne Publishing Group

راقصة البلاط
رواية
الطبعة الأولى: ٢٠٢٢
رقم الإيداع: 2019/ 9727
الترقيم الدولي: 0-101-803-977-978
الغلاف: حاتم سليمان

الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.
تليفون: ٢٠٢٢٥١٩٩٦٥٦٩+
بريد إلكتروني: info@kotobkhan.com
موقع إلكتروني: www.kotobkhan.com

This book is published with the support of the Literature Translation Institute of Korea (LTI Korea).



كيونغ سُوك شِين

مكتبة | 871
سُر مَن قرأ

راقصة البلاط
(چين لي)
٢

رواية

ترجمة عن الكورية

محمد نجيب





فهرسة أثناء النشر
الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية المصرية

شين، كيونغ
رافصة البلاط: القصص الكورية/ تأليف: كيونغ سُوك شين. ترجمة: محمد نجيب ـ ط١. ـ القاهرة: الكتب خان للنشر والتوزيع، ٢٠٢٢
٢٨٨ ص، ٢٠ سم
تدمك: 0-101-803-977-978
١ - القصص الكورية
أ- العنوان
ب- نجيب، محمد (مترجمًا)
رقم الإيداع: 9727 الطبعة الأولى ٢٠٢٢

الكتاب الثاني

الجـزء الثالث

(١)
جلسة قِراءة



"جلالتك،

يبدو سوق المدينة كلوح "البادُوك"[١]. تتكدَّس فيه بضائع غريبة وفاخرة كالغيوم. يشهَدُ تهافُت الزبائنِ عليها على ثراء هذه المدينة. تتناثر البِرَك والزهور الاستوائية والأشجار الغريبة والغابات الخلَّابة في كل مكان من باريس كالنجوم.

يقولون هنا إنَّ باريس لم تكن هكذا دائمًا. قبل مئات السنين كانت البيوت صغيرة ومنخفضة الأسقف، والطرقات متلاصقة وضيقة بحيث لم يكن بمقدور السائرِ أن يرى أبعد من موطأ قدميه. غيَّر نابوليون الكثير في

---

١ البادُوك هو الاسم الكوري للعبة الغُو وهي لعبة قديمة صينية المنشأ يعود تاريخها إلى ما يقرب من الألفي سنة قبل الميلاد. كان تعلُّمها يعد أحد أربعة فنون يجب أن يتقنها السيد الصيني. انتقلت اللعبة إلى اليابان في القرن السابع الميلادي حيث شهدت تطورًا كبيرًا وباتت تعرف اللعبة عالميًا باسمها الياباني (الإيغو).

باريس بعد عودته إلى فرنسا وقد غزا عدة بلدان أوروبية. هدم المدينة القديمة وغيَّر كل شيء في نطاق عشرة "لي"[٢] من "قصر تويلري".

يتشعَّب اثنا عشر شارعًا من قوس النصر. يكتظ كل منها بالقصور والبيوت والمباني الضخمة مثل القصر الملكي في قلب المدينة. تقف المتاحف بجوار حدائق النباتات والسجون. تلقي الأشجار بظلالها على الضواحي حيث تسير العربات ليل نهار.

ينظر الغرب إلى باريس كمدينة نموذجية. ثمة اختراعات جديدة هنا كل يوم. في مجال الطبخ والثياب ودمى الأطفال وحتى الوسائل الترفيهية للكبار. يبدو أنَّ العالم بأسرِه مفتونٌ بالإبداعات الباريسية. الكهرباء والتلغراف جزءٌ من الحياة اليومية هنا ويمكنكِ أن تذهبي بالقطارات والسفن البخارية إلى أي مكان تودينه. لهذا لا يعتبرون باريس مدينة فرنسية، بل مدينة عالمية".

تفوح السعادةُ من روائح الصباح.

تخبز الخادمة "چان" الخبز في فرنٍ بالطابق السفلي. تتسلل رائحة الخبز الطازج من تحت عتبة الباب الرفيعة. يستقبل ڤيكتور هذه الرائحة في الصباح بابتسامة رضا. كانت الرائحة الذكية تذكيرًا له بأنه قد عاد إلى فرنسا. تمامًا مثل مذاق النبيذ والجبن.

في حجرة عالية السقف، جلست چين بفستانها الأزرق الخفيف أمام مكتب كبير مُزوَّد برفٍّ للكتب. غمست قلمها في قنينة الحبر وبدأت في

---

٢ "لي" أو "الميل الصيني": وحدة صينية قديمة لقياس المسافة.

كتابة رسالة. بجوارها كان القاموس الفرنسي/ الكوري بغلافه القماشي. كان القاموس هو أول شيء حزمته چين قبل السفر. لقد استُخدِمْ مراتٍ كثيرة لدرجة أن أوراقه المصفْرة صارت مُهلهلة وبالكاد تتعلّق بظهر الكتاب. كانت الورود تزخرف تقويرة فستانها الأنيق، وخيوط مشدٍّ الخصر ترتخي وتنقبض بيسرٍ مع حركة جسمها. تُّورة الفستان ضيقة أسفل الخصر ثم تتسع في انسدالها إلى الكاحلين وتمتد لتغطي قدميها. يكشف الفستان عن ظهر عنقها الناصع البياض أسفل شعرها المصفوف لأعلى، حيث عقصته على شكل كعكة.

كتبت چين "جلالتكِ" ثم حدَّقتْ في الرسالة.

نفذَ ضوءُ الصباح من ستائر الدانتيل المزخرفة بالورود، فلمعت الورقة البيضاء التي تكتب عليها. لم تستطع أن تفهم لماذا بدت كلمة "جلالتكِ" غريبة جدًا في تلك اللحظة. هل لأنه قد مرَّ عليها شهورٌ منذ آخر مرة نطقت بها بتلك الكلمة؟ سقطت قطرة حبر زرقاء من طرف قلمها على الورقة. مزّقتْ چين الورقة المُلطّخة وبدأت في الكتابة مجددًا على ورقة جديدة تحتها:

"جلالتكِ،

مرت خمسةُ شهورٍ على وصولي هنا. غَشى ضوءُ الشمسِ عينيَّ عندما وطأت قدماي أرض الميناء في مارسيليا. لكن الآن حلَّ الشتاء وتجمدت المياه. الفرنسيون متحمسون لعطلة الكريسماس القريبة. يقولون إنه عيد ميلاد المسيح الذي نسميه "ياسُو" في كوريا. لا يزال شهرٌ كامل متبقيًا على العيد، لكنهم بدأوا بالفعل الاستعداد لاحتفالات عشية الكريسماس. يسمون هذا الاحتفال "مأدبة ليلة الميلاد" ويحتسون فيه أجود خمورهم.

يحرص ڤيكتور على اختيار نوع النبيذ الذي سيحتسيه في عشية الكريسماس من الآن لأنها ستكون اول مرة يحتفل به في فرنسا منذ سنوات طويلة.

أتساءل إذا كنتم قد نسِيتُمُوني أو إذا كنت أخطر على بال جلالتكم من وقت إلى آخر.

على الرغم من أنني استغرقت وقتًا طويلًا لكي أتأقلم مع الحياة الباريسية وأبدأ في الكتابة لكم، لكنني كنت أفكر في جلالتكِ دائمًا كلما وقعت عيناي على شيء جديد. شيء لم أره من قبل أبدًا.

استغرقت الرحلة البحرية من جيمولبو إلى مارسيليا عبر شنغهاي ستين يومًا. لقد انتقلنا إلى سفينة تجارية في شانغهاي وواصلنا طريقنا من هناك إلى سايجون. باستثناء الستة أيام التي مكثناها في سايجون، كنا دائمًا على ظهر سفينة في قلب المياه مبحرين عبر سنغافورا وكولومبو وقناة السويس وميناء الإسكندرية. كانت رحلة طويلة وشاقة. تركني دوارُ البحرِ متشبثةً بدرابزين السفينة كأنَّ حياتي تعتمدُ على ذلك. الغثيانُ والدوارُ سرقا مني متعةَ الإبحارِ نحو عالمٍ جديد، واستبدلاها بجزعٍ شديد من الرحلة الطويلة التي تنتظرني. كنت أتخيل جلالتكِ تقفين بجواري على ظهر السفينة. ولا حتى أعتى العواصف يمكنها أن تهزّك. التفكير في ثباتك وصلابتك أكسبني القوة. أثناء رقودي في القُمرة من شدة الإعياء، كان ڤيكتور يقرأ لي من كتاب "عشرون ألف فرسخ تحت الماء" لجول ڤيرن. يقولون إنَّ المؤلف من مدينة "نانت"، وأنه قد كتب هذه الرواية بعد إبحاره

في محيطات العالم الشاسعة على ظهر يختٍ باركه القديس ميشيل بالمياه الكنسية المقدسة. كان طول اليخت لا يتجاوز الثلاثين "جا". [٣]

في بعض الأيام كانت قصص تلك الكائنات الغامضة التي تعيش في أعماق المحيط ملاذي الوحيد. لقد صعد الكثير من الركاب إلى السفينة أصحاء ليغادروها محمولين على ظهور الآخرين. كان دوار البحر الذي أصابني أخف وطأة بكثير. فحتى في الليالي التي كنت أشعر فيها كأنَّ أعضائي تتقلبُ بداخلي، كان الصباح يبزُغ في النهاية، حيث يمكنني رؤية الشروق المخضّبِ بالأحمر".

غمست چين قلمها في الحبر ثانية لكن ترددت وهي تنقل عينيها على ما كتبت. شعرت بالحيرة. ماذا ستظن الملكة من كتابتها بالقلم الحبر وهي التي لم تر سوى الكتابة الكورية المرسومة بالفرشاة؟ هل ستتضايق؟ أزعجها أن تشير إلى نفسها بالضمير "أنا" وليس "خادمتك" كما جرت العادة.

بعد برهة من التفكير، صحّحتْ چين مسكتها للقلم كي تُماثل مسكة الفرشاة، لكنها تركت "أنا" دون تغيير.

فقط القاربُ الذي يحتملُ العاصفةَ يمكنُه الوصول إلى برِّ الأمان.

بعد رحلتهما البحرية الطويلة إلى الجانب الآخر من العالم، وصلا إلى ميناء مارسيليا. رأت كلمات ڤيكتور تتحقق على أرض الواقع حين قال لها أنَّ بإمكان أي سفينة أن تُبحِر من مارسيليا إلى أي مكان في العالم والعكس. كانت المياه الزرقاء مُزدحِمة بالزوارق التي شقت طريقها في الماء لجرِّ

٣ جا: وحدة كورية لقياس الطول.

البواخر القادمة من المغرب وبريطانيا وبينانج وأمريكا وسنغافورا، وشانغهاي واليابان إلى الرصيف.

أحد الكتب التي قرأتها چين في مبنى المفوَّضية، أثناء انتظارها لأوامر الملكة، كان "الكونت دي مونت كريستو". وجدت صعوبةً في فهم كل سطر، لكن أسَرَتها أحداث القصة فأنهت الرواية بسرعة. تبدأ الرواية بوصول "أدموند دانتي" إلى مارسيليا لإشباع رغبةِ الانتقام المُضطرِمة بداخل قلبه.

عندما خطت چين أولى خطواتها داخل الميناء، واست نفسها بالتفكير في أنها على النقيض من دانتي، ليست هنا بدافع الانتقام بل الحبِ. كانت مُصمِّمة ألا تحبس نفسها في البيت، وأن تستكشف أكبر قدر ممكن من هذا العالم الجديد.

كان ميناء مارسيليا، الصاخبُ بالحركةِ والغارقُ في رائحة السمك الطازج وخبز العجين والبضائع والأعشاب البحرية، أكبر بكثيرٍ من أي ميناءٍ آخر زارته چين أثناء رحلتها.

أول شيء لاحظته هو الدرجات المختلفة لألوان بشرة وشَعر البشر الذين ينتظرون السفن على الرصيف. كان هنالك بشرٌ من كل الأعراق: أوروبين وأفارقةٍ وآسيويين وعربٍ. لكن رغم هذا، كانت چين بفستانها الباريسي مُلفتة للانتباه. نظر إليها الجميع، بداية من النسوة البيض اللاتي يحتمين من أشعة الشمس بمظلاتهنَّ حتى عمال شمال إفريقيا الواقفين على الرصيف. لم تنزل عينا سائق العربة الجزائري عنها، بينما يوصلهما الى محطة القطار. لم تشح چين بعينيها بعيدًا، بل نظرت إليهم مباشرة. كانت تنظر مباشرة إلى كل شيء حيًا كان أم جمادًا، خوفًا من أن يفوتها شيءٌ من

انطباعها الأول عن بلدها الجديد: العربات التي لم ترها من قبل، جزيرة "شاتو دي إيف" الرابضة فوق المياه الزرقاء؛ حيث سُجِن دانتي لأربع عشرة سنة على جريمة لم يرتكبها، والبخار الكثيف المتصاعد من السفن البخارية القادمة من كل أرجاء العالم، والشمس الساطعة، والبشر من كل جنسٍ ولون، وتمثال مريم العذراء فوق برج كاتدرائية يلمع تحت أشعة الشمس.

"جلالتكِ،

سبب تأخُّري الطويل في الكتابة إليكم، هو المرض الذي ألمَّ بڤيكتور بمجرد وصولنا إلى باريس. كان يعاني من التهاب في الحنجرة من وقت لآخر في كوريا، لكن هذه المرة صاحبت الالتهاب حمًّى شديدة. كانت نوبات الحمَّى تهاجمه خمس أو ست مراتٍ في اليوم. كنت قلقة من أن يفارق الحياة. كنا نعرف أن سبب مرضه هو تراكُم الإرهاق عبر سنوات طويلة من العيش في الخارج، وقد تحرَّر من لجامه بسبب الاسترخاء الذي شعر به ڤيكتور لعودته إلى الوطن. تفاقم الالتهاب، وعجز ڤيكتور عن الكلام والأكل لدرجة أنه بالكاد كان يتنفس. لم تنخفض حرارته المرتفعة بأي طريقة وهو ما أقلقنا جميعًا. لذا توجب نقله إلى المستشفى. لحسن الحظ المستشفيات هنا جيدة جدًا. تشبه مستشفى "جوانجهيون" لكنها أكبر بكثير. يوجد عشرات بل مئات الممرضات والأطباء. المستشفيات هنا ليست مكانًا لتلقي العلاج فقط. يبدو أنها تُنفِّذ تعاليم الكاثوليكية في تقديم المعونة للمحتاج. كما تعرفين جلالتكِ، فإن دكتور "ألين" صاحب فكرة مستشفى "جوانجهيون" طبيب ومُبشِّر بالكاثوليكية أيضًا".

توقفت چين عن الكتابة وألقت نظرة على ساعة الجيب الفضية على رف المكتب. نسي ڤيكتور ساعته مرة أخرى. كانت تشير إلى التاسعة

وعشرين دقيقة. مُعلّمة التاريخ "سيمون" دقيقةٌ دائمًا في مواعيدها. سترن جرس الباب بعد أربعين دقيقة بالضبط.

وقفت وسحبت الستائر لتلقي نظرة على الساحة.

في الجهة المقابلة وقفت عربة تنتظر أمام بيتٍ محاط بأجمّة من أشجار الزان. بدا أن امرأة هذا البيت على وشك الخروج. لم تكن چين تشعر أبدًا أنها في بلد أجنبي، أكثر مما تشعر وهي تتأمل بيوت الحي الذي تسكنه في باريس. يمثل كل مبنى من أربعة طوابق بيتًا مستقلًا، طوابقه متصلة بسلالم داخلية. يتجاور ستون بيتًا حول ساحة مربعة الشكل. لكل بيت نوافذ تطل على الساحة بما فيها من أجمّة أشجار الزان ونافورات ومقاعد خشبية. في ليالي الصيف الحارة ونهارات الخريف المُشمِسة، يخرج السكانُ من البيوت للاستمتاع برذاذِ مياه النافوراتِ المُنعشِ، أو للقراءة والاسترخاء فوق المقاعد الخشبية.

شكّلت الطوابقُ الأرضيةُ للمباني مجموعةً من المتاجر تعلوها مظلات ممتدة بطول الشارع، ليحتمي بها المارة من المطر أو الثلج. تبيع المتاجر كل السلع اليومية الأساسية مثل الخبز والفاكهة والخضراوات واللحم والنبيذ والأقمشة. ترافق چين أحيانًا خادمتها الشابة چان بخدّيها المنتفخين كالتفاح، عندما تخرج للتسوق. أدهش تصرُّفها هذا چان، لكن چين كانت تستمتع بالنظر إلى الأجبان مختلفة الأشكال والأصناف، واللحوم الحمراء المُعلّقة في محل الجزار والفاكهة الحلوة والخضراوات الملوّنة ومتاجر الأحذية والأقمشة بمعروضاتها التي لا حدود لتنوُّعها.

بينما تساوم الخادمة الباعة بفرنسيتها السريعة، كانت چين تتذكر ذهابها إلى رصيف ميناء "مابو" بكوريا لشراء السمك مع طبّاخة المفوّضية.

لفت شيءٌ ما أنظار چين وهي تتطلع الى الساحة المشرقة. رأت خادمهم الشاب "ڤينست" يهرول مخترقًا أشجار الزان. كان يمسك بباقة زهور في يده. لا بُد أنه قد ذهب الى سوق الزهور الصباحي. شراء زهور المنزل هي مهمة چان. *هل اشتراها ليهديها الى چان؟* سيتورد وجه چان خجلًا وستنكر هذا، لكن چين تعرف غرام الشاب بچان التي لا يبدو أنها تعارض الاهتمام الخاص الذي يوليه إياها. اختفى ڤينست تحت مظلات المتاجر. أطلت چين برأسها خارج النافذة لترى نوعية الزهور التي يحملها ڤينست. كل ما تمكنت من رؤيته هو جزء من قبة مظلة يلمع في ضوء الشمس. جلست مجددًا وقرأت بسرعة ما كتبته حتى الآن. كيف يمكنها وصف سرعة القاطرة التي نقلتهما من مارسيليا الى باريس؟ عدم كفاية مفرداتها لوصف ذلك سيطر عليها كالإحساس المادي بالعطش. التقطت چين القلم، وغمسته في الحبر مرة أخرى:

"جلالتك،

ها أنا هنا أتعلم أشياء جديدة عن فرنسا كل يوم.

تحسَّنتْ فرنسيتي. أتلقى دروسًا في الفلسفة والتاريخ والأدب والموسيقى. لا أزال أشعر بغصةٍ حين أتذكر الأسقف بلانك الذي علَّمني الفرنسية لأول مرة. كان قلقًا عليَّ لآخرِ لحظةٍ في حياته. أخبرَ ڤيكتور مرارًا إنه يجب أن يثقَ فيَّ دائمًا وأن يحبني كما أحبَّ هو كوريا. علمتُ أنَّ الأسقف "ميوتل" قد حل مكانه. لا بُد أنه قد وصل من فرنسا الآن. يبدو أن ڤيكتور يعرفه من قبل. يقول إنه سيفيد كوريا كثيرًا، وأنه سيكمل خطط الأسقف بلانك في بناء كاتدرائية جونغهيون، وإنشاء مدرسة جديدة تمامًا كما فعل هنا في فرنسا. أعرف أن جلالتكِ لستِ مُتيَّمةً بالدين الكاثوليكي، لذا رجاءً سامحيني على ذكر تلك الأشياء! قد لا يرتاد الفرنسيون الكنيسة كثيرًا،

لكنهم يطلقون على أنفسهم "كاثوليك" وينصاعون لتعاليمها في معظم الأحيان. تحتل الكاتدرائيات مكانًا بارزًا في كل بلدة. تقع في باريس كاتدرائية مَبنيَّة منذ مئات السنين وتمثل رمزًا أصيلًا يشهد على تاريخهم".

كانت چين منهمكة جدًا في الكتابة، ولم يوقِفها عن الكتابة سوى طرقات قوية على باب الحجرة. وقف ڤينسنت خارج الباب ممسكًا بباقة من الورود الحمراء. يقال في فرنسا أن الورود هي الزهور التي تزدهر كل صباح حاملة معها ألفَ أمل. الفرنسيون يعشقون الورود خصوصًا الحمراء. يزرعونها في كل مكان ليس فقط في البساتين الصغيرة بل في أماكن أخرى غير تقليدية. الجزء الأعظم من سوق الزهور الصباحي مخصص لعرض الورود. هنالك دائمًا دِلاء من الورود بغض النظر عن الموسم. كان خدا ڤينسنت محمراوين. لا بُد أن الجو في الخارج باردٌ جدًا. تأرجحتْ خصلات شعره البني فوق جبهته وهو يقدم لها باقة الورود الحمراء.

"ما المناسبة؟"

تناولت چين الباقة منه بتردد. كان ڤينسنت أطول بكثير منها لذا كان ينظر إلى أسفل أثناء الحديث معها.

خلع ڤينسنت قبعته. كان شعره تحتها غارقًا في العرق. لا بُد أنه قد ركض لمسافة كبيرة. ابتسم بحياء. كان في الحقيقة مجرد صبي رغم لحيته الكثيفة التي تنمو بسرعة بين يوم وليلة كلما حلقها. تماشى حياؤه مع سنه الصغير. كانت إحدى حمالتيّ بنطاله قد سقطت عن كتفه.

"لديَّ طلب، مدام!"

"ما هو؟"

"سمعتُ أنكِ ستذهبين إلى حجرة المطالعة في بون مارشيه".

لا بُد أن چان هي مَن أخبرته بذلك. قال ڤيكتور إنه سينضم إليها هناك قادمًا من وزارة الخارجية. كانت مناسبة ينظمها مسيو "بلانشارد" أحد مالكي "بون مارشيه". ذكرت الدعوة أن المناسبة ستتضمن جلسة قراءة، تتبعها جولة لمشاهدة الأعمال الفنية في المعرض المجاور لحجرة المطالعة.

ركع ڤينست على ركبتيه أمام چين. مندهشةً من تصرفه، حاولت چين أن تجعله ينهض ثانية.

"ما معنى كل هذا؟! انهض فورًا!"

طافت چين ببصرها في الحجرة ريثما ينهض.

"أمنية حياتي أن أدير قسمًا في مُجمَّع بون مارشيه يومًا ما".

تعرف چين ذلك بالفعل من ثرثرة چان، التي أخبرتها أيضًا أن بسبب نسَبِ ڤينست الضعيف، لن يمكنه أبدًا أن يكون عاملًا في بون مارشيه فما بالك بمدير قسم!

قالت چان لها:

"حلمٌ أحمق! حتى العاملون هنالك يفخرون بمراكزهم. الشبان البورجوازيون الذين يقيمون في بيوت تطل على السين مباشرة لا يتمنون شيئًا سوى العمل هناك. لكن ابن تاجر أجبان يعتقد أن بإمكانه أن يكون مديرًا في بون مارشيه؟! هذا أمر لم أسمع به من قبل، مدام!"

رغم رفضها الظاهري أن تأخذ حلمه على محمل الجد، لا يبدو أن چان تستهزئ بحلمه، بل على النقيض.

"هل تريد مني أن أفعل شيئًا من أجلك، ڤينست؟ انهض أولًا!"
كان لا يزال راكعًا.
"فقط إذا وعدتني بتحقيق طلبي".
"كيف أعدك بشيء لم أسمعه بعد؟ رجاءً، انهض!"
نهض ڤينست عن الأرض ببطء.
"الآن، ما هو طلبك؟"

"لقد كان مسيو بلانشارد في صالونكم مؤخرًا، مدام! هو أحد مُلّاك بون مارشيه. هل يمكنك أن تزكيني عنده؟"

"اشتريت لي زهورًا كي تطلب مني هذا فقط؟"
ابتسامة چين المتعجبة جعلت ڤينست يبتسم ابتسامة اطمئنان عريضة.
"ستزكيني عنده، مدام؟!"
"لكنني لا أعرف مسيو بلانشارد جيدًا. لقد قابلته تلك المرة فقط!"
أغمض ڤينست عينيه ذات الحاجبين الطويلين ببراءة.

عندما تكون صغيرًا، كل ما تحتاجه كي تكون سعيدًا هو تصوُّر للمستقبل، مهما بدا صعب المنال.

لم ترَ چين ڤينست شغوفًا بأي شيءٍ من قبل. بدأ يحدِّثها بحماس، كأنه صعد للتو على ظهر سفينة على وشك الإبحار نحو عالم مجهول.

"لكن، مدام! الأشخاص الذين حضروا إلى الصالون تلك الليلة كانوا مفتونين بك! كل كلمة نطقتِ بها، والطعام الكوري الشهي الذي أعددته!"

أغمض ڤينست عيناه ليتذكر، ثم فتحهما من جديد.

"لقد أغرِموا برقصك. لقد كدت أُسقِطُ الصينية من شدة إعجابي بروعته. لم أر رقصًا مثل ذلك أبدًا. كأنكِ صرخت في وجوه جميع مَن بالحجرة: لا تتحركوا!"

تعبيره العفوي أضحك چين. الرقص الفرنسي رقيق ومرن، بينما الرقص الكوري مُبجل ورزين تتخلله فترات سكون كثيرة. فهمت چين قصده بتعبير "لا تتحركوا".

"لقد أسكتَ رقصكِ الجميع. حتى وزير الخارجية لم يستطع إبعاد عينيه عنك. لقد وعد بإقامة حفل راقص وتوسَّل إليكِ كي ترقصي فيه. لم أر وجوهًا منتشيةً كوجوههم مِن قبل. بدا كأنهم اكتشفوا اكتشافًا جديدًا. كان مسيو بلانشارد أكثرهم انشداهًا. أعتقد أنكِ الوحيدة التي لم تلاحظي ذلك. كان ملازمًا لك! إذا سألتيه تعييني فلن يرفض".

خرجت الكلمات من فمه، كما لو كانت مُعدَّة مسبقًا. لم تسمعه چين يتكلم كثيرًا هكذا مِن قبل.

"إذا سنحت الفرصة لي، فسأسأله!"

أشرق وجه ڤينست كطفل فرح من إمكانية تحقُّق أمنيته، لكنه سرعان ما أظلم من القلق.

"عليكَ أن تعطي هذه الزهور لچان، يا ڤينست!"

"لكنها أبهى زهور السوق!"

"لهذا عليك أن تعطيها لچان!"

أغمض عينيه الكبيرتين.

"لأنكَ مغرم بها".

ابتسمت چين، فعلا وجهه الخجلُ من جديد. حكَّ جبهته بيده التي تحمل القبعة.

كانا في تلك اللحظة مثل صديقين شابين أكثر من سيدة وخادمها. ناولته چين الباقة وأشارت له برأسها: "هيا! اذهب!"

أخذ ڤينست الباقة منها. كان على وشك المغادرة عندما أوقفته چين.

"لكن لماذا تريد العمل هناك؟ هل العمل هنا شاق جدًا؟ أم أن راتبك منخفض؟"

لم تكن چين تعرف راتبه فڤيكتور من يتولى ذلك.

"لا، لا على الإطلاق، مدام!" سارع بالقول. "العمل هنا جيد. لكن في بون مارشيه تحظين بفرصة للترقي إذا أثبت كفاءتك. مدير قسم يضاهي في مكانته المالك نفسه. إنه عمل عظيم لي. لن أحسد مَلِكًا إذا عملت هناك. يعطون حوافزَ أيضًا في الكريسماس".

"حوافز؟"

"مكافأة لعمال المبيعات الأكفأ طوال السنة الماضية. أليس ذلك رائعًا؟ هناك يمكن لعامل المبيعات أن يترقى حتى يصبح مالكًا، مدام!"

مالك في بون مارشيه! لم تستطع چين سوى الانبهار بطموح ڤينست. إذًا حلمه أن يكون مالكًا وليس مجرد مدير قسم؟ لم تعتقد أن هذا الحلم مستحيل. بدلًا من ذلك، تغيَّرت فكرتها عن ڤينست وبون مارشيه.

"لأكن صادقًا معكم، مدام. . . !"

على عكس الثقة التي أظهرها منذ لحظات، تقهقر عائدًا إلى حياته من جديد.

"إذا أصبحتُ عاملًا في بون مارشيه، ستقبل چان حبي لها. ذلك هو السبب الأكبر".

ابتسم ڤينست كطفل قبل أن يهرول نازلًا السلم. شاهدته چين يختفي في الممر قبل أن تجلس من جديد أمام رسالتها إلى الملكة. حدقت طويلًا في قلمها الحبر.

يبني البشرُ المدنَ، وتبني المدنُ البشرَ.

نشأ ڤينست في "بلانس" نفس القرية التي أتى منها ڤيكتور. هو ابن تاجر أجبان. قدَّمته والدة ڤيكتور إليه. تتضمن مهامه في المنزل أخذ الرسائل إلى مكتب البريد، واستدعاء العربات وتصنيف مجموعة ڤيكتور التذكارية والاعتناء بها، وأداء بعض الأعمال اليدوية في البيت. من دون ڤينست كان ڤيكتور ليتخلّى عن الكثير من وقت فراغه. سمعت چين ڤيكتور، الذي يصعب إرضائه، يمدح ڤينست في مناسبات عديدة. يثق ڤيكتور فيه، لكن ها هو الفتى يأمل في ترك العمل هنا والالتحاق ببون مارشيه. سيحزن ڤيكتور لرحيله.

لم تكن الملكة فضولية لمعرفة شكل حياة چين في باريس قطعًا حين طلبت منها كتابة الرسائل إليها. ما أرادت الملكة معرفته هو القوانين التي يعيش هذا الشعب البعيد تحت ظلالها وأفكارهم وحياتهم اليومية. كيف تصف چين طموح ڤينست للملكة، واعتباره بون مارشيه أعظم مكان للعمل في باريس قاطبة، مكانًا مستعد لأن يهبه حياته؟ شعرت چين بصعوبة شرح ذلك، فأنزلت القلم مرة أخرى.

في الشتاء يهبط الظلام بحلول الخامسة.

كان كل ما فعلته بعد ظهر ذلك اليوم هو درس التاريخ، برفقة المعلّمة سيمون، الذي استغرق ساعة. مع هذا، مرَّ النهار سريعًا. بمساعدة چان، ارتدت فستانًا بنفسجيًا ثم وضعت على رأسها قبعة مُزيَّنة بريش وتعطرت بعطر خشب الصندل. كانت مصابيح الشارع تُضاء الواحد تلوَ الآخر، حين فرغت من الاستعداد للخروج.

يطول الليل مع قصر النهار. شاهدت چين المنظر المُتغيِّر، بينما تمضي العربة التي استدعاها ڤينست في طريقها. لمعت واجهات المباني والمتاجر تحت أضواء مصابيح الغاز في الشوارع. أخبرتها چان أن "متاجر الحداثة" كانت تغلق أبوابها في الماضي مع غروب الشمس، لكن الآن بفضل مصابيح الغاز أصبحت تفتح حتى في المساء. حين سألتها چين ما هي "متاجر الحداثة"، قالت لها أنها متاجر تبيع آخِر الصيحات في الفساتين والأقمشة بكل الألوان، والمظلات والأحذية والعطور. اعترفت لها چان بمدى استمتاعها بالمشي أمامها وتأمُّل المعروضات تحت ضوء المصابيح. لكن لم تكن المرأة الباريسية الوحيدة المهتمة بمعرفة كل ما هو جديد في مشهد الموضة. سهَّلت الطرقات المُعبَّدة وصول العربات إلى تلك المتاجر. قالت چان بحماسة أن المشي أمام واجهات المتاجر وسط المعروضات الجديدة يجعلها تشعر كأنها داخل عالم مختلف.

رافقتها چين مرة في يوم إجازتها حيث اشترت من متجر أقمشة يَعج بالبضائع من كل لون ونوع، قماشًا أبيض سميكًا ولفة حرير للتطريز ومجموعة من الإبر ومقص وشريط قياس. قطعت چين القماش إلى مربعات وخاطت الحواف، ثم طرَّزت نبتة عود الصليب في منتصف كل

مربع لتصنع محارم قماشية، أهدتها لضيوف الصالون الذي أقامه ڤيكتور في بيتهما.

كانت الشوارع مضاءة بألوان احتفالية. تلألأت واجهات المتاجر الزجاجية بضوء ساطع. وعلى كل واجهة عُلِّقتْ لافتة تقول: "تخفيضات الكريسماس". تدرجت حدة الأضواء حتى بلغت ذروتها عند بون مارشيه، جاذبةً الأنظار إليه من بعيد. على النقيض من الجدران المطلية بالأبيض للمبنى القديم، كان مبنى بون مارشيه الجديد الذي صممه إيڤل،[4] يقف بشموخ في قلب الضوء. كان مغريًا لدرجة تجذب أي مار للتوقف وإلقاء نظرة سريعة. التحية الودودة التي لا يكف العمال الواقفون أمامه عن إلقائها تضيف لهذا الإغراء. توقفت عربة چين بمحاذاة الرصيف المزدحم أمام مبنى المجمع الجديد. كان ڤيكتور في انتظارها ليرافقها إلى المناسبة المقامة في حجرة المطالعة في الطابق الثاني. ساعدها على الترجُل من العربة. لثم خدها برقة. لم ينس أن يهمس في أذنها: "طائري الأزرق الصغير"، أو أن يمنح سائق العربة بقشيشًا.

"ما هذه الرائحة؟"

تترك شجرة خشب الصندل البيضاء شذاها، حتى على نصل الفأس الذي يقطعها.

"أي رائحة؟"

"الرائحة التي تفوح منك؟"

---

٤ ألكسندر جوستاف إيڤل (١٨٣٢ -١٩٢٣): مهندس معماري فرنسي بنى العديد من الجسور والسكك الحديدية لكنه اشتهر بتصميمه برج إيڤل وتمثال الحرية الذي نُقل بعد ذلك إلى نيويورك.

"إنها رائحة خشب الصندل. ألا تعجبك؟"

"لا، لا على الإطلاق. يمكنني أن أمَل من شمها".

تذكر ڤيكتور رائحة خشب الصندل التي كانت تفوح من جسد چين في أول ليلة نام فيها معها. كيف يمكنه نسيانها؟ بالنسبة إليه، كانت رائحة الشرق. لم تكن رائحة مميزة لذكراه مع چين فقط، بل لتماثيل بوذا القديمة التي جمعها من الصين وكوريا. هل رائحة خشب الصندل هي التي ولّدت فيه تلك الرغبة المُلحة لعناق چين؟ لكنه اكتفى بإحاطة خصرها بذراعه. ابتسمت چين لتحية عمال المتجر اللبقة، وفكرت للحظة في ڤينست. كان كل العمال مهذبي السلوك ومتعاونين، ويبتسمون كأنهم مولودون ليبتسموا فقط، لكن حتى هم لم يستطيعوا أن يمنعوا أنفسهم من اختلاس نظرة إلى المرأة ذات الملامح الشرقية سوداء الشعر داكنة العينين، التي تلبس مثل سيدة فرنسية. لاحقتها النظرات، بينما تشق طريقها عبر السلم اللولبي، متجاوزة الڤاترينات الممتلئة بمعروضاتٍ مغرية، نحو حجرة المطالعة.

استقبلهما مسيو بلانشارد أمام الباب. بادلاه التحية قبل أن يقدم مسيو بلانشارد لهما زوجته الواقفة بجواره. ابتسمت مدام بلانشارد لچين. كشفت ابتسامتها عن تجاعيد دقيقة حول فمها. كانت حكاية عودة موفَد فرنسا من الشرق بصحبة امرأة سوداء العينين موضوع الساعة في جلساتها مع قريناتها. حاولت مدام بلانشارد أن تعامل چين بحميمية، كأنها تعرفها منذ زمن. لكن أدهشتها رؤية امرأة آسيوية تتحدث الفرنسية بطلاقة. كانت لكنتها غريبة قليلًا، لكن طريقتها في الحديث تشي بارتياحٍ تام. ما الذي جعل ڤيكتور يغرم بها؟ استولى عليها الفضول فتخلّت عن قناع حرصها، وراحت تراقب كل حركة تقوم بها چين.

بينما يتوافد المدعوون، طافت چين ببصرها في أنحاء الحجرة. ثمة سجادة خضراء تتوسط الحجرة، يقف عليها حشد من البشر. عندما اقترح "بوسيكو" مالك المتجر بناء حجرة مطالعة، اعتقد المعماري إيڤل أن الفكرة غريبة. مساحة ليست للمزيد من المعروضات بل من أجل المطالعة، نشاط غير مُربح وفي الردهة الرئيسية للمتجر، أكثر نقطة مزدحمة في المبنى كله والتي لا بُد أن يمرَّ عليها كل من يرتاد المجمع؟! لاحقًا فقط أدرك الناس جمال فكرة بوسيكو عندما صارت حجرة مطالعة بون مارشيه قِبلَة الباريسيين. كانت بمثابة نقطة التقاء. مكان يمكن للأمهات المُوسِرات ترك أطفالهنَّ يقرأون فيه أثناء تسوقهنَّ. كانت أيضًا صالونًا أدبيًا للمجتمع الباريسي. تضم المكتبة أرشيفًا للجرائد القديمة، وتتيح الجرائد الحالية للقراءة أيضًا. كذلك كانت تُقَدم أوراقًا ممهورة بشعار بون مارشيه، وأظرفًا وأقلامًا وقنينات حبر لرواد حجرة المطالعة من أجل كتابة الملاحظات والرسائل.

"مدام!"

التفتت چين لترى مدام بلانشارد تقف وراءها. كان ڤيكتور يقف بعيدًا في الرواق خلف الأعمدة الرخامية يتحدث مع مسيو بلانشارد.

هل ثمة متجر عطور قريب من هنا؟ كان بإمكان أنف چين التقاط روائح كثيرة من حولها.

"كيف هي الحياة في اليابان؟ هل المتاجر هناك مشابهة لهذا؟"

لا بُد أن مدام بلانشارد تعتقد أنها يابانية.

"لم أذهب إلى اليابان أبدًا، مدام!"

علا وجه مدام بلانشارد نظرة خجل للحظة قبل أن تقول: "أرى ذلك. هل أنتِ صينية؟"

"لا، أنا كورية".

"كورية؟"

"أصادف ردة الفعل نفسها كثيرًا هنا"، قالت چين مبتسمة لتزيل الحرج عن مدام بلانشارد.

أحيانًا تبدأ العلاقاتُ بين البشر بسوء تفاهم غير مقصود.

كان من البديهي أن تظن مدام بلانشارد عندما سمعت أن چين من الشرق، أنها يابانية أو صينية. قد يختلف الترتيب لكن لم تكن لتفكر في أنها كورية من تلقاء نفسها. شرحت چين لمدام بلانشارد المحرجَة أن كوريا دولة تقع بين الصين واليابان.

"لم أسمع عنها أبدًا".

أمالت مدام بلانشارد رأسها مستفسرة. لم تعرف چين كيف تشرح كوريا لشخص لم يسمع باسمها حتى، رغم أنها ليست أول مرة تجد نفسها عالقة في هذا الموقف.

"كوريا أشبه إلى حد ما بإيطاليا".

"إيطاليا؟ إذًا لا بُد أنها دولة كبيرة حقًا".

ابتسمت چين مرة أخرى. ذكرت إيطاليا لكن في الحقيقة لا تعرف أي شيء عن تلك البلد. سمعت ڤيكتور مرة يعطي هذا الرد لشخص سأله عن

الحياة في كوريا. فكرت چين أن مدام بلانشارد ستكوّن انطباعًا خاطئًا بأن كوريا دولة كبيرة.

"إذًا رقصتكِ كانت كورية؟"

فهمت چين أنها تشير لرقصة "أوريول الربيع" التي أدتها أثناء المأدبة التي أُقيمتْ احتفالًا بترقية ڤيكتور مسؤولًا عن شؤون شرق آسيا في وزارة الخارجية. بسبب الأجواء الصاخبة ذلك المساء، ربما بسبب كل النبيذ الذي احتساه المدعوون، كان من المستحيل أن ترفض چين طلبهم بأن يروها ترقص رقصة كورية. لم تجد چين سوى موسيقى الڤالس لترقص على أنغامها، ولم يكن معها زي الرقص، لذا كانت أول رقصة كورية تؤديها على التراب الفرنسي وهي مرتدية فستانها الأزرق.

سمعتا نداء مسيو بلانشارد على زوجته فالتفتتا. فوجئت چين حين لمحت رداءً كوريًا بين الأعمدة. رمشت چين. هل تتوهم أشياء؟ قادتها مدام بلانشارد نحو المعرض. لم تكن چين تتخيل. ثبتت عينيها على رجل طويل يرتدي رداءً كوريًا أبيض، وقبعة "جات كورية" حافتها عريضة يبرز منها شعر أسود على شكل ذيل حصان. شخص بالثياب الكورية بعيدًا جدًا عن الوطن!

"مرحبًا!" حيَّاها الرجل بالكورية. كم مضى على آخر مرة تسمع فيها الكورية؟!

"هل نسيتِني بهذه السرعة؟"

"..."

"إنه أنا. هونغ جونغ-يو!"

دنت چين منه. رمقها ڤيكتور بنظرة قلق.

"قلتَ إنكَ ستأتي إلى باريس وها أنتَ قد فعلت".

"بالفعل، سيدتي. وصلت قبلكما. ظننت أننا سنلتقي بالصدفة يومًا ما. دعيني أقدم لك رفقائي. هذا هو الرسام "فيليكس ريجامي".[5] وذاك هو مسيو "بويكس" محرر ومترجم في دار نشر "دينتو"".

قبل أن تقول چين مرحبًا، كان هونغ قد بدأ بتقديمها إليهما بفرنسيةٍ مُتكلّفة:

"هذه هي زوجة مسيو كولين دي بلانس مسؤول شؤون شرق آسيا بوزارة الخارجية. هي أيضًا أفضل راقصة بلاط في كوريا".

إذًا عرف هونغ بترقية ڤيكتور. هل كان طويلًا هكذا دائمًا؟ فكرت چين وهي تتفحصه عن كثب. رغم فرنسيته الغريبة، كان يتحدث بثقة. صدمتها للوهلة الأولى رؤية رجل يرتدي قبعة الجات الكورية داخل بون مارشيه رمز الحداثة الباريسية. أخفت دهشتها بحرص، ثم ذهبت للوقوف بجوار ڤيكتور.

تفحص هونغ چين من قمة رأسها حتى قدميها بنظرة غريبة.

بدا أنه يعتبرها شخصًا قد تخلّى بسهولةٍ عن ثيابه التقليدية، من أجل فساتين باريس الأنيقة.

"تبدين أكثر باريسية من نساء باريس أنفسهن، مدام!"

---

٥ رسام ومصمم ورسام كاريكاتير فرنسي (١٨٤٤-١٩٠٧م) كان صديقًا لرامبو وفيرلين. بدأ العمل في نشر الرسومات الكاريكاتيرية في الصحف الفرنسية. التقى بإميل غيميه في المعرض العالمي في فيلادلفيا سنة ١٨٧٦م وقررا السفر معًا إلى الصين واليابان وجنوب شرق أسيا والهند قبل العودة إلى فرنسا وإنشاء متحف غيميه للأعمال الأسيوية.

ضغط على كلمة "مدام"، وهو يمنحها ابتسامة مصطنعة. كان يعلو وجهه نفس تعبير الاستنكار الذي كان يعلوه كلما رأى چين بصحبة ڤيكتور في كوريا. كان يسخر منها!

بادلته چين التحديق. كان منظرهما ملفتًا. ثياب الكوريين الوحيدين المتواجدين في باريس والواقفين وجهًا لوجه تعكس تناقضًا جليًا.

قاطع بلانشارد، الذي كان يراقبهما طوال الوقت، المحادثة:

"كم نحن محظوظون أن نستضيف ليس كوريًا واحدًا، بل اثنين في نفس المكان. حسنًا، جلسة القراءة على وشك البدء. لندع بقية كلمات الترحيب لوقت لاحق! أشعر أن الأمسية ستكون زاخرة بمفاجآت أكثر سعادة".

"هل أنتِ على ما يرام؟"

همس ڤيكتور في أذنها، بينما يحيط خصرها بذراعه من جديد. اكتفت چين بالابتسامة. تجمع الحضور حول مكتب في وسط الحجرة. لم يصل الكاتب بعد، لذا كان المقعد خلف المكتب خاليًا. رأت چين بلانشارد وزوجته يقفان أسفل قوس على الجانب الآخر من الحجرة. انتابتها رغبة في البحث عن مكان وقوف هونغ جونغ-يو ورفاقه، ولكن كان عليها أن تطوف ببصرها في الحجرة. قاومت تلك الرغبة وأبقت ذراعها متأبطًا ذراع ڤيكتور ولم تلتفت برأسها. تساءلت بداخلها إذا كان هونغ يبحث عنها أيضًا.

"هل هذه الأمسيات شائعة الحدوث؟"

"تعقد جلسات القراءة في باريس منذ وقت طويل. أحيانًا يقرأون الإنجيل. في إحدى المرات كانت هنالك جلسة قراءة لكتاب "الاعترافات" لروسو[٦] قبل أن يُمنَع. يقولون إن تلك هي أول جلسة قراءة في بون مارشيه. قد يعقدون جلسات قراءة بانتظام، إذا كانت ردة الفعل الليلة جيدة".

سرت جلبة وسط الحضور قرب المدخل. شقَّ الكاتب ببدلته السوداء وقميصه الأبيض وشعره المجعد المصفف للوراء طريقه نحو المكتب. كان رجلًا رفيعًا في حوالي الأربعين عامًا، شاحب البشرة ويعلو وجهه شاربٌ. تقدم بلانشارد من المؤلف وقدمه للمدعوين: "جي دي موباسان" أشهر كاتب في باريس قاطبةً. صفق الحضور. ألقى بلانشارد حديثًا قصيرًا عن مدى الصعوبة التي واجهها لإقناع موباسان بالحضور آملًا أن يكون الوقت الثمين الذي سيقضونه مع هذا الكاتب الفذ مثمرًا.

"يبدو مريضًا، ڤيكتور!"

ابتسم ڤيكتور لكلمات چين التي همست بها إليه. تظاهرت چين بالنظر إلى الساعة الكبيرة على الحائط بينما تبحث خلسة عن هونغ جونغ-يو. مرت بناظريها على المدفئة المزخرفة في مؤخرة الحجرة فلمحته يقف هناك بجوار ريجامي. أبعدت عينيها بسرعة. كان من السهل العثور على هونغ. لاحظت چين أن الكثيرين يحدقون نحوه وليس نحو موباسان. في الظروف العادية، كانت چين لتكون محط الأنظار لكن الليلة كانت كل العيون عليه. بدا هونغ غير متأثر بنظراتهم مواصلًا التركيز على المؤلف.

---

٦ چان چاك روسو (١٧١٢-١٧٧٨م): فيلسوف وكاتب وملحن شهير من سويسرا. من أشهر أعماله "العقد الاجتماعي" و"في التربية" و"الاعترافات".

فتح موباسان بمظهره المتجهم كتابه، ثم وضع عدسات مستديرة على عينيه. قرأ اسم الرواية بصوت مسموع: "حياة امرأة"، ثم دون أن يستفيض في شرح أجواء الرواية شرع في القراءة منها مباشرة.

كان الجزء الذي تعود فيه الابنة الأرستقراطية "چان" من الدير وتبدأ في حزم أغراضها من أجل بدء رحلة أخرى بينما ذهنها مشغول بالمطر المنهمر في الخارج.

"غادرت چان الدير يوم الأمس. لقد أصبحت امرأة حرَّة. باتت السعادة التي تاقت إليها طوال حياتها في متناول يدها. لكن اختار الطقس هذا الوقت بالتحديد كي يسوء. لو استمر هطول المطر، قد يؤجل الأب رحلتها. انتابها توترٌ لا يُحتمل".

لفَّت قراءة موباسان الحضور بغطاء من الصمت. كان الثراء والوضوح في نبرة صوته غير متوقعين مقارنة بجسمه الضئيل. مالت چين على ڤيكتور وتركت كلمات المؤلف تنساب عبر أذنيها.

فرض صوت موباسان الصمت على الجميع طوال قراءته. أغمضت چين عينيها وحاولت أن تستوعب قراءته بما تحمله من وضوح وتجرد وثبات. هل قوة الإلقاء تنبع من حقيقة أنه كاتب العمل؟ بدا أن حياة چان بأكملها تتجسد من خلال صوت موباسان فقط. يمكن لچين أن تتصور الصوت ينزلق خارجًا من جبهة المؤلف ووجنتيه وذراعيه وكل خلية من جسده. كان يتوقف من وقت لآخر ليشرح أمورًا معينة. عندما بلغ خُمسَ الرواية تقريبًا، توقف عن القراءة. رفع رأسه نحو الحضور وقال: "أخشى أن حلقي ملتهب قليلًا لذا سأكتفي بهذا القدر".

خرج الحضور من عالم الرواية الحالم الذي استغرقوا في تفاصيله ليشكروا المؤلف الذي جلس وراء المكتب يدلك حلقه. تمطى ڤيكتور الذي كان لا يزال يحيط چين بذراعيه وأبدى هو وچين تعاطفهما مع موباسان. بالطبع كان حلقه ملتهبًا فقد مضت خمسون دقيقة على بدئه القراءة.

"هل يمكن لأحدكم أن يكمل القراءة من حيث انتهيت؟"

تبادل الحضور النظرات فيما بينهم مندهشين من طلب موباسان المفاجئ. سرت غمغمة فتقدمت مدام بلانشارد للأمام من مكانها تحت القوس. كانت يداها مضمومتين أمامها. قالت بنبرة مفعمة بالإثارة:

"معنا سيدة قادمة من بلاد الشرق. كوريا".

كوريا؟! استمرت الغمغمة. بدأ الناس يبحثون عن چين ويثبتون نظراتهم عليها.

"فرنسيتها ممتازة. هلا طلبنا منها أن تقرأ لنا؟"

صدمت المفاجأة چين كليًا. حدقت مشدوهة نحو مدام بلانشارد. ابتسمت لها مدام بلانشارد. التفتت چين نحو موباسان. التقت عيونهما. عدَّل موباسان من وضعية العدسات على وجهه. بدا عليه الاهتمام لأول مرة هذا المساء.

"أود أيضًا سماع السيدة تقرأ!"

هربت چين بنظراتها إلى ڤيكتور الذي بدا عليه دهشة مماثلة. طاف ببصره في الحجرة ثم همس لچين:" لا أعتقد أن بإمكانك الرفض الآن. لا تجزعي ستكونين رائعة!" شجعها لتقبل.

اقتربت چين من مركز الحجر كأنما تمشي على الماء. نهض موباسان كي تجلس على مقعده ثم وقف بجوارها. اندفع مسيو بلانشارد لتعريف الحضور بچين كما فعل مع موباسان قبل أن تبدأ بالقراءة.

"أتت مدام چين من أرض كوريا البعيدة. بلد غامض يقع في أقاصي الشرق. كانت المدام أعظم راقصة بلاط هناك".

سرت موجة أخرى من التمتمة عند ذكر حقيقة أن چين كانت راقصة. كان موباسان قد حدد الأجزاء التي يريد قراءتها بأشرطة وضعها بين الصفحات المختلفة. حدد لچين بأصبعه المشهد الذي تنجب فيه بطلة الرواية طفلها. أمسكت چين الكتاب بين يديها وجلست باستقامة:

"سرى شعور بالسرور في جسد چان. لقد خطت أول خطوة في اتجاه حياة جديدة."

كان صوتها مهزوزًا في البداية لكن سرعان ما استعادت نبرة صوتها الطبيعية. تحولت غمغمة الحضور إلى صمتٍ تام. بدا أنهم قد صُدِموا كيف تقرأ تلك المرأة السوداء العينين القادمة من أرض كوريا المجهولة بصوتٍ مرتفع وبطلاقةٍ من رواية مكتوبة بالفرنسية!

". . تحرَّرت چان. وجدت الاستقرار والسعادة أخيرًا. كان نوعًا من السعادة لم تجربه من قبل. شعرت بإثارة جديدة تسري في عقلها وجسدها. أدركت أنها قد صارت أمًا . ."

وجهت چين كل تركيزها على النص.

". . أرادت أن ترى الطفل. كان صغيرًا جدًا، من دون شعر أو أظافر بعد. كانت تجتاحها فرحة غامرة متى تلوى الطفل مثل يرقة أو فتح فمه أو

عبس بوجهه أو لمست جسده الضئيل. كانت تستعيد شعورها بالحياة بعد أن دمرتها خيانة جوليان. لقد شقت طريقها عبر اليأس والآن قبلت هذا الحب الذي كان أكبر قيمة من أي شيء آخر في العالم".

بدأ صوت چين الهادئ يضطرب. فتح موباسان عينيه ببطء، والتفت إليها.

الارتجافة الطفيفة في صوت چين جعلت الحضور ينصتون إليها بتركيز أكبر. بدا صوتها الصافي كقطرات الندى، كأنه يلوم الرجال في القصة، الرجال الذين عاملوا بطلة الرواية كشيء يمتلكوه وخانوا ثقتها مرة تلو الأخرى. كان الصوت يواسي چان أيضًا بينما تتشبث بقوة بحبها الفطري لطفلها وتحاول التغلُّب على الجراح التي سببها لها الزوج والأطفال الآخرين.

أنهت چين قراءة الجزء المحدد فبدأ شخص بالتصفيق. ثم سرى التصفيق في الحجرة كدوائر متحدة المركز تنتشر فوق سطح الماء. كان موباسان آخِر مَن توقف عن التصفيق. دنا من چين التي كانت قد نهضت من مكانها وعانقها:

"كانت قراءتك كأنكِ من كتبتِ الرواية، مدام!"

تنحَّت چين جانبًا ليجلس موباسان من جديد، ثم شقت طريقها بين الحضور نحو ڤيكتور، لكنها قررت أن تتسلل خارج حجرة المطالعة. يمكنها سماع صوت موباسان يواصل القراءة. مشت داخل المتجر حيث ڤاترينات العرض على الجانب المقابل لحجرة المطالعة، محاولةً أن تقاوم دموعها التي كانت على وشك الانهمار. أمكنها رؤية صندوق يحوي زجاجات عطر مُلوَّنة بجوار أوشحة وراء إحدى الڤاترينات. نظرت إلى المعرض المجاور

لحجرة المطالعة. كان هنالك القليل من الأشخاص هناك، حيث كان الجميع تقريبًا يحضرون جلسة القراءة. سارت چين بخطواتٍ سريعة. كان السقف الذهبي على شكل قبة مدعومًا بأعمدة، بينما اللوحات الزيتية مُعلّقة على الجدران بينها. بالإضافة إلى اللوحات، كان هنالك أيضًا تمثال برونزي لـ "أريستيد بوسيكو" مؤسس بون مارشيه. كما لو كان الرب المنقذ نفسه، هرولت چين نحوه ووقفت مستترة به. عندما تأكدت أن لا أحد يراها، انهارت على الأرض. تدفقت الدموع التي كانت تحبسها. "اهدئي". وضعت يدها على قلبها. "رجاء، اهدئي"، همست لنفسها بالكورية، دون جدوى.

ماذا حدث لها؟ لقد بدأ قلبها في الخفقان بقوة عندما قرأت الجزء الذي تحدق فيه چان إلى طفلها الوليد. كان يمكن لچين الإحساس بالأمل والإثارة اللذين شعرت بهما چان حين رأت أصابع طفلها الوليد تتلوى بضعف رغم كل الحزن والإحباط في حياتها. اهتزت الحروف أمام عينيها الدامعة. بالكاد تمكنت من الحفاظ على ثبات صوتها. عندما توقفت عن القراءة ورفعت رأسها، التقت عيناها بعيني موباسان. انسابت دمعة من عينيها في تلك اللحظة، وهكذا رأى موباسان الدموع التي لم يلاحظها ڤيكتور.

"لماذا تجلسين هنا تنتحبين؟"

فاجأها الصوت، لدرجة أنها نست للحظة بكاءها ونظرت إلى أعلى. كانت عينا هونغ جونغ-يو الواسعة تحدقان في عينيها الدامعتين.

"هل قطعتِ كل هذه المسافة من كوريا فقط كي تختبئين وتبكين هكذا؟"

ارتعشت شفتا چين.

"أرى إنكِ إنسانة في نهاية المطاف. لقد بدأت أعتقد أن الخادمة سوه مجردة من المشاعر".

ضيَّقت چين عينيها المصوبة نحوه.

"ماذا هناك؟ هل هذا اللقب يضايقك الآن، سيدتي؟ هل تفضلين لقب مدام؟"

حدجته بنظرةٍ قاسية، كأنها تقول "ناديني كما تشاء". قبل أن تشيح بوجهها عنه. على الأقل ساعدتها سخريته على التوقف عن البكاء.

"امسحي دموعِك بهذا! من الضروري ألا تُرى مدام مثلك وقد فقدت السيطرة على نفسها هكذا!"

أخرج هونغ منديلًا من جيبه ومده نحوها. كان منديلًا فرنسيًا لا يتماشى مع ردائه الكوري.

"لا داعي لذلك. لن استخدمه".

"هل تودين إظهار ذاتك الضعيفة الباكية؟"

كان يستهزئ بها. تناولت چين المنديل من يده. بدا فعل ما يقوله لها أسرع وسيلة للتخلص منه. كفكفت دموعها بهدوء عن وجهها بينما يشاهدها هونغ.

"ما الذي أثرَّ فيكِ بهذه القوة؟"

"لقد قرأت الرواية من قبل وأعرف نهايتها".

لم تستطع أن تبوح له بأن حب چان القوي لطفلها جعلها تفكر في أمها التي لا تستطيع تذكرها. لم تستطع أن تخبره أيضًا بالطفل الذي فقدته قبل عام من مغادرتها كوريا مع ڤيكتور. عجزت عن إخباره أن دموعها ليست من أجل أي أحد بل نفسها. كانت تبكي نفسها.

"قرأتِ الرواية؟!"

"نعم".

"كيف انتهت؟"

"اكتشف بنفسك!"

أعادت چين إليه المنديل من دون أن تضيف أي كلمة أخرى.

تنتهي الرواية بروزالي، المرأة التي أنجبت طفلًا من چوليان زوج چان، وهي تحدق في وجه الطفل الوليد الذي تخلّى عنه بول ـابن چان صعب المراس، وتقول: "الحياة ليست أفضل أو أسوء من توقعات البشر".

تساءلت چين لوهلة إذا كان هونغ جونغـيو الذي يتحدث ويتصرف كأنما العالم واضح، أبيض وأسود فقط، سيفهم مثل تلك النهاية. جعلها ذلك تبتسم بمرارة. ربما كانت قاسية في حكمها عليه.

"أود منك معروفًا"، تحوّلت نبرة صوت هونغ من التهكم إلى التهذيب.

ثمة شعور بالتحرُّر، ينتاب المرء بعد إطلاق العنان لدموعه. استوعبت عينا چين، الصافيتان بعد البكاء، تعبير هونغ الصادق.

"أترجم كتابًا كوريًا إلى الفرنسية".

"اي كتاب؟"

"قصة تشون هيانغ".[7]

"تخطط لنشرها بالفرنسية؟"

"هذه هي الخطة".

نظرت چين الى هونغ من منظور حسن لأول مرة. عندما تكون بين أحضان كتبها، كثيرًا ما تفكر چين في الملكة. ترجمت من قبل جزءًا من "البؤساء" وفي بالها فكرة إطلاع الملكة على شيء من الأدب الفرنسي. مع هذا لم تفكر أبدًا في العكس: ترجمة كتاب كوري الى الفرنسية.

"أسرع وسيلة لتعريف العالم بكوريا هي ترجمة القصص الكورية الى لغات أجنبية. هؤلاء الناس يعرفون عن الصينيين واليابانيين لكنهم لا يعرفون شيئًا عنا. لا يعرفون حتى أننا نملك لغتنا الخاصة. أليس ذلك مستفزًا؟ يساعدني بويكس وريجامي اللذان قدمتهما إليك، لكن هنالك حد لما يمكننا فعله".

فكرت چين في ڤيكتور؛ كيف ستكون ردة فعله إذا أخبرته إنها ترغب في تقديم المساعدة لهونغ جونغ-يو؟ يمكنها الإحساس بأن رأي ڤيكتور في هونغ ليس جيدًا على الإطلاق.

"كيف يمكنني المساعدة؟"

"الكثير من الأمور. الكتابة مختلفة تمامًا عن المحادثة كما أنني بالكاد أستطيع الحديث بالفرنسية. كل جملة تحتاج إلى إعادة كتابة وصقل. هل يمكنك المساعدة؟"

---

٧ قصة رومانسية شعبية كورية شهيرة لا يُعرف كاتبها بالتحديد. دونت باللغة الصينية في بادئ الأمر ثم دونها الكاتب الكوري جونج جو بالحروف الكورية (الهانغا) في الفترة بين ١٧٧٧-١٨٠٠.

"من أجل كوريا".

هل انتهت جلسة القراءة؟ ابتعدت چين عن تمثال بوسيكو وألقت نظرة نحو حجرة المطالعة. كان الناس يخرجون بأعداد كبيرة من أبوابها. شعرت بتوترٍ، كما لو أنها مثقلة بسرٍ.

"لا بُد أنهم يبحثون عنا. لنتحدث في ذلك لاحقًا!"

تحرك هونغ بخطوات واسعة، فرفرف رداؤه الكوري المميز من حوله. لمح ڤيكتور چين تسير وراء هونغ، بينما يدنوان من مكان وقوفه.

"ماذا حدث؟"

"كان لديَّ طلب أقدمه للمدام!" قال هونغ وهو يحني رأسه بأدب. رمق فيكتور چين بنظرةٍ مستفسرة. قبل أن تستطيع الإجابة، تقدمت مدام بلانشارد وموباسان منهما.

"مدام، جلسة القراءة اليوم كانت ناجحة للغاية. فلتُلق نظرة على التماثيل واللوحات في المعرض! سيُقام الآن حفل استقبال في الطابق الأول على شرف مسيو موباسان".

رأت چين بويكس وريجمان يقتربان من هونغ. لا بُد أنهما كانا يبحثان عنه عندما اختفى.

نشر كتاب كوري في فرنسا؟ أخذتها المفاجأة في البداية فلم تفكر في خطة هونغ لكن حين فكرت فيها الآن، اكتشفت كم أنها فكرة رائعة إذا رأت النور.

وقفت چين بجوار ڤيكتور تتفحص رفيقي هونغ بعينيها. كان الثلاثة يتصرفون كأنهم أصدقاء قدامى. كيف صار هونغ صديقًا لهما بتلك

السرعة؟ أعجبت چين بجرأة هونغ على ارتداء الثياب الكوري في قلب باريس، وبقدرته التلقائية على خلق صداقات هنا. كان منخرطًا الآن في حديث مع مسيو بلانشارد. تأبطت چين ذراع ڤيكتور. كان لا يزال ينظر إليها نظرة استفهام، كأنه يسألها ماذا كانت تفعل مع هونغ. همست چين في أذنه: "سأخبرك عندما نعود إلى البيت!"

كان مسيو بلانشارد يشرح الآن كيف أن وجود معرض فني داخل بون مارشيه كانت فكرة بوسيكو. التقت عينا مدام بلانشارد بعيني چين وابتسمت. تبدلت نظرتها إلى چين من الدهشة ـكأنها ترى أعجوبةـحين التقيا في أول الأمسية، إلى بريق ودٍّ ومحبة الآن. بادلتها چين الابتسامة. تجمع الحضور حول اللوحات والتماثيل. بدا أن بعض الأعمال الفنية معروضة للبيع. كانت سيدة عجوز ومرشد المعرض يتناقشان حول سعر تمثال أمامهما. ترك ڤيكتور ذراع چين ليتحدث مع مدام بلانشارد. التفتت چين إلى تمثال بوسيكو الذي كانت تختبئ خلفه منذ دقائق. كان هونغ يقف أمامه وهو يومئ برأسه، بينما يتجادل مع ريجامي وبويكس حول أمرٍ ما.

"مدام!"

التفتت چين لترى موباسان يقف وراءها. ابتسمت چين مسرورة لرؤيته. ثم تذكرت أنه لمحها تذرف دمعةً بعد انتهائها من القراءة، فاحمر خداها خجلًا.

"كانت قراءتك استثنائية. يقولون إنك من كوريا. هذا يجعلني شغوفًا لمعرفة كيف تبدو هذه الدولة. لم أتوقع أن تقرأ امرأة جميلة جدًا، من بلد أجنبي كهذا، من أحد كتبي بمثل تلك الطلاقة!"

"كانت تجربة لا تُنسى بالنسبة ليْ أيضًا. تكتب عن معرفة واسعة بروح المرأة لدرجة أنني فوجئت بأنك رجل".

"أوه! إذًا الليلة لم تكن أول مرة تقرأي شيئًا لي؟"

"نساء باريس لا يملّنَّ من قراءة كتبك، وأنا امرأة باريسية أيضًا"

كان موباسان يستمع للفرنسية المتدفقة كالموسيقى من بين شفتي تلك المرأة الشرقية. أسعده ذكرها أنها قد قرأت أعماله.

"هل عليكِ المكوث هنا مع هؤلاء المنافقين؟ أم تودين مرافقتي إلى الخارج؟"

ثبت موباسان عيناه من وراء نظارته على عيني چين الداكنتين. كانت عيناه محاطتين بهالاتٍ سوداء بسبب قلة النوم. دخل ڤيكتور، الذي أنهى حديثه مع مدام بلانشارد، في موجة الصمت المربك الذي ساد للحظات بين ثلاثتهم. أخيرًا قال موباسان الانطوائي بطبعه لڤيكتور بنبرة هامسة: "أتمنى سماع قصص الشرق من زوجتك. هلا سمحتَ لي بلقائها مرة أخرى؟!"

"هذا شرف عظيم، لكن القرار قرارها!" أجاب ڤيكتور قبل أن ينظر إلى چين بترقبٍ، كأنه يحثها على الإجابة مهما كانت تلك الإجابة.

"سمعتُ أنك تعيشين في شارع بابليون، مدام! إنه قريب من بيتي. أتمشى في حوالي الخامسة بعد ظهر كل يوم. ربما يمكننا المشي معًا!"

علت ضحكة هونغ جونغ-يو مِن على مبعدة، مُشوَّشةً على صوت موباسان الرزين. حدقت چين لا إراديًا نحوه. بدا أنه قد قدم نفسه لمدام

بلانشارد، ثم راح يخبرها بحماسة عن كوريا، بينما يفيض ريجامي في شرح ما لا تفهمه.

"هل هنالك مكان في باريس تودين استكشافه؟"

"ربما المشرحة!"

فوجئ ڤيكتور أكثر من موباسان نفسه من إجابتها، فقبض على ذراعها برفق.

كانت چين قد انبهرت بكاتدرائية نوتردام فوق جزيرة "إيل دولا سيتي"، حين زارتها مع ڤيكتور. عجزت عن تصديق أن أيادٍ بشرية هي من بنت هذا البناء المعماري المهيب والمليء بالتفاصيل. شرح ڤيكتور بهدوء لچين التي سرت في جسدها ارتجافة اندهاش مِن أن بناء الأبراج الغربية للكاتدرائية قد استغرق قرنًا من الزمان بعد أن تم صب حجر الأساس، وأن ذلك البرج الرابض أمامهما قد شهد تاريخ فرنسا كله. قرنًا! جعلها ذلك تشعر بالذهول كالمرأة الثكلى. *هذا البرج كان موجودًا منذ مئات السنين قبل وجودي في الحياة وسيظل واقفًا في مكانه هناك لمدة طويلة بعد رحيلي.*

لم تستطع إبعاد عينيها عن القمم المدببة للأبراج التي تخترق السماء، أو الوجوه المتعددة للملوك المنحوتة في الصخر التي لا تكف عن التحديق في البشر في الأسفل. ثم رأت تمثال الأم المقدسة عند المدخل الرئيسي للكاتدرائية، محاطًا باثني عشر حواريًا. اجتاحتها ذكرى مفاجأة للأسقف بلانك فترقرقت عيناها بالدموع. تساءلت إذا كان عليها أن تعتنق المسيحية بشكل رسمي. بداخل الكاتدرائية، وقفت طويلًا تحت السقف الزجاجي الملون المنقوش بالورود، وقد غمرتها أضوائه الزرقاء والحمراء والنيلية. شعرت بأن روحها تتشرب بجمال المكان.

"هنالك أكثر من مشرحة في باريس، أيها تودين زيارتها؟"

"المشرحة التي وراء نوتردام".

حين غادرا الكاتدرائية، كانت چين لا تزال مبهورة بما شاهدته. ثم لفت انتباهها صفٌ طويل من البشر يقفون في الشارع. كانوا ينتظرون الدخول إلى المشرحة لتأمُّل الجثث المحفوظة والمعروضة للزائرين. باتت المشارح مصدرًا مشهورًا للترفيه في باريس. كان يتجمع الكثير من الباريسيين هناك في أيام الآحاد، وكانت چين تقرأ ما يُكتب عن ذلك في الجرائد. كان ڤيكتور يرفض باستمرار اقتراح چين زيارة المشرحة. لم يفهم لماذا يرغب أي أحد في رؤية جثث غرباء.

"لكن ماذا عن هؤلاء؟"

أشارت چين إلى صف البشر الواقفين أمام المشرحة، فتجاهل ڤيكتور سؤالها. جعل ذلك المشهد المشارح مكانًا فاتنًا بالنسبة إليها، تمامًا ككاتدرائية نوتردام من الداخل. وباتت تحلم بذلك اليوم الذي تزور فيه إحداها. أرادت بشدة أن تعرف سبب استمتاع الباريسيين بمشاهدة جثث الموتى لهذه الدرجة.

"المشرحة إذًا"، قال موباسان.

عبس ڤيكتور. لم تعرف چين إذا ما كان عليها قبول دعوة كهذه من رجل آخر. حدقت نحو ڤيكتور الذي لم يبد مرتاحًا للفكرة، لكن لم يجد سببًا للرفض.

"تمام"، وافقت چين من دون أن تبعد عينيها عن وجه ڤيكتور.

"إذًا هلا أذنتِ لي بالمغادرة! على المدام تحرير نفسها سريعًا من هؤلاء المنافقين أيضاً. سأتواصل معك من خلال مسيو بلانشارد".

لم يكن هذا هو موباسان اللطيف الذي تابع قراءة چين. بدا غاضبًا الآن، كأنه يشعر بالإهانة من مكوثه كل هذا الوقت مع هؤلاء "المنافقين". انحنى بأدب لكن انحناءته كانت لچين فقط، قبل أن يهرول مغادرًا المعرض.

(٢)
قلمُ ريشةٍ وحبرٌ أزرق

"جلالتك،

أكثر ما أذهلني عند وصولي لهذه البلد هو وسائل المواصلات. من بينها قاطبة، كان القطار الأكثر إدهاشًا. فرنسا بأكملها متصلة بخط سكة حديد. يأكل الباريسيون خضراوات طازجة ولحوم قادمة من كل أنحاء البلاد، ويمكنهم السفر بسهولة إلى أي مكان يرغبون فيه. السكة الحديد هي ما تجعل الحياة العجيبة لسكان هذه المدينة ممكنة. يقولون إن السفن البخارية المُزوَّدة بالمراوح الدافعة تقطع الرحلة من لوهافر إلى نيويورك في تسعين يومًا فقط. لم يكن بوسعي سوى الانبهار بالتنوُّع في وسائل المواصلات المذكورة في رواية لجول ڤيرن بعنوان "حول العالم في ثمانين يوم".

هنالك ثلاثة وعشرون خط ترام في باريس، وكل خط يعمل بالبخار. بخلاف الترام الكهربائي الذي يعبر أمام اللوفر، هنالك ثلاث وخمسون عربة تمر بهذه الخطوط. منحت هذه الوسائل المزيد من الراحة للأغنياء، لكن الفقراء يعانون بسببها. منذ عدة أيام، رأيت امرأة ترتدي أسمالًا بالية

نكشط أقراص الجبن بجوار حائط في الشارع. يقولون إن الكثير من العمال الفقراء يقتاتون من كشط الجبن[8] القادم من أماكن مثل سويسرا.

بات عدد منظفي المداخن أقل منذ تأسيس شركة جديدة تقوم بتركيب الأفران داخل البيوت لكني رأيت أحدهم بالأمس. كان يرتدي قبعة فرو سوداء ويغطي عينيه بشيء ضخم يشبه النظارات. لا أزال أتذكر منظره الفريد والغريب.

١٢ مارس ١٨٩٢
لي چين".

ثمة ليالي يرغب فيها المرء بأن يكون مستيقظًا وحده والآخرين نيام.

أزاحت چين ذراع ڤيكتور برفق عن صدرها وأراحتها على ملاءة السرير. شخيره الخفيف جعلها تظن أنه نائم لكنه فتح عيناه ببطء. حركتها جعلت أيضًا "كوازيمودو" قطهما الأبيض النائم فوق المنضدة يفتح عينيه. كان القط هدية من وزير الخارجية عندما أنجبت قطته "أنغورا" التركية صغارها.

عندما ذهب ڤينسنت إلى مقر إقامة الوزير لجلبه، كان القط ضئيلًا جدًا لدرجة أن كف ڤينسنت احتوته مثل كرة من الصوف. أطلق ڤينسنت

---

٨ تستعمل هذه الطريقة مع جبن الريكليت وهو جبن يُصنَّع في جبال الألب السويسرية. الاسم مشتق من كلمة "ريكلير" الفرنسية والتي تعني كشط. حيث تُقطع أقراص الجبن وتُغلى قبل أن يُكشط الجزء المنصهر الذي تدهن به الخضراوات واللحوم أو الخبز. مذاق ورائحة هذه الجبن الكريمية الطرية وسهولة إعدادها جعلها من أشهر وصفات الطعام الفرنسية.

عليه اسم "كوازيمودو" على اسم الشخصية في رواية ڤيكتور هوجو "أحدب نوتردام"، متعللًا بأن هوجو الذي مات منذ ثلاثة أعوام لن يمانع ذلك. كان فينسيت ينادي على القط بصوته الصبياني: "كوازيمودو!"

حرك ڤيكتور ذراعه أسفل رأسها بدعَةٍ ولثم خدها.
"ماذا هناك؟ هل ترغبين في النوم على الأرض مجددًا؟"

لا تزال چين تجد صعوبة في النوم على السرير، رغم أنها قد جربت ذلك أثناء إقامتها في مفوَّضية فرنسا. في كوريا كانت تتسلل بخفة بعد نوم ڤيكتور خارج حجرتهما لتنام على الفوتون في حجرة المكتب. لكن في هذا البيت لا ينتظرها خارج الحجرة سوى أرضية باردة أخرى وبعض المقاعد وأريكة. لذا باتت ترقد على الأرضية بجوار السرير حين يغفو ڤيكتور. كانت عادة ما تعود إلى الفراش وقت الفجر قبل أن يستيقظ ڤيكتور. لكن أحيانًا كان يستيقظ قبلها، وينزعج من رؤيتها هكذا.

"الأرضيات في البيوت الفرنسية ليست مُدَفْئة كما في كوريا. ستمرضين".
"سأحاول التأقلم مع ذلك".

وضعت چين يد ڤيكتور الأخرى على صدرها. لم تكن تحاول النوم على الأرضية هذه الليلة، بل كانت تود الذهاب إلى الصالون في الأسفل لتلقي نظرة أخرى على مسودة هونغ جونغ-يو. بدأت تستمتع بالترجمة من الكورية إلى الفرنسية. مسدت يد ڤيكتور خدها وعنقها وثدييها، ثم هبطت إلى أسفل ظهرها، قبل أن تشدَّ جسمها نحوه. مدت چين يدها وربتت على ظهر كوازيمودو حريري الملمس.

"چين!"

تحسن نطقه لاسمها كثيرًا، مقارنة بأيام سفرهما من كوريا إلى هنا.

"لنخصص وقتًا أكبر لنا نحن فقط في الأيام الأربعة القادمة!"

"مضى وقت طويل منذ آخِر مرة نلتَ فيها راحة من العمل!"

كان ڤيكتور قد عاد للتو من رحلة عمل في مارسيليا استغرقت يومين. كان من المفترض أن يمكث هناك لأربعة أيام، لكنه أنهى مهمته مبكرًا.

أرخى ڤيكتور قبضته على خصرها.

"هل تتذكرين؟"

"

"ما قلتِه لي في ليلتنا الأولى في كوريا!"

ليلتنا الأولى في كوريا. بإمكان چين أن تشعر بالحرارة تتجمع حول أذنيها. تحولت ليلتهما الأولى إلى أربع ليالٍ. لم يظهر خلالها ڤيكتور في مكاتب المفوَّضية. ليهدِّأ من جزع غيران وبول شوي، ادعى ببساطة أنه مريض، ولم يبرح حجرة چين خلال تلك الأيام الأربعة.

"طلبتِ مني اصطحابك إلى اللوڤر".

"آه!"

دفنت وجهها في صدره وابتسمت.

"ظننتُ أنك اخترتِني كي يمكنكِ القدوم إلى باريس. أخبركِ بهذا الآن؛ لكنني كنتُ مصعوقًا من قدرتكِ على تذكُّر أسماء الكثير من الشوارع الباريسية".

"لم أعرف طريقة أخرى لأخبرك بمشاعري".

"أحبك!"

مرة أخرى وجد فيكتو نفسه عاجزًا عن قول الكلمات التي تحوم حول شفتيه: هل تحبينني؟ كلما شعر بتلك الرغبة الملحة لسؤالها عن ذلك منذ أيام تواجدهما في كوريا، كان يخبرها بحبه لها بدلًا من ذلك.

"غيلين!" همست چين باسمه الكوري قبل أن تدفن وجهها في صدره مرة أخرى. داعب شاربه شحمة أذنها.

كلما نلتَ الحب الذي تبغاه بصعوبةٍ أكبر، أحرقتكَ ناره أكثر.

أزاح ڤيكتور شريطيّ كتف ثوب نومها الكوري. في الفراش، كانت چين تحرص على ارتداء ثوب النوم الذي حاكته لها المرأة سوه، كأنها تحاول بإصرار ألا تنساها. كلما همست چين باسمه الكوري، سيطر الشبق عليه. جثا فوقها واحاط وجهها بيديه في حنان، ثم انزلق بجسده داخل جسدها. شعرت چين بجسده يلتحم بها في إيقاع مثل أمواج عاتية، فزاد وعيها بالقط كوازءودو الذي ينظر إليهما.

سرعان ما خمد جسد ڤيكتور ودفن وجهه بين ثدييها. رفعت چين ذراعها وربتت على ظهره. يمكنها أن تحسَّ بقطرات العرق المتصبب من جسمه. بينما تمرر يدها على وجهه، وجدت نفسها تسأله: "ما الذي جعلكَ تحبني؟"

استلقى ڤيكتور بجوارها مرة أخرى ووضع ذراعه أسفل مؤخرة عنقها.

"أسرتْني عيناكِ!"

"عيناي؟"

"نعم، عيناكِ الداكنتان! عندما التقت نظراتي بنظراتكِ فوق ذلك الجسر داخل القصر، شعرتُ أن عالمي صار شديد البياض. اندهشتُ حين قلتِ لي "بون چور". ثم عندما رأيتكِ ترقصين، شعرتُ كأن روحي قد غادرتْ بدني. كنتِ مثل فراشة، مثل طائر. أنتِ فقط مَن تجهلين كم أنتِ جذابة! ألم يقع بلانشارد وموباسان في حبك من النظرة الأولى؟ وغيميه أيضًا. حتى ڤنسنت، يبدو مغرمًا بك في تلبيته لكل إشارة أو نداء منك".

قهقهت چين. لقد التقت بإميلي غيميه عن طريق هونغ جونغ-يو، الذي حصل على عمل في متحف غيميه. يشير ڤيكتور غالبًا إلى التوقير الجم الذي أبداه غيميه لها أثناء ذلك اللقاء.

"مسيو غيميه ليس مهتمًا حقًا بشخصي، بل بحقيقة أنني قادمة من الشرق. مثل أي باريسي آخر".

"هونغ جونغ-يو متيم بك أيضًا!"

"هونغ؟"

"أنتِ الوحيدة التي لا تلاحظين ذلك. إنه مفتون بكِ للغاية!"

"هل تتحدث بجدية؟"

"منذ لقاءاتنا في كوريا".

"هذه سخافة. إنه يعاملني كامرأة حمقاء. لم يكن ليرغب في أي شيء يربطه بي لو لم أكن أتقن الفرنسية. ينتهز كل فرصة للاستهزاء بسلوكي الباريسي رغم أنني امرأة كورية".

"هذه هي طريقته في التعبير عن اهتمامه. ألا يناصر الحاجة إلى إصلاح ملكي في كوريا رغم أنه يعيش هنا في جمهورية؟ فكري كيف تبدين لرجل

مثله. أنتِ وهو الكوريان الوحيدان في باريس. يزعجه بشدة التفكير أنك بدأت تنسين جذورك الكورية".

هونغ جونغ-يو مُتَيَم بي؟ صعقتها الفكرة. منذ متى يعتقد ڤيكتور ذلك؟ لماذا تركهما يستمران في اللقاء لمناقشة مسألة الترجمة مرتين في الأسبوع رغم هواجسه تلك؟

تحدث ڤيكتور بصوت منخفض:

"بخصوص تلك الأيام الأربعة. لماذا لا نزور تلك الأماكن في باريس بالترتيب نفسه الذي ذكرتِه أثناء ليلتنا الأولى؟"

"تتذكر الترتيب؟" كان لا يكف عن إدهاشها هذه الليلة.
"أفعل".
"إذًا أذكرها من أجلي!"

"اللوڤر. نوتردام. غابة بولونيا. الحي اللاتيني. الأوبرا. حديقة لكسمبورج. الشانزليزيه. ليزانفاليد وجزيرة إيل دولاسيتي".

فكر ڤيكتور في تلك الليلة، متذكرًا الطريقة التي قالت بها چين "خذني إلى اللوڤر"، بنبرة صوت واضحة مفعمة بالحزن والاستسلام، وربما مسحة من الأمل أيضًا. مررَّ يده بطول شعرها الأسود الفاحم.

"لا يمكنني تصديق أنك تتذكر ذلك بالترتيب!"

لم يجهد ذهنه حتى لكي يتذكر. كان يحفظ تلك الذكرى عن ظهر قلب وبعفويةٍ تامة. ربما هكذا هو الحب!

جذبها ڤيكتور نحوه بقوة، كما لو كان يمسك بطيرٍ يحاول التحليق بعيدًا. قبَّل عنقها ونهديها.

وجه النائم بعد ممارسة الحب، وجه سعادة.

ظلت چين يَقظة بعد أن غرق ڤيكتور في سبات عميق. ندمت على كل دقيقة تمر من الليل هباءً. اعتدلت في جلستها ببطء. التقطت ثوب نومها بهدوء وتسللت خارج الفراش.

كانت قدمها على الدرجة الأولى من السلم عندما مشى كوازيمودو نحوها.

"ششش!"

أمسكت چين كوازيمودو بين ذراعيها. تسللت نعومة ودفء فراء القط إلى جسدها من خلال ثوبها. ربتت على جانب عنقه، وفركت خدها مقابل خده. تلوَّى القط محاولًا التملُّص من قبضتها، فأشارت إليه بالسكوت مرة أخرى وهبطت السلالم ببطء. فتحت الباب المفضي إلى الصالون. يمكنها أن تشم رائحة تمثال بوذا الخشبي الذي جلبه ڤيكتور معه من الصين. بالإضافة لتمثال بوذا، يحوي الصالون قطعًا من السيلادون الكوري ومراوحَ من اليابان وكتبًا من الصين. الأجواء الشرقية الغريبة التي تخيم على الحجرة تُدهش الزوار دائمًا كما لو كانوا سياحًا.

"ابقَ هادئًا!"

فقط عندما باتا داخل الصالون، أنزلت چين كوازيمودو على الأرضية برفق. فرد القط قائميه الأماميين، وقوَّس ظهره قبل أن يستلقي على الأرضية. مشت چين مباشرة نحو الطاولة متعددة الأدراج التي

تتوسط حجرة الصالون. في وسط الطاولة كان يوجد قلم ريشة وقنينة حبر وورق مخصص لكتابة الرسائل. كانت الطاولة ـمن الصين أيضًا ـ طويلة بما يكفي لجلوس عشرة أشخاص معًا. كانت تُستخدم عادةً لتقديم الشاي أثناء الزيارات.

يأتي الأشخاص كثيرًا إلى ڤيكتور ليسألوه النُصح حين يُعيَّنون في مناصب رسمية أو يقرِّرون السفر إلى الشرق الأقصى. يرغبون في الاستماع إلى قصص ڤيكتور، قبل أن يخوضوا الرحلة البحرية الطويلة عبر المحيط إلى الجانب الآخر من العالم. تنامى اهتمام الناس بالشرق الأقصى. لكن بالنسبة لمعظمهم كان الشرق الأقصى يعني الصين أو اليابان وليس كوريا. يحاولون نُطق اسم تلك البلد الغريبة أحيانًا من باب الفضول، لكن هذا كل شيء.

كانت البعثات التبشيرية المُرسلة إلى الشرق تطلب النصيحة من ڤيكتور أيضًا. بدا أنهم أكثر قلقًا وحذرًا عندما تكون بعثاتهم إلى كوريا وليس الصين أو اليابان. عندما سألت چين ڤيكتور عن السبب، أجابها ڤيكتور أن الأحاديث لا تزال تتردد حول أعمال الشغب والقمع التي جرت في عام "النمر الأحمر" وعام "الخروف الأبيض"، وهو ما يجعل كوريا تبدو مكانًا خطرًا.

بدأ الأرستقراطيون الذين يمتلكون كل وسائل الرفاهية الغربية الحديثة في الاهتمام باقتناء أشياء من الشرق. كان هؤلاء أيضًا يلجؤون إلى ڤيكتور لاستشارته. كانت الكتب الصينية، واللوحات، والرسوم بالحبر الصيني، والخزف هي المفضلة لديهم. كان عدد منهم يطلب من ڤيكتور تثمين بعض الأغراض. كي يحافظ على علاقات جيدة مع عِلية القوم في باريس، كان لا يدخر ڤيكتور جهدًا لمدح تماثيل بوذا والأثاث المصقول،

وقطع السيلادون التي جمعوها بحرص ليضموها إلى مجموعتهم الفريدة من التحف الثمينة. كان البعض يعبر عن خيبة أمله حين يسمع أن أحد مقتنياته كورية وليست صينية كما كان يعتقد، فكان ڤيكتور يطلب المساعدة من چين. كان جامعو التحف المهووسون يهدؤون حين تشرح چين لهم بالتفصيل رمزية الزهور والطيور المنقوشة على الأثاث أو اللوحات أو قطع السيلادون، والاستخدامات المختلفة للأنواع العديدة من فرشات الرسم والأحبار، أو المعنى وراء حروف "الهانغا" في الكُتُب.

فتحت چين درجًا وأخرجت مخطوطة الترجمة وقاموس بلانك الفرنسي/ الكوري. القاموس نفسه الذي لم تتوقف چين عن الاستعانة به منذ كانت طفلة. كانت المخطوطة تُمثّل تعديلها النهائي على مسودة هونغ جونغ-يو الأولى، قبل أن يأخذها بويكس من أجل المزيد من المراجعة. في البداية، تولّت العمل على النص كي تُدوّن قليلًا من الملاحظات هنا وهناك. لكنها سرعان ما صارت مهتمة بعملية الترجمة ذاتها. كانت نيتها هي تصفُّح النص بشكل سريع، ثم وجدت نفسها تقرأ كل عبارة مُصحّحةً الأخطاء الجلية، ومُحيطةً الاختيارات غير الدقيقة بدوائر، ومُختبرةً إيقاع اللغة لتتأكد أنها تتدفق بسلاسة. وقبل أن تدرك الأمر، كانت عدة ساعات قد انقضت. لفت انتباهها أيضًا كيف صاغ هونغ قصة "تشون هيانغ" الكلاسيكية بطريقة مختلفة عن الأصل. كانت الترجمة تشبع رغبة هونغ جونغ -يو بألا يحكي قصة كورية وحسب، بل قصة عن كوريا نفسها.

استحوذت مراجعة النص على كيان چين، فلم تلحظ شروق الشمس أو قفز كوازيمودو فوق الطاولة. لعق القط ظهر يد چين وتمدد بجوار المخطوطة.

الفجرُ وقت الروح.

ربتت چين على ظهر كوازىءودو بينما تواصل القراءة. استلقى كوازىءودو على ظهره ونام، بينما ترتفع قائمتيه الخلفيتين في الهواء وتلتوي إحدى قائمتيه الأماميتين بشدة، كما لو كانت تلتف حول نفسها. ما الذي يجعل عظام القط بهذه المرونة؟ كانت چين تتأمل كوازىءودو بدهشة، كلما انكمش بجسده على شكل كرة، أو مدَّد جسمه، أو التوى حول نفسه. كان يفعل ذلك بسلاسة ودون جهد. فكرت چين أن الرقص الكوري يتطلَّب مرونة عظيمة أيضًا. كان عليها أن تتعلَّم متى تُرخي عضلات جسمها بدلًا من استخدام جهدٍ مفرط كي تحتفظ بقوة كافية تمكنها من الحفاظ على ثبات وقفتها لفترة محددة من الزمن. فقط حين تتحكم في إيقاع تنفُسها، يمكنها التمايُل مثل فراشةٍ، والتحليق عاليًا مثل طائر، أو الرفرفة كنسمة هواء والهبوط بخفة كأنها تقف فوق مياه ساكنة.

أبعدت چين ناظريها عن القط، ورتَّبت أوراق المخطوطة المبعثرة أمامها، ثم أعادتها إلى داخل الدرج. بعد ذلك، التقطت القلم الريشة وقنينة الحبر وورق الرسائل من على المكتب:

"جلالتكِ. . . "

حدقت چين في الحروف الكورية الزرقاء التي تكّون كلمة "جلالتكِ" على الورقة. كانت تفيض بداخلها أشياء كثيرة تشعر بحاجتها الملحة لكتابتها على الورق. لكن بمجرد أن تجلس كي تكتبها، يغشو ذهنها سوادٌ يحجب الكلمات والأفكار.

كأن شخصًا ما قد ناداها، وضعت چين قلمها ورجعت بمقعدها للوراء. كانت تنوي المشي في الحجرة لتبعث الحيوية في جسدها لكن

وجدت نفسها ترمي بذراعيها في الهواء وتُدير كاحليها في حركةٍ راقصة. دار ثوب نومها الكوري حول جسمها. استغرقت تمامًا في حركاتها ورقصت كما لو كانت ترقص في البلاط الملكي بأكمامها الطويلة متعددة الألوان وتاجها المزدان بالأزهار. اعتدل كوازعودو من وضعية النوم الخاملة التي اتخذها وراقب رقص چين.

كانت الملكة تستمتع برقصها. كانت تكسر قواعد القصر الصارمة من أجلها. كان من المفترض أن تلتحق الصبية چين بمعهد "جانجاكوون" لتتعلَّم الرقص مع بقية راقصات البلاط لكن الملكة أصرت على تعليم چين بشكلٍ منفصل في غرفة صغيرة في جناح الملكة. كانت الملكة تسمح لچين بالرقص في فناء جناحها لتراقب تقدُّمها عن كثب.

تعلم أي فن يقتضي السماح لموهبتك بالنضوج تحت ناظري معلم خبير.

لم يقتصر ذلك على الرقص فقط. سُواء كان يتعلق الأمر بفن الخط أو الزخرفة، لم تتعلم چين في فصل بل تلقت تعليمًا خاصًا تحت إشراف شخصي من الملكة مثل بنات النبلاء. كانت الملكة تطلب أيضًا من چين القراءة لها بصوتٍ مرتفع كلما سنحت الفرصة: "إذًا ماذا قرأتِ اليوم؟" كانت تستدعي چين إلى حجرتها في وقت متأخر من الليل وتجعلها تقرأ لها من الكتاب الذي قرأته في ذلك اليوم. اعتادت الملكة على النوم على صوت چين.

حاولت الليدي سوه أن تثني الملكة عن معاملتها الخاصة لچين قائلة إن الغيرة بدأت تتسلل إلى قلوب نساء البلاط بسبب تفضيل الملكة الواضح لها. كان الأسى يكسو وجه الملكة قائلة: "لو عاشت الأميرة، لبدت مثلها

تمامًا!" في مرة سألت الملكة چين إذا كانت تشعر بالوحدة قبل أن تأمر بإحضار سُوا من معهد جانجاكوون لتسكن معها في الحجرة. منذ تلك اللحظة، باتت سُوا رفيقة چين في السكن والرقص.

عندما خطرت سُوا ببال چين، تساءلت: "كيف حالها الآن؟!". أغلقت عينيها، وتمايلت بجسدها كما لو كان يستجيب لنقرات آلة الباك التي تعلن بدء المأدبة في البلاط. رقصت كما لو كان وجه الملكة الرفيع والرزين يشاهدها من على مبعدة، كما لو أنها تسمع نغمات ناي يون. في هذه المدينة الغريبة والكبيرة، تتراءى أمام عيني چين المفتوحتين ذكرياتُ كوريا، الملكة ويون وسُوا وبلانك والمرأة سوه، هلامية الشكل مثل الثلج. فقط حين تغمض عينيها، تصبح الذكريات واضحة.

كإنسان يحلم بالعيش في العالم التنويري الجديد، لكن لا يمكنه أن يخطو قيد أنملة خارج حدود القصر، أحسدُكِ.

شعرت كأنما مضى دهر طويل على آخر مرة أدت فيها رقصة "أوريول الربيع" أمام الملكة. صارت حركات چين خفيفة كما لو كانت تسير فوق سحب بيضاء. تصببت حبات العرق فوق جبهتها. سمعت صوت الملكة تقول: "عليكِ أن تكسري السلاسل التي تُقيِّدكِ وتعلَّمي أشياءً جديدة وتعيشي حياةً جديدة". ترقرقت عينا چين بالدموع.

كان الصالون متصلًا بالمطبخ. لم تدرك چين أن الخادمة چان قد دخلت المطبخ لإعداد الفطور، وأنها تقف الآن في صمتٍ تراقبها في انشداه.

دارت چين حول نفسها في الصالون كعاصفة من رمال ذهبية في قلب الريح.

(٣)
مَـن أنا؟

"جلالتكِ،

أقرأ الصحيفة كل صباح. إنها مرآةٌ لكل ما يجري في البلاد. أغلب الأخبار سياسية، لكن هنالك أخبار أخرى مثل عدد زوَّار متحف "جريفين" لتماثيل الشمع في مونمارتر أو توقعات الطقس في اليوم التالي. أهتم أيضًا بالاطلاع على جدول عروض الأوبرا وآخر إصدارات الكتب دون الحاجة للذهاب إلى متجر الكتب. يمكنكِ معرفة أخبار البلدان الأخرى أيضًا. قراءة الصحف مهمة كي تتعرفي على وجهات النظر المختلفة. أفكر في الكتابة إليكِ كلما قرأت الصحيفة. تعيد لي قراءة الصحف ذكريات أيامي الأولى كامرأة بلاط تركض هنا وهنالك لتسليم الخطابات المُرسلة إلى القصر.

علمتُ أن في بداية انتشار الصحف، لم يكن بمقدور كل الباريسيين قراءتها. كانت الاشتراكات باهظة. فقط النبلاء والأغنياء كانوا قادرين على تحمُّلها. كانت توجد رقابة وقمع لحرية الصحافة هنا قبل اندلاع الثورة.

تغيَّر كل شيء بعد الثورة. أعلنت الثورة أن "حرية التعبير عن الأفكار والآراء حقٌ أصيلٌ لكل إنسانٍ وأن من حق كل المواطنين التحدُّث والكتابة والنشر بحريةٍ يكفُلها القانون". جعلني ذلك أتساءل: ماذا سيحدث إذا صدرت صحيفة في كوريا تنقل أخبار ما يحدث داخل جنبات البلاط الملكي؟ هل سيكون هذا ضارًا بالبلاد؟ ماذا لو عرف العالم أجمع بما يحيكه الصينيون واليابانيون وراء الستار لإحكام نفوذهم داخل البلاط، هل كانوا سيغيِّرون من طريقة تعاملهم مع كوريا؟ وهل كنا سنتمكن من تسجيل الحقائق عن أحداث مهمة مثل "تمرُّد إمو العسكري". غير أني أعتقد أن جلالتك لن ترغبين في صدور صحيفة كهذه في المقام الأول.

٤ يوليو ١٨٩٢
چين، باريس "

المدن مسارح كبيرة تُشيَّد من أجل المتفرجين.

كانت چين مُتفرجةً بارعة. بمجرد أن تفتح الباب الأمامي للبيت، يتكشف أمامها عالمٌ من المشاهد. تعتبر كل شيء فرصة للتأمُّل: العمارة، والمعروضات، والصحف، والمجلات، والبشر. كانت چين تدرك بالتأكيد أنها بحد ذاتها مشهدٌ غريب يجذب أنظار الباريسيين. كلما خرجت، التفتت كل العيون صوبها. اعتادت چين على أن تكون مركز الاهتمام منذ أن بدأت فن الرقص الكوري. لكن بينما كانت نظرات الجمهور في البلاط مفعمة بالانبهار، كان الفضولُ هو ما يشعُّ من عيون الباريسيين. كانت نظرَات الفضول تلك، هي ما جعلت چين تفهم أنها لن تصبح أبدًا باريسية حقًا. يمكنها أن ترتدي أحدث صيحات الموضة، لكن الباريسيين

سيصنفونها دائمًا على أنها امرأة شرقية ترتدي ثيابًا غربية لا اكثر. حتى چان وڤينسنت كانا يحدقان نحوها بفضول امتزج في البداية ببعض النفور. ولولا حسن معاملة چين لهما، لكانا لا يزالان يرمقانها بنظراتهما تلك حتى الآن. لكن كلما خطرت تلك الأفكار في ذهنها، سارعت إلى تذكُّر حياة ڤيكتور في كوريا. كم كان يبدو ڤيكتور ذو العيون الزرقاء مشهدًا دخيلًا يستدعي الفُرجة في بلدها! لا بُد أنه كان يشعر بغُربةٍ مماثلة لشعورها الآن.

حتى حين يكونان بالقرب من برج إيڤل أو في حديقة لكسمبورج، كان الجميع يحدق نحو چين دائمًا.

عندما ترجلت من العربة أمام متحف اللوفر، عاملها رواد المتحف كأنها أول عمل فني سيرونه في ذلك اليوم. تحمَّلتْ چين نظراتهم في صمتٍ، بينما تنتظر ڤيكتور الذي ذهب لشراء التذاكر. عندما عاد ڤيكتور، تأبطت ذراعه.

"لماذا يحب الباريسيون تأمُّل اجساد الموتى، بينما هنالك أشياء أخرى كثيرة تستحق الرؤية في باريس؟"

"أخبرتك ألا تفتحي هذا الموضوع مرة أخرى!"

كان ڤيكتور صبورًا جدًا في الإجابة على أسئلة چين التي لا تنتهي أبدًا، لكنه كان ينهي أي مناقشة حول المشارح، حتى قبل أن تبدأ.

"هذا هو المكان الوحيد الذي لم تكن فيه عيون الناس مثبتة عليّ".

"هنالك مكان آخر. سنذهب إلى الأوبرا غدًا. أعدك أنْ لا أحد سيحدق نحوكِ بمجرد أن يبدأ العرض!"

"أخيرًا سأشاهد أوبرا!"

"سيكون الوزير وحرمه هناك غدًا. وكذلك مسيو بلانشارد وزوجته. ومسيو غيميه أيضًا؛ هو من دعانا".

"لماذا انتظرت حتى الآن كي تخبرني؟"

"تلقيت دعوته اليوم فقط قبل أن نغادر البيت مباشرة. كنت أنوي إخبارك بالأمر صباح الغد".

لا بُد أن الدعوة كانت ذلك الخطاب الذي سلمه ڤينست إلى ڤيكتور هذا الصباح. ابتسمت چين. اعتاد ڤيكتور مشاركتها الأخبار الجيدة أثناء عناقهما الصباحي بعد الاستيقاظ.

"أوه، تذكرت. سينضم مسيو موباسان إلينا أيضًا".

اتسعت ابتسامتها أكثر لسماع هذا الخبر.

لقد أوفى موباسان بوعده ورافقها إلى المشارح بعد أربعة أيام من جلسة القراءة في بون مارشيه. قبل أن يغادر إلى العمل، رجاها ڤيكتور أن تعدل عن الذهاب لكن چين قالت إنها قد وعدت موباسان بالذهاب. اندهشت چين من الحشد المصطف وراء كنيسة نوتردام أكثر من الجثث نفسها. كانت نظرات الناس تلاحق چين منذ وصولها للميناء في مارسيليا - بل منذ مغادرتها كوريا. لكن داخل المشرحة، تحرَّرتْ أخيرًا من ذلك. كان الناس مفتونين بالجثث المعروضة ولم يعيروها أي اهتمام. شاهدت چين عددًا لا يحصى من الأشياء الجديدة منذ مغادرتها كوريا، وكانت مشاهدة جثة ميت شيئًا يضاف إلى تلك القائمة.

جذبت الواجهة الزجاجية التي تعرض جثتي شقيقتين ماتتا غرقًا- والمضافتان حديثًا للمشرحة-الجمهور الأكبر. بدت الفتاتان تمامًا مثل صورتهما التي انتشرت في الجرائد. كان ممنوعًا على رواد المعرض الوقوف أمام أي واجهة أكثر من خمس دقائق، لكن الزوار كانوا يتسمرون طويلًا أمام تلك الواجهة. تشبثت چين بيد موباسان بشكل غريزي. أرادت أن تكون هادئة مثل الباريسيين الآخرين في المعرض. لكن لم يمر وقت طويل قبل أن تنتحي خارجة من وسط صف المتفرجين وتبحث عن حمام السيدات. كانت تخشى أن تتقيأ في أي لحظة، وتلوِّث حذاء موباسان.

كان عازف كمان يعزف على آلته في باحة اللوفر الخارجية، محاطًا بأسراب حمام تستعد للطيران. تأملت چين يد العازف وهي تعزف على الكمان. أين يون الآن وماذا يفعل؟ فكرت.

كانت جادَّات باريس الكبيرة تعج بالمارة والعربات والباعة. أضاف العازفون المتجوِّلون مزيدًا من الحيوية للمشهد. كان ثمة الكثير منهم منتشرين بطول الجادَّة التي تربط بين الشانزليزيه واللوفر. حتى وسط ضجيج العربات ونداء الباعة على بضاعتهم، كان العازفون يواصلون عزف موسيقاهم بهدوءٍ، كأنما هم في ملكوتٍ آخر. كان المارة يجلسون على إحدى طاولات المقاهي المنصوبة في الخارج، ليحتسُوا القهوة ويستمعوا الى الموسيقى، بينما يتوقف السائرون في الجادَّة للمشاهدة لدقائق قليلة قبل أن يمضوا الى حال سبيلهم. كانت الجادَّة قبلَة للعاطلين البوهيميين، والأرستقراطيين ببدلهم الفخمة، والخدم بمآزرهم.

"ابقِ ذراعك في ذراعي كي لا تتوهي كالمرة السابقة!"

تمسك ڤيكتور بچين بينما ينتظران الدخول إلى اللوڤر. يمكنك رؤية المتحف الذي كان قصرًا في الماضي حتى وأنت واقف في الشانزليزيه. أخبر ڤيكتور چين أن من المستحيل مشاهدة كل حجرات المتحف المئتين والخمسين في يومٍ واحد، خصوصًا بعد زيارتهما لقوس النصر "وساحة إيتوال".

"أنتَ تسخر مني مجددًا!"

نزعت چين ذراعها من ذراعه، ورمقته بنظرة جانبية.

"لكنكِ تتوهين دائمًا عندما تخرجين مع مسيو موباسان. في المشرحة، والبانثيون[9] والمقبرة في مونبارناس".

"لا أتوه أبدًا وأنت بجانبي".

خبت ابتسامة ڤيكتور، وعلت مكانها نظرة استفهام.

"لكن لماذا لا تذهبين مع موباسان إلى أي مكان غير المقابر؟"

أدركت چين أنه محق. كل الأماكن التي ذهبت إليها مع موباسان لها علاقة بالمقابر والموتى.

"هذا صحيح. لم أفكر في ذلك من قبل!"

شعرت چين بالإعياء لرؤية جثتي الفتاتين المعروضتين في المشرحة الأولى التي زارتها مع الكاتب. في خضم بحثها عن مكانٍ لتتوارى فيه عن الأنظار وتتمالك نفسها، تاهت. فكرة أنها ضائعة جعلتها تنسى بغرابةٍ شديدة غثيانها تمامًا. وقفت چين وسط متاهة المشرحة غير متأكدة مما ينبغي

---

[9] أو مقبرة العظماء بباريس. مبنى في الحي اللاتيني بباريس، يضم رفات بعض عظماء الفرنسيين من أمثال ڤولتير وچان چاك روسو وڤيكتور هوجو.

عليها فعله. جالت ببصرها في البشر من حولها ـامرأة ترتدي فستانًا أبيض، وشاب يبدو عليه التشرُّد، ورجل عجوز من الأبرشية، وسياح وأطفال ـلكن لم تقع عيناها على موباسان في أي مكان. حلَّ التعب بها من البحث خلال الجثث المُقبِضة المنظر، فغادرت الزحام لترتاح في دهليز نَزِق في قبو المشرحة.

عندما استعادت ذكرى خوفها، تمسكت چين بذراع ڤيكتور بقوة أكبر.

متعبة جدًا لكي تصعد السلالم أو تنادي أحدًا طلبًا للمساعدة، جلست في ذلك الدهليز حتى أوشكت المشرحة على الإغلاق. في تلك الأثناء، طلب موباسان ـالذي كان يبحث عنها ـمِن الحارس أن يساعده في تمشيط المشرحة. عثر الكاتب عليها منكمشة على نفسها في الظلام. كان هتافه بارتياح "مدام!" عاليًا جدًا، وتردد صداه في أذنيها.

"ماذا تفعلين هنا؟"

"لقد ضللتُ الطريق".

جثا موباسان على ركبتيه ونظر إليها للحظة. ساعدها برقة على النهوض ثم عانقها. كان يلهث من التعب. بادلته چين العناق. استندت چين التي كانت لا تقوى على الوقوف وحدها على كتف موباسان الذي قادها إلى دكة خشبية بجوار السين وأجلسها حتى تستعيد رباطة جأشها.

"هل كنت خائفة؟"

"شعرتُ بالغثيان. لماذا ينظر الناس إلى جثث الموتى؟"

"ربما لأنهم حمقى. يرغبون في النظر إلى الموت مباشرة كي يوهموا أنفسهم أنه ليس مرعبًا لهذه الدرجة".

أحب موباسان مذاق الشاي الصيني الذي قدمه له ڤيكتور عندما رافق چين من المشرحة إلى البيت. منذ ذلك اليوم، باتت چين تقدم له هذا الشاي في زياراته. علا وجه موباسان ابتسامة عريضة وهو يقول إنه يتمنى زيارة بلدها "كوريا" يومًا ما. كان الكاتب يتخلى عن تقطيبة حاجبيه المألوفة في حضور چين ويصبح أكثر استرخاء.

عندما حان دورهما للدخول، أحاط ڤيكتور خصر چين بذراعه. كان اللوڤر الرابض في شموخ أمام شارع "دي ريفولي" والضفة اليمنى للسين، أكثر من مجرد منظر جميل. كان اللوڤر ينقسم من الداخل إلى أروقةٍ ضيقة ومتشعبة، خاصةً بعد اجتياز جاليري "دارو" وحتى الوصول إلى السلالم الداخلية، حيث يمتد عددٌ شاسعٌ من الحجرات في كل الجهات. أخبرها ڤيكتور أن فنانين ومواطنين عاديين قد عاشوا في اللوڤر لفترة، بعد أن انتقل الملك لويس الرابع عشر للإقامة في قصر فرساي.

قاد ڤيكتور چين المبهورة من حجرة إلى أخرى، بينما يتردد صدى خطوات قدميه في الفراغ.

"لا أحد يستطيع رؤية كل الأعمال الفنية في يوم واحد!" أكد لها ڤيكتور.

المنحوتات واللوحات والثُريّات الضخمة المتدلية من الأسقف ومقتنيات الأرستقراطيين في صناديق العرض الزجاجية. مرّت چين بكل هذا مسحورة، بينما يتقدمها ڤيكتور عبر الحجرات.

"مذهل! هل كل المعروضات فرنسية؟"

"الأعمال المحفوظة في المخازن أكثر بكثير من تلك المعروضة".

توقف ڤيكتور أمام قاعة عرض الأعمال الفنية من مصر القديمة. قادها إلى تمثالٍ ضخم من الجرانيت.

""سفينكس" تعني "وحش" باليونانية".

"وجه إنسان وجسم أسد!"

"وجه فرعون. ظن الإغريق أن سفينكس وحش، لكن لا بُد أن المصريين القدماء اعتبروه حارسًا على معابدهم ومقابرهم".

تفحصت چين قائمة أسماء الفراعنة المُعلّقة بجوار التمثال. كانت ضخامته تحجب المعروضات الأخرى في القاعة. بدأت چين تلاحظ أن هنالك الكثير من التماثيل المصرية الأخرى المعروضة بجانب سفينكس. مشت في صمتٍ مهيب بينها. لاحظت أن رؤوس كل التماثيل مثبتة بحيث تنظر إلى جهةٍ واحدة، وأن أقدامها أيضًا موجهة إلى جانب واحد بنظام دقيق استعرى اهتمام چين، فوجدت نفسها تسير محنية الرأس تحدق في أقدام التماثيل لتتأكد من ذلك. كانت توجد جرار فخارية بمقابض، وتماثيل مقاتلين مفتولي العضلات في وضع الاستعداد للقتال ونحت صغير لامرأة مكتوب أنه قد استُخرج من مقبرة. التفتت چين إلى ڤيكتور.

"لكن لماذا كل هذه الآثار المصرية موجودة هنا، ڤيكتور؟"

"ألا تعتقدين أنهم أكثر أمانًا هنا من مصر؟"

"هل تعتقد أن أولئك الفراعنة يشاركونك هذا الرأي؟"



ابتسم ڤيكتور وقادها إلى خارج القاعة ثم عبر متاهة أخرى من الممرات كأنه يبحث عن شيء معين. توقفت چين فجأة فالتفت ڤيكتور إلى الوراء ليرى سبب توقفها. كانت تتأمل تمثالاً لامرأة بلا ذراعين، جذعها مائل قليلًا، وترسم شفتاها ابتسامة طفيفة يكاد لا يلاحظها الناظر إليها. سارت چين بوقار شديد نحو التمثال كأنما تستجيب لنداء خفي.

"ڤينوس دي ميلو".

لم تستطع چين أن تبعد عينيها عن تمثال ڤينوس المنحوت من الرخام الأبيض. بدت قطعة القماش الملفوفة حول ساقيها مستعدة للانزلاق في أي لحظة. كيف يمكنها الابتسام هكذا؟ لمعت عينا چين من الإعجاب. تمنحك العنق التي تدعم الوجه بابتسامته الغامضة إحساسًا بالهشاشة والصلابة في الآن نفسه بينما يبرز الثديان الغضان بين الذراعين المبتورتين ويمتد جذعها كاشفًا عن انحناءة جميلة في البطن والخصر. أبرز غياب الذراعين الجمال النابع من التوازن المبهر لجسدها. شعرت چين برغبة قوية بأن تمد يدها وتلمس الإلهة.

"رجل اسمه ميلو نحت هذا التمثال؟" تساءلت چين.

"ميلوس اسم جزيرة وليس رجلًا. يسمونها أفروديت الميلوسية أيضًا. لا يعرف أي أحد من نحتها. اكتشف التمثال مزارعٌ كان يحرث أرضه قرب معبد مدفونًا تحت الأرض".

"هل ميلوس جزيرة فرنسية؟"
"لا، في اليونان. في بحر إيجه".
"إذًا لماذا التمثال هنا؟" وجدت چين نفسها تكرر السؤال نفسه.

نظر ڤيكتور في عيونها المتسائلة. شعر بعدم الفهم كما لو أنه يحاول إيقاف شخص خلع حذائه وجوربيه ليخوض في نهر السين عاري القدمين. كيف يجيب على هذا السؤال؟ لقد زار اللوڤر مرات عديدة ولم يسمع أي أحد يسأل: "لماذا هذه الأعمال الفنية موجودة هنا؟" هي أعمال مملوكة للوڤر لذا بالطبع ستكون هنا. تنحنح قبل أن يقول:

"في ذلك الوقت كان الأسطول البحري الفرنسي يعسكر في ميلوس. أحضروا التمثال إلى باريس وسلموه للماركيز دي ريڤيرا الذي أهداه لاحقًا للويس الثامن عشر. لهذا هو هنا".

"هل يجمع الأسطول التماثيل، كما تهتم أنتَ بجمع الكتب الكورية؟"

"لست متأكدًا!" شعر ڤيكتور بالارتباك.

"وتلك الإلهة؟"

أشارت چين إلى تمثال آخر عند مدخل قاعة أخرى، منحوتة لإلهة بظهر مقوسٍ وجناحٍ مفرود.

"إلهة النصر. استُخرج التمثال أثناء عملية تنقيب في جزيرة ساموثراس، لذا يسمى التمثال "نايك ساموثراس". تقع الجزيرة أيضًا في بحر إيجه".

لم تسأل چين هذه المرة ماذا تفعل إلهة ساموثراس هنا. لاحظت التعبير المضطرب الذي عبر وجه ڤيكتور. كانت تعرف بحر إيجه، لكنها لم تسمع من قبل بجزيرة ساموثراس. أحست بالحزن من أجل تلك الإلهة. *سُحِبتْ عبر البحر كي تُسجن داخل هذا القصر.* فكرت چين.

اقترح ڤيكتور أن يتابعا السير لكن كانت چين تتمنى المكوث بجوار ڤينوس دي ميلو لفترة أطول قليلًا.

"هنالك شرخ في أسفل جنبها الأيسر. من المستحيل أنها كانت كذلك من البداية!"

"أنا متأكد أن التمثال قد طاله شيء من التلف قبل أن يُدفن تحت الأرض، أو تعرّض لكسر ما أثناء الحفر لإخراجه".

فحصت چين عن قرب زوايا ذراعي التمثال المكسورة. بدا أنه كان للتمثال في حالته الأصلية ذراعان تمتدان حتى المرفق وأن الذراع اليسرى فقط هي من تعرضت للكسر. قد يكون الكمال مُنفّرًا أحيانًا. تأثير الذراعين المبتورتين والساق المصابة للإلهة الفاتنة، تجبر المشاهد على التعاطف معها. كأن هذا النقص يُكمل جمالها بطريقة ما.

"هيا، فلنمضِ إلى قاعة أخرى!"

حثّها ڤيكتور برقة خوفًا من أن تظل متسمرة هكذا أمام ڤينوس دي ميلو. تبعته چين مُكرهةً بينما تختلس نظرة أخيرة على إلهة النصر التي بدت مستعدة للطيران بعيدًا في أي لحظة. حينها فقط أدركت أن رواد المتحف ينظرون إليها. سحبت چين نفسها من شعور الحرية المقتضب الذي غمرها به انبهارها بسفينكس وڤينوس ونايك، وشدّت ظهرها.

سار ڤيكتور متجاوزًا لوحات روبنز[١٠] وكورو[١١] وروسو[١٢] وتيرنر[١٣] ليصل إلى الحجرة التي تُعرض فيها أعمال أوچين ديلاكروا.[١٤]

" هذه هي لوحاتي المفضلة في اللوڤر. لم أنس إلقاء نظرة عليها في كل زيارة لي إلى هنا، حتى لو كانت الشيء الوحيد الذي أراه. ما رأيك فيها؟"

أمعنت چين النظر في اللوحات مثار إعجاب ڤيكتور. قرأت التعليق بجوار اللوحة الأبرز "أوچين ديلاكروا، الحرية تقود الشعب". كانت اللوحة تمثل حشدًا من البشر يقف أمام جثثٍ متناثرة على الأرض، تقوده امرأة تُمسك بعلم فرنسا ثلاثي الألوان. كان ثديا المرأة ـالقائدة التي تتوسط الصورةـالعاريان مكتنزين ومتوردّين. يتبعها رجل نبيل ممسكًا ببندقية وفتى يمسك بمسدسين ويهتف بينما يعلو وجهه تعبيرٌ أقرب ما يكون إلى السرور. كانت أطراف اللوحة داكنة، بينما يحيط المرأة الإلهة ضبابٌ خفيف وهالةُ ضوءٍ براقة.

---

١٠ بيتر بول روبنز (١٥٧٧-١٦٤٠): رسام هولندي من أشهر رسامي الباروك. تتلمذ على يد كبار الفنانين الإيطاليين من أمثال: دافنشي ومايكل إنجلو ورافائيل. تعد لوحة "مذبحة الأبرياء" أشهر أعماله.

١١ چان باتيست كامي كورو (١٧٩٦-١٨٧٥): رسام ومصور فرنسي. من أشهر أعماله "امرأة بلؤلؤة" و"الجسر عند نارني".

١٢ هنري روسو (١٨٤٤-١٩١٠): رسام فرنسي ينتمي لمدرسة ما بعد الانطباعية. تميزت أعماله بالبساطة الشديدة. تعرض للسخرية اللاذعة من قبل النقاد حتى دعاه بيكاسو على العشاء ليبدي له إعجابه بفنه. من أشهر لوحاته "الغجري النائم" و"المهرجون المرحون"

١٣ چوزيف ويليام تيرنر (١٧٧٥-١٨٥١): رسام إنجليزي رومانسي اشتهر برسوماته حول الطبيعة ومائياته وطبعاته الفنية. اشتهر بلقب "رسام الضوء". من أشهر لوحاته "قلعة برغهام" و"قناة تشستر".

١٤ أوچين ديلاكروا (١٧٩٨-١٨٦٣): رسام فرنسي ينتمي للمدرسة الرومانسية. سافر إلى شمال إفريقيا وتأثر كثيرًا بها. تعتبر لوحة "الحرية تقود الشعب" أشهر أعماله.

"هؤلاء هم الثوار. رجال يقاتلون من أجل تأسيس الجمهورية. يخطون بأقدامهم فوق جثامين رفقائهم ويهتفون بهتافات الثورة. مشهد مثير، أليس كذلك؟"

"أعتقد أن التركيز منصب على الإلهة وليس الثوار. تبدو مفعمة بالحياة كأنما ستقفز خارج اللوحة. تنطق بالحماسة. لا شيء يمكن أن يحتويها".

تتبعت چين بعينها حركة الإلهة، المحسوسة بجلاءٍ من خلال اللوحة. بالنسبة إليها كانت الإلهة على وشك الرقص. رفعت چين ذراعها غريزيًا بطريقة مشابهة، لكنها سرعان ما أحجمت عن ذلك. بدلًا من ذلك، مدت ذراعها بتروٍّ نحو ذراع ڤيكتور.

"وهكذا استولى القوي على ڤينوس وسفينكس".

لم يسمع ڤيكتور ما تمتمت به چين لنفسها. أحست چين بوعيها الحاد بفراغ يديها فتشبثت بقوة في ذراع ڤيكتور. لماذا هذا الإلحاح المفاجئ لمقاومة عظمة اللوڤر؟!

"هل ديلاكروا فرنسي؟"

"من سان موريس. كان والده دبلوماسيًا".

"دبلوماسيًا مثلك؟"

ابتسم ڤيكتور ابتسامة عريضة.

"التحق بمدرسة عامة لتعليم الفنون. كان يزور اللوڤر كثيرًا. كان من الممكن رؤيته ينسخ أعمال روبنز طوال اليوم. كان هذا المتحف أشبه بساحة لعبه".

"إذًا لوحاته موجودة حيث يفترض أن تكون".

رمق ڤيكتور چين بنظرة مستفسرة: "ماذا تعنين؟"

"أخبرتني أن سفينكس من مصر وڤينوس من جزيرة ميلوس وإلهة النصر من جزيرة ساموثراس في بحر إيجه. لذا على الأقل لوحات ديلاكروا في بلده بما أنه فرنسي".

علا الارتباك وجه ڤيكتور وقد ألجمته كلمات چين التي شعرت بالتوتر المتنامي بينهما فغيَّرت دفة الحديث.

"كنتَ محقًا. لا يمكن لأي أحد رؤية اللوڤر كله في يوم واحد. أعتقد أنني سآتي إلى هنا كثيرًا، لذا دعنا نتوقف هنا!"

"ترغبين في المغادرة؟"

أومأت چين إيجابًا وهي تلقي نظرة أخيرة على لوحة "الحرية تقود الشعب"، مُتخيِّلة صدى هتاف الثوار يتردد في أذنيها.

"دعنا نغادر من المَخرج بجوار السين وليس بوليڤار. ستغرب الشمس قريبًا. لنذهب إلى أحد الجسور الجميلة فوق النهر".

كان عليهما شق طريقهما عبر متاهة أخرى من الحجرات لمغادرة المتحف. تعلَّقت چين بذراع ڤيكتور مخافةَ أن تتوه كما حدث لها مع موباسان. *لماذا أضل طريقي باستمرار في باريس؟!* تساءلت. عادت بذاكرتها إلى اليوم الذي تاهت فيه في جنبات القصر وهي طفلة. اليوم الذي التقت فيه الملكة لأول مرة. ابتسمت بمرارة.

"ما سبب هذه الابتسامة؟"

"هذا سر".

"سر؟"

دنا فيكتور منها وقرص أنفها بلطف.

"اخبرتني أن هذا المكان كان قصرًا في الماضي. جعلني ذلك أتذكر أنني قد تُهت داخل القصر وأنا طفلة في البلاط. لهذا أتشبث بك بقوة مثل طفلة".

كان ثمة الكثير من البشر يمشون بمحاذاة النهر وقت الغروب. بدا أن الباريسيين يفضلون الخروج في هذا الوقت عن المكوث في البيت. شاهدت چين مجموعة من النساء يرتدين المئآزر ويبعنَ الزهور من سلال يحملنّها. نظر شاب يبتاع زهرة قبل أن يضعها في عروة قميصه إلى چين بتعجب. كان هنالك كلاب وأطفال يمرحون قرب النهر.

كان الجسر الذي يربط بين اللوڤر والضفة الأخرى للسين هو "جسر الفنون" ("بون دي آرت"). يمكنها أن تسمع موسيقى الأكورديون التي يعزفها العازفون المتجوّلون على الجانب الآخر من الجسر. سارا فوق ممشى الجسر الخشبي. تتناثر بطول الممشى أصص الزرع ودكك خشبية. كان الجسر وجهة للعازفين والرسامين. فعلى عكس "الجسر الجديد" ("بون نوف")[١٥] بأقواسه الحجرية متقنة البناء، كان على كل بضع خطوات من جسر الفنون البسيط في معماره فنانٌ. نصب الرسامون حاملات الرسم واستغرقوا في رسم نهر السين والمباني المطلة عليه. كان البعض يرسم لوحات للّيزانفاليد وكاتدرائية نوتردام وبرج إيفل.

---

١٥ أي الجسر الجديد. وربما تكمن هنا مفارقة لفظية، فرغم اسمه إلا أنه مِن أقدم جسور باريس.

مشى ڤيكتور وچين وسط المتسكعين. رغم اختلاف البشر على الجسر فيما يرتدون، فقد كانوا جميعًا يمشون الهوينى كأن لا شيء يشغل بالهم على الإطلاق. كانوا متشابهون أيضًا في نظرات الفضول التي يحدقون بها چين إذا وقعت عيونهم عليها سُواء كان الناظر موسيقيًا أو رسامًا أو متسكعًا.

يستطيع منظرٌ جميلٌ أن يستدعي أفكارًا مدفونة ويزيح عنها تراب الماضي.

توقفت چين في منتصف جسر الفنون واستندت إلى الدرابزين وتأملت السين. كانت باريس وقت الغروب تشع بضوء ذهبي. حامت الطيور حول نافذة الورد الخلابة المصنوعة من الزجاج الملون التي تتوسط واجهة نوتردام وفوق قمة برج إيفل التي يمكن أن تُرى من أي مكان في باريس. كانت چين مستغرقة في أفكارها بينما تحدق في المنظر الممتد أمامها قبل أن تنطق باسم ڤيكتور. أظلمت عيناها للحظة.

"كنت أتساءل عن أمر!"

نظر ڤيكتور في عينيها التي امتلأت الآن بالأسى.

"ما هو؟"

"سمعت أن أدميرال روز[١٦] قد جلب إلى هنا كتبًا كورية من أرشيف أوجيوجانغجاك في جزيرة غانغهوا في عام النمر الأحمر. هل تلك الكتب في اللوفر أيضًا؟"

---

١٦ بيري جوستاف روز، وهو أدميرال فرنسي قاد حملة فرنسية على مملكة جوسيون عام ١٨٦٦، لكن الحملة فشلت في إجبار الملك على الاعتراف بخطأ المملكة في قتل المبشرين الكاثوليك الفرنسيين.

"لا، إنها محفوظة في المكتبة الوطنية".

أشار ڤيكتور جهة الشمال.

"عليكِ أن تتبعي هذا النهر. على بعد أربعين دقيقة سيرًا على الأقدام، وخمس عشرة دقيقة بالعربة. ستجدين الكتب بأمانٍ هناك".

"مثل ڤينوس وسفينكس؟!" قالت چين في شك.

"چين، لو ظل ڤينوس وسفينكس مدفونين تحت الأرض حيث كانا، لما استطعنا رؤيتهما اليوم. ربما كانا الآن مجرد أنقاض. من كان سيُقدِّر جمالهما؟ وجود تلك التماثيل في اللوڤر يضمن لها الحفظ".

شعرت چين بحنق شديد.

"لماذا؟ لماذا تعتقد أن ڤينوس وسفينكس كانا سيهلكان لولا فرنسا؟"

"صدقيني، لقد رأيت بأم عيني كنوزًا تُعامَل باستهتار وإهمال. أحزنني ذلك كثيرًا. يتوقف هذا الإهمال بمجرد أن تصل إلى اللوڤر. تمتلك فرنسا القوة والوسائل اللازمة لجلبها إلى هنا".

"إذًا أنتم لا تختلفون كثيرًا عن الإنجليز والألمان والأمريكيين، ڤيكتور! تمامًا مثل اعتقاد اليابان والصين وروسيا أنهم يحمون كوريا بأفعالهم".

اعتدلت چين في وقفتها. انحنت أغصان الصفصاف بمحاذاة السين فوق سطح الماء، تكاد تلمسه.

"ألا ترى الأمر؟! الناس هنا ينظرون إليّ مثلما ينظرون إلى الأشياء التي جمعتها، ڤيكتور!"

"عما تتحدثين بحق السماء؟!"

"لستُ مختلفة عن المعروضات في اللوفر. انظرا!"

أعطت چين ظهرها للنهر. كانت ثمة امرأة عجوز تسير أمام خادمتها ببطء بينما عيناها مثبتتان على چين. اختلست الفتاة الخادمة التي تحمل شال المرأة نظرة إلى چين أيضًا. التفت أربعة مهرجون، يرتدون الأقنعة ويغنون بصوتٍ أجش، إلى چين بينما يعبرون أمامها. جرى صبي يرتدي صديريًا نحو المهرجين، لكنه أبطأ الخطى أمام چين وابتسم لها في فضول قبل أن تتسع عيناه من الاندهاش. يحدث هذا في بلد تدعو إلى الحرية، والمساواة والإحسان في كاتدرائياتها ومستشفياتها. استغرق الأمر منها عدة شهور كي تستوعب مئات الكلمات التي لم تتخيل وجودها أبدًا. صحَّح المعلمون فرنسيتها، وعلَّموها التاريخ والفلسفة والأدب. درست الموسيقى الفرنسية، وتعلَّمت حتى رقصة الكانكان[١٧] كي تتغلغل فرنسا داخل جسدها وروحها. لكن في شوارع فرنسا، لم ترَ مردودًا لتعبها هذا سوى تحديقات البشر. كانت تواجه چين النظرات نفسها، سُواء كانت تسير بصحبة موباسان أو چان. لم تستطع چين التحرُّر من نظرات الغرباء، سُواء كانت بدافع العطف أو الفضول. ومن دون تلك الحرية، لم تكن لتشعر أبدًا بالمساواة. أشاحت چين بنظرها عن المتفرجين وتأملت من جديد السين المغمور بضوء الغروب الواهن.

قال أحدهم مرةً أنَّ باريسَ ليست مدينةً بل عالمًا.

---

١٧ رقصة فرنسية صاخبة انتشرت في الملاهي الليلية الباريسية منذ أربعينات القرن التاسع عشر. تقتصر في الأغلب على النساء، حيث تتميز بحركات سريعة تعتمد على رفع الساقين عاليًا وتحريك تنانير طويلة أثناء الرقص بركلها لأعلى.

كان من السهل عليها الشعور بذلك حيث تقف الآن في حضرة المعمار المهيب بما يحمله من تنوُّع بين العصر الرومانتيكي والعصر القوطي وعصر النهضة. كان يحيطها من كل اتجاه ويخنقها. شعرت كأنها تقف وحيدة في وسط باريس.

اقترب ڤيكتور منها وأحاط كتفيها بذراعيه. اعتقد أنه قد استوعب سبب الإحباط المتنامي بداخل قلب چين. مع ذلك، كان لا يزال يشعر بالقلق عليها.

تدفق النهر في الأسفل في سكون. بعد أن حدق چين وفيكتور بعيدًا نحو "إيل دولا سيتي" في صمت متجنبين النظر إلى بعضهما البعض، واصلا السير أخيرًا. لم يتبادلا أي كلمة وهما يخطوان إلى الجانب الآخر من الجسر. كان الطريق مزدحمًا. مثل الضفة اليمنى، اختلس المارة الذين يعبرون الشارع النظرات إلى چين. حدق ڤيكتور إلى أسفل نحو الحمام السمين المعتاد على حركة المارة، لدرجة أنه لم يعد مهتمًا بالنظر لأعلى.

"هل تعتقدين أنكِ وحدكِ مَن عليه تحمُّل نظرات الآخرين؟"

"..."

"هل نسيتِ كيف كان الأمر بالنسبة إليّ في كوريا؟! لقد طُعِنتِ بالسكين فقط لأنك كنتِ بصحبتي! جعل الكوريون مني فُرجَة أيضًا. لكن لم يجرحني ذلك. شعرتُ فقط ببعض الانزعاج".

" لكن أنت تمتلك السلطة. تستطيع تحمل نظرات الآخرين".

عما تتحدث هذه المرأة؟ نقل ڤيكتور ذراعه من فوق كتفها إلى خصرها.

"إذا كنتُ أمتلك أي سلطة، فأنت تمتلكينها أيضًا".

"ڤيكتور، مهما كنتَ عطوفًا معي، أنت رجل فرنسي وأنا امرأة كورية. اعتقادك أن من الأفضل للكُتُب الكورية والسيلادون أن يكونوا هنا وليس في كوريا، بسبب سلطتك أنتَ وليس سلطتي".

"چين!"

"لقد أحست الملكة بحسرةٍ بالغة لضياع كتب ارشيف أوجيوجانجكاك التي سرقها إدميرال روز. لم تُطبَع نسخ عديدة من هذه الكتب، كما هو الحال مع الكتب هنا. كان كل كتاب وحيدًا لا نظير له. ما فائدة الوثائق والكتب الكورية لفرنسا؟! إنها مجرد غنيمة بالنسبة لكم، لكنها تراثنا الحي. تلك الكتب تحوي تسجيلًا مُفصّلًا لطقوس البلاط".

لم يقل ڤيكتور أي كلمة.

سرح ڤيكتور بأفكاره في ذلك اليوم في فناء المفوّضية عندما كان يحزم الكتب الكورية التي ينوي إرسالها إلى مدرسة اللغات الشرقية في باريس. تذكر كيف كانت چين تمرر يدها على الكتب في شجن كأنها تودع صديقًا. تذكر كيف كان يعلو وجهها الاستهجان، كلما فُتِح الحديث عن ولعه باقتناء السيلادون والكتب الكورية. في أحد الأيام سألته بحسرة: "ماذا ستفعل بكل ذلك؟"

كانت ترافقه إلى بائع الكتب الذي يبيع الكتب المطبوعة بطريقة القوالب الخشبية، أو إلى "جسر غوانغتونغ" حيث تفترش الكتب القديمة المعروضة للبيع الأرض. لكن كان ثمة تردد يشي بالممانعة في خطواتها.

أرسل ڤيكتور الكتب التي جمعها أثناء إقامته في الصين إلى مدرسة اللغات الشرقية أيضًا. كان يعتبر ذلك أحد واجباته الدبلوماسية.

يعرف ڤيكتور جيدًا تلك المخطوطات المُزوَّدة برسوماتٍ بديعة التي تشير إليها چين. كانت تقبع يومًا ما بين جنبات معبد في جزيرة "غانغهوا"، وأحضرها الأدميرال "بيير جوستاف روز" معه كغنيمة. كانت حوالي ثلاثمائة مجلد مختلفة الأحجام. كان هنالك أيضًا خريطة فلكية، ولفائف، وخرائط تفصيلية لكوريا، ودروع لا تزال خوذات الرأس متصلة بها. عثر الأدميرال روز وجنوده على صناديق ضخمة من خشب البلوط أثناء تنقيبهم في الجزيرة، فأمر بحملها إلى السفينة ظنًا منه أنها ممتلئة بالكنوز. لكن في الحقيقة كانت ممتلئة بالكُتب. استشاط بعض الجنود غضبًا، لدرجة أنهم ألقوا بعضًا من الكتب في قاع المحيط.

"لماذا يضع الكوريون كتبهم في صناديق كنوز؟" تردد السؤال مرارًا بين الجنود.

تجري الأنهار الصامتة دون توقف، مُحملةً بأسرارٍ لا حصر لها.
تأبطت چين ذراع ڤيكتور مرة أخرى، وجلسا قرب مياه السين.

"لقد قاد الأدميرال روز سفنه إلى جزيرة غانغهوا ردًا على إعدام أعضاء البعثات التبشيرية المسيحية في كوريا"، ذكّرها ڤيكتور.

"أعلم، ڤيكتور! ما حدث للكاثوليك في كوريا كان مأساويًا. ينفطر قلبي عندما أفكر في هؤلاء الأشخاص، الذين ذهبوا إلى بلد غريب لنشر كلمة الرب، ليُقتَلوا في النهاية. لكن إرسال أسطول بحري إلى جزيرة غانغهوا كان غزوًا بربريًا".

"چين!"

"هذا ما أومن به، ڤيكتور!"

كانت التماثيل المنحوتة في كلِ عمود من أعمدة "جسر نوف"، أقدم الجسور المبنية فوق السين، مغمورةً بلونٍ ذهبي. بدا النهر قريبًا جدًا منها، لدرجة أنها شعرت إنّ بإمكانها أن تغمس يدها داخل مياهه. كان يمكن لچين أن ترى وجه الملكة منعكسًا على سطح الماء. ذلك الوجه الذي كان يعتريه قلقٌ شديد، كلما مارست الصين واليابان والقوى الغربية ألعاب السلطة والنفوذ الملتوية على كوريا.

عاد ڤيكتور بذاكرته إلى الليالي التي كان يسهر فيها ليقرأ كتاب "چيكچي"[١٨] في المفوَّضية مُتذوِّقًا كل صفحةٍ وكل كلمةٍ. حالفه الحظ في الحصول على نسخة من الكتاب ووجده مليئًا بالأقوال الحكيمة التي ساهمت في تشكيل فكرة أشمل عن المذهب البوذي. ماذا ستعتقد چين إذا علمت أنه أخذ ذلك الكتاب الجميل والنادر إلى جامع الأثريات "هنري فيربير"؟

ابتلع ڤيكتور ريقه بصوتٍ مسموع، متذكرًا كيف حصل على الكتاب.

في إحدى جولات التصوير في سول، صادف ڤيكتور شخصًا يقرأ بصوت عالٍ من كتاب "قصة الزوجة الصالحة سا". كان معظم قراء الكتب الذين يوظَّفون في السوق لقراءة مقتطفات من الكتب على الجمهور، رجال في سن الشباب. لكن كان مَن صادفه ڤيكتور في ذلك

١٨ أو "أنطولوجيا تعاليم الكهنة البوذيين العظماء لمذهب الزن البوذي"، وهو مِن أقدم الكتب المطبوعة بالحروف المعدنية المتحركة. طُبِع في شيونغجو في كوريا عام ١٣٣٧م. يتكوَّن الكتاب من مجلدين؛ ضاع المجلد الأول منه بينما يتواجد المجلد الثاني في المكتبة الوطنية الفرنسية. يتضمن الكتاب المبادئ الأساسية لمذهب الزن البوذي.

اليوم امرأةٌ عجوز تنتعل صندلًا رثًا من القش. كان صوتها مؤثرًا جدًا فالتف حولها أناس كُثر. كان ڤيكتور يلتقط لها الصور عندما لاحظ الكتب التي تبيعها والموضوعة عند قدميها. دقق النظر في كل كتاب، وصُعِق لمرأى آخِر كتاب في الكومة. كان الكتاب مربوطًا بشريطٍ أحمر، ويعلو غلافه عنوانٌ مختصر: "المجلد الثاني. طُبع على ورق التوت". ما استرعى انتباهه هو شيء غريب في شكله. فحص ڤيكتور البيانات المعقدة المدموغة على ظهر الكتاب، وتمكّن من قراءة الكلمات التي تشير إلى أن الكتاب قد طُبع باستعمال الحروف المعدنية المتحركة. مندهشًا، تأكد ڤيكتور من تاريخ الطباعة: ١٣٧٧ ، "معبد هيونغديوكسا". ١٣٧٧؟ ذلك يعني أن هذا البلد الصغير قد سبق مطبعة "جوتِنبرج" ذات الحروف المعدنية المتحركة بعقودٍ، حتى لو كان حجم وشكل الحروف متباينًا وبعض الأجزاء قد طُبِعتْ بالقوالب الخشبية. اشترى ڤيكتور الكتاب بكل ما يحمله من مال في جيبه، وعاد مسرعًا إلى المفوّضية. لم يمشِ بسرعة أكبر من هذه في حياته كلها، وقد اعتراه الخوف من أن يلحق به شخص ما ويصرخ كي يستعيد الكتاب.

مشيا معًا نحو الساحة العامة متجهين إلى سوق الأحد؛ حيث يمكن شراء الزهور والطيور بأسعارٍ منخفضة.

بعد شعوره بامتعاض چين من إرساله الكتب بعيدًا عن كوريا، لم يخبر ڤيكتور چين باكتشافه تلك الأمسية. كان يمتلك المجلد الثاني فقط من كتاب "چيكچي"، وعندما اكتشف أن الصفحة الأولى منه ممزقة، تنهّد في أسى. كيف يكون مالك ذلك الكتاب النادر بهذا الإهمال؟! صمم ڤيكتور على العثور على المجلد الأول، وأذاع أنه مستعدٌ لدفع مبالغ طائلة لشراء الكتب القديمة. سرعان ما احتشد باعة الكتب أمام بوابة المفوّضية حاملين

حزمًا ضخمة من الكتب، غير أن الكتاب المنشود لم يكن بينها. بمساعدة "بول شوي"، بحث ڤيكتور في الأحياء حول معبد "هيونغديوكسا"؛ حيث تم طباعة الكتاب عن المجلد الأول من الكتاب، لكن جهوده ضاعت هباءً.

هل يقول المثل القديم: أن تعرف قلب إنسان حقًا، يعني أن تعرف قلب بوذا ؟!

وجد ڤيكتور شخصًا يمكنه تقدير قيمة هذا الكتاب، الذي يحوي مجموعة من الأسئلة والأجوبة المستخلصة من عدد هائل من النصوص البوذية. كان هذا الشخص هو "هنري فيربيير".

كان ڤيكتور لا يزال مُتحرِّقًا للعثور على المجلد الأول من كتاب "جيكچي". هل تعرف هذه المرأة عمق هوسه بالكتب الكورية؟ شعر ڤيكتور بالإحباط من ردة فعلها، بل وببعض من الغضب أيضًا.

ربما كي يبيع طيوره قرب السين، عَبَر أمامهما بائع طيور حاملًا عصا خشبية طويلة يتدلى منها قفص.

"غيلين!"

بينما تحدق نحو قفص الطيور، هتفت چين باسم ڤيكتور الكوري بنبرة حزينة لا تخلو من حنان. بدا كأن المباني الضخمة وأبراج الكاتدرائيات تنظر لأسفل نحوهما.

"من أنا؟!"

توقف ڤيكتور وطوق كتفيها بذراعه. أبعدت چين ذراعه برقة.

من أنا؟ لم تضطر للتفكير في هذا السؤال في كوريا. من هما والداي؟ من جلبني إلى هذا العالم؟ شعرت أنها ستتعثر في أي لحظة، كأنها تسير فوق العدم. كانت عيناها المثبتتان على بائع الطيور الذي يمضي مبتعدًا عنهما أكثر فأكثر، مليئتين بالكآبة.

(٤)

الحفل الراقص

"جلالتك،

في ألمانيا، راقب الأخوان "ليلينثال" تحليق الطيور وتمنيا أن يطيرا مثلها، لذا صمما طائرة هوائية بأجنحة تسمح لهما بالتحليق عاليًا. لست متأكدة كيف تعمل، لكن الأخبار تقول إن الأخوين تمكنا من الطيران، باستخدام الضغط المتولد من الفرق بين سرعة الهواء أعلى وأسفل الأجنحة.

تحمس ڤيكتور الذي يصعب إثارة إعجابه كثيرًا عند سماعه هذا الخبر. أخبرني ڤيكتور أن اليوم الذي لن نحتاج فيه لستين يومًا في قلب المحيط للوصول إلى كوريا، بل مجرد يومين أو ثلاثة في الجو، قد يأتي أسرع مما نتوقع.

الثالث من مايو ١٨٩٣

چين، باريس"

بدأ المدعوون في الوصول إلى حديقة منزل وزير خارجية فرنسا.

عُقِد قران ابنة الوزير في نوتردام اليوم. وعلى شرف هذه المناسبة يقيم الوزير حفلًا راقصًا. كانت الحديقة مزدانة بأزهار الليلك البيضاء، وإكليل الجبل، والتوليب الحمراء والنرجس الصفراء الشاحبة. يمتد معبر مُعبَّد يخترق الأشجار والأزهار التي تتخللها شجيرات "صريمة الجدي".

وراء الأزهار المغمورة بأشعة الشمس الغاربة الذهبية في ذلك المساء الباريسي، صُفَّت الطاولات ورُصَّت فوقها الأطباق وأدوات المائدة بعناية شديدة. كان الخدم يتحركون كالنحل بين الطاولات لتقديم النبيذ والجبن وأنواع شتى من الأطعمة. خُصِّصتْ المساحة أمام أجَمَّة من أشجار الكرز لفرقة الأوركسترا. تأنق العازفون في قمصانهم ناصعة البياض وستراتهم السوداء.

ارتدت چين فستانها الأزرق، وقبعة مُزيَّنة بشريط ملون لها حافة صغيرة، وقفازات شفافة طويلة تصل حتى رسغيها. كان هذا الفستان هو المفضل لڤيكتور. كان ڤيكتور يرتدي ربطة عنق فوق قميص أبيض ومعطف نهاري فوق صديري مخطط. الزي الرسمي الذي يرتديه في كل المناسبات الدبلوماسية. تأكدت چين من أن ربطة عنق ڤيكتور مَعقودة بالشكل الصحيح. لم تعجب ربطة العنق ڤيكتور، وراح يربطها ويحلُّها عدة مرات، بينما يشاهده كوازعودو. سألته چين إذا ما كان معطف الصوف خيارًا أفضل لأن الجو أبرد في الليل. لكن ڤيكتور أصر على ارتداء المعطف النهاري، لأنه يتماشى أكثر مع الصديري المخطط وربطة العنق.

بينما يتبادلان التحية مع الوزير وحرمه، لمحا مسيو ومدام بلانشارد فلوحا لهما. لم يراهما منذ ذهابهم للأوبرا معًا لمشاهدة أوبرا "كارمن" لبيزيه.

[19] اوه، الأوبرا. استرجعت چين ذكرى تلك الليلة عند رؤيتها لآل بلانشارد فسرت رعشة في جسدها. لمعت سلسلة ساعة مسيو بلانشارد الذهبية المُتدلِّية من جيب الصديري الذي يرتديه أسفل معطفه الصوفي. اقتربت مدام بلانشارد بفستانها الوردي من چين، ورفعت الحجاب الدانتيل الشفاف المثبت بقبعتها عن وجهها، قبل أن تتحدث إليها:

"مدام، يا لها من صدفة سارة! كنت أتوق إلى الحديث معكِ في أمر ما".

"معي؟"

ابتسمت إليها مدام بلانشارد.

"الأمر معقد شيئًا ما. لنتحدث لاحقًا!"

بعد هذا الحديث الودي السريع، أتى ريجامي إليهما وحيًّا ڤيكتور. ابتسم ريجامي متتبعًا نظرات چين.

"هل تبحثين عن هونغ جونغ-يو؟ ها هو هناك!"

أشار إلى المدخل. كعادته كان يرتدي ردائه الكوري. كان قد صادف للتو "هنري فيليب" من "نادي الرحَّالة". كانا يومأن بشدة، بينما يتبادلان التحية. ارتدى هنري فيليب بنطالًا مخططًا وقميصًا أبيض بياقةٍ مستديرة وصديري رماديًا وربطة عنق فضية ومعطفًا نهاريًا خفيفًا مثل معطف ڤيكتور، يتناقض لونه مع رداء هونغ جونغ-يو الكوري الأبيض وقبعته الجات السوداء العريضة.

---

١٩ چورج بيزيه (١٨٣٨م-١٨٧٥م): مؤلف موسيقي وعازف بيانو فرنسي ينتمي للمدرسة الرومانسية. اشتهر بأوبراه الشهيرة "كارمن".

"الرحّالة فيليب! لا عجب أنه هنا!"

لم يكن ڤيكتور بحاجة لإخبار چين عمَن هو هنري فيليب، فقد قابلته في ذلك اليوم الذي ذهبت فيه الى مقهى في الحي اللاتيني للقاء هونغ جونغ-يو لتعيد إليه مخطوطته. دون أن يستشيرها، اصطحبها هونغ جونغ-يو الى نادي "الرحّالة" حيث قدم إليها هنري فيليب على انه "أرستقراطي ومستكشف". كان هنالك الكثير من النبلاء والسياسيين في النادي. دعا النادي هونغ للحديث عن الشرق الأقصى؛ حيث لم يسبق لأي من اعضاء النادي السفر من قبل. بدا على هنري فيليب الانبهار، عندما قدم له هونغ چين كراقصة سابقة في البلاط الملكي الكوري. هذه هي تلك المرأة؟ كان قد سمع عنها الكثير، لكن الفرصة لم تسنح له لرؤيتها من قبل. كان في جعبة هونغ الكثير من القصص التي يرغب في حكايتها، لكن فرنسيته كانت تخذله، لذا كانت چين تتدخل لتترجم ما يريد قوله. كانت هذه هي خطته منذ البداية حين أحضرها معه.

الموسيقى لغة عالمية يفهمها الجميع.

عندما انتهى الوزير من استقبال ضيوفه، سادت الحفلَ أجواءٌ أقل رسمية وبدأت الأوركسترا في عزف "البجعة" من "كرنڤال الحيوانات" لسان صانز.[٢٠]

"وها هو مسيو غيميه!"

---

20 كامي سان صانز(١٨٣٥-١٩٢١): ملحن وعازف أرغن وبيانو فرنسي ينتمي للمدرسة الرومانسية. يعتبر العمل الموسيقى " كرنفال الحيوانات " أشهر وأضخم أعماله وهو يتكون من أربع عشرة قطعة موسيقية.

التفتت چين إلى هونغ أثر كلمات ريجامي. رأت هنري فيليب وغيميه يتبادلان التحية. شيء قاله هونغ جعل الرجلان ينفجران ضحكًا.

"لا بُد أن فرنسية مسيو هونغ جيدة جدًا الآن!" قال ڤيكتور.

ضحك ريجامي على ملاحظة ڤيكتور الساخرة.

"لا شك في قدرة مسيو هونغ على التفاهُم مع أي شخص في أي بلد، سواء كان يتحدث بلسان أهلها أم لا! لديه سحره الخاص. لقد قدمته الى مسيو غيميه، وساعدته على الحصول على وظيفة في متحف "غيميه" للفن الآسيوي. لكن انظروا الآن: يبدو أنه صار أكثر قربًا الى غيميه مني"، أضاف ڤيكتور.

"هل لا يزال يقيم في شارع سيربونت؟" سألت چين.
"لا، لقد انتقل للإقامة معي".
"في بيتك، مسيو ريجامي؟!"

"في أستوديو الرسم الخاص بي. أرسم لوحة له. حبه لبلده ملموس في كل تصرفاته. يحتفظ معه دائمًا بصورة للملك ووالد الملك وصي العرش. مكنتني الصور من رسم لوحات لهما أيضًا".

كان ريجامي، رسام أرشيفي وقائم على إدارة متحف غيميه، مشهورًا أيضًا برسمه لوحات شخصية لڤيكتور هوجو والكيميائي باستور[٢١]. اهتمامه بالشرق هو ما قوّى أواصر الصداقة بينه وبين هونغ.

---

٢١ لويس باستور(١٨٢٢-١٨٩٥): كيميائي فرنسي شهير ساهم في وضع أسس علم الأحياء الدقيقة (الميكروبيولوجي) في الطب. يعرف أيضًا باختراعه طريقة لمعالجة الحليب والنبيذ لتطهيرها من أي ميكروب. العملية التي عرفت باسمه (البسترة).

سار الوزير ببدلته "التوكسيدو" إلى وسط الحديقة تتبعه زوجته التي كانت ترتدي قبعة عريضة الحافة ومزودة بحجابٍ شفاف ينسدل على وجهها. جلس المدعوون في أماكنهم على المناضد بينما وقف البعض قريبًا من الوزير وزوجته.

"شكرًا لكم جميعًا على الحضور! لا بُد أنَّ العروسين الجديدين اللذين عُقِد قرانهما بمباركة الكثير من ضيوفنا اليوم، قد وصلا إلى مارسيليا الآن. غدًا يبدآن رحلتهما إلى إيطاليا. لأن العروسين ليسا هنا، تصرفوا جميعًا على أنه حفلٌ أكثر منه استقبال رسمي! رجاءً، استمتعوا بالنبيذ والموسيقى! فلتتذكروا هذه الأمسية على أنها أمسية سارة في المستقبل!"

صفق المدعوون. رفعت چين رأسها لتتأمل النساء الباريسيات. كانت مدام بلانشارد الجالسة في الجهة المقابلة لها، لا تكف عن قول مرحبًا لتيار مستمر من الأشخاص، راسمة ابتسامة لا تختفي أبدًا عن وجهها. صار تأمُّل الباريسيات عادة اكتسبتها چين منذ زيارتها إلى اللوفر. أغلب الباريسيات نحيلات، وبشرتهنَّ متوردة، وملامحهنَّ محددة بدقة. أحيانًا تجد نفسها لا إراديًا تقارن بينها وبينهنَّ، وهو ما كان يزعجها. كانت مستغرقة في تأمُّلاتها، فلم تلحظ اقتراب هونغ جونغ-يو منها.

"مرحبًا، مدام!"

هل نسي ما حدث؟!

جلس هونغ بجوار ريجامي. لا يزال سلوكه فظًا كالعادة.

أحيانًا تدمر الاعترافاتُ العلاقاتَ للأبد. تشارك چين وهونغ العربة نفسها في طريق العودة من "نادي الرحَّالة"، عندما مال هونغ وقال فجأة بصوت منخفض:

"أنتِ وأنا الكوريان الوحيدان هنا في باريس".

لم تقل چين شيئًا منتظرة أن يفسر ما عناه بذلك التلميح. لكن لم يأتِ التفسير بالكلام، بل انحنى هونغ بشكل مفاجئ إلى الأمام ومدَّ يده ليضغط بها على كتفها. تراجع جسد چين للوراء غريزيًا. أبصرت چين وجهه يدنو من وجهها. عيناه جاحظتان، وجنونٌ مَسعورٌ يشع منهما. أخبرها أنه أحبها منذ أن رآها في كوريا. حاول تقبيل چين، لكنها قاومته ودفعته بعيدًا. لم يتراجع، فصفعته چين على وجهه بقوة.

لم ير أي منهما الآخر منذ تلك الحادثة.

انتقلت الأوركسترا إلى عزف "الدانوب الأزرق" ليوهان شتراوس.[٢٢]

تظاهرُ هونغ بأنَّ شيئًا لم يقع أصاب چين بالانزعاج. كي تتحاشى النظر إليه، ثبتت چين عينيها تجاه الخادمات اللاتي كن يقدمنَ الطبق الرئيسي المكوَّن من فطر عش الغراب والدجاج المطهو في الصوص الأبيض ولحم العجل المحمر، وزجاجات من مشروب السيدر. كانت الأطباق المُعدَّة بمهارةٍ، تفتح الشهية بمجرد النظر إليها. انطباع عززته الرائحة القوية للأعشاب التي تُزيِّن الأطباق.

بدأ بعض المدعوين، الذين كانوا يتبادلون الحديث وهم يحتسون النبيذ، في التوجه إلى وسط الحديقة؛ حيث خُصِّصتْ مساحة خالية من الأشجار للرقص.

"ارقصي معي!"

---

٢٢ يوهان شتراوس (١٨٢٥-١٨٩٩): ملحن ومايسترو نمساوي، اشتهر بمعزوفته "ڤالس الدانوب الأزرق".

مدَّ ڤيكتور يده لچين. ممتنة من عرضه الذي سيمكنها من الابتعاد عن هونغ، أمسكت چين بيد ڤيكتور وتركته يصحبها إلى وسط الحديقة. اختلس الراقصون الآخرون، الذين كانوا يتمايلون مع إيقاع موسيقى الڤالس، النظرات إلى چين مدفوعين بفضول إلقاء نظرة على امرأة شرقية.

"انظر! بدأ الناس يحدقون نحوي من جديد".

مال ڤيكتور مستنشقًا عطر خشب الصندل الذي يفوح من أسفل أذنها، قبل أن يقول:

"إنهم لا ينظرون إليكِ، بل هم مبهورون بكِ!"

رفعت چين يديهما المتشابكتين، ودارت بجسدها في رشاقة.

تلقت چين دروس تعلُّم رقصة الڤالس مرتين أسبوعيًا، على يد "لورا" معلمة الرقص التي عرفتها عليها مدام بلانشارد. في البداية كان على چين أن تتعود على حركات الرقص الغربي البسيطة، قبل أن تستطيع التدرُّب على الڤالس. جسدها المُدَّرب على فن الرقص الكوري منذ سن صغيرة، كان يتمنع على الحركة الجديدة. كان من الصعب عليها التأقلمَ مع الرقصات الغربية، فالرقص الكوري المتغلغل في عظامها يأبى هذا الإيقاع الغريب. لن يعرف ڤيكتور أبدًا كم مرة تدربت على الرقصة وهي تعيد تشغيل مقطوعات الڤالس لشوبان على جهاز التسجيل. كان كوازيمودو هو جمهورها الوحيد. في أحد الأيام، رأت القط يقفز لأعلى في مواجهة الحائط مُقلّدًا حركاتها الراقصة كي يلتقط لعبة من الريش. كي تمازحه، وضعت چين اللعبة في مكان أعلى. بعد أن تعب من الوصول إلى اللعبة، قفز مُتعلّقًا بالستائر. طاردته چين في مرح. أثناء لعبها مع القط، أدركت أنها كانت تؤدي خطوات رقصة الڤالس. ثلاث ثم أربع خطوات سريعة. اندهشت لورا من الفترة الوجيزة التي تعلّمت چين فيها خطوات

الرقصة بعد ذلك الموقف، وكيف أجادت التنويعات الجديدة التي أُدخِلتْ على رقصة الڤالس الكلاسيكية. بعد مرور ثلاثة شهور، أعلنت لورا أنها لا تملك شيئًا آخر تُعلّمه لچين. بل زادت على ذلك أن طلبت من چين أن تُعلّمها الرقص الكوري. لكن لورا سرعان ما استسلمت. جسدها المعتاد على الإيقاع السريع للڤالس، عجز عن قبول الحركة الهادئة والتأملية للرقص الكوري، بما يحمله من رمزية.

"هل تسمح لي بالرقص مع المدام؟" قال هونغ فجأة، مُخرِجًا چين من بحر أفكارها.

تشبثت چين بيد ڤيكتور، لكنه ناول يدها إلى هونغ بأدب الدبلوماسي. كان من الغريب أن ترقص مع رجل آخر غير ڤيكتور. استاءت چين من ڤيكتور، الذي سار بهدوء عائدًا إلى طاولتهما. همس لها هونغ الذي قرأ ما تفكر فيه، بأن تكف عن التجهم، فأنظار الجميع مصوبة نحوهما.

"ألا تفضلين منحهم عرضًا لا يُنسى؟"

لم تسمع چين هونغ يتحدث بهذا الهدوء الواثق في باريس من قبل! ومتى تعلّم الڤالس؟! تساءلت. قادها هونغ بسلاسةٍ غير متوقعة خلال الرقص. سعيها كي تُبقي على مسافة بين جسديهما، جعلها تبدو مبتدئة.

"أعتذر على ذلك اليوم. أولئك الأشخاص في النادي بما فيهم هنري فيليب من عِلية القوم في باريس. من المفترض أنهم مستكشفون ورحّالة لكنهم لا يعرفون أي شيء عن كوريا. أعماني الانفعال وأنا أتكلم معهم عن بلادنا. عليك أن تسامحيني!"

لم ترَه من قبل يتصرّف بمثل هذه الرقة. كثيرًا ما كانت تتساءل عن سبب وقاحته وغلظته الشديدين معها. لكن كان هونغ أيضًا الشخص

الوحيد الذي يمكنها التحدث معه بالكورية. سُواء غرق في إحدى نوبات صمته، أو تحدث بحرارة عن البلد التي تركاها ورائهما، كان ذلك يمنح چين الفرصة للتفكير في كوريا. كان التغيُّر المفاجئ في سلوكه مثيرًا للريبة، لكن كلماته طمأنتها قليلًا.

"متى تعلَّمتَ الفالس؟"

"لم أتعلمه. راقبت الراقصين بعينيَّ فقط. ردائي يخفي حركة قدميَّ. خطواتي مريعة".

بمجرد أن ختم كلامه، داس على قدميها بالخطأ، فضحكت چين. رجل في الثمانية والثلاثين من عمره، بدا فجأة أشبه بطفل.

"أنا مسرور لأنك تشعرين بشكل أفضل الآن. بفضلكِ، نُشر كتابنا بالأمس. هذه أول مرة يُنشَر فيها كتابٌ مترجَمٌ عن الكورية في فرنسا. احذري، فقد أدوس على قدمك مرة أخرى!"

"أحقًا ما تقول؟ لا يمكنني الانتظار حتى أرى الكتاب!"

لم تدم ابتسامة چين طويلًا، فقد ارتطمت ركبة هونغ القوية تحت ردائه بركبتها فعلا وجهها أمارات التألم.

"سيُحضره مسيو بويكس الليلة. لقد اختاروا العنوان: "عطر الربيع".[٢٣] لم يكن الأمر سهلًا. كان علي أن أغني "أغنية الحب" الواردة في القصة لمسيو بويكس في غرفتي في الفندق، لأقنعه بنشر الكتاب".

---

٢٣ عنوان الترجمة الفرنسية لقصة "تشون هيانغ"، وهي ترجمة حرفية لكلمة تشون هيانغ اسم بطلة القصة الشابة الجميلة والعنيدة من قرية نام وون. نُشرت عام ١٨٩٢م في باريس من ترجمة هونغ جونغ يو.

أخبر بويكس چين أن هونغ قد دعاه إلى غرفته في الفندق، وأنشد له بحماسةٍ "أغنية الحب" أثناء عرضه للكتاب.

"سأدعوك لاحتساء كأس من الأفسنتين في كافيه "ليه دو ماجو" احتفالاً بنشر الكتاب".

كان الاثنان يذهبان إلى مقهى في الحي اللاتيني أو بوليڤار سان چيرمان ليتناقشا في مخطوط الكتاب وهما يشربان كؤوس الأفسنتين. كان بويكس يرافقهما أحيانًا. كان الأفسنتين، مشروبًا رخيصًا مصنوعاً من نبات الشيح، يشعل حلقها من قوته. لكن هذا الشعور الحارق كان جزءاً من متعة احتساء الأفسنتين على طاولة خارج مقهى بينما تشاهد المارة يروحون ويجيؤون.

"فرنسيتكِ ممتازة، وهنالك الكثير من الأشياء التي يمكنك فعلها هنا من أجل كوريا، لكن لماذا لا يبدو عليك الاهتمام بذلك؟"

منحته چين ابتسامة فاترة لا تحمل رفضًا أو قبولًا. وماذا يمكنني أن أفعل لخدمة كوريا؟ فكرت.

حركة هونغ المرتبكة، جعلت حفاظها على إيقاع في الرقص ضربًا من المستحيل. تلاشت الكياسة التي أظهرها في البداية. بينما يمسك كل منهما بالآخر، أخذ جسد كل منهما ثلاث خطوات للوراء والأمام.

"يسألني مسيو بويكس عن الكتاب الذي أخطط للعمل عليه بعد "عطر الربيع". ماذا تعتقدين؟ ماذا عن قصة "شيم تشونغ"؟ الأجزاء الخاصة بالتنبؤ بالمستقبل في القصة تثير اهتمامهم. لماذا لا نترجم كتابًا عن فن التنجيم الكوري؟ أعتقد أن من المهم مسايرتهم في طلباتهم أولًا، قبل

أن نستطيع ترجمة كتب من اختيارنا. ماذا لو وضعنا اسمكِ على الترجمات؟"

"لستُ جيدة بالشكل الكافي لذلك".

"يا له من تواضع! أنتِ كفؤ لذلك. لقد أتيتُ إلى هنا كي أتعرف على الحضارة الفرنسية، وأنقل هذه المعرفة التي ستساعد كوريا. لم أنس كوريا أبدًا أثناء إقامتي هنا. لكن هذا ليس كافيًا. تعريف الفرنسيين ببلادنا مهمٌ بالقدر نفسه. تجاهلُنا للأمم الغربية قد تجاوزَ المدى. لقد تركنا الخلاف بيننا يتسع بشكل لا يُحتمل".

"كوريا هي كل ما تفكر فيه؟"
"أفكر في أشياء أخرى أيضًا".
"مثل؟"
"فيكِ. خادمة البلاط سوه".

أفلتت چين يد هونغ. انتقلت الموسيقى من "الدانوب الأزرق" إلى مقطوعة "الڤالس العظيم الرائع" لشوبان. انحنت چين لهونغ بأدبٍ، قبل أن تبدأ في السير متجهة إلى الطاولة. بعد بضع خطوات، التفتت مرة أخرى ووجهت كلماتها إلى هونغ.

"أنا زوجة ڤيكتور!"

شعرت بالحاجة لتوضيح ذلك. لكن نبرة صوتها الباردة لم تمنع هونغ من الاقتراب خطوة منها.

"في هذه البلد، يبدو المتزوجون أكثر خلاعة من العُزّاب. لا تنسِ أنه لم يقم حتى حفل زفاف على شرفك!"

تركت چين هونغ وراءها وعادت إلى طاولتها. لم يكن ڤيكتور هناك. كان يرقص. حاولت چين أن تلقي نظرة على وجه من تشاركه الرقص لكن أعاق الراقصون الآخرون مجال رؤيتها.

"مدام!"

اقتربت منها مدام بلانشارد بوجه مشرق وجلست على مقعد ڤيكتور.
"هل تعرفين أننا نعقد أوكازيون أبيض في فبراير وأغسطس من كل عام؟"

عرفتْ چين ذلك بفضل چان. عرفتْ أنه يُعقد بعد موسميَ التخفيضات في بداية ومنتصف السنة أثناء الفترة التي يبدو فيها موسم التخفيضات التالي بعيدًا نوعًا ما. يبيع خلاله بون مارشيه والمتاجر الكبرى الأخرى الأقمشة الكتانية. ألحّت چان على چين أن يذهبا إلى الأوكازيون معًا، قائلة إنّ كل من يهتم بالأناقة في باريس سيكون هناك. انبهرت چين بطريقة عرض السلع. بدا بون مارشيه كأنما قد تساقط الثلج بداخله. كان اللون الأبيض في كل مكان. كانت شرائط حرير الموسلين الأبيض تتدلى من السقف وتغطي درابزين السلالم. الأعمدة بين واجهات العرض والأرفف مُزيَّنة بالأبيض. تحركت نساء باريس بينها مثل ندف الثلج وهن يخترنْ الثياب والملاءات البيضاء. اشترت چين قميصًا أبيض لڤيكتور ومناشف ومفارش مائدة. كل ذلك بنصف الثمن.

"تذكرين المروحة البيضاء التي أهديتها لي في الأوبرا؟ المروحة التي زخرفتِ ظهرها الحريري الأبيض بزهور عود صليب حمراء؟"

شعرت چين بخمولٍ في يديها بعد ظهر احد الأيام ففكرت بشوق في تلك الأيام التي كانت تقضيها في جناح التطريز في القصر وفي رفيقتها سُوا. نزعت شريط القماش عن مروحة يد قديمة ووضعت قطعة من حرير

الساتان الأبيض فوق عصي المروحة بدلًا منه. ثم بالخيوط الملونة التي اشترتها أثناء زياراتها المتكررة إلى السوق مع چان، قامت بتطريز خمس من زهور عود الصليب على الحرير. أهدت چين المروحة بعد أن انتهت من حياكتها إلى مدام بلانشارد.

"الكثير من صديقاتي، اللاتي شاهدنّني أحمل المروحة، أظهرنّ رغبة في اقتناء مروحة مماثلة".

"هل أصنع مروحة أخرى لك؟"
فكرت ان الأمر هيِّن طالما تمتلك المزيد من عصي المروحة.

"ما قصدته، مدام، إذا كان بمقدورك صنع المزيد من مراوح الساتان متى أمكنك ذلك، يمكنني بيعها بالنيابة عنك إلى السيدات الأخريات بسعر ممتاز".

"لكن لا ضرورة لذلك. أنا سعيدة لأن أصنع مروحة لأي سيدة ترغب في واحدة".

"لقد سألني الجميع من أين اشتريت المروحة. ليس سيدة واحدة أو اثنتين. توجد الكثير من المراوح بالفعل هنا في باريس. المتاجر تزخر بأنواع وأشكال مختلفة لكن المراوح التي تصنعينها مميزة. جذابة وفخمة. أعتقد أن السبب في ذلك، هو مهارتك في استخدام الإبرة. لديك لمسة جميلة. هذا الاهتمام بالتفاصيل فن بحد ذاته. في الحقيقة، لقد قررت التوقف عن استخدام المروحة، وعلّقتُها في إطار على الحائط".

"لكن كيف من الممكن أن أقبل بأجر نظير ذلك؟"

"من الطبيعي أن تتلقي أجرًا نظير صنع شيء جميل بيديك. لم أكن لأقول ذلك لو كان عدد قليل من السيدات من يطلبنَّ ذلك. عددهن كبير وكلهن يمتلكنَّ ذوقًا رفيعًا. فكرت أن نبيع عددًا من المراوح ثم نعرض الباقي في الأوكازيون الأبيض".

"..."

"لا أعرف كيف ستتلقين ما سأقوله لك الآن، لكن أنا معجبة بكِ، مدام! أتمنى أن تغتنين من مواهبك تلك! هذا حقك. لا تفكري في الأمر كثيرًا، اصنعي مزيدًا من المراوح مثل التي أهديتها لي! أنا سأهتم بالباقي".

اعتدلت چين في جلستها، ونظرت في وجه مدام بلانشارد التي صبت شامبانيا في القدح الفارغ أمام چين. تصاعدت فقاعات ذهبية، صافية ولامعة إلى سطح القدح. مال ريجامي، الذي أثار اهتمامه ما قالته مدام بلانشارد، برأسه تجاه المحادثة بينما يقطع شريحة من لحم العجل المحمر ليضعها في طبقه.

"هل أنتِ مهتمة بالأمر؟" استعجلت مدام بلانشارد رد چين.

نظرت چين في عين مدام بلانشارد مباشرة. كانت تعكس نوايا حسنة. ارتشفت چين رشفةً من الشمبانيا. كانت تتلقى مثل هذه النظرات المفعمة بالطيبة حتى من الباريسيين الذين يحدقون إليها بانشداه. كان موباسان أحدهم. موباسان الذي يردد دائمًا أن انعدام اهتمام المرء بحياته هو موت الأمل، وانعدام اهتمامه بحياة الآخرين هو بداية الخطيئة. مع ذلك، كان موباسان نفسه يبدو لها غير مهتم بحياته، أو حياة أي شخص آخر. كان يكره الأماكن المزدحمة بالبشر. وإذا مدحه أحدهم، كان يسارع بالرد بشكلٍ لاذع، أن من الأفضل توجيه هذا المديح إلى قطعة جبن

متعفنة. تساءلت چين كثيرًا: ما الذي دفع رجل مثله للقدوم إلى جلسة قراءة في حجرة المطالعة في بون مارشيه؟

"لماذا تعتقدين أنني يجب أن "أغتني"، مدام؟ هل أبدو لك فقيرة؟"
"هل جرحتكِ كلماتي؟" قالت بنبرة اعتذار.
"لا، مجرد فضول".

"مدام، لأكن صادقة معك، أنت تبدين غامضة لا فقيرة. لكن لا يمكنك أن تعرفين ما سيحمله المستقبل لكِ. لا أحد يستطيع معرفة ذلك. المال أمان. حتى لو لم تتولد بداخلك أبدًا الحاجة لصرف المال، يمكنك دائمًا أن تهبيه لأي أحد، أو تشترين ما تشتهيه، والأهم من كل ذلك، أنكِ ستمتلكين الحرية!"

الحرية! هل حصلت مدام بلانشارد، التي يشاع عنها أنها قد شقت طريقها بمفردها في المجتمع الباريسي قادمة من إحدى مقاطعات فرنسا النائية، حتى أصبحت عاملة في متجر "نوفوتي" على الضفة الجنوبية لنهر السين، على حريتها بطريقة مشابهة؟ نظرت چين نحو ڤيكتور الذي كان لا يزال يرقص الڤالس مع امرأة لا تعرفها. فكرت چين في تلك الكلمة "الحرية"، التي نطقت بها مدام بلانشارد منذ لحظات. يميل السمك إلى التجمُّع في المياه العميقة. الطبيعة الرزينة لمدام بلانشارد جذبت الكثير من الأشخاص حولها، فكرت چين.

سُواء كان ذلك بفعل الشمبانيا أو كلمات هونغ التي تشكك في مصداقية زواجها أو كرم مدام بلانشارد، احمر وجه چين.

"هل يمكنني أن أطلب منك معروفًا؟"
مالت مدام بلانشارد للأمام مستعدة للاستماع.

"لدينا خادم يدعى ڤينست. هو ماهر ومجد في عمله وروحه إيجابية دومًا، ويجعل كل من حوله سعيدا. حلمه أن يكون عامل مبيعات في بون مارشيه. أبقي عينيَّ عليه دائمًا وأنا مقتنعة أنه سيكون إضافة لمتجركم".

ضحكت مدام بلانشارد التي كانت تستمع بإنصات إلى چين.

"كم أنت غريبة مدام! مَن في العالم سيسعى للعثور على وظيفة أخرى لخادمه؟!"

"الحقيقة ڤينست ليس خادمنا بالمعنى الدقيق. هو فقط يساعد ڤيكتور. إنه ابن تاجر أجبان في بلانس، القرية التي قضى فيها ڤيكتور طفولته. هو يمكث معنا لأنه لا يمتلك أي علاقات أخرى في باريس".

"لكنكم في نهاية المطاف ستفتقدون خدماته".

"سأقنع ڤيكتور. أريد لڤينست أن يعيش الحياة التي يتمناها. هل ستساعدينا؟"

"حسنا إذًا! يمكنه أن يكون مسؤولًا عن بيع مراوحك في بون مارشيه".
" هل أنت جادة حقًا في عرض أعمالي اليدوية للبيع؟"
تدخل ريجامي في الحديث.

"دعيها تفعل ذلك، مدام! الموهبة شيء لا يجب إخفاؤه. لا أعرف الوضع في كوريا لكن هنا حُكمَ السوق يلعب دورًا مهمًا في تشكيل الموهبة وتطويرها".

"أنتم جميعًا هنا!"

علا هتاف بويكس الذي بدا أنه قد وصل للتو إلى الحفل الراقص. أتى مسيو بلانشارد واصطحب زوجته للرقص. احتل بويكس المقعد الذي أخلته. وضع بويكس ظرفًا ضخمًا بجوار لحم العجل المحمر، قبل أن يطوف ببصره ذاكرًا أنه يبحث عن هونغ جونغ -يو. كانت چين تلقي نظرة على الحفل الراقص بدورها. لم تلمح هونغ، لكن عيناها وقعتا على ڤيكتور. من المرأة التي يراقصها؟ لم ترها چين من قبل أبدًا.

"ها هو ذا!"

التفتت چين إلى حيث أشار بويكس. رأت هونغ يمشي نحو الوزير الذي كان يتوقف عند كل طاولة ويتبادل حديثًا وديًا مع ضيوفه. نظرت چين وبويكس وريچامي إلى هونغ في الوقت نفسه. فوجئوا مما رأوه بعد ذلك. ركع هونغ على ركبتيه أمام الوزير. غطى ردائه الأبيض الطويل بلاط الحديقة. الوزير الواقف ببدلته التوكسيدو، وهونغ بردائه الكوري الراكع على ركبتيه. بدا الأمر كأنه مشهدٌ في مسرحية. لثم هونغ يد الوزير. لا شيء يعبر عن الإهانة أكثر من التجاهل. رغم التبجيل الصادق الذي أظهره هونغ، اكتفى الوزير بالنظر إلى هونغ للحظة قبل أن يمضي نحو طاولة أخرى. كانت الإهانة واضحة للجميع. ظل هونغ راكعًا على ركبتيه فوق البلاط حتى بعد أن تجاهله الوزير وحرمه. همت چين بالوقوف لكن تمالكت نفسها وعاودت الجلوس. امتلأ قلبها بشفقة لم تشعر بها نحو هونغ من قبل.

"ماذا حدث للتو؟!"

سألت چين وهي تصب من زجاجة بوردو، المشروب الذي لا يُستغنى عنه في لقاءات الدبلوماسيين، في كأس بويكس الفارغ.

"ظن مسيو هونغ أن الوزير سيتعرف عليه. كان هونغ يتمنى أن يلتقي بالوزير منذ مدة طويلة لكن لم يُمنح الأذن ابدًا لذا قرر القدوم إلى هذه الحفل رغم أنه لم يتلق دعوة والآن يُعامَل كحشرة. أتمنى حقًا ألا يكتشفوا وجودي فأنا لم أتلق دعوة أيضًا".

"لماذا يتمنى هونغ لقاء الوزير؟"

"حسنًا، هو وزير الخارجية لذا هونغ يرغب في توثيق علاقته به. أخبرني هونغ أنه قد قابل الوزير بشكل عابر عندما وقعت فرنسا على الاتفاقية مع كوريا. يقولون إن هونغ كان يعمل تحت إمرة ملك كوريا. هل تعرفين ذلك؟"

حقا؟! لم تمتلك چين أي فكرة عن عمل هونغ في كوريا وصلة ذلك بالملك. تعرفت عليه فقط بسبب ڤيكتور وزياراته المتكررة إلى أستوديو تصوير هوانغ شول. أحيانًا كان هونغ يرافقهما في جولات التصوير مع هوانغ شُول لكن كان يتحاشى النظر إليها مباشرة وكان سلوكه معها خشنًا كالأشواك. لهذا تجنبت چين الحديث معه بقدر الإمكان. لو لم يكن هونغ يشغل منصبًا في البلاط الملكي في كوريا، كيف شهد توقيع الاتفاقية إذًا؟ حدقت چين نحو هونغ الذي كان لا يزال راكعًا. مكث الوزير، الذي لم يعره أي انتباه، وقتًا طويلًا على طاولة هنري فيليب. يمكن لچين سماع دوي ضحكهما من مكانها.

"مسيو بويكس؟" قال ڤيكتور متفاجئًا لرؤيته بعد أن فرغ أخيرًا من الرقص. لم تكن شريكته في الرقص بصحبته.

"أراد مسيو هونغ رؤيتي. لقد نُشِر كتابه أخيرًا".

أخرج بويكس مجلدًا من الظرف الذي وضعه بجوار لحم العجل وناوله إلى چين. تأملت چين الغلاف الذي يتوسطه العنوان "عطر الربيع". في تلك اللحظة، عاد ريچامي إلى الطاولة مع هونغ.

"ها هو الكتاب!" صاح هونغ في انتصار، كأنه نسي إهانة الوزير بالفعل، وهو يخطف الكتاب من بين يدي چين. تأمله مليًا، قبل أن ينفجر ضاحكًا ضحكته المجلجلة المميزة.

"انظري إلى تشون هيانغ!" قال هونغ في غضب.

أدار هونغ الكتاب المفتوح على صفحتين تعرض رسمًا لبطلة القصة "تشون هيانغ" نحو چين.

قالت المرأة سوه لها مرة: "الكتب أصدقاء لن يخونوك أبدًا، لذا ابقها قريبة منكِ دومًا!"

تأملت چين الرسم. انحنى ريچامي على الكتاب في فضول كونه رسامًا أيضًا قبل أن يقول:

"ما المشكلة؟ هارولد رسام بارع".

ذُكِر في بداية الكتاب أنَّ الرسوم المرافقة للنص نتيجة تعاون بين الرسامين "هارولد" و"ميتيس".

"لا عيب في الرسوم بحد ذاتها سوى أن الرسامين لم تقع عيونهما على امرأة كورية في حياتهما أبدًا. الصور لامرأة كورية من نسج خيالهما". ضحك هونغ بمرارة.

ابتسم بويكس ناشر الكتاب موافقًا على كلام هونغ. "تشون هيانغ" في الكتاب ترتدي ثيابًا كورية، لكن ملامحها وبشرتها وشعرها تشبه امرأة من الغرب.

"لو كانا قد نظرا إليك نظرة واحدة، مدام، لما كانا قد وقعا في ذلك الخطأ!"

خاطب هونغ چين بـ "مدام" لوجود ڤيكتور. ابتسم ڤيكتور وهو ينظر إلى الرسومات بدوره.

"أعتقد أن بطل القصة "لي مونج ريونغ" يبدو مثل نبيل كوري، بفضل مسيو هونغ".

أومأ هونغ موافقًا على تعليق ڤيكتور.

"كلنا على هذه الطاولة أصدقاء، لكن الآخرين لا يستطيعون حتى تخيُّل كيف يبدو الكوريون. لا يزال أمامنا الكثير من العمل لتقوية العلاقة بين بلدينا". بدا أن هونغ يوجه كلامه إلى چين.

بينما يتبادل ڤيكتور وهونغ الحديث، دققت چين النظر في القبعة مخروطية الشكل التي ترتديها إحدى الشخصيات المرسومة. رأت چين "يون" في هذه الرسومات. لماذا لم تفكر أبدًا في التقاط صور ليون والمرأة سوه؟ سرت بداخلها موجة من الندم. لو كانت قد فعلت ذلك، لكان بإمكانها النظر في وجهيهما كلما اشتاقت إليهما.

بينما يتصفح الآخرون الكتاب في سرور، بدأت مصابيح الغاز في حديقة المنزل في الإضاءة الواحد تلو الآخر. شرع الخدم بتقديم أطباق الأيس كريم بنكهة الڤانيليا، وچيلي الفراولة، وحلوى الميل فوي بطبقاتها

المتعددة. اقترب هنري فيليب ببنطاله المخطط العصري في رشاقة من طاولتهم. حيَّاه هونغ، وقام ريجامي بتقديمه إلى بويكس وفيكتور. أومأ هنري فيليب برأسه في أدبٍ إلى چين.

"ها نحن نلتقي من جديد! تبدين أجمل من أي وقت مضى، مدام! وهل هذا كتاب كوري في يديك؟"

مررَّت چين الكتاب إلى هنري فيليب، الذي قلَّب صفحات "عطر الربيع" باهتمامٍ، ثم نظر إلى كل من چين وهونغ.

"هل تودان القدوم إلى "نادي الرحَّالة" لعرض الكتاب؟ أعتقد أن أعضاء النادي سيندهشون من حقيقة أن هذا أول كتاب كوري يُنشر في فرنسا. الكثير منهم أعجب بمحاضرة هونغ بعد ظهر ذلك اليوم".

علت ابتسامة مشرقة وجه هونغ أثر سماعه كلمات هنري فيليب وانحنى له شاكرًا. التفت هنري فيليب إلى چين. منح فيكتور چين، والذي لم يكن يعلم بزيارتها إلى "نادي الرحَّالة"، نظرةً مستفهمة، كأنه يسألها عما يتحدث هذا الرجل؟ في تلك اللحظة دنا الوزير من طاولتهم. سارع ريجامي إلى وضع يده على كتف هونغ، خشية أن يحاول الركوع على ركبتيه مرة أخرى. تجاوز الوزير هونغ، ووجه حديثه إلى هنري فيليب وبويكس.

"ليس من الحكمة أن يعامل الفرنسيون الكوريين كما لو كانوا متساوين".

حدق فيكتور نحو چين. تظاهر الوزير بالهمس، لكن هونغ وچين سمعا بالطبع كل كلمة تفوه بها.

"ربما من الأفضل تجاهل كوريا والكوريين. آه، لكن هذا لا يشملك مدام! أنت باريسية قلبًا وقالبًا"، استدرك الوزير سريعًا، وهو يمنح چين الجالسة بجوار فيكتور ابتسامة مصطنعة.

اجتاح قلب چين شعورٌ جارفٌ بالوحدة. شعرت أنها عاجزة عن التعرُّف على أي روحٍ حولها.

سيطر عليها إحساس بالغربة. وضعت چين يدها على معدتها. تضخمت الأصوات من حولها. امتلأت أذناها بالموسيقى وهمسات الحضور وصوت سكين يسقط مرتطمًا ببلاط الحديقة وصوت صبِّ النبيذ وصدى ضحكات بعيدة. حاولت أن تتحمل الألم الذي انفجر في معدتها فجأة. ابيض وجهها بسبب المجهود الذي تبذله.

"لقد شاهدتك ترقصين الڤالس منذ لحظات قليلة. أنت ترقصين أفضل من أي امرأة مولودة في باريس. أنا سعيد أنكِ تعلّمتِ تقاليدنا وأسلوبنا بسرعة".

انحسرت أصوات الرقص والثرثرة والضحك بعيدًا عنها، كما لو كانت محض وهم.

"حسنًا، استمتعوا بوقتكم!"

ارتجف حاجبا چين بسبب ألم بطنها المتزايد. ودعها الوزير بنظرةٍ مُجامِلة، قبل أن ينتقل إلى ضيوفه الآخرين. رمقت زوجته التي تتبعه، چين بنظرةٍ قلقة. شعرت چين بحبات العرق تتصبب بغزارةٍ على فروة رأسها تحت قبعتها. التقت عيناها بعيني زوجة الوزير، التي منحتها ابتسامة ودودة، قبل أن تلحق بزوجها.

هبط الغسق بضوئه الخافت فوق الحديقة.

ساد جو من التوتر بين ريجامي وهونغ جونغ-يو، ربما بفعل كلمات الوزير. بدا الراقصون تحت ضوء مصابيح الغاز الضعيفة أكثر رومانسية من ذي قبل.

"ڤيكتورا!"

نادت چين ڤيكتور بصوتٍ ضعيف، وهي تمسح عرقها بسرعة لكن كان ڤيكتور منهمكًا في الحديث مع هنري فيليب عن الصين.

"مدام؟" حاول بويكس جذب انتباهها.

"لقد تحدثتُ عن الأمر بالفعل مع مسيو هونغ. نحن نبحث عن كتاب كوري آخر لننشره بعد "عطر الربيع". هل هنالك كتاب معين يمكنكِ ترشيحه لنا؟"

دفع بويكس بطبقٍ من حلوى الميل فوي إليها. كان هونغ يملأ كأسه بالنبيذ، بينما ينصت ريجامي إلى ما يقوله بويكس الذي كان يحاول بطريقته الخاصة تغيير المزاج العام المُخيِّم على الطاولة.

"هل تودين تجربة الترجمة بنفسك، مدام؟ يمكنني مساعدتك. أنا متأكد أننا لن نواجه أي مشكلة".

ألجم الألم لسان چين، بينما يصب بويكس المزيد من الشمبانيا في كأسها. بادر ريجامي الذي كان قد التزم الصمت منذ توقف الوزير عند الطاولة، إلى الحديث بابتهاج مبالغ فيه في محاولة منه لكسر الجليد.

"دعونا نذهب إلى مونمارتر للاحتفال بكتابنا الجديد! أجل، لماذا لا نذهب إلى مولان روج؟ يمكننا السهر هناك طوال الليل، مدام!"

بدا هونغ متحمسًا للفكرة.

"هل ذهبت إلى "مولان روج" من قبل، مدام؟"

هزت چين رأسها ردًا على سؤال بويكس. قرأت چين في الجرائد عن الاختلاف الكبير بين المقاهي والملاهي الليلية (الكباريهات) المنتشرة في مونمارتر عن نظيراتها في سان چيرمان والحي اللاتيني.

وسط صخب الحفل، نظرت چين نحو بطنها الذي بدا وكأنما يتلوى من شدة الألم. كان الوخز الذي شعرت به قد انحسر قليلًا، لكن عندما برد العرق فوق جبهتها، عاودتها طعنات الألم مجددًا دون سابق إنذار.

كان ريجامي يصف بنشوةٍ إلى هونغ مميِّزات حي مونمارتر:

"ثمةُ باريسٍ جديدةٍ أكثر مرحًا تُولد الآن في مونمارتر. في كل زقاق ثمة شيء رائع يمكن رؤيته. بات "مولان روج" ملتقى كل صنوف البشر. قد نرى "تولوز لوترك"[٢٤] هناك. يجلس دائمًا في ركن منفرد مثل بوذا، منشغلًا برسم الفتيات الراقصات".

اتفق الآخرون على الذهاب إلى "مولان روج"، بينما تجلس چين وهي تقاوم ألمها في صمت. كانت تدرك أنها لن تستطيع احتمال الألم لمدة

---

٢٤ هنري تولوز لوترك (١٨٦٤-١٩٠١): رسام ومصور فرنسي، من أعظم رسامي فترة ما بعد الانطباعية. عانى من مرض في عظام الساقين أعاق نموه وحركته، حيث كان طوله لا يتجاوز ١٥٢ سم. لذا لُقب بـ "القزم البوهيمي". من أهم لوحاته: "في مولان روج" و"لا بلانتشيسيوس".

طويلة مع ذلك حاولت أن تبقى منتصبة في جلستها. واصل ريجامي وبوبكس وهونغ الحديث عن ملهى مولان روج القابع أسفل تل مونمارتر. سمعت چين عن "مولان روج" أول مرة من موباسان. حدثها أيضًا عن تولوز لوترك. هو رسام قصير جدًا توقفت ساقاه عن النمو وضمرت منذ تعرُّضِه لحادثة وهو طفل. تجده كل مساء في "مولان روچ" يرسم الراقصات. أخبر موباسان چين أن فكرة رسمها قد تستهوي لوترك إذا رآها ترقص.

"هل تودين القدوم معنا إلى "مولان روج" لمشاهدة رقصة الكانكان؟" دعاها ريجامي لمرافقتهم.

لن تعجب ڤيكتور فكرة ذهاب چين إلى "مولان روج". تعرف چين ذلك جيدًا منذ اليوم الذي أخبرها فيه موباسان عن المكان. في مساء ذلك اليوم باحت باقتراح الكاتب إلى ڤيكتور الذي رد عليها بحدة -على عكس طبيعته الحذرة في إظهار مشاعره- قائلًا إنه لا يفهم سبب رغبة موباسان المستمرة في اصطحابها إلى مثل تلك الأماكن من بين كل الأشياء التي يمكن لچين أن تراها في باريس، مُنهيًا المناقشة حتى قبل أن تبدأ. يمكنها أن ترى أن ڤيكتور يستمع لمحادثتهم، رغم انشغاله الظاهري بالحديث مع هنري فيليب.

رغم رأي ڤيكتور السلبي فيها، إلا أن رقصة الكانكان، التي قُدِّمتْ لأول مرة في "مولان روج"، باتت الصيحة الجديدة في باريس. كان من المألوف مشاهدة الشباب في الشوارع يُقلِّدون راقصات "مولان روج" اللاتي كنَّ يرفعن تنانيرهن حتى ركبهنَّ، ويرفعنَ ساقًا تلو الأخرى لأعلى في الهواء في لمح البصر.

لكن حتى لو أذن لها ڤيكتور بالذهاب، فلن يمكنها الذهاب بحالتها هذه. أخذت تُدلّك بطنها بيدها، دون أن تتوقف عن مسح عرقها البارد.

وقف هنري فيليب ومدَّ يده نحوها في كياسة.

"هلا منحتني شرف الرقص معك، مدام؟!"

كان بإمكانها الشعور بنظرات هونغ المثبتة عليها.

"لقد حصلت على موافقة بالإجماع من اللجنة!"[٢٥] أضاف هنري فيليب مازحًا.

بالكاد كانت چين تستطيع التركيز على اليد الممدودة نحوها، بينما تتلوّى قسمات وجهها الذي انهارت مقاومته أخيرًا. ظن هنري فيليب أن تجهُّمها إشارة على الرفض، فسحب يده الممدودة في حرج. نظر ڤيكتور إلى چين. أرادت أن تقول شيئًا، لكن موجة أخرى من الألم ضربتها، فعجزت عن النطق بالكلمات. اعتصرت چين بطنها بيدها، مُصمِّمة على تجاوز ذلك الألم.

"ڤيكتور!"

تمكنت چين من النداء عليه، وهي تنحني على الطاولة متوجعة. حينها فقط تفوَّه ڤيكتور باسمها، وهو يقفز من فوق مقعده ويسرع نحوها. فتحت چين عينيها بصعوبة، مُحاوِلةً ألا تفقد وعيها. من خلال رؤيتها الضبابية، رأت ظلال راقصي الڤالس والموسيقيين أسفل شجرة التوت تتموج أمامها كما لو كانت تحت الماء. تأرجحت صور كؤوس النبيذ وبقايا

٢٥ تعبير دبلوماسي. والإشارة هنا إلى عدم ممانعة ڤيكتور.



الطعام على الطاولات أيضًا. حاولت أن تستقيم في جلستها، لكن سرعان ما انهار وجهها مرة أخرى على سطح الطاولة الصلب. يمكنها أن تشم رائحة الجبن وچيلي الفراولة. قاومت جفونها التي تهدد بالانغلاق في أي لحظة. لمحت رداء هونغ الأبيض يرفرف في النسيم ثم مجموعة من زهور النرجس الصفراء المتلألئة تحت أضواء مصابيح الغاز.

أحاط ڤيكتور چين بذراعيه وحاول أن يساعدها على الجلوس. أتت مدام بلانشارد مسرعة. هزت ذراع چين هاتفة:

"مدام! مدام!"

"ماذا تفعلون؟! يجب أخذها إلى المستشفى!"

بالكاد استطاعت چين سماع صوت هنري فيليب ينادي على خادم ليجهز عربته. حمل ڤيكتور چين بين ذراعيه وشق طريقه بسرعة خارجًا من الحديقة. اعتلت وجه الحضور الحيرة وهم يتتبعون ڤيكتور بنظراتهم.

"چين! رجاءً استيقظي!"

هتف ڤيكتور باسم چين دون توقف، وهو يضعها داخل عربة هنري فيليب التي كانت تنتظرها أمام بيت الوزير.

مع ذلك، انغلقت عينا چين واسودت الدنيا أمامها.

(٥)
الحُجرَةُ الشَّرقِيةُ

"جلالتك،

ثمة الكثير من المدارس في غرب باريس. قمت بزيارة عددٍ منها. في هذه المدارس التي بنتها الأديرة، يُعلّم الرهبان التلاميذ المبتدئين قراءة وفهم الصلوات. للدين تأثير عظيم في هذه الأجزاء من باريس. لم تعد هذه المدارس قاصرة على تلقين الصلوات للرهبان، بل باتت تشمل التعاليم المسيحية والتعريف بحياة القديسين، وهو ما يقود في النهاية إلى إتقان اللغة الفرنسية أيضًا.

كيف يمكنني وصف متعة القراءة في هذه البلد؟ تُترجم الكتب من كل أرجاء العالم إلى الفرنسية كي يتمكن أي شخص من قراءتها. تمتزج الأفكار الحديثة بالقديمة. أحسد الكُتَّاب على الحرية التي يُعبِرون بها عن ذواتهم بلغة بلدهم. سمعتُ عن كاتب يدعى "بلزاك"، عانى من الديون طوال حياته. كان عليه الارتحال أكثر من مرة بسبب ذلك. مع ذلك كتب عددًا مهولًا من الأعمال. يُقال إنه كان يكتب من منتصف الليل حتى الثامنة صباحًا كل يوم، ثم يأخذ راحة لمدة خمس عشرة دقيقة يتناول خلالها الفطور، قبل أن يواصل الكتابة من جديد حتى الخامسة بعد الظهر. بعد ذلك يتناول

العشاء، ويخلد إلى النوم في السادسة، ثم يستيقظ مع دقات منتصف الليل ليبدأ الكتابة مرة أخرى.

إذا عدتُ إلى كوريا، أود أن أسعى لكي يتعلم كل الأطفال القراءة والكتابة بالكورية. هذا حلمي الوحيد. لا أعرف إذا كنت سأعودِ إلى كوريا، لكن لو تحقق ذلك، سأقضي النهار، حيث العقل أكثر صفاءً من أي وقت، أعلم الأطفال القراءة. منحني بلزاك هذا الأمل.

لي چين
باريس".

طرقت چان على باب الحجرة خلف الصالون. كانت الحجرة التي يعرض فيها ڤيكتور مجموعته من التحف التي جلبها من الشرق. عندما لم تتلقَ ردًا، دفعت الباب بحذر. وراءه كانت تجلس چين على وسادة محشوة بالقطن منهمكة في تطريز قطعة من الساتان الأبيض. بالأمس كان الشكل الذي تقوم بتطريزه هو وردة حمراء. اليوم كان سحلية.

" مدام".

كانت چين في عالمٍ آخر غافلة عن طَرقاتِ چان وندائها عليها

عرفت چين في المستشفى في تلك الليلة التي غابت فيها عن الوعي في الحفل الراقص في منزل الوزير أنها قد أجهضت جنينها الذي لم تكن تعرف بوجوده. لم تنطق چين بكلمة لثلاثة شهور كاملة.

مضت ستة شهور على تلك الليلة المشؤومة. حاولت چين زراعة بذور زهرة الأوركيد التي منحتها لها سُوا لكنها لم تنبت أبدًا. من شدة

يأسها، حملت چين الأصيص إلى الساحة خارج البيت وهشمته إلى شظايا صغيرة. كانت بذور الأوركيد التي كبُرت چين وسُوا وهما تشاهدان زهورها في حديقة القصر قد ماتت منذ مدة طويلة. تمامًا كما مات جنينها.

كيف أجهضته وهي لم تعرف حتى بحَملها؟ كيف تفقد شيئًا لم تعرف بوجوده من قبل؟ أفقدها الإجهاض أي اهتمام بباريس. بات من النادر أن تغادر البيت. وإذا خرجت، لم تكن تذهب سوى إلى مبنى "جمعية باريس "للبعثات الخارجية" لتُحدّق طويلًا في خريطة كبيرة لآسيا أو إلى ليزانفاليد، حيث تشاهد الجنود يؤدون المارش العسكري في شرود.

لم تستجب أبدًا لاقتراحات ڤيكتور بأن يخرجا للنزهة بطول نهر السين. قام ڤيكتور حتى بزيارة موباسان رغم عدم ولعه به وترجاه كي يصطحب چين إلى أي مكان حتى لو كان هذا المكان هو المشرحة.

استعادت چين صوتها من جديد بفضل الحجرة الشرقية.

خلال الثلاثة شهور التي امتنعت فيها چين عن الكلام، استبدل ڤيكتور القطع المعروضة في هذه الحجرة بالمقتنيات التي جمعها من كوريا بينما تبرع بالكتب واللوحات التي جلبها من البلدان الأخرى إلى متحف غيميه. ثم بمساعدة من چان، عدل من ديكور الحجرة بحيث تشبه جناح امرأة كورية نبيلة. متحمسًا لأن يريها هذا العالم السري الجديد، غطى ڤيكتور عيني چين بإحدى يديه، وبالأخرى قادها إلى الحجرة. عندما فتح الباب وأزاح يده عن عيني چين، نظرت إلى الحجرة في صمت. توقفت عيناها طويلًا أمام لوحة زهرة عود الصليب التي أهدتها الملكة لها قبل مغادرتها كوريا، والمُعلّقة الآن على الحائط. غاص قلب ڤيكتور في مكانه لعدم وجود أي ردة فعل لچين. كان قد ملأه الأمل وهو يضع المزهرية

المزخرفة بنقش زهرة أقحوان بيضاء فوق خزانة مصقولة متعددة الأدراج مزينة برسوم فراشات وطيور. بدا أن چين لم تلحظ صندوق الجواهر المحفور عليه رسمة شجرة صنوبر وصندوق المكياج الخشبي المُزوَّد غطاؤه بمرآة، والموضوعين بجوار الوسادة. ظن أنها ستبتهج لرؤية الوسادة الكورية المنقوشة، لكنها نظرت إليها نظرة سريعة مُجرَّدة من أي تعبير. لم تنجح حتى الستائر الخشبية المزخرفة الواقفة أمام النوافذ الطويلة في تبديد فتور چين.

"يحزنني أن هذا هو كل ما يمكنني فعله من أجلك".

قال ڤيكتور بنبرة منخفضة يشوبها الإحباط. تحطمت آماله على شطآن فتورها.

لكن في تلك اللحظة همست چين:

"شكرًا، ڤيكتور!" قبل أن تطبع قبلة على خده. انفرجت أسارير ڤيكتور عن ابتسامة. كانت هذه أول كلمات تنطقها چين منذ إجهاضها.

نادتها چان من جديد: "مدام، لديكِ زائرة!".

رفعت چين رأسها أخيرًا. لم تكن چين المنتشية أثناء عرض "كارمن" في الأوبرا، أو الراقصة النابضة بالحياة في حفل الوزير الراقص. بات خداها "المتوردان شاحبين" من الغمّ، وأصبحت عظمتا الترقوة الرقيقتان أكثر بروزًا مِن ذي قبل.

"مَن؟"

"راهبة لم أرها من قبل. أعتقد أنها ذكرت أنها من جمعية باريس للبعثات الخارجية".

جمعية باريس للبعثات الخارجية؟ لمع بريق خافت في عينيّ چين.

"اصطحبيها إلى الصالون وقدمي إليها الشاي! سأنضم إليها بعد قليل".

كان ثمة صرامة جديدة في نبرة صوت چين تتناقض مع مظهرها الواهن. وضعت چين المروحة التي كانت تطرزها جانبًا قبل أن تسحب صندوق المكياج إليها وتفحص وجهها في مرآته. كانت أصابعها التي عقصت بها خصلات شعرها المتشابكة أكثر ضعفًا من أي وقت مضى. حدقت في المرآة، إلى الظلال العميقة أسفل عينيها الداكنتين. مسحت زجاج المرآة بمنديل. ارتعشت عيناها السوداوان للحظة قبل أن تسكن مرة أخرى. رفعت شالها عن حِجرها ولفّته حول كتفيها قبل أن تدلف إلى الصالون. تأملت الراهبة، التي كانت تشرب الشاي الذي أحضرته چان، منظر چين بدهشة.

"بالكاد تعرفتُ عليكِ!"

حان الدور على چين كي تندهش من كلمات الراهبة الكورية التي أجبرتها على إطلاق آهةٍ من فمها تُشبه التنهيدة. كانت هذه هي الأخت "چاكلين" التي كانت تُعلّم الأيتام الكوريين الفرنسية في دار أيتام "جوندانجول". أشرق وجه چين. بدا كأنما مر دهرٌ على ذلك الوقت، حين كانت چاكلين تُعلّم الأطفال الفرنسية، وتتعلّم الكورية على يد چين. من بين الراهبات الثلاث اللاتي علمتهنّ چين، كانت چاكلين الأسرع في استيعاب دروس الكورية.

"هل عدتِ إلى باريس؟"

" لا ، مجرد زيارة. عليّ العودة قريبًا".

"إلى كوريا؟"

"لا مرة أخرى. بينانغ هذه المرة. لكن هل أنتِ مريضة؟"

ابتسمت چين لچاكلين. كان وجهها هزيلًا لدرجة أن تجعيدات ابتسامتها كادت أن تمتد إلى أذنيها.

"ألم تأكلي من مدة طويلة؟"

لم تكن چين تطيق تناول أي شيء مؤخرًا، سوى فنجان من القهوة وقطعة من الخبز. لم تعد تطيق تناول الجبنة الفرنسية التي أحبتها يومًا.

أعاد وجود چاكلين إليها ذكريات الأرز البخاري بحباته المنفوشة الذي كانت تعده المرأة سوه لهم. شعرت لو أن بإمكانها الحصول على قِدر منه الآن، لخلَطته ببعض الماء وتناولته كله. في الشهور القليلة الماضية، تنامت رغبتها في تناول قِدرٍ من الأرز الكوري البخاري اللامع، لتتساوى مع رغبتها في النوم على فوتونٍ ممدَّدٍ على الأرض.

رشفت چاكلين بعينين يملأهما القلق رشفة أخرى من الشاي، قبل أن تفتح حقيبتها وتخرج حزمة ملفوفة بقماش أبيض. ناولتها إلى چين. كانت حزمة صغيرة. نظرت چين إلى الراهبة مُستفسِرة.

"أعطاني العازف يون هذه الحزمة عندما أخبرته بقدومي إلى هنا. لقد توسل إليّ كي أسلمها إليك".

اعتدلت چين في جلستها. ظل شالها ينزلق من على كتفيها الهزيلتين باستمرار. كانت عيناها مثبتتين على حزمة القماش الأبيض.

"افتحيها!" قالت جاكلين بإلحاح، وهي تميل إلى الأمام ممسكة بالحزمة. لكن چين اكتفت بوضع الحزمة في حِجرها.

"كيف هي الأمور في كوريا؟"

ظلل طيف من الأسى وجه جاكلين التي أطرقت برأسها.

"فوضى. شبت انتفاضة للفلاحين في "غوبو"! كانت حركة محدودة في البداية، لكن بات من الصعب السيطرة عليها الآن. شعر القصر بالتهديد فطلب الدعم من الصين. وهو ما أثار حفيظة اليابان الحساسة لمثل تلك الأمور فأرسلت قواتًا بدورها".

نظرت جاكلين إلى أعلى من جديد.

"لكن لا شيء من هذا مفيد لك الآن".

"ماذا حدث بعد ذلك؟"

"ثمة إشاعة قديمة عن تمثال لبوذا منحوت في سطح جرف صخري في مكان ما في الجنوب، وأنَّ ثمة كتاب محفوظٌ في موضع سُرَّته. اليوم الذي سينتزع فيه الكتاب من مخبأه، سيحل الخراب بالبلاد. يُقال إن الفلاحين الذين يطوقون إلى عالم جديد قد حطموا التمثال بفأس، واستولوا على الكتاب".

اكفهر وجه چين. تحدثت عندما صمتت جاكلين، لتلح عليها بمواصلة الكلام:

"ثم ماذا حدث؟"

"وضعت القوات اليابانية الأسرة الملكية تحت الإقامة الجبرية. كانت هنالك حركة تحاول إعادة وصي العرش إلى سُدة الحكم. في النهاية أعلنت اليابان والصين الحرب. انفجرت معركة بين الدولتين، انتهت بانتصار اليابان".

خفضت چين رأسها.

"تمنيتُ أن ترحب كوريا بالطرق الجديدة وتنفتح على العالم الجديد. لكن هل هذه حقًا الطريقة الوحيدة ؟! ينتابني القلق حيال الوضع هناك".

همت چاكلين بمواصلة الكلام، لكن توقفت وقد انتبهت لرأس چين المنكس. سرى الصمت بينهما لبرهة.

بعدها سألتها چاكلين في رِفق:

"وكيف هي أحوالكِ هنا؟"

"..."

"هل أنتِ سعيدة؟"

اكتفت چين بالابتسامة.

"لقد تمنيتُ السعادة لكِ دائمًا، چين!"

"حياتي هنا ليست سيئة جدًا".

"وهو ما يعني أنها ليست جيدة جدًا، أيضًا".

"ثمة أيام أكون فيها سعيدة. وأيام أخرى أشعر بأن الأمر يفوق طاقتي على الاحتمال".

"أنتِ على درايةٍ بأن الأسقف ميوتل قد تولَّى زمام الأمور بعد وفاة الأسقف بلانك؟ توقفت أعمال إنشاء الكاتدرائية التي بدأ بنائها الأسقف بلانك أثناء الحرب بين الصين واليابان لكن الآن بدأت من جديد. دار الأيتام تزدهر يومًا بعد يوم حتى بعد رحيل الأسقف بلانك. كل هذا بفضل مدام سوه والشاب يون بالتأكيد. يكرسان معظم طاقاتهما لتعليم الأطفال. الدرس المفضل لدى الأطفال هو تعلُّم العزف على ناي الدايغوم

على يد يون. أتمنى لو كان بإمكاني الحديث معك أكثر لكن عليَّ المغادرة الآن. لقد وصلت إلى باريس بالأمس ولم أستطع الانتظار كي أراكِ وتصادف أن المسافة على القدمين إلى هنا قصيرة. هل يمكنك زيارتي في جمعية باريس للبعثات الخارجية في وقت ما؟"

"متى سترحلين؟"

"أعتقد أنني سأمكث هنا شهرًا أو شهرين".

عانقت چاكلين چين برقة وهمست: "لتكن معكِ بركات مريم العذراء!"

لم تُحرِّر چين چاكلين، بل ضمتها إليها أكثر. وقفت المرأتين بين ذراعي كلا منهما لبرهة.

بعد رحيل چاكلين، حملت چين الحزمة الملفوفة بالقماش إلى عتبة النافذة. فتحت النافذة وأطلت برأسها. تابعت حركة چاكلين النشطة، حتى اختفت الراهبة تمامًا تحت قبة الزان التي تظلل المحلات.

حدقت چين في الحزمة خائفة مما قد تحويه. قبل أن تحسم قرارها وتنزع القماش الذي يغطيها. بداخلها وجدت رسالة مكتوبة بالقلم الحبر الذي منحه ڤيكتور إلى يون. كانت الرسالة بلا أي مقدمات:

"جرس الفضة،

منذ شهرين، اشتريت البيت في بانشون حيث قضينا طفولتنا معًا. ذكرت أمي[26] أن البيت قد بِيع، لكنها لا تعرف أنني اشتريته. أفكر في أن

26 الإشارة هنا إلى المرأة سوه.

تعيش فيه عندما تصبح كبيرة جدًا، لدرجة تعجز معها عن العناية بالأيتام.

لم أحلم أبدًا في أسوأ كوابيسي أنني لن أتمكن من رؤيتك كل هذه المدة الطويلة. تسأل أمي عنك عن طريق الليدي سوه في القصر لكنها لا تمتلك أية أخبار. أحيانًا أفكر أنني السبب في امتناعك عن مراسلتنا. لو كان هذا صحيحًا، فرجاءً اعرفي أنني قد تقبلتُ الأمور كما هي، وأنَّ الماضي سيظل ماضيًا! أعرف أنك لم تعودي الفتاة التي قابلتُها، عندما اصطحبني الأب بلانك إلى بانثون. سامحيني على القسوة التي أظهرتها تجاهك في النهاية! ظننتُ لو أنني ودعتُكِ، فلن أراكِ مرة أخرى أبدًا، ولم أستطع تحمُّل هذه الفكرة.

كانت حياتكِ دائمًا، يا جرس الفضة، لغزًا بالنسبة إليَّ، فهي مليئة بأشياء لا يمكنني فهمها. شاهدتُ سفينتك تغادر ميناء جيمولبو وفكرت أن عليَّ أن ألحق بك على ظهر هذه السفينة. كان عليَّ أن أتبعك إلى أي مكان، كي لا أحنث بالوعد الذي قطعته على نفسي منذ أمد بعيد. كنت لأفعل ذلك لو كنت أعلم أنني لن أسمع منك مرة أخرى أبدًا، لكن ما نفع هذه المشاعر العالقة بداخلي الآن؟

نحن على ما يرام. كوريا كما هي دائمًا وأحيانا أقابل الليدي سُوا في المآدب. أحيانًا تؤدي رقصة "أوريول الربيع" التي تستمتع بها الملكة كثيرًا. نتحدث دائمًا عنكِ.

رجاءً اكتبي لنا بأي طريقة كي نطمئن عليك!"

قرأت چين الرسالة مرتين قبل أن تضع حزمة القماش البيضاء على الطاولة. رجاءً *اكتبي لنا!* حامت الكلمات أمامها. لا بُد أنه قد كتب هذه الرسالة بعد شيء من التردُّد، حين سمع أن الأخت چاكلين على وشك العودة إلى باريس. لا يزال يناديها "جرس الفضة"، لكنه استخدم الصيغة الرسمية لـ " أنتِ"، متأرجحًا بين الرسمية والحميمية.

على المرء أن يغلق عينيه لكي يرى الأشياء التي يحنُّ إليها.

قربت چين الرسالة من أنفها، كأنها تحاول أن تلتقط رائحة يد يون. مررت أصابعها فوق الرسالة وأغمضت عينيها. يمكنها أن تستشعر من قلقه على المرأة سوه أنها ليست بصحة جيدة. عندما اشترى بلانك بيتين ليحوِّلهما إلى دارٍ للأيتام، باعت المرأة سوه بيتها في "بانشون" وأعطت بلانك المال. فوجئ بلانك من تصرُّفها، ورفض المال في البداية عالمًا أنه كل ما تملك في هذا العالم. لكن المرأة سوه أصرت ورفضت حتى اقتراحه بأن تعطيه نصف المبلغ فقط. ثم لم تكتفِ بذلك، بل تطوّعت كي تطهو الطعام لدار الأيتام.

دخلت چان إلى الحجرة لتحمُل فنجان وصحن الشايِ الذي شربته چاكلين. كانت تنحني على الطاولة، حين لمحت الرسالة فوق حزمة القماش فلمعت عيناها.

"هل هذه كتابة كورية، مدام؟"

ابتسمت چين وهي تومئ برأسها. تأملت چان خط يون عن قرب.

"الكلمات أشبه بالصور!"

فحصت چان الحروف الكورية الغامضة كما لو كانت تنظر إلى لوحة فنية. أعادت چين لفَّ الرسالة بالقماش الأبيض قبل أن تستعد للعودة إلى الحجرة الشرقية لكن استوقفها هتاف چان.

"هل أنتِ على ما يرام، مدام؟! تبدين شاحبة. هل تودين فنجانًا آخر من الشاي؟!"

"هل سيأتي ڤينست اليوم؟"

حاولت چين أن تغلّف نبرة صوتها بالمرح كي تزيل قلق چان، التي ابتسمت ابتسامة عريضة واحمر وجهها خجلًا لذكر اسم ڤينست.

تصبح مشية المرء واثقة الخطى عندما يحقق حلمه.

أصبح ڤينست عاملًا في "بون مارشيه" بفضل مدام بلانشارد وبات من مهامه القدوم إلى المنزل ليتسلم ما تقوم چين بتطريزه. أصبحت مراوح اليد والقفازات من الإكسسُوارات الضرورية في التجمعات والحفلات الراقصة الباريسية. لا تكف النساء عن اختلاس النظر، والمقارنة بين المراوح التي تحملها كل واحدة منهنّ. لم يكن ڤيكتور متحمسًا لانشغال چين بالتطريز وهو ما جعل چين تتردد في البداية لكنها حسمت أمرها وقررت حياكة المراوح بينما تقضي اليوم تلو الآخر منعزلة داخل الحجرة الشرقية. كانت تعتمد بشكل أساسي على الساتان وحرير الموسلين لكن أحيانًا كانت تستخدم الألياف الدقيقة لتحصل على منظر أكثر دفئًا. كان ڤينست المسؤول عن تزويدها بعصي المروحة ونقل المواد بين البيت و"بون مارشيه". بمجرد أن تُسلّمه چين الأقمشة المطرزة، كان ڤينست يحملها إلى متجر المراوح قرب السين حيث تُوضَع اللمسات الأخيرة عليها. سابقًا كانت چين تتولّى فعل كل شيء من البداية حتى النهاية. لكن بعد أن أصبحت مراوحها مشهورة، أصبحت تكتفي بالتطريز فقط. بات الإقبال على مراوحها عاليًا جدًا لدرجةٍ لم تعد قادرة على إنهائها بنفسها. كانت مراوح چين تُباع بسرعة دون أي تأخير. رفعت مدام بلانشارد سعرها

أكثر من مرة، بحيث صارت أغلى من كل المراوح الأخرى، بل وخُصِّصتْ واجهة مستقلة في "بون مارشيه" من أجل عرضها.

"لقد وضعتُ المراوح التي فرغتُ من تطريزها في الحجرة الأخرى. لذا رجاءً ساعدي ڤينست على العثور عليها عندما يأتي!"

ما كان ينعتها ڤيكتور بـ "الحجرة الشرقية"، كان ڤينست وچان يطلقان عليها اسم "الحجرة الأخرى"، إشارة للحجرة التي تعزل چين نفسها بداخلها.

كان ڤينست يُحضر أرباح بيع المراوح معه حيث تتولّى چان وضع العملات الذهبية والفضية في صندوق المجوهرات المنقوشة عليه شجرة الصنوبر.

"ثمة حفلة اليوم، لذا سيتأخر ڤيكتور في العودة. ليس من الضروري أن تحضري العشاء من أجلي. لماذا إذًا لا تذهبين مع ڤينست إلى مكان ما؟ لا بأس إذا سهرتِ بالخارج كما تريدين!"

"لكن ألن تخرجي بدورك، مدام؟"

ابتسمت چين في حزن. لا بُد أن ڤيكتور قد أخبر چان أن چين ستذهب إلى حفلة هذه الأمسية وأنها ستحتاج لمساعدتها كي تجهز نفسها. قال ڤيكتور أنه سيذهب من العمل مباشرة إلى بيت هنري فيليب وأنه سينتظر چين هناك. لكن تفكر چين الآن في عدم الذهاب. حدث ذلك عدة مرات مؤخرًا لذا سيتقبل ڤيكتور عدم حضورها هذه المرة أيضًا.

عادت چين إلى الحجرة الشرقية وأغلقت الباب عليها. استندت على الباب ووقفت هناك لفترة طويلة.

سمعت صوت خربشة على الباب من الجهة الأخرى. دعكت خديها بيدها قبل أن تلتفت وتفتح الباب. علا مواء القط كوازِمودو وهو يدخل إلى الحجرة ويقفز فوق الخزانة.

"تعالَ هنا!"

أمسكت چين رسالة يون بيد وأشارت بالأخرى إلى القط. لكن لم يستجب كوازِمودو لها. خفضت چين ذراعها نحو الوسادة وتأملت السحلية نصف المطرزة فوق المروحة التي لم تنته منها. كانت قد أنهت الكمية المطلوبة من المراوح لذا كي تقتل الوقت، وضعت قطعة من الساتان الجديدة على مروحة قديمة تحملها أحيانًا وبدأت في تطريز سحلية على القماش.

علمت چين أن ڤيكتور قد كتب ورقة بحثية عن أهمية السحالي من قبل. عثرت على المقال في مجلة متخصصة في علم الحيوان موضوعة على الرف وسط بعض الكتب القديمة. تصف الورقة عادات تزاوج ووضع البيض في أنواع السحالي التي تعيش في فرنسا. كانت الورقة تتضمن رسومًا توضيحية. بينما تقرأ المقال، شعرت چين بالتعاطف تجاه ڤيكتور كما شعرت بالتعاطف تجاه يون عندما اكتشفت أنه أخرس. كانت فكرة اهتمام ڤيكتور الذي يتبع القواعد بصرامة تامة، بالحياة الطليقة للحيوانات التي تعيش في البرية مؤثرًا بشكل غريب.

قفز كوازِمودو بخفة ليهبط عند قدم چين. ظلت چين مستندة على الباب. كان كوازِمودو، وهو هرٌّ مولود حديثًا، صغيرًا جدًا ككرة ثلج لكن الآن يكاد يبلغ طوله طول ذراع چين عندما يفرد جسمه.

عندما جلست چين أخيرًا فوق الوسادة، قفز كوازيمودو إلى حِجرها واستقر هناك. مسّدتْ چين عنقه، بينما تقرأ رسالة يون من جديد وتغرق في ذكرياتها. لم يودع كل منهما الآخر حقًا عندما غادرت كوريا. لم يرغب يون أن يصدق أنها سترحل إلى باريس مع ڤيكتور. رفض أن يعتبرها عاشقين، حتى عندما انتقلت چين للعيش في مبنى المفوَّضية الفرنسية كما لو كانت هي وڤيكتور متزوجين فعليًا. عندما أعلنت چين أنها زوجة ڤيكتور، توقف يون للحظة قبل أن يكتب: "لكنكِ لستِ متزوجة!"

عبست چين مدركة أن هذا التلميح قد وجِه إليها في مناسبتين مختلفتين: مرة من يون في كوريا، والأخرى من هونغ جونغ ـيو في فرنسا.

قبل مغادرتها كوريا مباشرة، دأبت چين على زيارة دار الأيتام ليلًا ومعهد "جانجاكوون" نهارًا أملًا في لقاء يون. لكن لم يكن موجودًا أبدًا. أدركت سريعًا أنه يتحاشاها متعمدًا، فمن المستحيل ألا يكون موجودًا في كل مرة. أخبرتها المرأة سوه ألا تفكر في الأمر كثيرًا، مع هذا ظلت چين تزور دار الأيتام و"جانجاكوون" بإصرار حتى آخر يوم قبل رحيلها لكن لم تتمكن من رؤيته. قضت أيضًا يومًا بأكمله تنتظر بجوار بوابة المفوَّضية الفرنسية متأكدة أنه سيأتي ليودعها لكن خاب ظنها.

قرع أحدهم الباب. لم تجب چين لكن انفتح الباب على أية حال وأطلت چان برأسها المحاط بوشاح.

"ثمة زائر غريب هنا".

"ماذا تقصدين؟"

"يقول إنّ اسمه هونغ".

"هونغ؟" نظرت چين إليها باندهاش.

"يرتدي ثيابًا غريبة ويبدو غاضبا جدًا لذا لم أدعه للدخول. هل أطلب منه الانصراف؟"

"هل قال إنّ اسمه هونغ جونغ-يو، چان؟"
"لست واثقة من ذلك. سلوكه فظ. هل أخبره أنك مشغولة؟"
"لا بأس، اذهبي به إلى الصالون! سأكون هناك حالًا".

هزت چان رأسها عن عدم اقتناع لكنها في النهاية أغلقت الباب بحرص خلفها.

ماذا يفعل هونغ جونغ -يو هنا في تلك الساعة؟! لفّت چين رسالة يون بالقماش قبل أن تضعها في الخزانة. سحبت مرآة صندوق المكياج مرة أخرى ونظرت إلى وجهها. كانت عيناها منتفختين قليلًا. طرفت بعينيها مرتين قبل أن تفتحهما باتساع. خرجت إلى الصالون وهي تحمل كوازيمودو بين ذراعيها.

كان هونغ يقف أمام نافذة الصالون ينظر إلى أشجار الزان في الشارع. كان عريضًا وطويلًا جدًا لدرجة أنه قد حجب بجسمه نصف النافذة. تأملت چين خياله للحظة. لقد رأته مرات عديدة في باريس لكن لم تمعن النظر في ظهره عن قرب هكذا. بدا بوقفته هذه وقد أعطاها ظهره أكثر وحدة بصورة غريبة.

"مضى وقت طويل على لقائنا الأخير"، قالت چين.

لم يلتفت هونغ في الحال على إثر تحية چين. عندما فعل في النهاية، قطب حاجبيه وهو ينظر إلى القط بين ذراعيها. أحضرت چان الشاي

ووضعت الفناجين والصحون على الطاولة في منتصف الحجرة. حدقت الخادمة نحو هونغ طويلًا.

"هلا جلست!"

بعد تردد، فعل هونغ كما اقترحت چين واتخذ مجلسه أمام طاولة الشاي. غطى ردائه الطويل المقعد ولامس الأرض. جلست چين في الجهة المقابلة له ووضعت كوازيمودو على المقعد المجاور لها.

"سمعتُ أنك لا تخرجين أبدًا من البيت؟!"

"

"لن تحققي أي شيء أبدًا إذا كنتِ ضعيفة جدًا هكذا!"
انزعجت چين من وقاحته، لكنها استشفت قلقًا حقيقيًا عليها في كلماته.
"لماذا أتيتَ إلى هنا؟"

تنحنح هونغ مصدومًا من ردها البارد. علت الصرامة قسمات وجه چين التي كانت تتساءل عن سبب تباطئه في الكشف عن سبب زيارته.

"أنا عائد إلى كوريا"، تفوّه هونغ بتلك الكلمات من دون مقدمات وهو يعيد فنجان الشاي إلى الطاولة.

طرفت عينا چين. رجعت إلى الوراء في مقعدها ونظرت إلى چان التي كانت لا تزال تقف محدقة نحو هونغ. فهمت الخادمة الإشارة وغادرت مُكرهة، لكنها لم تستطع مقاومة إلقاء نظرة سريعة عليه قبل أن تترك الصالون.

"لم أكن متأكدًا إذا كان عليّ إخباركِ، لكن في النهاية قررت القدوم لأودعك".

منذ متى بات هذا الرجل غير متأكد من أي شيء؟ تنهدت چين بعمق.

"هل انعدمت الأشياء التي يمكنك تعلُّمها في فرنسا؟ ألم تتمنى استخدام أساليبهم من أجل فائدة شعبنا في كوريا؟"

بدا مستغرقًا في أفكاره.

"لقد تعلّمتُ أشياء كثيرة هنا. أرغب في العودة بأسرع وقت ممكن لأطبق الأشياء التي تعلّمتُها. أحلم بكوريا جديدة. ليس من خلال الطرق التي يقترحها كيم أوكغيون. تصوُّري يختلف عنه وعن أمثاله. كي تصمد كوريا أمام قوى العالم العظمى التي تهددها، نحتاج لنظام ملكي قوي أولًا وقبل أي شيء. أتمنى أن يقود هذا النظام البلاد إلى الحداثة ويقودنا نحن الشعب إلى الرفاهية والرخاء. لا نهاية محددة للتعلم ولا يمكنني مواصلة التعلم إلى الأبد. عليَّ أن أساهم بما تعلّمته من أجل بلدي".

تنحنح هونغ مرة أخرى، عندما التقطت چين القط وأمسكته بين ذراعيها.

"وعليكِ ألا تهدري وقتكِ في اللعب مع القطط!"

رمته چين بنظرة قاسية.

"أنت واثق جدًا من نفسك دائمًا. منذ أن أصبحت صديقًا لريجامي وأمثاله، لا بُد أنك قد بدأت في تقدير ما يتمتعون به من حريات أيضًا. أليس القاعدة الأولى للفرنسيين أن تحترم أفكار الآخرين ولا تتسرع في الحكم عليهم؟ لا تحكم عليَّ وفقًا لمعاييرك الخاصة، أيها السيد! أدركُ جيدًا عشقك لبلادنا. لكن أحيانًا كثيرة يُعميك هذا العشق".

نظر هونغ في عينيّ چين مباشرة. لم تدعه بـ "السيد" من قبل، ولم تعبر بوضوح عن رأيها له بمثل هذا الوضوح والاستفاضة. كانت تمنحه دائمًا انطباعًا أنها لا تملك أي شيء لتقوله له.

"أعتذر إذا كانت كلماتي قد جرحتك!"

"كما أن لديكَ قواعدك الخاصة، فأنا أعيش وفقًا لقواعدي الخاصة أيضًا. أعيش وفقًا لمعتقداتي أنا وليس أفكار غيري. إدعاء أنني أهدر وقتي ببساطة غير صحيح. في فرنسا، أنا لا أركع على ركبتي أمام أصحاب السلطة".

حتى أعذب أنواع العسل ستلسعك إذا وضعتها على جُرحٍ مكشوف.

احمر وجه هونغ وبدا أكثر ارتباكًا من المرة التي صفعته فيها چين على وجهه لمحاولته تقبيلها. لم ينس الإهانة التي تعرض لها في حفل الوزير الراقص. أحمرَ الوجه وصامتًا، جلس هونغ ساكنًا من دون أي حركة للحظة قبل أن يمد يده ويخرج صورًا للملك ووصي العرش من ردائه ويناولها إلى چين.

"أردتُ أن أعطيكِ هذه الصور قبل رحيلي".

دفعت چين الصور بعيدًا.

"لست بحاجة إليها".

"هل تتمنين نسيان كوريا؟"

"هل احتفاظي بهذه الصور من عدمه هو ما يقرر ذلك؟"

اعتدل هونغ في جلسته مرتبكًا من نظرتها الصارمة. كان هونغ هو الكوري الآخر الوحيد في باريس، الرجل الوحيد الذي يمكن لچين أن تحادثه بالكورية. الآن هو على وشك العودة.

في ضوء رفضها العنيد، التقط هونغ الصور ونهض من على مقعده. كان يهم بالمغادرة لكنه توقف وأخرج مظروفًا كبيرًا ودفعه عبر الطاولة في اتجاهها.

"هذه ترجمتي للتقويم السماوي وقصة "شيم تشونغ". [27] لا شك أنهما يحتاجان للكثير من المراجعة والتعديل. اخترت الكتاب الأول لأن الباريسيين مهتمون بالتنجيم والتنبؤ بالمستقبل. الاهتمام بفن التنجيم الكوري قد يقودهم للاهتمام بكوريا نفسها. أضيفي إليه من الحقائق ما ترين أنه مفيدٌ. قصة "شيم تشونغ" ليست القصة فقط. لقد أضفت مقدمة طويلة عن بلادنا وغيرت في الإطار الزمني والمكاني الذي تجري فيه أحداث القصة لتلائم تاريخنا الحديث. ندمي الوحيد أني لن أتمكن من رؤية الكتابين منشورين قبل رحيلي. هما جزء من سلسلة من الكتب يخطط متحف غيميه لنشرها. فلتدققين النظر فيهما ولتهتمي بهما كما لو كانا كتابيك حتى يريا النور".

"..."

"أطلب ذلك منكِ كمعروف!"

لم تقل چين أي شيء وهي تتناول المظروف. مضى وقت طويل منذ أن أخرجت القاموس الفرنسي الكوري من مكانه في الخزانة في الصالون.

"موقع كوريا الجغرافي يجعلها ساحة للقتال بين اليابان والصين والآن دخلت روسيا على الخط. لقد خدمتِ الملكة، لذا تعلمين صدق ما أقول. الطريقة الوحيدة لنجاة كوريا هي أن تتوافق أفكارهم مع أفكارنا".

---

27 قصة من الفولكلور الكوري عن الابنة المخلصة شيم تشونغ التي تحاول إعادة البصر لوالدها الكفيف في جو فانتازي.

"علينا أن نجعل الكوريين يفهمون ما يحدث في العالم. وأن ندع الناس هنا يعرفون عن كوريا أيضًا. فلتفعلي ذلك من أجلنا!"

"انتظر هنا!"

ذهبت چين إلى الحجرة الشرقية وأحضرت معها كتبًا ملفوفة بالقماش.

"أطلب منك معروفًا بدوري. أتمنى أن تعطي هذه الكتب لجلالة الملكة. هما كتابان فقط لذا لن يشكلا عبئًا. سلمهما لليدي سوه في البلاط وهي ستعرف كيف توصلهما إلى الملكة، أو اعطهما لموسيقي يدعى كانغ يون في معهد جانجاكوون!"

"ما هما هذان الكتابان؟"

"ترجمة لبعض قصص موباسان. وكتاب كوري".

لم تكن ترجمة قصص موباسان والكتاب الكوري ما أرادت أن ترسله للملكة. ذهبت إلى الحجرة الشرقية وفي ذهنها حزمة صغيرة من الرسائل التي كتبتها للملكة ولم ترسلها أبدًا. لكن بعد الكثير من التردد، التقطت الكتابين بدلًا من الرسائل. كلما كتبت تلك الرسائل، شعرت بالبعد أكثر عن الملكة. كان ذلك الشعور يُوجعُ قلبها.

"كتاب كوري؟"

"لقد عثرت عليه بالصدفة هنا. هل ستسافر مباشرة إلى كوريا؟"

"لدي بعض الأمور في اليابان. لقد قضيت سنتين هناك قبل قدومي إلى هنا. عليّ أن أرى بعض الأشخاص وأحضر بعض متعلقاتي القديمة. سأعود إلى كوريا بعد ذلك بعدة أيام".

سارت معه چين الى الباب. كانت هذه أول مرة تتصرف معه بهذا اللطف. راقبت چان چين التي لم تخرج من البيت منذ أيام طويلة بقلق، وهي تتبع هونغ مجتازة عتبة البيت.

ربما كانا غير متأهبين للفراق. دون أن يقترح أي منهما ذلك، وجدا نفسيهما يمشيان بمحاذاة واجهات المحلات التي تصطف على جانبي الساحة.

"متى سترحل الى مارسيليا؟"

"سأحتاج الى أسبوعين لأنهي بعض الأمور العالقة في متحف "غيميه". سأرحل سريعًا بعد ذلك".

"أين ستقيم حتى ذلك الوقت؟"
"في الفندق بشارع سربونت".

توقف هونغ. التفت الى چين ووقف صامتًا للحظة يملّي ناظريه من وجهها. أطلت رؤوس تجار الأجبان خارج الأبواب، وسددوا نظراتهم نحوهما.

بعد أن دارا حول المحلات دورة كاملة، ودعا بعضهما البعض. قال هونغ أنه لن يستقل عربة إلى الفندق، فقد قرر المشي في كل مكان بمجرد أن اتخذ قرار العودة الى كوريا. أضاف أنه يتمشى كل يوم من الفندق الى متحف "غيميه". أومأت چين متفهمة. يلاحظ المرء أشياء أكثر وهو يمشي على قدميه مما يفعل وهو داخل عربة.

ابتعد هونغ بخطوات بطيئة. لم ينظر الى الوراء أبدًا. شاهدته چين يختفي وسط الزحام.

(٦)
في غابة بولونيا

"جلالتك،

سمعتُ عن حادثة مدهشة اليوم. عاد زميلٌ لفيكتور من أمريكا وتحدث عن مذبحة راح ضحيتها مئات السكان الأصليين أثناء مقاومتهم للحكومة الأمريكية. يقولون إنَّ في الماضي كان يقطن في أمريكا الشمالية نحو ثمانمئة وخمسين ألف مواطنًا أصليًا، لكن الآن لا يتجاوز عددهم أربعين ألفًا، ويواجهون خطر الإبادة.

كُلِف سلاح الفروسية بقمع السكان الأصليين عندما اعترضوا على اضطهادهم واغتيال قائد لهم يدعى "الثور الجالس".[٢٨] لم تكن قوة السكان الأصليين المتسلحين بالسهام فقط لتضاهي سلاح الفروسية المدجَّج بالبنادق

٢٨ الثور الجالس (١٨٣٤: ١٨٩٠): أحد محاربي الهنود الحمر السكان الأصليين لشمال أمريكا. كان زعيمًا لقبيلة هونكبابا المتفرعة من قبائل السيو. رفض توقيع أي اتفاقية مع الحكومة الأمريكية. كان رمزًا لمقاومة الهنود الحمر للرجل الأبيض. اغتيل في أحد الاشتباكات مع القوات الأمريكية.

والمدافع. سقط عددٌ لا يحصى من القتلى. قالوا إن السهول المكسوة بالثلج الأبيض قد اصطبغت باللون الأحمر من كثرة الدماء المُراقة.

صليتُ من أجلهم. من أجل شعب لم أقابله أبدًا وعاش في أرض لم أرها أبدًا. صليتُ من أجل نساء وأطفال السكان الأصليين الذين دُفِنوا في تلك الأرض المتجمدة.

هذا الصباح قرأت خبرًا في الجريدة عن منح النساء، في مستعمرة بريطانية تسمى "نيوزيلندا"، الحق في التصويت. يقول الخبر إنّ مجلسها التشريعي قد خضع أخيرًا للضغط المتواصل الذي فرضته أولئك النساء.

لكن لأتوقف عن الكتابة الآن. ما الغاية من الكتابة لك عن تلك الأشياء؟ كومة الرسائل التي قد لا أرسلها إليك أبدًا تزداد باطراد.

لا أعرف تاريخ اليوم حتى....

باريس
لي چين".

استيقظ ڤيكتور من نومه فجأة، عندما اعتدلت چين في جلستها على الفراش. بدت وكأنها لم تدرك أن ڤيكتور قد استيقظ، وأنه ينظر إليها. وضعت معطفًا فوق رداء نومها، وفتحت باب الحجرة وخرجت. انزلق ڤيكتور خارج الفراش وارتدى ثيابه في عجالة، قبل أن يتسلل من الحجرة وراء چين.

أخبرته چان أن السيدة تتصرف بغرابة. أن چين صارت تغادر البيت بثياب نومها حافية القدمين كل فجر. لم يصدق ڤيكتور الأمر في البداية.

أخبرته الخادمة أنها تجهل إلى أين تذهب چين، لكنها تعود دائمًا مُجهدة وجسدها بارد حيث تستلقي داخل الحجرة الشرقية.

"هي هكذا منذ ذلك اليوم في غابة بولونيا. هل حدث شيء ما في الغابة؟"

في تلك اللحظة نظر ڤيكتور إليها.

"مضى شهر على ذلك".

شعرت چان بالحرج من الحديث عن چين من وراء ظهرها.

"بالتأكيد تخرج للتمشية"، قال ڤيكتور.

"من يذهب للتمشية قبل بزوغ الشمس؟" ردت چان. كانت عيناها تتوسلان ڤيكتور كي يتدخل لمساعدة سيدتها.

أحس ڤيكتور بالصدق في تعبير وجه چان. عاملتها چين بوصفها صديقة أكثر منها خادمة، وهو ما وجدته چان مدهشًا ومُحببًا في الوقت نفسه. استشعر ڤيكتور أيضًا أن چان توبخه ضمنيًا. كيف تتسلل زوجته من فراشهما وتتجوَّل خارج البيت كل ليلة لقرابة الشهر، دون أن يلاحظ ذلك؟

بلغت چين نهاية السلم، ومشت دون تردُّدٍ عبر الصالون. فتحت باب البيت حيث توقفت للحظة. بدت كأنما تنظر وراءها. اندفعت الرياح عبر الباب المفتوح متلاعبة بثوبها. كان الوقت هو بداية الصيف. لو كانت تخرج بتلك الثياب في الشتاء، لسقطت مريضة! رغم وقوف ڤيكتور في الصالون، اجتازته عيناها وهي تلقي نظرة أخيرة على المكان قبل أن تدفع الباب وتخرج. أصاب الفزع ڤيكتور، فهذا نفس ما حدث بالأمس واليوم قبله. على الأقل ارتدت معطفًا هذه المرة. بدا أنها نست أن على المرء

انتعال حذاء أو إغلاق الباب قبل مغادرة البيت. غادرت ببساطة، ومشت دون هدف كأنما تدع الرياح تقرر وجهتها. تبعها ڤيكتور حاملًا حذاءها الجلدي ذي الرباط الذي يصل حتى كاحليها. كانت هذه رابع مرة يتبعها فيها.

مشت چين بالقرب من واجهات المحلات المغلقة في هذه الساعة المبكرة التي لم تتجاوز الرابعة صباحًا ثم شقت طريقها عبر أجمَّة أشجار الزان.

منذ يومين مشت حتى "جمعية باريس للبعثات الخارجية". حيث وقفت تحدق في واجهتها الداكنة لوقت طويل. دارت حول فناء المبنى الحجري ذي الخمسة طوابق قبل أن تتسمر تمامًا في منتصفه ثم رفعت ذراعها لأعلى. تقوس جسمها. دارت حول نفسها. انتقلت تدريجيًا من تلك الحركات الغريبة إلى خطوات رقصة كورية. راقبها ڤيكتور وهو يحمل حذائها حتى انتهت من الرقص. دنا ڤيكتور منها كي يُلبسها حذائها، لكنها عبرت بجواره، ومشت عائدة من حيث أتت متبعة الطريق نفسه إلى البيت.

بالأمس استيقظت چين في الساعة نفسها. هذه المرة واصلت الطريق مجتازة جمعية باريس للبعثات الخارجية إلى ساحة "مجمع ليزانفاليد". استندت چين على حائط لتلتقط أنفاسها بعد أن مشت طويلًا عبر الشوارع الفارغة وقت الفجر. اقترب ڤيكتور منها ووضع الحذاء في قدمها ووقف مستندًا إلى الحائط بجوارها. لكن چين بدت غير مدركة لوجوده وللمكان الذي تتواجد فيه. ثم فجأة كما فعلت في جمعية باريس للبعثات الخارجية، بدأت في الرقص في ساحة ليزانفاليد. طفا الخوف داخل نفس ڤيكتور وهو يشاهدها مستغرقة في الرقص وسط الطير والشجر والنفايات المبعثرة في

الساحة. لم يعد يرى فيها المرأة التي عشقها يومًا. هل كانت حقًا تتجول في الشوارع فجرًا هكذا لشهر كامل؟ كانت چين تسلك الطريق نفسه عائدة إلى البيت حيث تستغرق في نوم عميق داخل الحجرة الشرقية غير واعية بڤيكتور، الذي يجثو بجوارها ويزيح خصلات شعرها عن جبهتها.

كثيرًا ما تكون رؤية شخص وهو وحيد، معبرةً عن الكلمات الدفينة التي يخفيها بداخله ويعجز عن قولها. شاهد ڤيكتور چين تقف بجوار حصان خشبي دوَّار ("كاروسيل") في الساحة. كانت لعبة الأحصنة الخشبية الدوَّارة هي الموضة الجديدة التي اجتاحت شوارع باريس. امتلأ الشانزليزيه وحديقة التويلري بضوضاء الأطفال والسيدات أثناء ركوبها. هل تريد چين ركوب الكاروسيل؟ لمست بيدها أحد الأحصنة الخشبية. دنا منها ڤيكتور وألبسها الحذاء.

"أنا آسفة، ڤيكتور!"

تطلّع ڤيكتور الراكع على قدميه إلى أعلى، عندما همست چين بتلك الكلمات. كانت المرة الأولى التي تتحدث فيها چين خلال الأيام الأربعة التي تبعها فيها. لكن وجهها سرعان ما خلا من أي تعبير مجددًا. التفتت إلى أجمَّة شجر الزان. شدَّت معطفها حولها كما لو كانت تشعر بالبرد، ثم بدأت تسير ببطء. هرول ڤيكتور وراء چين، وأحاطها بذراعيه من الخلف.

"چين!"

واصلت چين سيرها إلى الأمام.

"إلى أين تذهبين؟"

عندما أرخى ڤيكتور قبضته، حاولت چين المشي بعيدًا من جديد، فزاد ڤيكتور من شدتها.

"إلى أين تذهبين؟ سأرافقك إلى هناك بنفسي!"

التفتت چين ونظرت في وجه ڤيكتور. كان وجهها يشي بوضوح غريب.

"إلى كوريا"، قالت بنبرةٍ واثقة.

كوريا؟ أشاحت چين بوجهها عن وجه ڤيكتور المذهول، وواصلت السير مبتعدة عنه.

إلى أين ستذهب الآن؟

لم تتذكر چين أنها كانت تغادر البيت فجر كل يوم عند الرابعة، أو أنها كانت تتجوَّل حافية القدمين في الشوارع المظلمة الفارغة من كل شيء، سوى المباني الصماء المُوحشة ورائحة المجاري النتنة. لم تتذكر أيضًا رقصها في جمعية باريس للبعثات الخارجية أو مجمع ليزانفاليد. عندما أخبرها ڤيكتور بذلك، حدَّقت نحوه كما لو كان يصف شخصًا آخر غيرها، قبل أن تجيب: "لماذا سيرقص إي إنسان هناك؟". باستثناء سيرها أثناء النوم وعجزها عن التذكُّر، كانت چين على ما يرام. عندما تستيقظ من نومها المُجهَد، كانت تتناول مع ڤيكتور طعام الإفطار الذي أعدته چان، وتختار الثياب التي سيرتديها ڤيكتور في ذلك اليوم، وترتب السرير وتفتح النوافذ المطلة على الساحة لتسمح بتجدُّد الهواء. كانت تبدو على سجيتها، لدرجة أن ڤيكتور كاد يشك أنه كان يحلم بكل هذا. عندما كان يسأل چان بعد عودته من العمل عما فعلته چين أثناء اليوم، كانت تجيب: "الأشياء المعتادة مثل تطريز المراوح واحتساء الشاي مع زائريها، أو تنقيح مخطوط هونغ جونغ-يو مستعينة بقاموسها الفرنسي الكوري". رغم هذا،

مع قدوم كل فجر كانت چين تغادر الفراش كما لو كانت تستجيب لنداء مجهول، وتخرج من الباب الأمامي.

هل كان عقلها الباطن يقصد السير حتى كوريا؟ هل تعتقد في نومها أن فناء جمعية باريس للبعثات الخارجية أو ساحة ليزانفاليد هي أماكن داخل بلاط جوسون الملكي؟ سلكت أفكاره مسلكًا مظلمًا عندما وصلت إلى هذه النقطة. ظنَّ ڤيكتور أن چين راضية عن حياتها في باريس. كان يمكنه الشعور بذلك من خلال رسائلها إلى الملكة. عثر على الرسائل منذ مدة طويلة، وأخذ يقرأها سرًا. بمجرد أن بدأ القراءة، لم يستطع التوقف. استنتج أن چين تكتب الرسائل إلى الملكة، لكنها لا ترسلها أبدًا. كانت الرسائل المطوية بعنايةٍ، ملفوفةً داخل قطعة قماش ومحفوظةً داخل خزانة. كانت تصف بتفصيل شديد قداس الأحد في نوتردام، واحتفالات الرابع عشر من يونيو في ذكّرى الثورة الفرنسية. تضمنت أيضًا بيانًا مفصلًا عن القطارات والمحركات البخارية. كشفت الرسائل عن شعور چين المتنامي شيئًا بشيء، بأنها قد باتت شخصًا مستقلًا بذاته. كان من السهل استشفاف الارتباك الذي يسيطر على چين من استخدام "أنا" بدلًا من "خادمتك" عندما تشير إلى نفسها في الرسائل الأولى، لكنها باتت الآن تكتب "أنا" بتحرُّرٍ.

تبع ڤيكتور چين بقلبٍ مُثقلٍ بالهواجس.

يدفعنا الشعور بالذنب إلى النظر إلى الوراء، في حياته ومراجعة صفحات الماضي. تذكر "ڤيكتور" فجأة ڤرونيكا؛ المرأة التي قابلها في حفل الوزير الراقص ورقص معها. هل شعرت چين بأن ثمة علاقة بينه وبينها؟ بينما يشاهد ڤيكتور چين تطوف في الشوارع الخالية وقت الفجر، تاه في دوامة من تأنيب الضمير.

كانت چين قد ثبتت جذور حياتها الجديدة في باريس عن طريق دراسة التاريخ الفرنسي والفلسفة والأدب والموسيقى، على يد المعلمين الذين استعان ڤيكتور بخدماتهم. كانت تتشرب كل شيء كامتصاص القطن للماء. وباستثناء رقص الڤالس الذي استغرق وقتًا من چين لتتقنه، كان تعلُّمها سلسًا. استمتعت بالذهاب إلى الحفلات الراقصة في قاعة المدينة، وبالانخراط في مناقشات الصالونات الثقافية. وجنتاها كانتا تتخضبان بالحمرة، من الحماسة التي تنتابها أثناء أي نقاش محتدم. كانت تبدو مطمئنة البال أثناء حضور القداس. وكانت تستمع باهتمام جمّ إلى المحادثات الباريسية، أثناء سيرهما بمحاذاة السين أو في المقاهي. كانت تلعب الشطرنج مع موباسان في مقهى بالقرب من القصر الملكي. بعثت قصص چين عن الشرق، التي تلقيها بنبرة صوتها الحميمية والساحرة، حياة جديدة منعشة في "نادي الرحّالة" الذي يرأسه هنري فيليب. كل هذا دفع ڤيكتور للتفكير في چين كامرأة باريسية حقيقية.

أما بشأن انعزالها في الحجرة الشرقية بعد إجهاضها، فقد تصوَّر أنها ستعود إلى طبيعتها مجددًا في النهاية مهما طال الأمر. لكن كوريا؟! كوريا كانت الدولة التي ظلمتها واضطهدتها وفرضت عليها الطاعة العمياء. لم يستطع تصديق أنها تريد العودة إلى هناك، وأن رغبتها هذه ملحة لدرجة دفعتها إلى التجوُّل في شوارع باريس ليلًا أثناء نومها. حاول استعادة تفاصيل ما حدث في غابة بولونيا منذ شهر.

حضر الربيع وجلب معه الاحتفالات اليومية إلى الحديقة بأحراشها التي تجعلها أشبه بالغابة.

فكر ڤيكتور أن چين ستشعر بتحسن إذا اصطحبها في نزهة إلى هناك. بعد عودته من رحلة إلى مارسيليا دامت خمسة أيام، أخبرته چان أن چين

لم تبرح الحجرة الشرقية أثناء غيابه. لم يستطع ڤيكتور منع نفسه من الشعور بالحنقِ. ماذا تريده چين أن يفعل؟ خجله من مثل هذه الأحاسيس جعله يصرُّ على هذه النزهة. غادرا العربة أمام مدخل الغابة وشرعا في المشي سويًا. كانت غابة بولونيا مزدحمة بالبشر وأشجار الأرز والتوت. انتشرت أشعة الشمس متخللة القباب التي تصنعها أشجار الأكاسيا والموز. كانت أزهار الربيع المتفتحة مفعمة بالحياة. الباعة الذين يحملون بضائعهم على عصي طويلة يبيعون أعلامًا ثلاثية الألوان. انشغل رجال كبار في السن في لعب لعبة تتمثل في دحرجة كرات معدنية على الأرض كي تصطدم بكرات خشبية ملونة. استرخى البعض داخل قوارب تنطلق في الماء بينما ساعد آخرون أطفالهم على ركوب خيل يُؤجر مقابل عملات معدنية قليلة. أحضرت مجموعة أخرى من رواد الحديقة سلال كبيرة من القش وافترشوا الأرض أمام بركة المياه.

أطالت چين النظر إلى حديقة الحيوان المُلحقة بغابة بولونيا. ابتسمت لرؤية جاموس ماء هندي يسير إلى الوراء، وروَّاد الحديقة وهم يقذفون بلقيمات الطعام نحو أفراس النهر وإنسان الغاب والدببة والجمال والكنغر. استمتعت بمذاق أيس كريم اشترته من بائع متجول يجر عربة خشبية، وبمشاهدة الأحصنة وهي تتسابق في المضمار.

غادرا حديقة الحيوان وسلكا الطريق الذي يخترق غابة بولونيا شمالًا.

كان ڤيكتور قد نسي أن هناك يوجد أفراد القبيلة الإفريقية الذين أُحضِروا إلى الغابة. سار ڤيكتور وچين نحو سياج منخفض حيث يتجمع حشد من البشر ليكتشفا أن المنطقة المسيجة تحوي قرية بأكملها. كان هنالك متفرجون لا يقلون عن الذين كانوا في حديقة الحيوان. قفز رجال شبه عراة حاملين رماحهم كأنهم يصطادون بينما حملت نسوة عاريات

الصدر دِلاء من الماء فوق رؤوسهنّ. حدق أطفال عراة تمامًا نحو المتفرجين دون أن تطرف لهم عين. سمع ڤيكتور أنهم سينقلون بعض الأفارقة إلى غابة بولونيا لإمتاع الباريسين، لكنه لم يتخيَّل أبدًا أنهم سينقلون قرية بأكملها. تلوت تعبيرات وجه چين الذي كان قد لان من الاستمتاع في حديقة الحيوانات، في ألم واضح. شاهدت چين طفلًا عاريًا يتبرز على العشب، ثم يمسح نفسه بورقة شجر مُهملة. صاحب ذلك قهقهة المتفرجين. عندما حاولت امرأة داخل المنطقة المُسيَّجة تهدئة طفلٍ باكٍ، اهتز نهداها العاريان فأطلق المتفرجون صيحات تهكمية بذيئة.

"دعنا نرحل ڤيكتور!"

عندما التفت ڤيكتور لينظر إليها، رأى چين تركض بالفعل داخل الغابة.

أدرك خطأه لكن بعد فوات الأوان. تذكر انفلات ضحكة منه وهو يشاهد الأفارقة خلف السياج.

أكثر ما كرهته چين، هو نظرات الناس نحوها كما لو كانت أعجوبة تستحق الفرجة. أخبرها ألا تأخذ الأمر على محمل الجد لكن لم يمنع ذلك چين من التألُّم. حاولت تجاهل الأمر قدر استطاعتها لكن أحيانًا كانت تتمتم: "ألم تقل إنَّ أسمى قيم هذه الجمهورية هي الحرية والمساواة؟ كيف يمكن أن يكون ذلك صحيحًا، إذا كانوا يعاملون البشر المختلفين عنهم بعنصريةٍ ولا يكفون عن النظر إليهم؟"

لم يستطع ڤيكتور اللحاق بها. لم يجدها عند مدخل الحديقة. انتظرها في العربة لكنها لم تأتِ. وهكذا فسدت النزهة. انشغل ڤيكتور في البحث عنها بين الحشود. وجدها أخيرًا وقت الغروبِ تجلس على مقعدٍ خشبي

يطل على البركة. كان مُجهدًا جدًا من البحث وقد تبخرت كل الأفكار من رأسه حتى انزعاجه من الشكل الذي انتهت به نزهتهما النادرة وحتى قلقه الشديد من أن يكون أحد سائقي العربات الشبان المتهوّرين قد اصطدم بها. عندما جلس ڤيكتور بجوارها، مالت چين عليه. بدت مُجهدة مثله. أحاط ڤيكتور كتفيها بذراعه.

"غيلين!" لم تناده باسمه الكوري منذ مدة طويلة، "لماذا لم تفِ بوعدك لي؟"

لم يسألها ڤيكتور عما تقصد. الكثير من الوعود التي لم يفِ بها. لم يفِ حتى بوعده الذي قطعه في كوريا بأن يُقيم حفل زفاف لها فور وصولهما إلى باريس.

"أخبرتني أننا سنذهب إلى قرية بلانس معًا".

قال هذا لها. اعتقد أنه سيستطيع أخيرًا مواجهة القرية حيث غرقت ماري طالما چين معه. كان مخطئًا.

"لماذا لم تأخذني معك إلى هناك؟ ألا تريد الذهاب معي بعد الآن؟"
"هكذا قُدِّر للأمور أن تحدث!"
"هل كان الأمر ليصبح مختلفًا لو عاش الطفل؟"
"يمكننا إنجاب طفل آخر".

"لا، لا ينبغي أن ننجب طفلًا أبدًا. لم يكن أول طفل أجهضه. أنت لا تعرف ذلك لكن حدث ذلك من قبل في كوريا".

ذلك المساء أثناء ركوبهما العربة إلى البيت، لم يتبادلا أي كلمة. كانت تلك أول مرة يحدث فيها ذلك.

توقفت چين السائرة أثناء نومها أمام مقبرة. كانت أشبه بحديقة إلى حد كبير. كان سكان شارع بابلون يتمشون بكلابهم هناك عند الفجر والغسق. دفعت چين بوابة صغيرة ودخلت إلى المقبرة. حلّقتْ طيور كانت نائمة فوق شجرة، مبتعدة من المفاجأة.

عندما اكتشفت چين وجود هذه المقبرة لأول مرة، اعتقدت في البداية أنها حديقة. رأت صبيًا يرتدي قبعة ويدحرج طوقًا فوق الأرض، بينما تجلس والدته على مقعد خشبي أسفل شجرة بارسول وتقرأ كتابًا. اندهشت چين عندما أخبرها ڤيكتور أنها في الحقيقة مقبرة. شرح ڤيكتور لها كيف تختبئ شواهد القبور الباهتة بفعل الزمن بين الحشائش الطويلة، وكيف تقبع بين الشجيرات قبور أناس مجهولين، ماتوا منذ أكثر من قرنين من الزمان. كانت الحروف على شواهد القبور مطموسة، لدرجة يصعب معها قراءة الأسماء. كانت بعض شواهد القبور بلا أي حروف ظاهرة على الإطلاق.

هل تبحث عن مكان للرقص؟ كلما وجدت چين مساحة خالية من الزرع، كانت تدور بداخلها كما لو كانت تختبر إحساس الرقص فيها. لا تروق لها البقعة فتواصل المسير. لفت لفة كاملة في المكان قبل أن تصادف المقعد الخشبي الذي كانت تجلس عليه المرأة بينما كان يلعب طفلها بالطوق في أول مرة أتت فيها إلى المكان. جلست چين. فاحت رائحة زكية من الورود المتفتحة بين شواهد القبور تشبه رائحة بشرة الأطفال. نهضت چين ببطء من فوق المقعد الخشبي. وقفت حيث كان يقف الطفل وطوقه ثم رفعت ذراعيها ودارت حول نفسها. ظن ڤيكتور أنها سترقص لكن كل ما فعلته هو مواصلة الدوران. ثم فجأة أصابها دوارٌ شديد، فلم تستطع الاستمرار وانهارت على الأرض.

"چين!"

تخلّى ڤيكتور عن مراقبته لها وجرى إليها. تلقف كتفيها بين يديه.

"هل أنتِ بخير؟"

ساعدها على الوقوف وقادها إلى المقعد الخشبي.

"ڤيكتورا"

أصغى ڤيكتور إليها، مستعدًا لسماع ما ستقوله، لكن لم تقل المزيد. بدا أن چين قد غرقت في النوم. خائفًا عليها من برودة قطرات الندى، حملها ڤيكتور على ظهره. تذكر مشهد نساء كوريا وهنَّ يحملن صغارهنَّ على ظهورهنَّ. طوقت چين الناعسة رقبته بذراعيها.

"مَن... مَن هي؟"

بدا كأنها تتحدث أثناء نومها.

"مَن؟"

قُوبِل سؤال ڤيكتور بالصمت.

هل كانت تقصد ڤرونيكا؟ عدل ڤيكتور من مسكته حول چين، وهو يحملها إلى البيت. تعرف على ڤرونيكا قبل أن يُكلف بالعمل في الصين. لم يكن يحاول أن يخفي حقيقة أنه سيراها مرة أخرى بعد الحفل الراقص أو يتحاشى الموضوع. لكن لم تسنح الفرصة ليبوح بالحقيقة إلى چين. كانت ڤرونيكا الطفلة الوحيدة لأبوين من النبلاء لقيا حتفهما في حادث عربة. نجت ڤرونيكا من الاصطدام وكبرت حتى أصبحت امرأة صعبة المراس. أحب ڤيكتور ذلك فيها لكن عنادها هذا كان أيضًا السبب في عدم نجاح علاقتهما. كانت ڤرونيكا تخشى الزواج. عندما وصلته الأوامر بالسفر إلى الصين أخبرته أنها لن تسافر معه. لاحظ أنها لم تتغير كثيرًا عندما صادفها

في حفل الوزير الراقص. علم منها أنها تزوجت بيارون لفترة قبل أن تنفصل عنه وتعود لحياة العزوبية. كانت فاتنة كما عهدها ڤيكتور دائمًا. كانت تحاول إغوائه عندما لا تكون چين معه. انساق ڤيكتور وراء محاولاتها متذرعًا بأن علاقته بڤرونيكا كانت تخلو من المشاعر في جزئها الأكبر على عكس ذكريات عشقه لماري في قرية بلانس. وضع كانت تفضله ڤرونيكا أيضًا.

غلف الشوارع وقت الفجر ضبابٌ أبيضٌ. اخترق ڤيكتور الضباب حاملًا چين على ظهره، وقلبه أثقل بكثير من حمله. كيف يمكن لإنسان أن يكون خفيفًا هكذا؟ رغم ذلك كان جسدها الواهن يدفئ ظهره. تجهم وجهه حين فكر في كل الوعود التي منحها لها في كوريا. لم يستطع إقناع أمه التي أخبرته أنه يمكنه الزواج بچين فقط إذا كان مستعدًا للتخلص من اسم "كولين دي بلانس"، اللقب الذي تشبثت به العائلة أكثر بعد طردهم من قرية بلانس. قالت له أن من الأفضل له الزواج بڤرونيكا. حذرته أمه أن محاولته عقد قرانه بچين ستكون بمثابة استقالة فعلية من وزارة الخارجية التي لن تقبل بمثل تلك الزيجة. لم تستطع منع نفسها من الشعور بالذنب اتجاه اسم عائلته الأرستقراطي المزيف الذي يقف كحجرة عثرة في طريقه في كل مرة كان على وشك الحصول على ترقية في الوزارة.

انتاب چين الفضول تجاه أم ڤيكتور، وكانت تتمنى لقاءها لكن أمه غادرت شقتها في باريس بمجرد علمها بقدوم چين. لم تزرها ولو مرة واحدة خلال السنوات الثلاث الماضية.

عندما وصل ڤيكتور إلى البيت، وضع چين برقة فوق سريرهما. فكر أنها لا تزال نائمة لكنها فتحت عينيها وانزلقت من فوق الفراش لترقد على الأرضية. على عكس الأرضيات الكورية، لم تكن الأرضية في بيتهما

الباريسي دافئة. حملها فيكتور إلى السرير مرة أخرى لكنها عادت إلى الأرض والتفت حول نفسها متخذة وضعية الجنين. استسلم فيكتور ودثَّرها بأغطية السرير، ثم جلس على حافة الحصيرة يتأملها.

ظهر كوازيمودو مخترقًا المزاج الحزين الذي خيَّم على فيكتور. تمدد القط بجوار رأس چين النائمة قبل أن ينظر إلى فيكتور. رقد فيكتور، الذي كان على وشك الاستلقاء على السرير، على الأرضية بجوار چين. نقل كوازيمودو نظراته بين الاثنين. أدار فيكتور جسد چين على ظهرها بخفة قبل أن يُرخي رأسها فوق ذراعه. دنت چين أكثر منه. استلقى فيكتور على جنبه وعانقها. شعرت چين بضآلة جسمها بين ذراعيه. مرَّر يده بطول ظهرها قبل أن يتوقف. يمكنه أن يشعر بفقراتها البارزة تلامس باطن يده. تحول تقوُّس ظهرها الجميل إلى حوافٍ صلبة بسبب امتناعها عن الطعام. برودة الأرضية المتسللة إلى جسده جعلته يسحب جسمها نحوه أكثر.

تمنى فيكتور لو كان موباسان لا يزال على قيد الحياة. كان ليحكي المؤلف لها قصصًا عن بنادق القنص في الحرب الفرنسية البروسية،[٢٩] وعن تتلمذه على يد فلوبير[٣٠] المعروف بصرامته، ورحلات القارب مع أصدقائه، ومناكفاته الهزلية مع والدته. كانت چين تشعر بالأسف من أجله عندما كان يفضي لها بقلقه بخصوص نظره المتدهور. ما الأشياء الأخرى التي تحدثا فيها؟ تساءل فيكتور. ربما كان بإمكان موباسان فهمُ

٢٩ الحرب الفرنسية الألمانية (يوليو ١٨٧٠ –مايو ١٨٧١): تُعرَف أيضًا بـ"الحرب الفرنسية الألمانية"؛ وهي حرب نشبت بين الإمبراطورية الفرنسية الثانية بقيادة نابليون الثالث والألوية الألمانية للاتحاد الألماني الشمالي بقيادة مملكة بروسيا. انتهت الحرب بأسر نابليون الثالث وهزيمة جيشه وإعلان قيام الجمهورية الفرنسية الثالثة.

٣٠جوستاف فلوبير(١٨٢١-١٨٨٠): روائي فرنسي شهيرمن أهم أعماله التربية العاطفية ومدام بوفاري.

سبب تجوُّل چين في شوارع باريس فجرًا وهي نائمة، لكن موباسان لم يعد ينتمي إلى هذا العالم.

حاول المؤلف الانتحار عن طريق قطع شرايين معصمه على شاطئ في نيس. حزنت چين كثيرًا عند سماعها الأخبار. *كانت تملأه الهواجس بخصوص كل شيء، كان يخشى حتى الصَلع. "رجاءً ساعده!"* قالت چين لڤيكتور. احتُجِز موباسان في مستشفى في أطراف باريس. كانت چين تستقل العربة لزيارته. كانت تصطحب معها القاموس الفرنسي الكوري. كان ڤيكتور يرغب في أن تذهب مع چان، لكن چين كانت تذهب بمفردها. كان ڤيكتور يسألها: "ماذا تفعلين أثناء زيارتكِ له؟" وكانت تجيب: "أقرأ له الترجمات التي تركها لي هونغ جونغ-يو. يساعدني في تعديل الأجزاء التي تبدو غير متجانسة. أعلِّمه أيضًا بعض الكلمات بالكورية".

"هل عقله صافيًا كفاية ليقوم بذلك؟"

بدت چين مندهشة لسؤال ڤيكتور. قالت إنها لا تعرف سبب احتجازه هناك حتى الآن، فهو يبدو لها صافي الذهن تمامًا. لم يعد أحد يزوره بعد الآن ولا حتى أفراد عائلته، أضافت چين.

في أحد الأيام، عادت چين من المستشفى دون أن تراه. رفض موباسان رؤية أي أحد. لم يغادر المستشفى على قدميه أبدًا. قرأت چين نعيه في الصحف في صمت. بدت مرتاحة بشكل غريب لموته فقد عانى كثيرًا. سألت فقط بصوت حزين سؤالًا واحدًا: "كم كان عمره؟" رد ڤيكتور: "ثلاثة وأربعين". تمتمت چين بالرقم لنفسها.

ظن ڤيكتور أن چين قد تقبلت موت موباسان جيدًا وأنها قد نسته بسرعة. لم تذهب چين إلى جنازته ولم تزر قبره. عندما اقترح ڤيكتور عليها

ذلك، رفضت بشدة وهي تهز رأسها. لكن الآن حين يفكر في الأمر، فإنه يدرك أن حالة چين قد بدأت تسوء بعد وفاة موباسان. أبعدت نفسها عن الترجمة، التي كانت تتطلع دومًا إلى عرضها على موباسان. خطر ببال ڤيكتور فجأة أن تلك هي الفترة التي بدأت فيها چين في قضاء جل يومها في الحجرة الشرقية والجلوس ساهمة على الكرسي ذي الذراعين في الصالون. يتذكر ڤيكتور الآن تمتمة چين إليه في إحدى المرات: "ڤيكتور، أعتقد أنني أستطيع فهم موباسان الآن!" سرى صوتها الناعم كخيط رفيع يمتد من أعماق الكرسي ذي الذراعين، حيث كانت تجلس قبل أن تعود إلى صمتها من جديد.

ربت ڤيكتور على جبهتها. ضعفها لم يكن الشيء الوحيد الذي اكتشفه ڤيكتور وهو يتتبعها خلال الأيام الأربعة الماضية. أدرك إنَّ حياته الآن باتت مشابهة لحياته قبل لقاء چين. كانت چين مركز كل فكرة تخطر بباله منذ اللحظة التي قابلها لدرجة أذهلته. لكن الآن... *كيف لا تزال تصرّ على النوم على الأرضية حتى بعد أن تكبد مشقة تصميم حجرة كورية من أجلها داخل البيت...؟!* تساءل إذا كان قد بات الشخص الذي كانه، قبل أن يراها.

كلما كانت چين تنهض من السرير، كان يظن ڤيكتور أنها ذاهبة إلى الحجرة الشرقية. لم يكن ليتخيَّل أنها تهيم في شوارع باريس لو لم تخبره چان. متى اتسعت الفجوة بينه وبينها؟ تنهد ڤيكتور وقرَّب شفتيه من فمها البارد، ولثمها وهي نائمة.



لم يمض وقت طويل قبل أن يغتال هونغ جونغ-يو، كيم أوكغيون في شانغهاي، وتجتاح فرنسا عاصفة قضية دريفوس.[٣١]

٣١ قضية شهيرة حُوكم فيها ألفريد دريفوس وهو ضابط يهودي في الجيش الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر عندما اتهم بالخيانة والجاسوسية لحساب الإمبراطورية الألمانية. انتهت بالحكم عليه بالسجن مدى الحياة في جزيرة ديفلز. انقسم المجتمع الفرنسي إلى مؤيدين لدريفوس ومعارضين له لتشهد فرنسا حالة استقطاب عنيفة صاحبها أعمال شغب دامت لقرابة الاثنتي عشرة سنة. كتب إميل زولا مقالة عن هذه القضية بعنوان "أنا أتهم!"

الجزء الرابع

(١)
لَمُّ الشَمل

استغرقت الرحلة البحرية التي بدأت من مارسيليا مرورًا بقناة السويس وكولومبو وسايجون وشانغهاي خمسين يومًا، قبل أن ترسو السفينة في ميناء "جيمولبو".

وصل ڤيكتور وچين إلى "جيمولبو" في الربيع. على عكس اليوم الذي غادراه فيه، كان يعج الميناء الآن باليابانيين. علت اللافتات اليابانية واجهات المحلات وبدا أن عدد اليابانيين في الشوارع يفوق عدد الكوريين أنفسهم. أحست چين أنها سمعت محادثات باليابانية أكثر من الكورية أثناء اليومين اللذين مكثاهما في بلدة الميناء.

خسرت الصين، التي كانت تعامل كوريا يومًا كولاية تابعة لها وتسعى لتنصيب نفسها القوة العظمى في الشرق، حربها مع اليابان؛ الخصم الأضعف نظريًا والذي لم يتوقع أحد انتصاره. اليابان التي كانت عازمة على استغلال كوريا كمنطلق لطموحاتها الاستعمارية. لم تملك الصين ما يؤهلها لمواجهة الأسطول العسكري الياباني بمحركاته البخارية الحديثة، فتنازلت عن شبه جزيرة "لياودونج" لليابان. مكّن ذلك اليابان من اجتياح الشواطئ الصينية والتوغل على الأرض. دعمت بريطانيا اليابان،

ولجأت الصين إلى روسيا للمساعدة. وظلت كوريا عالقة في المنتصف بلا مهرب.

كانت هنالك مصابيح زيتية جديدة أمام مبنى المفوَّضية الفرنسية. لفت انتباه ڤيكتور مبنى المفوَّضية الروسية الذي لم يتغير أي شيء فيه خلال الأربع سنوات الماضية. كان يجد نفسه مرغمًا على إلقاء نظرة عليه كلما وقف أمام بوابة المفوَّضية الفرنسية. شُيِّد مبنى المفوَّضية الروسية على الطراز الروسي. كان رابضًا في مكانه في تبايُنٍ واضح عن البيوت الكورية ذات الأسقف القرميدية السوداء التي تحيط به. كان ثمة حدٌّ لا يمكن تخطيه للتعديلات التي يمكن إجراءها على البيوت الكورية، لتناسب مهام المفوَّضية. كانت تلك هي الميزة الجمالية للبيوت الكورية: يمكن تغيير أبوابها وتركيب نوافذ زجاجية لها، لكن السقف والهيكل الفريدين يجعلان التعرُّف عليها كمبانٍ كورية أمرًا فوريًا.

قادهما المترجم بول شوي إلى مقر إقامتهما المؤقت: مبنى ملحق مُشيَّد على الطراز الغربي، على يسار مبنى المفوَّضية الرئيسي.

كان غيران الذي تولى منصب الموفَد بشكل مؤقت قبل وصول خليفة ڤيكتور "فراندين"، في الصين. عاد فراندين إلى فرنسا إثر وصول خبر وفاة أمه وكان "لوڤيڤر" من ينوب عنه. طلب الملك من الحكومة الفرنسية تعيين موفَد جديد دائم، لكن المنصب كان شاغرًا في الوقت الراهن. كانت تلك علامة على التقدُّم المحدود الذي تحقق في علاقات فرنسا بكوريا، مقارنةً بالصين أو اليابان.

أخذ ڤيكتور إجازة من عمله كي يأتي إلى كوريا من أجل علاج مشي چين أثناء النوم الذي كان يزداد سوءًا. باستثناء تجوُّلها في الشوارع وقت الفجر، بدأت چين تعود إلى سجيتها من جديد. عدَّلت مخطوطة هونغ

جونغ-يو بدقة، وشهدت نشرها الناجح من قبل متحف "غيميه"، وأقامت حفلًا في الصالون عند صدور الكتاب. كان ڤيكتور يصطحب چين معه في رحلات عمله، معتقدًا أن تغيير المنظر سيساعدها على الشفاء من مشيها أثناء النوم. لكن أينما ذهبا، كانت چين تنهض من الفراش في الرابعة صباحًا، وتغادر حجرتهما كأنما يناديها شخص ما. لم تكن تملك ذكرى لأيٍّ مما يحدث أثناء نومها، لذا كانت مناقشة الأمر معها غير مجدية. نصحه الطبيب أن زيارة كوريا قد تفيدها.

كانت الطبَّاخة وكلب الجندو أول المرحبين بهما. حتى مع التغييرات الأخرى في طاقم العمل، استمر الكلب في العيش في الفناء، وتابعت الطباخة العمل في المفوَّضية. بمجرد أن دخلت چين وڤيكتور إلى الفناء، اندفع الكلب الذي كان ينبش الأرض بحثًا عن حيوانات الخلد نحوهما. بدا أن الكلب يتذكر كيف كان يخرج للجري مع ڤيكتور كل صباح. قفز نحو ڤيكتور بسرور، ودار حول چين بطريقته اللطيفة المعتادة. عندما استقرا في المبنى الملحق، انتقل الكلب للعيش في هذا الجانب من المفوَّضية أيضًا. انفجر ابن لوڤيڤر الصغير باكيًا عندما امتنع الكلب عن الانصياع لأمره عندما ناداه. هدأته چين قائلة إنهما لن يمكثا طويلًا هنا. أصر الكلب على العيش قرب الملحق، لذا نُقِل كوخه الصغير وإناء طعامه إلى هناك.

استغرقت چين أيامًا كي تسترد عافيتها من الرحلة البحرية الطويلة. لم تعان چين عندما سافرا إلى فرنسا. كان ڤيكتور هو مَن سقط مريضًا في أيامهم الأولى في باريس. هذه المرة انقلبت الآية.

كانت الطبَّاخة تطبخ لها عصيدة الأرز في كل وجبة. قالت إنها تتمنى أن تتعافى چين سريعًا، كي يتمكنا من الذهاب معًا إلى رصيف الميناء في "مابو" لشراء السمك كما اعتادا من قبل.

يقول بودلير أن الذكريات أثقل من الصخور.

كان القمر مكتملًا. لم يخلد ڤيكتور إلى النوم في الليلة الرابعة لهما في المفوَّضية، مُبقيًا عينيه على چين النائمة. كان يحاول البقاء مستيقظًا منذ الليلة الأولى لعودتهما كي يراقب چين، لكنه لم يكن يستطيع مقاومة تعب السفر. ومض ضوء القمر الأزرق من خلال النافذة. أراد أن يعرف إذا كانت العودة إلى كوريا قد أفادت چين حقاً كما تنبأ الطبيب.

تدفَّقت في ذهنه ذكرياته القديمة معها، بمجرد أن وطأت أقدامهما هذه الأرض. عشقه لها منذ اللحظة التي وقعت فيها عيناه عليها على جسر جدول الحرير في القصر. سروره لرؤيتها مرة أخرى في المأدبة. نسيانه التصفيق على رقصها، بينما يجلس مشدوهًا. اليوم الذي دخلت فيه چين بمفردها إلى المفوَّضية. اندفاعه نحوها ليحتضنها ويقبلها. امتعاضها من تحيته الغريبة، وتماسكها رغم ضيقها. عذابه وهو يراقب الضوء في حجرتها من مكمنه عند شجرة العنقاء، أثناء الأيام التي كانت تنتظر فيها رسالة من البلاط. نسي كل هذه اللحظات عندما كان في فرنسا. لكن الآن تتراءى أمامه كأنها الأمس. تنهد مفكرًا أنه رغم المشقة التي تنتظره في رحلة العودة إلى فرنسا، فإنّ قدومهما إلى كوريا مرة أخرى كان قرارًا صائبًا.

سقط نور القمر على وجه چين. خيَّم السكون على كل شيء، باستثناء صوت حركة الكلب في الفناء من حين لآخر. في باريس كانت چين تنسلّ من الفراش لتنام على الأرض. لكن هنا في كوريا، لم تواجه أي مشكلة في النوم على سرير. كان وجهها وديعًا في الوهج الأزرق للقمر. هل شفتها العودة إلى كوريا فعلًا من مشيها أثناء النوم؟

بينما يشق نور الفجر طريقه وسط ضوء القمر المتلاشي، شعر ڤيكتور ببعض الاطمئنان. بدأ النوم يغلبه. رقد على ظهره وكان على وشك إغلاق عينيه.

"غيلين!" نادت چين بهدوءٍ على اسم ڤيكتور الكوري.

"هل أنت مستيقظة؟"

التفت ليواجهها. وضع ذراعه أسفل رأسها وقرَّبها منه. استكانت چين بين ذراعيه.

"ما الذي كان يشغل تفكيرك منذ قليل؟"

"ألم تكوني نائمة؟"

" شكرًا لك، غيلين!"

"على ماذا؟"

"على قدومك إلى هنا معي".

"بالتأكيد، أنا هنا معك!"

"لا، كان بوسعك أن ترسلني إلى هنا بمفردي".

"لا، لماذا سأرسلك بعيدًا بمفردك؟"

كان بوسعه ذلك حقًا. لم يقلها بصوت عالٍ أبدًا، لكن الفكرة طافت بباله. كانت چين قادرة دائمًا على قراءة أفكاره. لم يكن من السهل أن يأخذ مثل هذه الإجازة الطويلة من العمل. لم يكن ذلك ممكنًا لو كان الوزير غير المكترث بكوريا، لا يهتم بأمر چين.

مسَّد ڤيكتور شعرها. كانت تفوح من شعرها الأسود الكثيف رائحة عطر خشب الصندل. رائحة ظن أنها قد ضاعت للأبد في باريس، لكن ها هي تعود.

"لا تشغلي بالك بشيء سوى تحسُّنك! بعدها سنستطيع الذهاب إلى دار الأيتام في جونداجول وزيارة كل من تتمنين رؤيتهم. لا بُد أنك تتوقين إلى معرفة التغيُّرات التي طرأت على كوريا منذ رحيلك".

رفعت چين رأسها وطبعت قبلة على شفتيه برقة. كانت شفتاها الجافتين رطبتين مرة أخرى.

الوعود التي تُحنث تجرُّ وراءها المزيدَ من الوعود.

"عندما نعود إلى باريس، دعينا نتزوج في قاعة المدينة! سندعو أصدقاءنا ونقيم حفلًا راقصًا. سيكون هنالك الكثير من الطعام والشراب حتى من أجل الأشخاص الذين لا نعرفهم".

ضحكت چين برقة.

"هل تضحكين؟"

"ڤيكتور، لا أهتم بحفلات الزفاف. يكفيني أنك أتيتَ معي إلى كوريا".

كانت صادقة. خاب أملها بڤيكتور الذي توقف عن ذكر الزواج منذ وصولهما إلى فرنسا. لكنها غيَّرت رأيها عندما سمعت عن طرد عائلته من قرية بلانس والفضيحة التي صاحبت اسمه. كان بإمكانها أن تفهم وجهة نظر أمه.

"متى آخر مرة سمعتكِ فيها تضحكين؟"

"هل ضحكت حقًا؟"

قرَّبها منه أكثر. جسمها دافئ. ترك يده تنسل أسفل ثوبها وتلمس ثديها. أمعنت چين النظر في تفاصيل وجه ڤيكتور في ضوء الفجر الوليد.

لمست بأطراف أصابعها حاجبيه وأنفه وشفتيه. بدا هذا الرجل الذي تلمسه مألوفًا لها بشدة، وغريبًا عنها بشدة في الوقت نفسه. كان ڤيكتور هكذا دائمًا بالنسبة إليها. رجلًا لا يرفع صوته ابدًا، مُجدًّا في عمله، رصينًا وكريمًا. كان مؤرِّخًا صادقًا عندما يدوِّن ملاحظاته، وجامع تحف مهووسًا عندما يتفحص الكتب وقطع السيلادون والأثريات. لكنها خَبرت وجهه الآخر أيضًا، مُخطِّطًا دبلوماسيًا محنكًا ورزينًا سيفعل أي شيء من أجل تحقيق مصالح فرنسا.

"هل تتذكر جراب العطر الذي وضعته بين صفحات "البؤساء" علامة على قبولي بحبك؟"

الجراب المطرز بزهرة عود صليب حمراء. كيف يمكنه نسيانه؟

"لقد طرزت سحلية بجوار عود الصليب. السحلية المرسومة في مقالتك. وضعت الجراب في الخزانة في الحجرة الشرقية".

لم يكن ذلك كل ما وضعته هناك. كانت قد تركت أيضًا الخاتم الذي ألبسها إياه ڤيكتور في أول ليلة ناما فيها معًا.

"ساعتك في درج المنضدة بجوار السرير".

"..."

"رجاءً لا ترتدي معطفك النهاري إلى حفلات العشاء في الشتاء! تبدو وكأنك ستصاب بالبرد في أي لحظة".

مال ڤيكتور على جنبه كي ينظر إليها.

"لماذا تتحدثين كأنك لن تعودين إلى باريس؟"

ربتت چين على صدره.

"لأنك لا تعرف ما قد يحدث، ڤيكتور!"

أمسك ڤيكتور بيد چين. اعتدل في جلسته ونظر إليها.

"ماذا تظنين أنك تفعلين؟!"

مغمورةً بضوء أول النهار الضعيف، أسندت چين رأسها على حِجره بدلًا من الإجابة.

لم يكن يعرف ڤيكتور الحقيقة. سبب عدم مغادرتها المفوَّضية خلال الأيام الأربعة التي مضت على وصولهما لم يكن لأنها مريضة. كان السبب هو تفكيرها فيما ستلبس. هل ترتدي كما كانت تفعل في باريس أم ترتدي رداءً كوريًا؟ ماذا تفعل بتسريحة شعرها؟ كان عليها التفكير في كل شيء من جديد. آلمتها فكرة أنها لم تعد الشخص نفسه الذي كانته قبل رحيلها من كوريا.

داهمها هذا الإحساس المُقبض لأول مرة بمجرد وصولهما إلى جيمولبو. كان الميناء أكثر ازدحامًا مقارنة بالوقت الذي غادراه فيه منذ أربع سنوات. حدق الجميع نحوها، يابانيون وكوريون وصينيون. تكرر الأمر عندما مكثا في جيمولبو ليومين، وفي النُزُل التي أقاما فيها في طريقهما إلى المدينة. ظنت في البداية أن سبب ذلك هو وجودها مع ڤيكتور، لكن استمرت نظرات الناس إليها حتى وهي بمفردها. اعتادت على ذلك. لكن عندما نظرت إليها طفلة ترضع من ثدي أمها أمام عتبة أحد النُزل كأنها امرأة أجنبية، اجتاحها ألم شديد لم تشعر به من قبل. أدركت أنها باتت أعجوبة تلفت الأنظار إليها في كوريا كما كانت في باريس.

هل ظن الكلب أن بزوغ الفجر يعني الخروج للجري؟ وصل صوت عوائه إلى داخل حجرة نومهما.

"هل تودين الخروج للمشي؟"

خفض ڤيكتور وجهه، وفرك خده بخد چين.

"وقومي بزيارة جوندانجول اليوم! أنت تحنين إلى دار الأيتام كثيرًا. سأرى مولندورف[32] في الصباح لأعرف ماذا حدث هنا منذ رحيلنا".

ترددت چين لكن تمكن ڤيكتور من إقناعها. غيَّر الاثنان ثيابهما وخرجا إلى الفناء. اندفع الكلب نحوهما وانتظر حتى يرتدي ڤيكتور حذاءه. عندما برز ڤيكتور من الشرفة، قفز الكلب حوله في حماسة.

كان الوقت لا يزال مبكرًا ومبنى المفوَّضية غارقًا في الصمت. غادر الاثنان من بوابة جانبية بجوار المبنى الملحق. طغت رائحة نبات الشيح والصنوبر الطازجة على حواسهما. كان هنالك أثر لرائحة التربة المحروثة قادمة من رقعة الخضراوات الملاصقة للمفوَّضية. لفَّت چين الوشاح حول كتفيها وتنفست بعمق. داعبت نسمة هواء شحمتي أذنيها. أول نسمة ربيع كوري تشعر بها چين منذ أربع سنوات.

"مسيو كولين دي بلانس!"

التفتا ليريا بول شوي يقف أمام البوابة الرئيسية. امتلأ مجال بصر چين بالأوراق الخضراء لشجرة العنقاء. كانت الشجرة أطول بكثير من آخر مرة رأتها فيها چين. سار بول شوي نحوهما بخطوات واسعة.

---

٣٢ بول چورج ڤون مولندورف (١٨٤٧-١٩٠١): دبلوماسي وعالم لغويات ألماني عاش في الصين لفترة قبل أن يسافر إلى كوريا ويعمل مستشارًا للملك غوجونغ. له إسهامات عديدة في علم الصينيات (علم الحضارة الصينية).

"هل تأتي إلى العمل مبكرًا هكذا دائمًا؟"

"اضطررت لقضاء ليلة الأمس في مبنى المفوّضية. التغيُّر في المنظر جعلني أستيقظ مبكرًا. ففكرت أن أخرج لأتمشى".

كان الكلب قد انطلق بعيدًا عنهم قبل أن ينظر إلى الوراء داعيًا ڤيكتور للحاق به.

ابتسم بول شوي.

"يقولون إنّ كلب الجندو لا يتبع سوى سيد واحد طوال حياته. لا بُد أن ذلك صحيح. من الواضح أنه أكثر سعادة الآن لوجودك هنا".

ابتسم ڤيكتور ابتسامة عريضة قبل أن يركض نحو الكلب. لا بُد أن الكلب يتذكر جولاتهما الصباحية. عندما اقترب منه ڤيكتور، واصل الانطلاق من جديد، وهو يقود ڤيكتور بعيدًا عن چين وبول شوي.

"لقد اندهشت لرؤيتك للوهلة الأولى. لقد ظننتكِ شخصًا آخر. هل تمكنت من نيل قسطٍ من الراحة، سيدتي؟"

تجاهلت چين سؤاله.

"هل تغيَّرت كثيرًا؟"

"حسنًا، كيف أعبر عن ذلك؟ تبدين كشخص مختلف. ربما بسبب الثياب. هل تودين ارتداء ثيابك القديمة؟ أعتقد أن الطبَّاخة تحتفظ بها من أجلك".

هل سأستطيع ارتدائها مرة أخرى؟ وجدت چين نفسها عاجزة عن الإجابة عن هذا السؤال.

"لقد تغيَّرت أشياء كثيرة في كوريا. لا أعرف إذا كان ارتداؤها سيكون شيئًا جيدًا أم سيئًا".

"نمت نفوذ اليابان كثيرًا مُتجاوزة كل الحدود منذ رحيلك. يتسكع عساكر يابانيون مدججين بالسيوف حول حصن سول، كما لو أن المدينة ملكهم!"

سحبت چين شالها فوق كتفيها.

كان قلبها خليطًا مضطربًا من الألفة والأسى بينما تقف هناك في مواجهة نسيم الربيع. كان الشعور نفسه الذي تملَّكها في جيمولبو، حين شاهدت أمًا تعتني بطفلها بينما تبيع سمكًا طازجًا في السوق. قبل أن تدرك چين الأمر، مدَّتْ يدها غريزيًا لتربت على رأس الطفل المغمور بأشعة الشمس. الفراغ الموحش في قلبها جعلها تشيح بوجهها نحو المراكب في الميناء والنوارس الداكنة التي تحلق فوقها.

يبدو أن وضع الملك والملكة، اللذان حاولا كبح طموح الدول الأجنبية القوية عن طريق وضعها في مواجهة بعضها البعض لخلق توازن يجلب الاستقرار لكوريا، لا يزال حَرِجًا.

"تتقاذف أهواء القوى الأجنبية دولتنا التي لا حول لها ولاقوة يمينًا ويسارًا... ناهيكِ عن صراع السلطة بين الملكة ووصي العرش الذي لا يمكن أن ينتهي إلا بموت أحدهما! يبدو ألا أحد منهما يهتم بالشعب، وقد أعمتهما السلطة. اندلعت انتفاضة في قرى الجنوب. سرعان ما انتشرت كالنار في الهشيم".

تنهدت چين بعمق. هل وصلت الأخت چاكلين التي أخبرتها عن الانتفاضة إلى "بينانغ" بسلام؟

"يعاني الشعب بسبب المسؤولين الفاسدين والضرائب المجحفة. بالكاد يمكنهم زراعة ما يكفيهم لسد جوعهم. كان الفلاحون الذين قادوا الانتفاضة ينادون بفكرة المساواة؛ أن كل البشر تحت هذه السماء متساوون. أيَّدهم الشعب. لكن قُبِض على قائد الانتفاضة وأُعدِم مما وضع نهاية لها لكن الغضب لا يزال موجودًا كامنًا في النفوس. قبض اليابانيون على "جيون بونغجون"[٣٣] عندما وشى أحد أتباعه بمكانه، لكنه ظل صامدًا رغم التعذيب. حتى اليابانيون صُدِموا من ردة فعله الجريئة. أخبرهم أن يقطعوا رأسه ويضعوه على رمح في تقاطع طرق في المدينة. أن يرشوا دمه على ثياب المارة. أراد أن تستمر المقاومة بعد موته... البلد عالقة داخل فوضى لا حدود لها".

"قتل رجل يدعى هونغ جونغ-يو كيم أوكغيون في شانغهاي. احتفظ بالجثة وأحضرها إلى هنا على ظهر قارب. يُعامل كبطل الآن. قطع رأس كيم أوكغيون وعُلق في نوريانغجين".

سمعت چين عن هذا بالفعل من ريجامي في باريس. أدهشت الأخبار كل من عرف هونغ في باريس. هل كان هذا هو السبب الحقيقي لرحيله المفاجئ عن باريس؟

---

٣٣ جيون بونغجون (١٨٥٤-١٨٩٥): إحدى قادة ثورة الفلاحين التي اندلعت سنة ١٨٩٤م في قرى جنوب كوريا احتجاجًا على الضرائب المجحفة والممتلكات المنهوبة من الفلاحين المتهمين بإثارة الشغب. انتشرت الانتفاضة لتعم جموع البلاد واتخذت طابعًا ثوريًا يندد بالنظام الملكي الحاكم والقوى الغربية واليابانية في البلاد قبل أن يتدخل الجيش الياباني لقمع الانتفاضة. ألقي القبض على جيون ليتم إعدامه سنة ١٨٩٥م.

شعرت چين أنها على وشك الاختناق. باعدت بين كتفيها وفردت ظهرها. يمكنها رؤية ڤيكتور والكلب يجريان عائدين اتجاههما.

"طلب مني مسيو كولين دي بلانس ألا أخبرك عن هونغ جونغ-يو..." غمغم بول شوي بهذه الكلمات، وقد اعتلى وجهه التوتر.

"ماذا عنه؟"

"بعد عودته، عُقِد اختبار لاختيار موظفين جدد في البلاط. يقولون إنه كان مجرد إجراء شكلي لمنح هونغ جونغ-يو منصبًا. قلدته الملكة بنفسها بالمنصب الملكي. هذا غير منحه بيتًا وحفنة من العبيد"، قال بول شوي، ثم تردد قليلًا قبل أن يضيف:

"لا يبدو الوضع مُبشرًا. لا أحد يعرف إلى أين تتجه البلاد. أثناء الانتفاضة، خشيت الملكة تكرار أحداث عام الحصان الأسود، واستدعت القوات الصينية بينما هادن وصي العرش اليابانيين الذي كان يمقتهم في الماضي... يقولون إن البلاط لم يعد سوى مكانًا للعبث واللغو وإقامة الحفلات أما قرارات كوريا المصيرية، ففي يد اليابانيين".

أمعن النظر في وجه چين قبل أن يقول:

"تحابي الملكة ابنة امرأة يابانية تدعى "سو تشونسيل". البعض يقول إنها جاسوسة. يشاع أن ابنة تشونسيل قد طلبت رسم عدة لوحات شخصية للملكة. ما الدافع وراء هذا الطلب؟ لا أحد يعرف".

لوحات شخصية للملكة؟! نظرت چين متعجبة إلى بول شوي. لم تكن الملكة لتسمح برسم لوحة لها. كانت تمانع حتى الجلوس من أجل التقاط صورة.

"بالكاد كان يمكن للمرء المشي في الشوارع، بينما يُقطَّع جسد كيم أوكغيون ويُمثَّل به. سمعت أن أحدهم قد نعته بالخائن وانتزع كبده من أحشائه، وأكله أمام الآخرين من دون أن يذرف دمعة"، استطرد بول شوي "ثم اجتاح البلاد وباء الكوليرا وسقط الموتى بأعداد كبيرة جدًا لدرجة لا يمكن لأحد أن يحصي عدد من مات. شُيِّدت أماكن للحَجر الصحي وأُصدِر فرمانًا يحظر تناول أي شيء نيء، لكن لم يُجدِ هذا شيئًا. احذري، نحن نعيش في زمن تخبر فيه سبعُ دول مختلفة الملكَ بفعل سبع أشياء مختلفة بخصوص الأمر نفسه!"

خيَّم الصمت على چين. قبل أن يصل ڤيكتور والكلب إليهما، التفتت چين وسارت عائدة إلى المفوَّضية.

بعد الظهر ودعت چين ڤيكتور قبل مغادرته للقاء مولندورف. بعد ذلك غادرت المفوَّضية.

أمعنت المرأة سوه النظر إلى چين لوقتٍ طويل، عندما دخلت راقصة البلاط السابقة إلى حدود دار الأيتام. لم تستطع تصديق عينيها.

كانت دار الأيتام كما هي، لكن من الجلي أنها تضم الآن عددًا أكبرَ من الأطفال. بينما يتزاحم الأطفال حول چين بفستانها الغربي، تمكنت المرأة سوه أخيرًا من الخروج من حالة الثمالة التي انتابتها، وبدأت بتقديم الأطفال واحدًا واحدًا إلى چين. كان كل طفل يهتف "هنا!" عندما يسمع اسمه. ظنت چين أنها تعرفت على بعض الوجوه التي درَّست لهم من قبل، لكنهم كبروا كثيرًا بحيث لم تستطع الجزم بذلك.

صرفت المرأة سوه الأطفال بعيدًا، ثم اصطحبت چين إلى داخل مبنى دار الأيتام.

"العديد من الأطفال أتوا إلى هنا بعد وباء الكوليرا الذي اجتاح البلاد العام الماضي. معظمهم فقدوا والديهم في نفس الوقت. عندما أتوا إلى هنا أول مرة، كانوا لا يفعلون أي شيء سوى الجلوس في صمت فوق أغصان شجرة البلح أو عند عتبة الدار... لكن سيظل الأطفال أطفالًا. انظري كيف عادوا إلى طبيعتهم المرحة الآن!"

تذكرت چين ما أخبرها به بول شوي ذلك الصباح، بينما تنظر إلى الأطفال. لقد تشرَّدوا وتُركوا وحدهم في مثل هذه السن الصغيرة بسبب وباء الكوليرا. مرض عضال يبدأ بحمى وسعال عنيف، وينتهي بالموت في غضون يومين.

"لقد سمعت عن وباء الكوليرا. هل أثَّر ذلك على الدار؟"

"لحسن الحظ، لم نفقد أي طفل بسبب ذلك. بفضل رحمة الرب!"

"بومي هي الطفلة الوحيدة التي أتذكرها حقًا من الفترة التي عملت فيها هنا".

"يرسل الأسقف ميوتل الأطفال عند بلوغهم الثالثة عشرة إلى مدرسة فرنسية. أوصى الأسقف بلانك قبل رحيله بالاهتمام بالأطفال. الخطة هي تعليمهم لفترة، قبل أن يخيِّروا بين طريق الرهبنة وخدمة الكنيسة، وبين مواصلة حياتهم خارجها. رحل بعض الأطفال مع القساوسة الذين سافروا إلى اليابان. وعد القساوسة أن يُعلِّموهم هناك".

كانت حجرة المرأة سوه شديدة التقشف كما عهدتها چين. ثمة ملاءة بيضاء معلقة في جانب الحجرة كغطاء لثيابها. لا تمتلك حتى خزانة دولاب للثياب. داخل سلة كبيرة يوجد معطف لم تنته المرأة سوه من حياكته. تحت المعطف، تقبع تشكيلة من إبر وخيوط التطريز. نظرت چين إلى أعلى لترى رفًا واحدًا فوقه قطع قماش ملفوفة ومصفوفة بعناية.

"هل لا تزالين تحيكين كل أردية الأطفال بنفسكِ؟!"
" الليالي طويلة. ولا أملك شيئًا آخر لأفعله".

أعطت حجرة المرأة سوه چين الإحساس أنها قد عادت حقًا إلى كوريا. باتت أرضية الحجرة التي كان لونها أصفر فاتحًا، داكنة بفعل الزمن، يتخللها عددٌ من البقع المحروقة هنا وهناك.

وسط اعتراضات المرأة سوه، أجلستها چين وانحنت على ركبتيها أمامها، تعبيرًا عن امتنانها العميق بالعودة إلى الوطن.كانت أرضية الحجرة دافئة عندما لمستها جبهة چين. هل قاطع وصولها المرأة سوه أثناء غسيلها ثياب الدار؟ عندما دنت المرأة سوه من چين الجاثية على ركبتيها وتشابكت يداها بيدي چين، شعرت چين ببرودتهما الشديدتين. أمسكت چين بيدي المرأة سوه ومررت أصابعها عليهما. كان كفا المرأة سوه خشنين مثل لحاء شجرة. نزعت المرأة سوه يديها برقة وأحاطت بهما يدي چين.

ذرفت "بومي"، التي كانت تختلس النظر إليهما من شق في الباب، دمعةً، قبل أن تغلق الباب وراءها بهدوء.

"ماذا حدث؟ هل عدتِ إلى هنا بشكل دائم؟"
عندما لم تجبها چين، مدت المرأة سوه يدها وربتت على وجهها.

"رؤيتك مرة أخرى أشبه بالحلم. ظننت أننا لن نلتقي مرة أخرى. هل عدتِ بمفردتك؟"

كانت عينا المرأة سوه الدامعة مليئة بالقلق.
" لا، أنا هنا معه. علينا العودة إلى باريس".
أومأت المرأة سوه متفهمة.

"فلتتناولي العشاء معنا إذًا! يأتي يون دائمًا قرب غروب الشمس. يحبه الأطفال كثيرًا. قد تأتي ليدي سوه أيضًا. إنها تقدم الدعم لهذه الدار وتأتي لزيارتنا مرة كل عشرة أيام. أنا متأكدة أنها ستأتي اليوم".

لا تزال المرأة سوه تحرص على مناداة أختها الصغرى بلقبها الشرفي. أمعنت چين النظر في وجه المرأة سوه. كان وجهها ضئيلًا دائمًا، لكنه بدا الآن أكثر انكماشًا. التجاعيد حول عينيها كثيفة، لدرجة تكاد ترغمهما على الانغلاق. غزا الشيب نصف شعرها.

لا بُد أن النوم قد غلبها.

أنزلت چين ذراعها عن جبهتها وفتحت عينيها. كانت الحجرة مُعتمة. هل نامت حتى غربتْ الشمس؟ كانت قد افترشت الأرض مع المرأة سوه حيث التصقت ركبتاهما، وانخرطتا في الحديث عندما سعلت چين. قالت المرأة سوه أنها أعدت بعضًا من مشروب "السيكهاي"[٣٤] قبل أن تذهب لإحضاره. لا بُد أن چين قد غفت أثناء ذلك.

كانت الأرضية دافئة جدًا بفضل نظام تدفئة "أوندول"[٣٥] الكوري الطراز. في اللحظة التي استلقت فيها چين على الأرضية، تغلغلت الحرارة في جسمها كله.

تذكرت ذلك كأنه حدث منذ لحظة، لكن لا بُد أن بضع ساعات قد مضت بالفعل. لقد أتت المرأة سوه وغادرت. كانت توجد صينية خشبية

---

٣٤ أو مشروب الأرز الحلو. وهو مشروب بارد يصنع من الشعير والأرز المطبوخ. يتم طبخه ثم يُترك ليبرد. يقدم عادة كحلوى.

٣٥ نظام تدفئة فريد ابتكره الكوريون. يعود إلى عهد مملكة كوريو الكورية القديمة. يعمل هذا النظام على تدفئة الأرضيات عن طريق وضع أحجار عريضة تحت الأرضيات وتسخينها لتدفئة الغرف.

عتيقة عليها سلطانية بيضاء بها مشروب السيكهاي. لا بُد أن المرأة سوه قد نزعت قبعة چين الحريرية ووضعتها بحرصٍ إلى جوار الصينية، قبل ان تُدثّر چين بغطاء.

اعتدلت چين في جلستها وأمسكت السلطانية وقربتها من شفتيها. شمت رائحة السيكهاي الحلوة، قبل أن تشربه كله دون أن تترك قطرة واحدة. لعقت حبيبات الأرز الملتصقة بقاع السلطانية. جلست وحدقت في السلطانية الفارغة لوقت طويل قبل أن تنهض.

كانت تحمل الصينية إلى المطبخ عندما توقفت. وقع بصرها على ثمانية أطفال تجمعوا حول شجرة البلح التي بدأت أوراقها الخضراء تنبت. وسط الأطفال كان يقف رجل أعطى ظهره إلى چين. لاحظت چين أن كل طفل يمسك بناي البامبو في يديه. تساءلت چين عما يحدث، حتى سمعت أنغام ناي الرجل. اعتدلت في وقفتها فورًا. كرر الأطفال ما عزفه الرجل. كانت نوتاتهم الموسيقية غير متوافقة. كان هنالك دائمًا طفل يطيل في عزفه لإحدى النغمات، فيشذّ عن الآخرين. مع هذا استمرت الموسيقى. بدت أصابع الأطفال في ضوء الليل الخافت وكأنها ترقص على الناي. عادت چين بذاكرتها إلى عازفي "بون مارشيه"، وابتسمت.

أحيانًا كان يشكل العاملون في "بون مارشيه" فرقًا موسيقية، ويقيمون حفلات موسيقية بعد إغلاق المتجر متخذين من أرضيته مسرحًا مرتجلًا. في البداية، كانت الحفلات صغيرة، لكنها سرعان ما كبُرت وذاع صيتها وأصبح العاملون يدعون الزبائن للحضور. كان الإحباط يصيب من لا يُدعى للحفل. في إحدى المرات ذهبت چين مع چان ليشاهدا ڤينست الذي كان يعزف على آلة الصنج.

كانت الموسيقى التي يعزفها الأطفال مألوفة لجين. ارتجفت عيناها. كان لحنًا اعتاد يون على عزفه لها أثناء طفولتهما في بانشون. كان عزف الأطفال متنافرًا بشدة، لذا لم تلحظ جين الوضوح والصدق في لحن الرجل. انتهى اللحن، وجين تقترب من الأطفال. رفع الرجل سبابته للأطفال كي يعزفوا اللحن مرة أخرى. في المرة الثانية، كان لحنهم أكثر تناغمًا. في المحاولة الخامسة، كان أداؤهم أكثر من مُرض. في النهاية عزف الرجل اللحن بمفرده. كيف يمكن لناي البامبو أن يُصدِر مثل هذا الصوت؟ ثم أدركت جين أنه لم يكن يعزف على ناي بامبو صغير كالأطفال. كان ناي دايغوم طويلًا. لأن الرجل كان يواجه الأطفال، لم تر جين أنه قد بدل الآلتين. يا له من صوت عذب! بدأ الأطفال الذين تحلوا بالجدية أثناء عزفهم كأوركسترا مترابطة، في الرقص بمرح على نغماته.

"لا بُد أنهم يحظون بالكثير من المرح!" قالت بومي.

خرجت بومي من المطبخ عندما سمعت صوت الدايغوم، لكن عندما رأت جين، سارعت إلى حمل الصينية من يديها. ابتسمت جين لها.

لا بُد أن عزف الدايغوم بهذه المهارة يتطلب مقدرة عظيمة. قفز الأطفال وداروا في أماكنهم ووقفوا على رؤوسهم وتشقلبوا.

"كونوا حذرين!" هتفت بومي.

ضحك الأطفال وأخرجوا ألسنتهم لها.

مشت جين نحوهم. أرادت أن ترى وجه الرجل الذي جعل عزفه الأطفال يرقصون. لم يلحظ الرجل اقتراب جين، فقد كان يعزف وعينيه مغمضتين في تركيز تام. بدا أن الأطفال يحفظون اللحن عن ظهر قلب.

بالإضافة للأطفال الذين يرقصون، كان هنالك آخرون يجلسون حوله وقد أغلقوا أعينهم مستمتعين بالموسيقى في صمت، وأطفال أصغر سنًا تعلّقوا بثياب الرجل وهم ينظرون إليه.

يُضرب المثل بعزف يون على الدايغوم. يُقال إنه يستطيع جعل المطر يهطل في مواسم الجفاف والقحط. في مايو كان يون يخوض في المستنقعات ليجد أعواد بوص جيدة. كان يون يبحث عن أفضل الأنواع كل عام. ينزع قشرته الخارجية ويلصقها بالدايغوم، كي تصدر عنه ذبذبات مثالية لأنغامه.

كانت الموسيقى التي جعلت الأطفال يرقصون من نوع مختلف. لم تكن موسيقى بلاط أو فولكلورية.

عندما توقفت الموسيقى أخيرًا وتوقف معها رقص الأطفال، فتح عازف الدايغوم عينيه، اللتين التقتا بنظرات چين. كان الرجل قد ضيَّق عينيه وقطب حاجبيه أثناء عزفه، لذا استغرق الأمر بضع لحظات كي تتضح صورة چين أمامه.

"جرس الفضة!"

أنزل يون نايه ونادى على چين.

صُعِقتْ بومي لدرجة أنها قد أسقطت الصينية من بين يديها. ارتطمت الصينية بالأرض بدويٍ عالٍ.

"سوبايك يتحدث!"

مشت چين ببطء عبر جمهور الأطفال نحو يون. اكتفى يون بالتحديق تجاه چين، من دون أن يتحرك من مكانه حتى أحاطته چين بذراعيها. كيف

لم أتعرّف عليكَ؟ دفنت چين وجهها في صدره. يمكنها سماع أنفاس يون المتلاحقة. ذكّرها ذلك باللحظة التي عانقت فيها موباسان في المشرحة. احتضنت يون لفترة طويلة، بينما تلتقط بومي الصينية والسلطانية وتندفع عائدة إلى المطبخ. التف الأطفال حول الجسدين المتشابكين في عناق جماعي.

أشعل يون مصباحًا زيتيًا في حجرة المرأة سوه، وجلس ثلاثتهم حول طاولة طعام أرضية. حدقت چين إلى الطاولة بحنين. كان الطعام مُكوّنًا من قدورٍ بيضاء مليئةٍ بأرزٍ أبيض بخاري مع البطاطس، وحساء فول الصويا المُخمَّر مع معجون الصويا الحرّيف الممزوج بماء الأرز والمغلي مع عشبة "كيس الراعي". كان هنالك خس أيضًا، وثوم بري مع شرائح اللفت وصوص الصويا، وبراعم الأراليا المسلوقة، و"كيمتشي"[٣٦] جيّد التعتيق، ولفائف "أومليت چيون"[٣٧] المُتبَّل بعشبة الشيح. معظم هذه الأطعمة نِعَم جادت بها أرض الربيع الدافئة.

"دعونا نأكل!"

ترددت چين ويون رغم اقتراح المرأة سوه. تناولت المرأة سوه قطعة من أومليت جيون المتبل بعشبة الشيح بعصي الأكل ووضعتها فوق قدر الأرز أمام چين.

---

٣٦ طبق كوري شهير لا تكاد تخلو مائدة كورية منه. وهو عبارة عن خضار مخلل يُعتَّق في مكانٍ دافئ. بالإضافة إلى الخيار يتكون الطبق عادة من الملفوف ومسحوق الفلفل الأحمر والكثير من الملح والتوابل.

٣٧ لفائف الأومليت مع لحم السلطعون (الكابوريا) الذي يعتبر المكون الأساسي وتتبل بالفلفل الحلو والبصل والجزر والذرة وغيرها.

"سيبرد الطعام. فلتأكلي! هل تتذكري كيف كنت تحبين طعام الربيع؟"

التقطت چين قطعة الأومليت بعصي الأكل قبل أن تضعها داخل فمها. ملأ المذاق اللذيذ لعشبة الشيح فمها. بينما تمضغها چين، وضع يون قطعة أخرى في قِدر چين. ضحك ثلاثتهم. كان الأمر مشابهًا للأيام الخوالي عندما عاش الثلاثة معًا.

بمجرد أن تشق البراعم الرفيعة والضعيفة لعشبة الشيح الخضراء طريقها فوق الأرض عبر سهول "بانشون" التي كان الجليد يكسوها طوال الشتاء، تخرج المرأة سوه لحصدها كي تصنع أومليت چيون. كانت الصغيرة چين تصر على مساعدتها في طحن عشبة الشيح المجففة، فينتهي بها الأمر وقد غطى الطحين جبهتها وشعرها. عندما يوضع أومليت چيون المقلي شيئًا ما (مُشوَّح) على الطاولة، كان يتكرر المشهد الذي حدث للتو. تضع المرأة سوه قطعة من أومليت چيون فوق أرز الصغيرة چين فيقلدها الصبي يون ويضع قطعة أخرى.

فردت چين الأرز بملعقتها، ثم صبَّتْ بعضًا من حساء فول الصويا. اندهش يون من السرعة التي خلطت بها چين الأرز بالحساء بعد أن ترددت طويلًا أمام الأكل. حتى المرأة سوه التي بدأت بالأكل، قد اندهشت من السرعة التي تأكل بها چين.

"لا تأكلي بهذه السرعة! ستمرضين!"

نهضت المرأة سوه.

"سأحضر لكِ قدرًا آخر".

لم تستطع چين بفمها المحشو بالأرز والحساء أن تعترض بينما تفتح المرأة سوه الباب وتغادر. مرَّر يون حساءه إلى چين. حينها فقط بلعت چين الطعام في فمها ووضعت الملعقة على الطاولة.

لا تتغير الأشياء التي تُحرِّك القلب أبدًا.

أول شيء قامت به چين عندما خطت بقدميها فوف أرض بيتهم القديم في بانشون هو لمس لحاء شجرة المشمش العتيقة. نبتت زهور بيضاء صغيرة جدًا فوق أغصانها مثل نُدَف الثلج. كانت الزهور التي صمدت في وجه رياح الشتاء واهنة وخجولة في تفتُّحها. كانت چين تنصت أثناء الليالي التي تهب فيها الرياح الباردة. يُقال إنه من المستحيل لزهور المشمش أن تزدهر عندما تعوي الرياح. لهذا على المرء أن يبحث عن شذا زهور المشمش المتفتحة حديثاً بأذنه لا بأنفه.

تذكرت وقوف بلانك ويون أسفل شجرة المشمش هذه في تلك الأمسية الربيعية عندما عادت چين الصغيرة من البلاط على ظهر الخادمة "لي". تتذكر كيف تملَّكتْ الدهشة الخادمة "لي" فتراجعت بظهرها للوراء وتسببت في عض چين لشفتها. كانت هذه أول مرة ترى فيها يون الذي كان يرتدي أسمالًا رمادية قديمة على جسده العاري. تتذكر طعم الدم الذي تذوقته وهي تحدق إليه.

وقفت چين أسفل شجرة المشمش وشاهدت الأضواء تسطع الضوء تلو الآخر في حجرة حياكة المرأة سوه، وحجرة بلانك القديمة حيث علَّمها الفرنسية، والحجرة التي عاش فيها يون.

طلبت المرأة سوه من يون أن يرافق چين إلى مبنى المفوَّضية الفرنسية بعد العشاء. مشيا صوب المفوَّضية، عندما انحرفت چين في اتجاه "بانشون"

فتبعها يون دون اعتراض. مشت چين بتمهُّل عبر طرقات "بانشون". خرج الأطفال إلى بوابات منازلهم وحدقوا إليها. ألتفت الزبائن المصطفون أمام محل الجزار إليها أيضًا. بدا أن النساء اللاتي يغسلن ثيابهن عند الجدول كأنهن يتساءلن: *"من يمكن أن تكون هذه السيدة؟"* لم يتعرف أحد على چين. حيّوا يون بإيماءة من رؤوسهم قبل أن يواصلوا التحديق نحو چين حتى ابتعدت عن ناظرهم.

"هل يعيش أي أحد في البيت الآن؟"

كانت هذه أول كلمات تقولها چين إلى يون منذ عودتها. هز يون رأسه بـ "لا". حينها فقط ابتعدت چين عن الشجرة ودخلت البيت. كان البيت في حالة مزرية دون وجود بشري دائم. نظرت چين في كل حجرة حيث أشعل يون مصباحًا. كانت كلها فارغة ما عدا الحجرة التي يستخدمها يون حيث كان يوجد فوتون مطوي بعنايةٍ في الزاوية. تطلّعتْ إلى الفناء في الخلف، الذي حملت إليه المرأة سوه مرةً قدر الماء الساخن، وغسلت جسد الصبي يون القذر في الجرة الأرضية الكبيرة.

لا تزال أوراق البامبو تهمس عبر نسمات الربيع. جعل الضوء البيت يبدو دافئًا رغم فراغه.

بعد أن فحصت چين البيت، ذهبت حيث جلس يون على حافة عتبة البيت واتخذت مكانًا بجواره. تذكرت چين الرسالة التي بعثها إليها يون مع الأخت چاكلين.

"اشتريت البيت في بانشون حيث قضينا طفولتنا سويًا... رجاءً اكتبي لنا بأي طريقة كي نطمئن عليك!"

احتفظت چين بالرسالة في الحجرة الشرقية، وقرأتها مرارًا وتكرارًا. دعا المرأة سوه في الرسالة بـ "أمي" وذكر أنها لا تعرف بشرائه البيت.

فتحت چين حقيبتها وأخرجت جِرابًا جلديًا طويلًا. وضعته في حِجر يون.

"إنه مزمار. آلة نفخ فرنسية. تلك الآلة أقدم بكثير من الناي أو الكلارينيت".

أرادت چين أن تتحدث أكثر لكن اكتفت بالصمت. كان من غير المجدي الحديث عن المزمار أو الكلارينيت، فلم ير يون أي منهما في حياته من قبل. كانت قد سألت ڤينست في "بون مارشيه" أن يسعى للحصول على مزمار من أجلها. كانت سعيدة أن تشتري شيئًا بالمال الذي كسبته من تطريز المراوح. لم تكن في حاجة إلى المال في كوريا لذا وضعت بقية المال في برطمان ووضعته في حجرة چان قبل مغادرة باريس.

فكرت چين في يون عندما رأت المزمار لأول مرة بينما يعزف عليه موسيقى متجول أمام مدخل حديقة لكسمبورج.

حل يون خيط الجراب وأخرج المزمار الخشبي.
"ثمة موسيقى تكمن بداخله".

تعلَّم يون الترانيم الكنسية من بلانك، لذا لم تكن الموسيقى الغربية غريبة عنه تمامًا. قلَّب الآلة بين يديه ثم حاول أن ينفخ فيها. صدرت جعجعة حادة من المزمار، فأنزله يون بسرعة وقد علت وجهه ابتسامة اعتذار.

مالت چين برأسها على كتف چين. جرب يون الآلة التي تشبه آلة "الغوان" الصينية مُقرِّبًا فوهتها من شفتيه. هذه المرة خرجت نغمةٌ حساسة وحادة. كان يصدر عن المزمار صوتًا مختلفًا في كل مرة. صوتًا يشبه تمزيق

ورقة، يمكن تحويره إلى شيء يشبه النوتة الموسيقية. فكر يون عندما توقف ووضع المزمار برقةٍ في حِجره، أن مع آلة كهذه لن يُدفَن صوته وسط مجموعة من العازفين. عندما خرج من بحر أفكاره، أدرك أن چين قد نامت مستندةً على كتفه. كانت وضعية غير مريحة، لكن كان بإمكانه الاستماع إلى تنفُسها المنتظم. محافظًا على وضعه ثابتًا كي لا يوقظ چين، نظر يون نحو شجرة المشمش.

في أحد المرات، سمّى مبارزٌ متجوّل تلك الشجرة باسم مختلف "هوموغموك". كان المبارز أحد النزلاء في بيت المرأة سوه. كان يسمي الشجرة "هوموغموك" لكن المرأة سوه ويون سمّيا الرجل نفسه "هوموغموك" لأنه لم يخبرهما أبدًا باسمه. لم يعرفا أبدًا كيف أصبح متجوّلًا شريدًا لكنه مكث في بيتهما لعام. تطلب الأمر منهما بعض الوقت كي يعرفا أنه مبارزٌ بالسيف. كانت چين متحفظة في البداية لأنه كان يرتدي مثل رجل صيني. عندما عرفت أن هوموغموك كان مبارزًا في الجيش القديم قبل أن يُطرد بعد أن أخذ الجيش الجديد بأسلحته الحديثة مكانه، جعلت المرأة سوه يون يركع أمامه ورجته أن يُعلِّمه كيف يستخدم السيف. كانت المرأة سوه تحيك الثياب دائمًا للمحتاجين وتدعو كل أنواع الغرباء إلى بيتها كي تمنحهم وجبة ساخنة وفراشًا دافئًا. كان يون معتادًا على أن تعطي المرأة سوه الآخرين لذا كان من الغريب أن يراها تتوسل من أجل شيء ما.

التزم هوموغموك الصمت أولًا لكن بعد مرور أربعة أيام، سأل المرأة سوه فجأة لماذا ترغب لأخرس أن يتعلم فن المبارزة بالسيف. أجابته المرأة سوه دون تردد أن خَرسه هو بالتحديد السبب لذلك.

منذ ذلك اليوم، جعل هوموغموك يون يركض معه كل صباح عبر غابة أشجار الصنوبر والبامبو التي تحيط ببانشون. كانا يتمرنان معًا عند جدول المياه رغم برودة المياه، ثم يجلسان ساكنين في مكانهما ويستغرقان

في التأمُّل لساعات. أحيانًا كان هوموغوك يختفي فجأة دون أي أثر فيجد يون نفسه مضطرًا للتجوُّل بمفرده في الممرات الجبلية في قلب الليل.

يقال إن خضوع السيف لأوامر المُبارِز تتطلب امتلاكه لثلاثة صفات أولًا وقبل كل شيء: الفطنة. ثانيًا: قوة عظيمة. ثم بعد ذلك لا بُد دائمًا من امتلاك قلب شجاع. يمكن للمرء استعمال السيف فقط إذا اجتمعت فيه تلك الصفات الثلاث.

لكن رغم غاية سوه من تعليم يون المبارزة، ورغم كل ما علَّمه له هوموغوك عن يقظة الذهن وصفائه، كان الشيء الوحيد الذي يفكر فيه يون أثناء التدريب هو چين. اقتنع يون أنه إذا كان يمكن للسيف أن ينفع أخرسًا مثله، فلا بُد أنه سينفع چين أيضًا.

بعد عام، أراد هوموغوك أن يرحل عن بانشون مع يون كي يصبحا مبارزين يستخدمان مهاراتهما في سبيل الخير ونصرة الضعيف. لكن يون أبى الذهاب معه.

تنهد يون بعمق، ونظر إلى وجه چين النائم.

ألاَّ تملكُ أملًا أصعب من أن تملكه!

المرأة التي ظن أنه لن يراها مرة أخرى. المرأة التي حاول دائمًا ألا يعشقها. ظن أنه يهلوس عندما وقعت عليها عيناه بعد ظهر اليوم، تقف وسط الأطفال. عجز عن التصديق أنها هي وأنها هنا، حتى حين شقت طريقها بين الأطفال وعانقته. لم تكن دهشته بسبب القبعة الساتان أو الحذاء الجلدي أو الفستان الغربي الذي ارتدته. كان ببساطة مذهولًا من

رؤيتها هنا في كوريا كي يرد لها التحية. فقط عندما شاهدها تخلط حساء فول الصويا المُخمَّر بالأرز، صدّق أن هذه المرأة هي چين حقًا.

كان قلبه في صراع بين تأخُّر الوقت وبين أسفه من اضطراره لإيقاظها. أراد لهذه اللحظة ألا تنتهي. أنصت يون إلى صوت تنفُّسها.

بدأ ضوء الفجر في التسلُّل عبر عتمة الليل، عندما فتحت چين عينيها. استغرق الأمر منها لحظات كي تدرك أنها قضت الليل مستندة على كتف يون، على عتبة باب البيت الذي كبُرت بين أرجائه. بينما تتجنب التقاء عينيها بعيني يون، أخرج قلم حبر من جيبه. كان القلم نفسه الذي أهداه ڤيكتور إليه. أخرج مفكرته الصغيرة المُعلَّقة في خيطٍ حول عنقه من داخل ردائه وبدأ يكتب:

"كنتِ مستغرقة في النوم، لذا لم يطاوعني قلبي أن أوقظك".

"من أين حصلت على الحبر لتملأ القلم؟"

كتب يون من جديد:

"من الراهبات في دار الأيتام".

تأملت چين خطه قبل أن تنهض. فكرت في ڤيكتور الذي ذهب لرؤية مولندورف. لا بُد أنه قد انتظرها طويلًا أثناء الليل.

عندما وصلت چين إلى مبنى المفوَّضية، وقد تبللت حاشية فستانها بقطرات الندى، كان ڤيكتور يقف أمام البوابة الجانبية التي تفضي إلى المبنى الملحق حيث يقيما. اندفع كلب الجندو الذي كان ينتظر مع ڤيكتور نحوها أثناء اقترابها.

(٢)
وجهٌ مُتَغيّر

كانت الملكة تلعب لعبة "التوهو"[٣٨] مع بعض خادمات البلاط في حديقة القصر. كان يوجد فريقان. على بعد عشرة أقدام وقفت جرة برونزية لها مِقبض على كلا جانبيها. تتضمن اللعبة رمي أسهم داخل الجرة أو داخل حلقة كل مقبض. الفريق الذي يرمي مائة وعشرين سهمًا في هذه الأهداف، يفوز. تعالت هتافات التشجيع في الحديقة كلما نجحت إحداهنَّ في إصابة الهدف. أنصتت چين إلى صوت الملكة القادم من بعيد. الملكة تلعب التوهو؟! كان هذا أمرًا يستحيل تصديقه. في المقابل كان ڤيكتور ينظر باهتمام لهذه اللعبة التي لم يرها من قبل.

"ماذا يفعلنَّ؟"

" لعبة رمي. هنالك فائزات وخاسرات. من يفزنْ يكافئنَّ ومن يخسرنْ توقع عليهنَّ عقوبة".

---

٣٨ لعبة رمي كورية قديمة

كانت إجابة ليدي سوه حازمة وجافة لدرجة لم يجرؤ معها فيكتورعلى طرح أي سؤال آخر عليها.

علا التجهم قسمات وجه ليدي سوه.

اعتادت چين على لعب هذه اللعبة مع المحظية الأرملة تشيولين عندما كانت طفلة. في كل مرة كانت تتمكن فيها الصغيرة چين من رمي السهم في أحد الأهداف، كانت المحظية الأرملة المتحفظة عادة، تصفق بيدها وتهلل فرحًا. كانت چين تحب رؤية ضحكة هذه المرأة التي أنهكتها الأحزان. لهذا كانت تتدرب مع يون باستخدام العصي وزجاجة فارغة. لم تستمتع الملكة بهذه اللعبة أبدًا، وكانت تبقي نفسها بعيدًا عنها. رغم أن المحظيات الأرامل الشابات يَفقنَّ الملكة درجةً وفقًا لتقاليد البلاط، لكن عمليًا كانت الملكة هي الأعلى سلطةً، لذا كانت ممارسة اللعبة بين جنبات الرقص تتم وسط أجواء حَذِرة. كانت الملكة تقول بامتعاض: "أُفضِلُ قراءة كتابٍ آخر على أن ألعب تلك اللعبة السخيفة!"

عندما رأت چين أن الجرة مليئة بالسهام، أدركت أنَّ وقتًا طويلًا قد مضى على بدء اللعبة.

"أرى أنك قد تفوزين اليوم أيضًا!"

رفعت چين رأسها لترى مَن التي تمدحها الملكة بهذا السخاء.

لم تكن المرأة التي رمت السهم منذ لحظات داخل الجرة امرأة بلاط، بل شابة يابانية ترتدي كيمونو. نظرت چين إلى ليدي سوه مستفسرة. أجابت ليدي سوه أنها ابنة "سو تشونسيل"، الفتاة التي تحظى برعاية خاصة من الملكة. سوه تشونسيل؟! تذكرت چين أن بول شوي قد أخبرها أن هذه الفتاة قد طلبت رسم عدة لوحات شخصية للملكة. لم تستطع چين أن

ترى ملامح وجهها من هذه المسافة، لكن الكيمونو الذي ترتديه كان يُميِّزها وسط الأخريات. كان الجميع مستغرقًا في اللعب، غير مُدرِكات لاقتراب ليدي سوه وچين. لمحت چين رفيقتها القديمة في البلاط سُوا. ارتعشت عينا چين، وكاد فمها ينفرج عن ابتسامة. على الجهة المقابلة من مكان سُوا، كانت تقف ليدي لي التي كانت ترافق الصغيرة چين في الصباح إلى البلاط، ثم تحملها على ظهرها في الليل، في فترة وجود چين تحت رعاية المحظية الأرملة تشيولين.

"الخادمة سوه، جلالتك!"

قدمتها ليدي سوه للملكة. *الخادمة سوه*. ستظل چين امرأة بلاط دائمًا في نظر ليدي سوه.

لمعت الحُلي التي تُزيِّن شعر الملكة في ضوء الشمس. توقفت نساء البلاط عن اللعب والتفتنَ ليواجهنَ چين. انتزع فستان چين الغربي الهمسات والتمتمات. توقفت امرأة البلاط التي كانت على وشك إلقاء السهم التالي، لترى سبب هذه الضجة المفاجئة. كانت هذه المرأة هي سُوا. سقط السهم من يدها على الأرض.

التفتت الملكة ببطء إلى چين. حدقت الصبية التي ترتدي الكيمونو على يسار الملكة نحوها أيضًا. خلع ڤيكتور قبعته وانحنى في أدب إلى الملكة. نظرت عينا الملكة الضيقتان إلى ڤيكتور، قبل أن تتوقفا طويلًا على وجه چين ثم تهبطان لتأمُّل فستانها الأرجواني. انحسرت الغمغمة التي سرت بين نساء البلاط، ليعم صمت مشوب بالتوتر.

" صاحب السعادة، مضى وقت طويل على آخر لقاء بيننا!"

"شرف لي أن أراكِ مرة أخرى، جلالتكِ!"

بالنسبة لڤيكتور كان منظر الملكة مهيبًا كأي وقت مضى. أخبره مولندورف أن الملك والملكة أصبحا مقربين هذه الأيام إلى موفَد روسيا. بدا أنهما يحاولان الاستعانة بروسيا لكبح النفوذ الياباني المتنامي في البلاط. كانت سياسة منطقية من وجهة نظر الملكة. مدعومة بفوزها في الحرب مع الصين، ستريد اليابان استخدام حجة الإصلاح لفرض حكومة مؤيدة لليابان، فكرة تهدد استقلالية كوريا. كانت اليابان ترغب في استخدام كوريا كنقطة انطلاق لها لغزو منشوريا. لم يكن بإمكان الملك أو الملكة سوى الامتنان على اتحاد ألمانيا وفرنسا وروسيا ـالدول غير المُرحِّبة بصعود هذه القوة الجديدةـكي تضع حدًا لطموحات اليابان.

"دعيني أرى وجهك، چين!"

چين!

رفعت چين رأسها ببطء تجاه الملكة. كانت هذه هي المرة الثانية التي تقابل فيها الملكة بعد أن منحها الملك اسمها. تساءلت چين طويلًا بما ستناديها الملكة.

"ارفعي رأسك لأعلى أكثر!"

أطاعت چين الملكة. دققت المرأة بزي الكيمونو الواقفة بجوار الملكة النظر في وجه چين أيضًا. تحدثت الملكة مجددًا بنبرة حنونة.

"هل تودين أن تجربي؟"

تململت المرأة بزي الكيمومو في مكانها قليلًا.

"خذي سهمًا! دعينا نرى مهارتك!"

مشت چين وسط نساء البلاط إلى المكان الذي توجد فيه السهام. ناولتها سُوا السهم الذي كانت تمسكه. وهي تفعل ذلك قبضت على يد چين للحظة سريعة قبل أن تتركها. رمت چين التي وقفت بعيدًا يُبرِز هيئتها فستانها الأرجواني، السهم بدقة إلى داخل الجرة البرونزية. صفقت الملكة بمفردها، بينما يراقب الآخرون في صمت.

"چين، أعتقد أن هذه الصبية قد وجدت ندًا ينافسها أخيرًا!"

ظهر عبوس لا يكاد يُرى على مُحيًا ابنة تشوسيل، قبل أن تنحني للملكة انحناة قصيرة.

"سيادة الموفَد هنا، لذا عليّ أن أوليه اهتمامي. فلنكمل اللعب في يوم آخر!" قالت الملكة.

سار ڤيكتور وچين خلف الملكة. تسمرت ابنة تشوسيل في مكانها وهي تمسك بسهم في يدها، حتى اختفت چين عن ناظريها.

كان قصر "غيونشيونغجونغ"، مجمع المباني الذي بلغوه هو أبعد مبنى عن بوابة قصر "غيونغبوكجونغ" الرئيسية. بناه الملك من دون علم وصي العرش وحتى مجلسه الاستشاري الملكي. عندما اكتشف المجلس ذلك، استنكر رجال حاشية البلاط الموالين لوصي العرش بقوة تشييد هذا المبنى. لكن واصل الملك بناؤه على أية حال. قصر داخل قصر. كانت هذه الفكرة تمثل رغبة الملك في الانعزال بنفسه بعيدًا عن ضغوط القصر.

لكن بدلًا من أن تأخذهما إلى داخل مجمع المباني الجديد، قادتهما إلى "باغودا"[٣٩] العطر الفواح. كان الباغودا الرابض فوق جزيرة وسط بركة غاية

---

٤٢ مبنى سقفه متعدد الطبقات يميز المعابد البوذية بوجه الخصوص.

في الجمال حتى من على مبعدة. أوقفت الملكة حاشيتها فوق قنطرة جسر تطل عليه.

"قصر غيونشيونغجونغ هو أول مكان تُركب فيه المصابيح الكهربية في كوريا. بعد مرور تسع سنوات فقط على اختراع رجل يدعى إديسون لها".

نظر فيكتور إلى چين مندهشًا من حديث الملكة المفاجئ عن المصابيح الكهربية.

كان قصر "غيونشيونغجونغ" مبنى متواضعًا مقارنة بقصر "غيونغبوكجونغ" ككل. كان الملك يَفرُّ من اليابانيين إلى قصر "تشانغدوكجونغ" في الأزمات، لكنه سرعان ما كان يعود إلى قصر "غيونغبوكجونغ". فهمت چين لماذا اختارت الملكة "غيونشيونغجونغ" المتواري عن الأنظار ملجأ لها داخل القصر. طبيعته السرية تجعله أكثر أمانًا من أجزاء القصر الرئيسية. ربما هذا هو سبب تردد الملكة في إطلاع فيكتور على المبنى من الداخل. الحفاظ على هذه السرية.

"نستخدم مياه هذه البركة لخلق التيار الكهربائي الذي يولد الضوء داخل غيونشيونغجونغ. لهذا نسميها جميعًا بركة "الماء والنار"".

قبل تركيب المصابيح الكهربية، كان القصر يضاء بالمصابيح الزيتية. كان احتراق الشموع المصنوعة من شمع النحل والشحم الحيواني يتسبب في دخان كثيف ورائحة كريهة.

تذكرت چين الانبهار الذي شعرت به عندما كان يُضاء القصر من الداخل في قلب الليل بنورٍ ساطع كنور النهار. كان رجال حاشية الملك يترددون كثيرًا على "غيونشيونغجونغ" ليتأملوا المصابيح الكهربية بإعجاب.

تأملت چين وجه الملكة بينما تقف ناظرة ناحية الباغودا، لكن آلمها ما رأته فخفضت رأسها بسرعة. لقد تغيَّر وجه الملكة، أدركت چين. لا تزال عيناها الضيقتان وبشرتها الشاحبة الخالية من أي عيب كما هي دائمًا. لكن تلاشى السمو الذي كان يَحجب نواياها الداخلية، ووقفتها الملكية الشامخة. بدلًا من ذلك كان وجهها يكشف عن عصبية واضحة تشي بضغط وتوتر عميقين.

"موفَد بلادكم المؤقت لوڤيڤر رجل مُخيب للآمال".

كانت الملكة تشير إلى مسألة تخصيص مبنى دائم للمفوَّضية الكورية في فرنسا وتعيين موفَد دائم لفرنسا في كوريا. ظل التقرير الذي أرسله الموفَد المؤقت "لوڤيڤر" عن طلب الملك الرسمي بذلك مهملًا على مكتب وزير الخارجية الفرنسي. لم يكن لوڤيڤر مهتمًا أيضًا بهذه المسألة. كان همه الأكبر هو التفاوض على شراء البيوت التي يملكها اليابانيون والملاصقة للكاتدرائية التي يبنيها الأسقف ميوتل.

انحنى ڤيكتور برأسه عاجزًا عن النظر الى عيني الملكة مباشرةً.

لم تنس الملكة أن ڤيكتور قد ناقش معها ومع الملك هذه المسألة عندما طلب الزواج من چين. وفقًا لمولندورف، أعلم موفَد اليابان "ميورا" الملكة أن اليابان تفكر في إنشاء مقر دائم لمفوَّضيتها في كوريا. كانت الملكة تحاول وضع روسيا في مواجهة اليابان لتَحد من تأثير الأخيرة، لكن قريبًا ستعجز عن إبقاء أنف اليابان بعيدًا عن شؤون كوريا.

"أنا متأكدة من أن فرنسا لا تفضل أن يتنامى النفوذ الياباني في هذه البلد الى الأبد".

لكن لا ترغب فرنسا في أن تصبح عدوًا لليابان أيضًا. كانت فرنسا مهتمة باليابان أكثر من كوريا، وبالصين أكثر من اليابان. لهذا كانت فرنسا غير سعيدة بفوز اليابان في حربها مع الصين. لو غزت اليابان "لياندونج"، فسيضعف مركز فرنسا في الصين. لم تكن سياسة فرنسا مختلفة عن سياسة كوريا في دعم الصين عندما تصبح اليابان أقوى ودعم اليابان عندما تصبح الصين أقوى للحفاظ على توازن القوى.

"أحتاج لمساعدتك!"

"جلالتك، مسألة المفوَّضية الدائمة أمر لا يمكن أن يقرره لوفيفر بنفسه. على فرنسا أن تُقرِّر. لست هنا بوصفي دبلوماسيًا أمثل بلدي، لذا لست في مركز يؤهلني لتوجيه النصيحة إليكم".

التفتت الملكة لتواجهه.

"لم تتغيَّر أبدًا.. هل تخطط لاصطحاب تلك الفتاة معك إلى باريس؟"

"بالتأكيد!"

نظر ڤيكتور إلى الملكة مستفهمًا.

"تقول "بالتأكيد!" لكن لو كنتَ متأكدًا هكذا، فلما لم تفِ بوعدك عندما أخذتها بعيدًا؟! في كوريا، ثمة قوانين خاصة بها. إذا أخذت إحدى نسائنا فعليك أن تقيم حفل زفاف رسميًا وأن تعلن أمام الجميع أنها زوجتك! أعتقد أننا منحناك الفرصة كاملة لفعل ذلك!"

كيف عرفت أنه وچين لم يقيما حفل زفاف أبدًا؟ نظر ڤيكتور إلى چين.

"ليس من الضروري أن تنظر إليها!"

كانت چين مصدومة تمامًا. لم يسألها أحد عن ڤيكتور منذ وصولها إلى كوريا، ولم تتحدث بدورها مع أحد عنه. عرفت الملكة بعودة چين إلى كوريا، وأرسلت لها رسالة مع ليدي سوه مرتين تطلب فيها رؤيتها بشكل ودي، لكن لم يُرسَل إليها استدعاء رسمي من القصر. ثم فجأة وصلها استدعاء من القصر هذا الصباح.

"العودة بها إلى هنا دون أن تتزوجها رسميًا تعني أن الفتاة سترجع إلى وضعها القديم".



"وضعها القديم، جلالتك؟"

"عليها أن ترجع امرأة بلاط".

ساد الصمت بين الثلاثة. لهذا علا التجهم قسمات وجه ليدي سوه إذًا، فكرت چين.

"إذا كنت تفكر في أخذ تلك الفتاة معك إلى فرنسا، فلتفعل ذلك بسرعة! لذلك استدعيتك إلى هنا. لا تمتلك سوى القليل جدًا من الوقت. لكن اتركها هذه الليلة هنا معي في القصر! سأرسلها إليك في الصباح".

تركت الملكة ڤيكتور وچين فوق الجسر، ومشت مبتعدة إلى الجهة الأخرى.

لا شيء يمكنه أن يحلَ محلَ صديقٍ قديم.

بعد أن غادر ڤيكتور، أحضرت ليدي سوه سُوا من ساحة لعب التوهو إلى چين. مشت الاثنتان ببطء جنبًا إلى جنب في أرجاء القصر حيث قضتا السنين معًا، إحداهما برداء خادمات البلاط والأخرى بفستان باريسي. في إحدى اللحظات، مدت سُوا يدها وأمسكت بيد چين.

رغم مهام عملها في جناح التطريز، كانت تُستدعى سُوا أحيانًا لمراقبة الملكة أثناء نومها. كانت الملكة تغيِّر خادماتها الليليات، عندما تشعر أن وجوههن باتت مألوفة للغرباء. كما كانت الملكة تغيِّر باستمرار مكان نومها، ولم تكن نساء البلاط تعرف إلا في وقت متأخر جدًا أين ستنام الملكة الليلة. كان الملوك معروفين بهذا، لكن لم يحدث من قبل أن اتخذت ملكة كل هذه الاحتياطات.

كلما استعدت الملكة للنوم، كانت تتأكد من أن هونغ جايهون يحرس حجرتها. كان هذا هو الرجل الذي ساعدها على الهروب من الجنود الخونة أثناء عام الحصان الأسود.

"لا تشعر بالأمان سوى في وجود الجنرال "هونغ جايهون" إلى جانبها".

لم تستشعر چين يأس الملكة وخوفها عندما شرح لها بول شوي الموقف، لكن سماع الأخبار من سُوا كان له وقعٌ آخر.

عندما قادتهما الملكة إلى الباغودا، كانت تلتفت وراءها باستمرار كأنها تخشى من وجود شخص ما يتعقبها. كانت چين تلتفت بدورها. لاحظت صفًا من الحراس يحيط بالمكان على مقربة منهم. فقط حين أبصرتهم الملكة، بدت أقل توترًا. هل تشعر الملكة بأن حياتها مُهددة لدرجة أن القصر نفسه لم يعد آمنًا بالنسبة إليها؟! انتقل خوف الملكة إلى چين، حتى كادت تنهار ركبتاها في أي لحظة.

لاحقًا هذه الليلة، أتت الليدي سوه لتقود چين من مسكن سُوا ليس إلى قصر "غيونشيونغجونغ" بل إلى جناح الملكة. رغم سؤال چين المتكرر، لم تفصح لها ليدي سوه عن وجهتهما. عندما وصلا أمام جناح الملكة، تمتمت ليدي سوه أخيرًا:

"لم تنم الملكة هنا منذ وقت طويل".

وقفت چين أمام جناح الملكة حيث أدت رقصة "أوريول الربيع" من أجل الملكة، قبل أن ترحل إلى باريس. كانت سُوا تتبعهما طوال الطريق إلى جناح الملكة غير راغبة في فراق چين، لكنها اضطرت للانتظار في الخارج فقد منعها الحراس من الدخول. حينها فقط، أفلتت يد چين.

قادت ليدي سوه چين إلى داخل جناح الملكة حيث تسمرت چين في مكانها فجأة. كانت الملكة تجلس على فراشها الذهبي بثياب نومها البيضاء وقد نُزعت حُليّ شعرها، فانسدلت ضفيرة شعرها الأسود الطويل على كتفها.

رفعت الملكة رأسها.

"اجلسي!"

جلست چين أمام الفراش الذهبي.

"اقتربي أكثر!"

فعلت چين كما أمرت.

"نامي هنا معي الليلة!"

"جلالتكِ...!"

"نعم، أعلم أن هذا غير مقبول. سمعت عن الأشياء غير المقبول بها مئات المرات. لست بحاجةٍ إليكِ لتذكريني بها. أعلم أن بداخلك أشياء كثيرة تودين قولها لي، أليس كذلك؟ يمكننا الحديث طوال الليل دون أن نملك الشجاعة كي نقول ما نتمنى قوله حقًا. متى ستتاح هذه الفرصة لنا مرة أخرى؟ لا تحدثني معي عما هو غير مقبول! ألم نتشارك الفراش نفسه في ليالٍ كثيرة أثناء عام "الحصان الأسود"؟"

عام "الحصان الأسود".

أسكت ذكر الملكة لعام "الحصان الأسود" قلب چين المضطرم بالهواجس. لم يتشاركا فقط الفراش نفسه، بل وأحيانًا نفس الغطاء. ثمة أيام كانت الطريقة الوحيدة لتعرفا أنهما لستا وحيدتين هو الإحساس بدفء جسد الأخرى. تتذكر چين كيف كانتا ترقدان جنبًا إلى جنب، وتتأملان ضوء القمر المتلألئ المتسلل عبر الحاجز الورقي للأبواب المنزلقة.

"أمرت خادمة بأن تجلب بعض الماء كي تغتسلي!"

حضرت الخادمة وغسلت چين يدها في الحوض المعدني الذي حُفِرت الحروف الصينية على قاعدته لجلب الحظ. غسلت وجهها أيضًا. كانت تتنفس بصعوبة، لذا أخذت لحظة كي تحدق في المياه فقط وتهدّئ من روعها. بعد ذلك خلعت فستانها وارتدت رداء النوم. أزاحت الملكة التي استندت برأسها على وسادة مُطرزة برسمة لدرع سلحفاة، حافة الغطاء بيدها كي تنضم إليها چين. جلست چين بجوار الملكة.

هاهي الملكة ترقد بجوارها على بُعد ذراع منها. يمكن لچين أن تشم رائحتها الخافتة التي لا تخطؤها أنفها. تحت الغطاء، وضعت چين يدها فوق قلبها. كانت قريبة جدًا من الملكة ـ كما تمنّتْ خلال سنوات الهجر تلك ـ ومع ذلك شعرت بأنها وحيدة تمامًا كما شعرت عندما تاهت في المشرحة قرب نهر السين، وعثر عليها موباسان في القبو أسفل السلم.

"راودني حلم ليلة الأمس. دخلت إلى باغودا وقت الفجر، لكنه كان خاليًا. رأيت حزمة من الحرير هناك ففتحتها. كان مكتوبًا بداخلها اسمُ شخص أعرفه جيدًا. كنت أقرأ الاسم عندما سمعت صوتًا يخبرني أنها ـ

صاحبة الاسم-قد ماتت. اجتاحني الحزن وبدأت أبكي. شعرت أني أموت".

"إحساس غريب أن ينتابكِ شعورٌ بالحزن كأنكِ ستموتين، مع ذلك عجزت عن تذكر الاسم الذي قرأته في الحلم عندما استيقظت. مهما حاولت، لا يمكنني تذكر الاسم رغم كل الألم الذي سببه لي. لا يمكنني أن أتذكر آخر مرة نمت فيها أثناء الليل من دون انقطاع. استمر في سماع أصوات خطوات أقدام. أرى جنودًا يابانيين أو صينيين مدججين بالسيوف. في إحدى المرات رأيتك".

ضغطت الملكة على جبهتها. إحدى عاداتها عندما تشعر بالقلق. *لو حاولت النوم وهي تفكر في أشياء سعيدة، ربما لن تحلم بمثل هذه الكوابيس*، فكرت چين.

سيطر الاضطراب على الملكة في رقادها. في النهاية جلست.

"أعتقد أنني أحتاج لتدخين سيجارة".

أخبرتها ليدي سوه أن الملكة قد ترغب في التدخين إذا أصابها الأرق. في الماضي كانت الملكة تطلب من چين أن تقرأ لها في الليالي المؤرقة. قرأت چين عشرات الكتب للملكة عبر السنين. بدا أن صوت القراءة لم يعد كافيًا لمساعدة الملكة على النوم. نهضت چين وأشعلت إحدى السجائر الملفوفة على الطاولة وقدمتها إلى الملكة. كان نقش الزهرة على نهاية السيجارة متقنًا. بينما تمتلئ الحجرة برائحة التبغ، وصل صوت الملكة، أهدأ الآن، إلى أذني چين من جديد.

"إذًا، ماذا يقولون عني خارج جنبات القصر؟ بمَ ينعتوني؟ شيطانة ثعلبة، أليس كذلك؟ شيطانة ثعلبة جعلت الملك يقف في وجه أبيه، وجلبت الصينيين إلى داخل البلاط كي تحافظ على مركزها فقط؟ شيطانة ثعلبة قتلت الفلاحين الأبرياء بسيوف اليابانيين؟"

"جلالتكِ...!"

منفطرة القلب، قبضت چين على خاتم الكرونيكل بين أصابعها. كان الخاتم الذي منحتها إياه الملكة قبل رحيلها إلى فرنسا. شاهدها ڤيكتور في صمت وهي تضعه في إصبعها وهما يستعدان لرحلة العودة إلى كوريا. لم ترتديه في باريس أبدًا.

"هل يبدو لك الأمر كذلك، بالنسبة لشخص عاد للتو إلى هنا بعد أن أطلع على بلد جديد وتنفس هواءً مختلفًا؟"

لم تكن الملكة أبدًا شخصًا يحب إظهار ما يفكر فيه حقًا هكذا. عندما ينتابها الشك حيال ما ينبغي قوله، كانت تلتزم الصمت وتدع الآخرين يتحدثون. في السابق كانت الملكة شديدة الفطنة، تزن الأمور من جميع الجهات وتتبع المنطق في تفكيرها.

"حدثني هونغ جونغ-يو عن تأقلُمك على الحياة في فرنسا. يقول إنكِ موهوبة في ترجمة القصص الكورية إلى الفرنسية. كيف حصلت على الكتاب الكوري الذي أرسلتِه إليّ معه؟"

"من خلال رسام يدعى ريجامي في فرنسا، جلالتك! عثرت عليه في إستوديو الرسم الخاص به. لم يكن يعرف إنه كتابٌ كوري. يوجد الكثير من باعة الكتب بطول نهر السين. أخبرني أنه اشتراه بدافع الفضول فقط.

سمح لي بأن آخذه في مقابل رسم لوحة لي. يحتفظون بالكتب التي سرقها الأسطول الفرنسي من جزيرة غوانغهوا في مكتبتهم".

"هل رأيتها؟"

"نعم!"

"كيف لكتاب ثمين كهذا أن ينتهي بين يدي بائع كتب مستعملة في فرنسا؟!"

ناولتها الملكة عقب سيجارتها الذي كان لا يزال يحوي بعض التبغ. أطفأته چين ووضعته على الطاولة.

استلقت الملكة على الفراش من جديد، وأغمضت عينيها.
بالنسبة للبعض، ليلة بأكملها قد تبدو مثل لحظة قصيرة.

"لقد قرأت قصص موباسان التي ترجمتها. هل هذه هي كل ما كتب؟"

"لا، جلالتكِ! هي مختارات فقط. أخشى أنني لست جيدة بالقدر الكافي كي أترجمها جميعًا".

"أرى ذلك. شعرت أن هنالك بقية لهذه القصص. لم تعجبني القصص. كيف يمكن لحياة امرأة أن تصبح بلا معنى بسبب حبها لرجل واحد؟ يبدو لي أن من المُحزن أن تولد امرأة هناك، على الجانب الآخر من المحيط، تمامًا كما هو الوضع هنا!"

"لم تكن فرنسا دائمًا مكانًا للمساواة بين الرجل والمرأة. منذ عشر سنوات فقط، كان ممنوعًا على المرأة أن ترتاد المقاهي. حتى الآن، بعض المقاهي تسمح للرجال فقط بالجلوس في الداخل، لكن لا يمكن للنساء

الجلوس سوى على المناضد في الخارج. ربما لأن الكثير من البشر المختلفين في الشكل واللون يعيشون هناك، تعاني فرنسا من التمييز العنصري أيضًا. لكنهم يمتلكون تسامحًا لا نمتلكه هنا في كوريا".

"تسامحًا؟"

"للمرء الحرية في التفكير بشكل مختلف، والحياة كما يشاء. أسلوب يحترم الطريقة التي يفكر ويعيش بها الآخرون. يبدو أن الباريسيين يشعرون بالفخر لأنهم مختلفون عن الشعوب الأخرى. ذلك التفكير هو ما مكنهم من تشييد برج إيفل وبناء المستشفيات والمُجمَّعات التجارية والأسواق، وأن يخرج من بينهم الأطباء والفلاسفة والرسامين والكُتَّاب".

"ما هو أهم شيء يجب أن تحاكي فيه كوريا فرنسا؟"

"إنشاء المدارس وتعليم الأطفال القراءة".

أطلقت الملكة تنهيدة عميقة متعبة. استطردت چين:

"أؤمن أن تعليم الأطفال الأميين القراءة هو المهمة الأكثر إلحاحًا الآن. في باريس، شعرت أن أهم شيء هو مساعدة الناس على التعبير عن أفكارهم بحرية. منح الفرصة للشعب للانفتاح على العالم وتعلُّم طرق جديدة سوف يساعد كوريا على تقوية نفسها كدولة".

"كم سيكون تحقيق ذلك مثاليًا!"
تنهدت الملكة من جديد وهي تتقلب تحت الغطاء.
"وكيف كان يتصرف هونغ جونغ-يو في باريس؟"

"لم يخلع رداؤه الكوري أبدًا، وكان يحمل معه صور الملك دائمًا. لم يتخلَّ أبدًا عن ولائه لكوريا. كوريا بلد غامض بالنسبة للفرنسيين. لقد حاول أن يخبرهم عنها بقدر الإمكان".

"كان يحمل صورًا للملك؟!"

"أجل، أخبرني أنه ينظر إليها عندما يمر بأوقات صعبة".

لم تذكر چين للملكة أنه يحمل صورة لوصي العرش أيضًا. تذكرت چين كيف تلوَّن وجه هونغ بالأحمر، عندما رفضت عرضه بالاحتفاظ بالصور حين زارها قبل مغادرته باريس.

"كيف كانت علاقته بكِ؟"

"ساعدته في الترجمة".

"هذا كل شيء؟"

"نعم، جلالتك!"

"لقد قدم التماسًا إلى الملك. وأرفقه بقائمة مُفصَّلة بالخطايا التي ارتكبها موفَد فرنسا في حق راقصة بلاط كورية. لا جدال في قانونية الالتماس!"

هل فعل هونغ جونغ-يو ذلك؟! هل يعلم بوجودها في كوريا الآن؟ أدركت چين فجأة أنها تشعر بثقل يضغط على صدرها كلما فكرت فيه.

"متى كنت تشعرين بالوحدة أثناء وجودكِ في فرنسا؟"

"عندما رغبتُ في معرفة مَن أنا!"

"حسنًا، من أنتِ إذًا؟"

"لا أعرف من أنا! أنا مثل الغبار. مثل العشب. مثل الغيوم...."

"في النهاية نحن جميعًا لا شيء"، قاطعتها الملكة منهية جملتها.

كان تصريح الملكة مثل تنهيدة أخيرة أكثر عمقًا. التفتت چين لتنظر إليها. كانت الملكة نائمة. استندت چين على مِرفقها، ونظرت إلى وجه الملكة. عندما انتظم تنفُسها، رفعت چين برفق يد الملكة عن جبهتها وأراحتها على الفراش.

الأرق يشبه انتظار شخصٍ لن يصل أبدًا.

شعرت چين باستيقاظ الملكة ثلاث مرات خلال الليل. كانت تجلس هناك في الظلام مستغرقةً في التفكير.

في المرة الأولى، كانت تنهيدات الملكة العميقة تداعب وجه چين.

في المرة الثانية، أشعلت الملكة سيجارة ثانية. متى بدأت الملكة تدخن؟! تساءلت چين وهي تستنشق الدخان الكثيف وتتأمل بعينين ضيقتين وجه الملكة من خلاله. كان شعر الملكة في ضفيرته السميكة منسدلًا على كتفها، أكثر سُوادًا من ليلة الأمس.

في المرة الثالثة التي استيقظت فيها الملكة خلال الليل، رفعت إحدى ركبتيها وأسندت أحد ساعديها عليه، ووضعت يدها على جبهتها. أثناء سرحانها في التفكير، كانت الملكة تضغط على التجعيدات حول مَحجري عينيها.

الآن التفتت الملكة إلى چين وسألتها:

"هل لا زلتِ نائمة؟"

كان قلب چين مزدحمًا بالهموم، فلم تستطع الإجابة.

لم تكن الملكة وحدها من تغيَّرت بل چين نفسها أيضًا. عجزت چين عن إنقاذ الملكة من الهوة التي تقف على حافتها، رغم كل الأشياء التي رأتها وتعلمتها في باريس. أدركت چين أخيرًا أنها لم تستطع إرسال الرسائل الكثيرة التي كتبتها في باريس إلى الملكة، لأنها كانت تعرف في داخلها أنها لن تستطيع مساعدة الملكة.

عندما لم ترد چين على الملكة، قالت:

"لا بُد أنك نائمة!"

أطالت الملكة النظر إلى ملامح وجه چين كأنما تراه لأول مرة.

"كم أنا وحيدة!" رثت الملكة حالها بصوتٍ هامس لم يخلو من حُرقةٍ.

"كنتُ في الخامسة عشر عندما دخلت البلاط. قبلني وصي العرش كزوجة ابنه، وعاملني كابنة له، ربما لأنني كنت بلا أهل. لو كان يتمتع والداي بالسلطة، ربما كان ليُحجِم عن تقريبي منه. لا بُد أنه استشعر كم أنا وحيدة. عندما وصلتُ إلى البلاط كان قلب الملك في مكان آخر. لم يكن يتفضل عليَّ حتى بنظرة. كانت سَلْواي الوحيدة، أثناء وجودي بالقصر، هي القراءة أثناء الليل. كنت أقرأ حتى تدمع عيناي من الإرهاق. مرت السنوات. كنتُ حزينة ووحيدة، لكنني، مقارنةً بالآن، كنت أنعم بالسلام. أنجبتُ أميرًا، لكن سرعان ما سرقه الموت مني بعد خمسة أيام فقط. قطعتُ عهدًا على نفسي بأن أبني درعًا عازلًا بيني وبين كل شيء. شعرت أنني سأتحطم لو لم أفعل ذلك. مدحني الجميع على صلابتي وتحمُّلي. لكن المديح وحده لا يكفي للنجاة. كانت الطريقة الوحيدة للنجاة هي إنجاب ولد آخر، وريث للعرش. كانت هذه هي البداية بالنسبة لِي. مهما حدث، عجزت عن الوثوق في أي أحد سوى نفسي. وهكذا بدأ كل شيء بتصميمي على النجاة.

في النهاية بدأ ينعتني مَن كان يمدحني بالاستقامة، بأنني متآمرة. وبدأ من كان يتغنَّى بحكمتي في وصفي بالخبث. قالوا إنني لم أرث قوة وصي العرش، بل سرقتها منه! أن الفوضى عمَّت البلاد لأن ملكة تجرأت وسيطرت على الملك وباتت تحكم هي! أليست الحقيقة أن وصي العرش هو مَن تخلَّى عن سلطته بسهولة؟ *بالتأكيد لا! أنا المذنبة* لكن لا أحد يهتم بذلك.

كانت أمنيتي الوحيدة أن تكون نجاتي نجاة للشعب كله. هل كانت تلك الأمنية شديدة الانحطاط؟ الآن أدرك أن نجاتي جلبتْ لهم المعاناة مثلما حدث في عام "الحصان الأسود" والانتفاضة في عام "القرد الأزرق". أردت أن أفتح أبواب كوريا على العالم، لأنني اعتقدت أن سياسة العزلة التي انتهجها وصي العرش قد أضرَّت حقًا بالبلاد. أردتُ تقوية كوريا. لكن انقلبت الآية، وأصبحت قصة استعين فيها بالجيوش الأجنبية لقتل شعبي. كيف تغيَّرت القصة هكذا؟ أين أخطأتُ حتى بات الطريق الذي اخترته هو طريق الأشواك والحيوان الذي اخترت أن أمتطيه نمرًا...؟ لا يمكنني أن أضع يدي على هذا!"

توقفت الملكة عن رثائها المؤلم.

"هل لا تزالين نائمة؟" عاودتْ السؤال.

مدت يدها وربتت على وجه چين.

استلقت الملكة على الفراش مرة أخرى. شعرت چين بتقلُّب الملكة لساعات، عاجزة عن النوم. هل كان الأرق يصيب الملكة هكذا كل ليلة؟

مضى وقت طويل قبل أن ينتظم تنفُسها مرة أخرى. رقدت چين في صمت وسكون تامين كي لا تزعج الملكة. كانت ذكريات الماضي وقلاقل الحاضر تأتي إلى چين وتذهب كأمواج البحر، مع تنفُس الملكة.

غادرت چين جناح الملكة وقت الفجر. بدت لها أحداث الليل أشبه بحلم. توقفت أمام البوابة المزدوجة لجناح الملكة ونظرت ورائها. قريبًا، سيبزِغ النهار، وستضع الملكة على وجهها قناعها البارد من جديدٍ مخفيةً الضعف الذي أظهرته أثناء الليل، وستدوس بخفة على كل شيء أمامها.

كان مخدع ليدي سوه مضاءً رغم الوقت المبكر. عندما أعلمتها خادمة بوصول چين، لم تدعوها إلى الداخل بل خرجت إليها بنفسها. كانت قد ارتدت بالفعل زيها الرسمي بعناية، وهي تمشي نحو چين بردائها الحريري الأخضر ونعلها الساتان الأزرق.

"سيلتقي هونغ جونغ-يو بالملك اليوم. عليك أن تقابليه قبل رحيلك!"

"هل الوضع خطير لهذه الدرجة؟"

رمقتها ليدي سوه بنظرة قاسية.

"كيف تجرأت على أن تأتي إلى البلاط بثوبٍ كهذا؟"

كانت ليدي سوه معترضة على الفستان الباريسي الذي لم تبد حتى الملكة استيائها منه. قوّستْ چين أصابع قدميها داخل حذائها وأمسكت بخاتم الكبرونيكل في يدها.

"لا تنس أن هذا بلاط ملكي!"

"هل تريدين تذكيري بأنني كنت امرأة بلاط في يومٍ ما؟"

"لا تزالين امرأة بلاط. هل نسيتِ قوانيننا؟ حتى لو غادرت امرأة بلاط القصر، يظل عليها العيش وفقًا لقواعده. هذا هو قدرها الأبدي. ألم تفهمي بعد؟! لماذا عاد بك الموفَد إلى هنا؟! لم يتزوجك. لن يفيدك العيش في عالم آخر الآن. لماذا، لماذا عدتِ؟! ألم تكوني تعرفين ان في اللحظة التي ستعودين فيها إلى هنا، سيجب عليكِ العودة إلى وضعكِ السابق؟"

"..."

"لقد قابلتُ موظف البلاط هونغ مرتين لكنه يرفض أن يستمع إليّ. لا أفهم لماذا يصرُّ على إثارة هذه المسألة، بينما الجميع مستعد لنسيانك! هل ثمة شيء حدث بينكما؟ سيُطلَب من الملك أن يصدر قرارًا بشأن موقفك. يعطي الملك أذُنَه لكلام هونغ بعد أن قتل كيم أوكغيون من أجله. لا يخشى هونغ أي أحد حتى اليابانيين، ويطالب علنًا بإعدام أي رجل من حاشية البلاط تُسوِّل له نفسه إهانة الملك. إذا واصل إصراره على التشكيك في وضعك، لن يمتلك الملك خيارًا سوى الإنصات إليه".

رغم القسوة في كلمات ليدي سوه، صافحت يد چين في تعاطف.

"يجب أن تقابلي موظف البلاط هونغ. لقد قدمتِ له المساعدة في فرنسا، لذا ألا تعتقدين أنه سيسحب عريضة التماسه إذا قابلك؟ إذا واصل مساعيه هذه، فسيمتد الأذى للموفَد أيضًا. أنت في مأمن طالما لم يُذكر اسمك أبدًا، لكن ترديد اسمك باستمرار سيجبر الملك على اتخاذ قرار في النهاية. ماذا سيحدث للموفَد؟ الطريقة الوحيدة هي إسكات موظف البلاط هونغ ومغادرة كوريا فورًا. الطريقة الوحيدة لنجاتكِ، هي أن ينساكِ الجميع. لا أكف عن التفكير في موظف البلاط هونغ. لقد سافر إلى شانغهاي وقتل كيم أوكغيون. فكري فيما يمكنه فعله! لا بُد أن

اجتماعه الصباحي يجري الآن وأنه قد شارف على نهايته. دعينا نذهب إليه معًا!"

قادتها ليدي سوه. أدركت چين أن ليدي سوه لم تدعوها إلى داخل مسكنها لأنها تمنَّت ألا تضيعا الوقت وأن تذهبا لرؤية هونغ جونغ-يو في أسرع وقت. بالكاد كان يمكن لچين تذكُر آخر مرة ابتسمت فيها ليدي سوه.

نادت چين عليها.

"سأذهب بمفردي!"

التفتت ليدي سوه ونظرت إلى چين نظرة طويلة.

(٣)
الرسالة الأولى:
"طنجة، المغرب"



عندما بدأ الصيف، أحضر مترجم المفوَّضية الفرنسية بول شوي رسالة من ڤيكتور إلى دار الأيتام.

"چين،

أنا في طنجة، المغرب. كنت منشغلًا بالتأقلم مع الحياة الجديدة هنا منذ وصولي. حاولت الكتابة لك مبكرًا، لكنني أخشى أنني لم أستطع وضع القلم على الورق والكتابة لك سوى الآن.

على غرار كوريا، البلد هنا واقعة بين براثن قوى أجنبية متصارعة. كنتِ ستندهشين من وجود دولة أخرى في وضعٍ مشابه لكوريا.

أمطرت طوال اليوم. باستثناء زياراتي المتكررة إلى المستشفى بسبب التهاب الحنجرة الذي ينتابني كلما أنهكني التعب، بدأت الأمور تستقر. لكن التفكير فيكِ يجعلني أشعر كأنني أقف أمام محيط حالك السواد في قلب الليل.

أخبرتني أنكِ لن تعودي إلى البلاط أبدًا، لكن لا أعرف ماذا حدث لكِ منذ رحيلي. أنا أيضًا أعتقد أن ليس من الصواب أن تعودي إلى القصر.

لا يمكنني أن أقول أي شيء لأبرر به قدومي إلى هنا بدلًا من أن أكون بجوارك. هذا هو السبب الحقيقي الذي منعني من الكتابة إليكِ. كم أنا شخص مثير للشفقة! أتساءل ماذا حدث لكِ إذا لم تكوني قد عدتِ إلى القصر. هل أنتِ في دار الأيتام؟ لا أدرى كيف تركتكِ ورائي في ملحق المفوَّضية ورحلت. أرسل هذه الرسالة إلى هناك أملًا أن يسلمها أحدهم إليكِ.

قضيت أربعة أيام في باريس، قبل أن أُبحِر من مارسيليا.

كانت المغرب خاضعة لنفوذ الألمان لمدة طويلة. يمكن الشعور بذلك في كل مكان هنا. مهمتي هي تقوية الوجود الفرنسي في هذه البلد. كما كان الحال في كوريا، لا يمر يوم دون وقوع حادثةٍ ما. بالإضافة إلى الألمان يزداد النفوذ الإنجليزي هنا يومًا بعد الآخر، مما يجعل الأمور أكثر تعقيدًا.

قضيت معظم وقتي أفكر كيف وصلنا إلى هذا الوضع. لقد أحضرتكِ إلى كوريا كي تُشفي من مَشيكِ أثناء النوم. لا أدرى كيف انتهى هذا إلى وجودي بمفردي في هذا المكان. أحيانًا أفكر أن من المفترض أن تكوني هنا في المغرب معي إذا لم آخذكِ إلى كوريا، وأحيانًا أفكر أنكِ كنتِ تعرفين كل ما حدث مسبقًا. هل كنتِ؟! كيف تقبلين بوضعكِ الآن إذا لم تكوني تعرفين؟

أعتذر.

أنا مَن رحل، ومع ذلك ألومكِ كأنما أنتِ مَن أرسلتني بعيدًا. كم هذا غريب! أنا من تركتكِ هناك لكني أشعر أنك أنتِ مَن هجرتني. هذا الوضع يحطم قلبي. لقد بدأتُ الحديث في شيء لا يمكنني أبدًا وضع خاتمة له. فلتعرفي شيئًا واحدًا: لم ننته بعد! أينما كنتُ، أنتِ زوجتي، وأنا هنا فقط في مهمة رسمية. التفكير في ذلك يريحني. عندما يسمح الموقف، سأعود إليكِ.

جين،

المغرب أرض المنازل البيضاء. أرض الصحراء الكبرى التي لا نهاية لها، وجبال الأطلس الوعرة والبحر المتوسط بمياهه الزرقاء. يختلط الأوربيون بالعرب والأفارقة، ويختلط المسيحيون بالمسلمين. لو كنتِ هنا معي، كانت عيناكِ الماهرتان ستمتلك الكثير من الأشياء لاستيعابها. كنا سنقابل أناسًا جددًا ونشاهد أشياءً جديدة. ومَن يعرف؟! ربما كنا وُلِدنا من جديد وبدأنا صفحة جديدة. أحيانًا أفكر في المرة التي ذهبنا فيها إلى غابة بولونيا معًا. أتذكر كم كنتِ مفجوعة لرؤية الإفريقيين المعروضين في الغابة.

الأشخاص هنا يجلسون في حجرات صغيرة رطبة مفروشة بسجاجيد منسوجةٍ يدويًا. أيديهم سريعة وماهرة. السجاجيد غريبة وجميلة في الآن نفسه. كنت لتحبيها أيضًا. هنالك قرى بأكملها عبارة عن مصانع لدبغ الجلود، ومنسوجاتهم اليدوية استثنائية. اشتريتُ سجادة يقال إنها نُسِجتْ منذ مائة عام وأرسلتها إلى باريس. سترينها يومًا ما.

ندمي الوحيد أننا لا نستطيع تشارك هذه اللحظات معًا. جين! رجاءً انسِ كم كنتُ قاسيًا معك قبل أن أغادر كوريا! لا يمكنني أن أقبل بوضعنا بالسهولة التي فعلتِها أنتِ وقتها.

سأعملُ باجتهاد كي تنجح مهمتي هنا. أتطلع لليوم الذي سنتقابل فيه مرة أخرى. كوني بخير حتى ذلك الوقت!

الثاني من مايو ١٨٩٥م

غيلين

طنجة، المغرب".

(٤)

الرسالة الثانية

"رجاءً، انساني"

بعد أن استلمت جين رسالة ڤيكتور وقرأتها، أشعلتْ مصباحًا. على ضوئه كتبت ردًا، وأعطته إلى بول شوي في اليوم التالي كي يرسله إلى طنجة.

"غيلين،

استلمتُ الرسالة التي بعثتها من طنجة.

كنتُ قلقة على رحلتك، الرحلة التي أخذتها في عجلةٍ مغادرًا كوريًا، لكن رسالتك هدأت قلقي. لقد افترقنا كأننا لن نرى بعضنا البعض مرة أخرى، لذا أنا ممتنة لأنك اهتممت بكتابة مثل هذه الرسالة، التي لا بُد أنه كان من الصعب عليك كتابتها. الآن يمكنني الشعور حقًا براحةِ البال.

لقد تدخلّت الملكة كي لا أُضطر للعودة إلى البلاط. لا تلوح في الأفق بشائرُ انفراجةٍ لوضع كوريا. لقد غادرتُ مفوّضية فرنسا بعد فترة وجيزة

من رحيلك. لم تكن بيتًا لي مِن دونك. انتقلتُ إلى البيت الذي كبُرت فيه في بانشون. بيت كوري تقليدي أرضي (من طابق واحد). خلفه تنمو أجمَّة من أشجار البامبو. يوجد في البيت مطبخٌ مزوَّدٌ بفرنٍ ويتكوَّن من عدةِ حجرات. لم تسنح لي الفرصة أبدًا لزيارة المكان الذي ولدتَ فيه، قرية بلانس، لكن لم أتمكن أنا أيضًا من اصطحابك لزيارة هذا البيت.

حياتي مشابهة لما كانت عليه في المفوَّضية قبل رحيلنا إلى باريس. أذهب إلى دار الأيتام نهارًا لأُعلِّم الأطفال القراءة. أُعلِّم الكورية أيضًا لعدد من الراهبات الفرنسيات اللاتي يرغبنَّ في التحدُّث بلغتنا.

لو نسي أمري هونغ جونغ-يو، أؤمن أنني سأستطيع فعل ما أريد. لا تقلق بشأني! ورجاء، اقرأ بحرصٍ ما سأكتبه الآن:

كنتَ طيبًا معي. كنتَ مخلصًا وحاولتَ ألا تدعني أرحل. كان ذلك كافيًا بالنسبة لي. لا تلوم نفسك على عجزك عن الإيفاء بوعودك! ولا تكن قاسيًا مع نفسك إذا كان عشقك لي قد بَرُد قليلًا! لم أقل لك هذا من قبل؟! لكنني أعرف كم جعلتكَ تنتظر طويلًا كي أحسم قراري رغم موافقة الملك على ارتباطنا. لو كانت مشاعرك نحوي مجرد نزوةِ جسدٍ، لما كنت انتظرتني كل هذا الوقت! لم ولن أنسى أنكَ انتظرتَ من أجلي.

أحيانًا عندما كنت لا أستطيع تحمُّل البقاء معك، كنت أُذكّر نفسي كم انتظرتني. السبب الذي جعلني أتقبل رحيلك، هو أنني قبلت مشاعرك نحوي. لو لم أدعك ترحل، لكنا مثل مياه جارية، الركود هو مصيرها الحتمي!

كنت سعيدة لأنني عشت كـ "أنا" وليس كـ "خادمتك" في بلادك. حتى لو نسيت برج إيفل أو اللوفر، فلن أنسى أبدًا الباريسين المفعمين بالحرية

والصخب، وهم يسيرون في شوارع المدينة. رؤيتي لڤينست يحقق أحلامه، ووجودي هناك عندما أدركت چان الحبيبة حبها لڤينست، كل هذا جعلني سعيدة جدًا. تمكنتُ من رؤية أوجه عديدة من بلادك من خلال عطف مدام بلانشارد، وحكمة موباسان وقُنوطِه الذي أودَى به إلى تدمير ذاته. تعلّمتُ معنى الإحسان: أن نستعمل قوتنا لنحمي من لا قوةَ لهم. وتعلّمتُ معنى الحرية: الإحساس بأنني أحيا حياتي بالطريقة التي أريدها.

لقد عشتُ في القصر منذ كنتُ فتاة صغيرة. عشتُ هناك خائفةً من أن أُهشّم الأشياء من حولي. والأهم أني عشتُ خائفة من أنْ أحسَّ بـ " أنا" التي بداخلي. رغم إثارة العيش في البلاط، كانت المعاناة تكويني، مثلما تكوي النار الفؤاد.

غيلين،

يمكنك الآن أن تدعني أرحل. أفهمُ ما عنيتَه حين أخبرتني أنكَ لا تعرف إذا كنتَ لا تزال تحبني أم لا. لم أسيء فهمك. لستُ مستاءةً منك لقولك ذلك. أعرف الآن صراعك الداخلي، وإصرارك على ألا تتخلى عني. لأن هذا أيضًا كان صراعي من البداية. لم أعرف إذا كنت أحبك أم لا، لكنني أدركتُ أنني لا أستطيع تركك، لكن هذا لأنني كنتُ "خادمتك" بطريقةٍ ما.

بعد رحيلك، ندمتُ بشدة على رفضي أمنيتَك الأخيرة بأن تمشطَ لي شعري. كنتُ خائفةً أن تندم على قرارك بالرحيل. لكن لو لم تشعر بقدرٍ ولو ضئيلٍ من الندم، فماذا سيكون معنى السنوات التي قضيناها معًا؟ كنت حمقاء لتفكيري هكذا في تلك اللحظة.

الحقيقة أنك قد منحتني الكثير، لكني لم أمنحك حتى هذه الأمنية الأخيرة. كنت أظن أنكَ الأقوي وأنني الأضعف. لا بُد أن هذه الفكرة لم تفارق رأسي أبدا طوال علاقتنا: أنكَ فرنسي وأنني كورية. لكن في الحقيقة، أنتَ وأنا كنا في النهاية مجرد رجل وامرأة.

غيلين،

دع لي چين ترحل وكُنْ حرًا! حينها فقط سأصبح حرة أنا أيضًا. سأظل قلقة دائمًا بشأن التهاب حنجرتك، حتى لو لم أركَ مرة أخرى أبدًا. وسترغب أنت دائمًا في تمشيط شعري، حتى لو لم ترني مرة أخرى.

وذلك يكفي.

الثالث من يونيو ١٨٩٥م

لي چين

كوريا".

(٥)
باسمِ الحبِ

وقف شخصٌ أسفل شجرة المشمش في فناءِ بيتٍ "بانشون".

حدقت چين في طيف هذا الشخص، الذي بدا أنه ينظر إلى البيت المُعتم باهتمام. أشرق وجه چين عندما أدركت أنها سُوا. رغم الظلام، تعرفت عليها چين فورًا. نادت على اسم سُوا ببهجةٍ وهي تدفع البوابة المنخفضة للبيت.

"لماذا تقفين في الخارج هكذا بدلًا من الدخول؟"

لم تتحرك سُوا التي كانت تحمل معطفًا نيلي اللون مطويًا بعنايةٍ في يدها، من مكانها أسفل شجرة المُشمش. لم تتفوّه أيضًا بأي كلمة ردًا على چين. أضاءت چين مصباحًا فوق عتبة البيت، والتفتت إلى صديقتها من جديد.

"كيف غادرتِ القصر؟"
مشت سُوا حتى عتبة البيت وجلست بجوار چين.

عندما علمت المرأة سوه أن يون اشترى البيت القديم في "بانشون"، ساعدت چين على الانتقال إليه من مسكنها في المبنى المُلحَق بالمفوَّضية الفرنسية. قلقةً من إقامتها بمفردها في البيت، طلبت المرأة سوه من يون الانتقال للعيش معها. تأتي المرأة سوه إلى البيت من حين إلى آخر لتطهو الطعام لثلاثتهم، مما كان يشعرهم بأنهم قد عادوا إلى ذلك الزمن حين كانوا يعيشون معًا في "بانشون" أسرة واحدة، بعد أن ترك بلانك يون في رعاية المرأة سوه.

"لا تزالين ترتدين فستانًا غربيًا؟"

ابتسمت چين ابتسامة عريضة.

"لماذا تواصلين ارتداء تلك الفساتين رغم رحيل الموفَد؟"

"لا أملك سببًا آخر سوى أنها مريحة".

رمقت سُوا چين بنظرة تحمل قلقًا عميقًا.

"لماذا؟ ما المشكلة؟" سألتها چين.

"هذا ما أردتُ سؤالك عنه. هل حدث شيء بينكِ وبين موظف البلاط هونغ؟"

"هونغ جونغ-يو؟"

"لقد تقدم بالتماسٍ آخر!"

"التماس؟"

"ليس ضد الموفَد هذه المرة، بل ضد الموسيقي كانغ".

"يون كانغ". صمتت چين منتظرة أن تتابع سُوا الحديث.

"تعرفين القوانين! حتى امرأة البلاط التي تدخل القصر كطفلة وتغادره قبل أن تبلغ العاشرة، لا يحق لها الزواج. يطبق ذلك حتى على نساء البلاط اللاتي يُطرَدنَ من القصر. لقد سمعتِ هذه القواعد ألف مرة من قبل، لذا لن أكرر على مسامعكِ العقوبات. موظف البلاط هونغ يدعي أن حياتكِ بمفردك مع الموسيقي كانغ تعد خرقًا لهذه القواعد. يدفع بإصرار كي تتم معاقبة يون. أخبرتني ليدي سوه أن أُعلِمك بهذا. ماذا حدث بينكما في باريس وجعله مصممًا على تدميركِ هكذا؟"

هونغ جونغ -يو مرة أخرى.
عضت چين على شفتها.

تتذكر چين المرة التي ذهبت فيها لرؤيته. لم يكن اجتماعه الصباحي قد انتهى بعد. اضطرَّت لانتظاره معظم الصباح. عندما خرج هونغ أخيرًا مع مسؤولي بلاط آخرين، لمحها فتسمَّر في مكانه. حدق موظفو البلاط الآخرون نحو ثوبها. رافقها هونغ كأنه يخفي شيئًا ما إلى مكان أكثر خصوصية. تفحَّصها من رأسها حتى قدميها، قبل أن يبدأ الحديث.

"لماذا ترتدين هذه الثياب في كوريا؟"

كان هونغ يرتدي الرداء الأحمر الخاص بموظفي البلاط.

حتى قبل أن تتاح الفرصة لچين كي تذكر أمر الالتماس، طلب منها هونغ بشكلٍ غير متوقع أن تبقى في كوريا للأبد، بما أنها قد عادت بالفعل. مرتبكةً من نبرة صوته المُتضرِّعة، لم تستطع چين سوى النظر إليه. كان هونغ طويلًا جدًا لدرجة أنه كان يحجب الشمس المشرقة وهو ينحني للنظر إليها. بدا مختلفًا عن الرجل الذي كانت چين تقابله في باريس. تردد قبل أن يضيف أنه احتفظ بذكراها في قلبه لوقت طويل.

"لا أعرف أي شيء عما تتحدث عنه؟"

تجنبت چين نظراته واستمرت في ترديد العبارة نفسها. رد هونغ أنه لن يكون مغلوبًا على أمره فيما يتعلق بها كما كان في باريس. إذا وعدته چين بالبقاء في كوريا، فسيجد طريقة كي تكون معه في النهاية. تنهدت چين وتساءلت ماذا فعل كلاهما في حياتهما السابقة كي يستحقا هذا المصير.

بالنسبة للبعض، الحبُ حَربٌ.

كانت چين تخشى بالفعل من أن يتقدم هونغ الذي لن يتورع عن فعل أي شيء حتى ينال ما يريد، بالتماس آخر. التماسه السابق كان مؤثرًا بقدرٍ كاف لإرسال ڤيكتور بعيدًا وإجبّاره على تركها في كوريا. لم يكن هنالك أي ضمان من أن يون لن يلقى مصيرًا مشابهًا.

"ألم يخبركِ الموسيقي كانغ بأي شيء عن هذا الأمر؟"

لم يخبرها يون بأي شيء. لم يأت اليوم إلى دار الأيتام حتى بعد غروب الشمس. يأتي عادة بعد انتهاء عمله في "معهد جانغكوون". كان الأطفال الذين قضوا النهار بطوله يلعبون في ضوء الشمس وقد تصبب عرقهم، يتعلّمون بحماسةِ العزف على ناي البامبو على يد يون، عندما يجمعهم حول شجرة البلح. لم يقل لها أي شيء عندما غادر المنزل هذا الصباح. خُيِّل لها أنها سمعته يعزف على المزمار ليلة الأمس قبل أن تستغرق في النوم. كان صوت عزفه نقيًّا مثل قطرات ماء تتساقط على سطح جدول.

"لا بُد أن خبر الالتماس قد بلغ معهد جانغاكوون الآن. لِمَ لا تطلبين المساعدة من الملكة؟"

"لا بُد أن ليدي سوه قد أخبرتها بالأمر".

"حاولِي مرة أخرى بنفسكِ! اعني، لا يمكن إنكار أنكِ والموسيقي كانغ لستما أختًا وأخًا حقًا".

لم تجبها چين. تعرف الملكة بالفعل أنه رغم عدم وجود صلة دم بينها وبين يون، إلا أن المرأة سوه قد ربَّت الطفلين كأنهما شقيقان. تدرك الملكة أيضًا حقيقة أن يون هو ذلك الرجل المُلثَّم الذي حماها أثناء عام "الحصان الأسود".

"هل يمكن أن تَحرم العقوبة يون من العزف على الدايغوم مرة أخرى؟" تساءلت چين في جزعٍ.

"سيكون محظوظًا إذا كانت يداه هما الشيء الوحيد الذي سيفقده".

"ماذا سيحدث له؟"

لم تجبها سُوا.

نهضت سُوا قائلة إنّ عليها العودة إلى القصر. لم تكن تستطيع البقاء في الخارج لوقت طويل دون إذنٍ خاص. لقد وقفت طويلًا أسفل شجرة المُشمش في انتظار عودة چين إلى البيت. رافقتها چين. لم تتفوّه سُوا بأي كلمة وهما يمشيان عبر طرقات "بانشون" ويعبران الجسر. كان بإمكانهما رؤية مصابيح البيوت الأخرى تُومض من خلال أشجار الكمثرى.

"حتى من ينتمي لطبقة النبلاء يُعاقَب عقابًا مُشدّدًا إذا ارتبط بامرأة بلاط. هل تذكرين موظف البلاط الذي قُطِعتْ رأسه لأنه اتخذ امرأة غادرت البلاط وهي في سن الحادية عشرة، عشيقة له؟ أحيانًا يغضون أبصارهم ويتناسون الأمر، لكن إذا كان هنالك شخص ما مُصمّم على تطبيق القوانين...!"

قال لها هونغ أن لديه الكثير كي يفعله من أجل كوريا. أن الوقت قد حان كي يستخدم ما تعلّمه من أجل خير بلده. أن الإصلاح فقط يمكنه تقوية البلاد وأن الإصلاح لا يمكن تطبيقه إلا من خلال نظام ملكي قوي. اخبرها أن كل ما يحتاجه الآن، بعد أن بات يحظى بمساندة الملك، هو أن يكون دعم چين له بلا حدود.

"هل تذكرين الموظف الذي نُفِي خارج البلاد لأنه احتسى شرابًا مع امرأة بلاط؟" واصلت سُوا.

أمسكت چين بيد سُوا في الظلام، كي توقفها عن الحديث في الأمر. توقفت المرأتان وواجهت كل منهما الأخرى عند مدخل "بانشون". شدّت سُوا على يد چين. شعرت چين بحرارة ليل الصيف في كفيّ سُوا.

"من الجيد أنك لم تعودي إلى البلاط. لا شيء يُخيفني أكثر من وجودي في القصر. بالكاد نتمكن من النوم أثناء الليل. كل ما نفعله هو انتظار شروق الشمس. أعتقد أن أرق الملكة قد انتقل إلينا".

ضغطت چين على كف سُوا المتعرّق. ألقت سُوا بعطفها النيلي فوق كتفيها، وغطت رأسها به بحيث لا يظهر سوى وجهها. عندما نظرت للوراء، بعد أن قطعت مسافة، لوّحت لها چين. كانت سُوا عائدة إلى القصر فقط لكن لسببٍ ما شعرت چين أنها ذاهبة إلى مكانٍ ما بعيد جدًا عن هنا.

وقفت چين في مكانها لفترة طويلة بعد أن اختفت سُوا تمامًا في الظلام قبل أن تعود إلى الجسر لتنتظر عودة يون. كان هذا هو الجسر نفسه الذي كان يون ينتظر فوقه عودة چين الصغيرة من القصر محمولة على كتف الخادمة "لي". منذ ذلك الوقت ارتقت الخادمة "لي" لتصبح امرأة بلاط كبيرة

مثل ليدي سوه. مع هذا، لا تزال چين تتذكر تلك الأيام التي كانت تعتلي فيها ظهرها، وتشاهد يون وهو يعدو كالرياح من مكانه فوق الجسر نحوها.

العيش في نفس البيت مع يون مخالف للقانون؟!

احمر وجه چين من الغضب الذي يعتريها تجاه "هونغ جونغ-يو". بالكاد يمكنها أن تفكر فيه على أنه ذلك الرجل الذي عرفته في باريس. كان هونغ قاسيًا معها أحيانًا، لكن حبه للتعلُّم وإخلاصه لبلده كانا جليَّان لها. هذا الإخلاص الأعمى هو ما قاده إلى اغتيال "كيم أوكغيون". كان ليتحمل أي إهانة في سبيل بلده. لهذا قضت چين الكثير من الوقت بصحبة بويكس لمراجعة الترجمة التي تركها لها قبل سفره. "بالنسبة لمن يعشقُ، لا وجود لشيء اسمه البُعد!" تنقيحها لترجمته الفرنسية لهذا السطر، كاد يُبكيها من التأثر. لكن ما الذي يدفع هونغ للتصرف بهذا الشكل غير العقلاني الآن؟

نزلت الحقيقة على چين كالصاعقة.

هل هذا هو قلب رجل عاشق مجروح بسبب تعرُّضه للرفض؟!

بدا كأن صوت جريان مياه الجدول أسفلها قد تلاشى. لقد عرفت چين أن التماس هونغ لم يكن السبب الوحيد لرحيل ڤيكتور من دونها. كانت چين تُدرك أن السبب الرئيسي هو تغيُّر مشاعر ڤيكتور نحوها. في باريس شعرت بمرارةٍ أن علاقتها به تقف في طريق طموحاته كدبلوماسي. حياتها في باريس علَّمتها أن لا شيء حتى الحب يمكنه النجاة من رياح التغيير عندما تعصف بالمرء.

الفكرة الملحة بضرورة إرسال يون للإقامة في دار الإيتام من جديد لحمايته جعلتها تمعن النظر أكثر في الظلام نحو الجهة المقابلة للجسر.

لو كان ثمة شيء واحد لم يتغير في هذا الكون، فهو حب يون لچين. شعرت چين بقلبها يُعتصر عندما أدركت ذلك. كان تصوُّر أن يون قد لا يعزف على ناي الدايغوم مرة أخرى بسببها يُرعِبُها. لا يمكن تخيُّل يون دون موسيقاه. لم تكن سُوا بحاجة لأن تشرح لچين ما ينتظر رجل يُشاع انه مرتبط بامرأة بلاط.

بعد برهة من الزمن، أبصرت ظل يون يقترب. أسرعت چين نحوه. توقف يون لمرأى چين تجري بأقصى طاقتها تجاهه في الظلام. توقفت أمامه وقالت دون أن تلتقط أنفاسها:

"عُدْ!"

بالكاد يمكن ليون تبيُّن ملامح وجهها في الظلام.

"عليكَ أن تعود إلى دار الأيتام!"

حاولت چين أن تسدَ طريقه إلى المنزل. وقف كلاهما يستمعان إلى صوت الجدول أسفلهما. خطا يون من حولها وواصل السير إلى المنزل. ألقى القمر هلالي الشكل بنوره على سطح الجدول.

"أخبرتكَ أن تعودا" كانت چين تصرخ في وجه يون الآن.

"رجاءً!"

غادرت آخر ذرة من قوةِ جسدها وهي تنهار فوق الجسر.

"الطريقة الوحيدة لنجاتكِ هي أن ينساكِ الجميع!" اخترقت كلمات ليدي سوه قلبها كطعنات سكين. أخيرًا أدركت ما عنته. لعنت چين ليدي سوه في قلبها، لأنها أرسلتها إلى البلاط وهي طفلة. لم تخطر هذه الفكرة في عقلها من قبل أبدًا، حتى حين اضطرت للتخلّي عن ڤيكتور.

شاهدها يون تسقط فأسرع عائدًا إليها. جثا على الأرض وساعدها على النهوض.

"اسمعني! إن لم تعد إلى دار الأيتام، سيدمرونك!"

عانق يون چين ببطء. أنصتت چين إلى صوت تنفسه. لم تظهر ذراعا يون القويتان أي إشارة على التخلّي عن جسد چين. يمكنها الشعور بنايه تحت ردائه. تعرف صوت عزفه تمامًا كما يعرف المرء وقع أقدام مَن يحب. بالنسبة إلى چين، كان ناي الدايغوم هو صوت يون. أدركت شيئًا آخر. إيمان قلبها بأن صوت الناي هو صوت يون، هو ما جعلها ترقص دائمًا بمثل تلك النشوة الطاغية، حتى تكاد قدماها لا تلمسان الأرض.

سرت بينهما موجات من الحزن منعت يون من تركها.

لقد أصبح يون موسيقيًا في البلاط الملكي، فقط لأن هذه المرأة التي بين ذراعيه قد أصبحت راقصة بلاط. كانت هذه هي الطريقة الوحيدة كي يكون بجوارها. رفض أن يتبع نصيحة بلانك بأن يسافر إلى اليابان كي يصبح راهبًا، ورفض عرض هومونموك بحياة جديدة كمبارز يدافع عن الخير والضعفاء. كانت أمنيته الوحيدة أن ينهي حياته بجوار هذه المرأة.

لكن أمنيته الوحيدة كانت مستحيلة. منذ اللحظة التي غادرت فيها چين البلاط للعيش في المفوَّضية الفرنسية، قاتل يون كل يوم تلك الرغبة الملحة بأن ينهار على ركبتيه. عندما رحلت إلى فرنسا، كان يعزف على الدايغوم لأي جمهور يمكنه أن يجده ـبشر، حيوانات، حتى الهواء نفسه. كان يعتني بكل شيءٍ منبوذ. ليس فقط بسبب تعليم المرأه سوه له أن من واجبه كإنسان أن يحبَ ويهتمَ بالآخرين، بل كان ما يفعله بمثابة صلاة

تضرُّع لكي تجلب كل أفعاله الخيِّرة، بطريقةٍ ما، السعادةَ للمرأة التي رحلتْ بعيدًا عنه.

أخيرًا حرَّرها من بين ذراعيه وأحاط وجهها بيديه. ثم كأنما قَبِلَ بشيءٍ لا يمكنه تغييره، تركها وبدأ في المشي بعيدًا. راقبته چين لبرهة قبل أن تبدأ في الجري لتقلِّص المسافة بينهما.

كان يون يجلس على عتبة البيت عندما دخلت چين عبر البوابة المنخفضة. أخرج مفكرته وقلمه من حقيبته. حدق يون في الصفحة الفارغة التي بدت واسعة كامتدادٍ للصحراء. ثم شرع في كتابة شيءٍ ما، قبل أن يناول المفكرة إلى چين. أضاءت چين مصباحًا، وقرَّبت الكلمات من وجهها.

"عندما أذهب إلى جانغاكون غدًا، سأرحل إلى الصين".

الصين؟ نظرت إليه چين بنظرات مستفهمة.

"سأذهب مع موسيقي اكبر مني سنًا".

"لماذا؟"

"مهمة عمل من أجل المعهد. سنشتري آلات موسيقية صينية".

مهمة عمل؟ آلات موسيقية؟ حدقت چين في وجه يون. تذكرت وجه سُوا المفعم بالقلق.

"بسببي، أليس كذلك؟"

هل هذا منفى؟ لم تجرؤ على سؤاله.

"تخيليني وقد سافرتُ لأعزف موسيقاي!"

تجهَّم وجه چين.

"سأعود يومًا ما. مثلما عدتِ أنتِ!"

علا الغضب وجه چين. أمسك يون بمعصمها.

"لا فائدة من ذلك. الأمر منتهي. على الأقل أخبروني مسبقًا وهكذا تمكنت من توديعكِ".

"..."

كانت قطرات الحبر المنسالة من قلمه أشبه بقطرات دم.

بدا أن يون يعرف أن چين رغبت في التقدُّم بالتماس إلى الملكة بالنيابة عنه كي تعفو عنه. حاولت چين أن تسحب ذراعها بعيدًا لكن يون تشبَث أكثر بها. دفنت چين وجهها في ركبتيه المضمومتين، وظلَّت هكذا دون حركة.

قبل لحظة فقط، أرادت أن تندفع إلى القصر لترى الملكة أو هونغ جونغ-يو. لكنها الآن لم تعد قادرة على التفكير في أي شيء. يوشك قلبها على الانفجار، ومع هذا لا تجد الدموع الحبيسة طريقها إلى عينيها. اجتاحها شعورٌ بأنها ذرات تراب تتلاعب بها ريحٌ جافةٌ.

كم مضى على وضعهما هذا؟

في النهاية ساعد يون چين على النهوض والجلوس بجواره فوق العتبة.

"رجاءً ارقصي من أجلي!"

أرقصُ؟! نظرت إليه چين بعينين بدا كأنهما فقدتا بريقهما كله.

"لو كان بإمكانك أن ترين نفسك وأنتِ ترقصين...!"

"لو كان بإمكاني، ماذا سأرى حينها؟"

"أنتِ مثل فراشة. مثل غيمة. مثل زهرة".

ابتسم يون. وجدت چين قدرته على الابتسام في مثل هذه اللحظة أمرًا استثنائيًا. نهضت وذهبت إلى حجرتها. التقطت من على رف البامبو،

حزمة ملفوفة بالساتان الأزرق. بداخلها كان زيّ رقصها الأصفر، والذي يرجع إلى الأيام التي كانت فيها راقصة بلاط. كان مع الزيّ تاج اللوتس أيضًا. أعطتها سُوا هذه الحزمة قبل رحيلها إلى باريس، لكن چين لم تأخذها معها. احتفظت طباخة المفوَّضية بالحزمة من أجلها، واستعادتها چين منها بعد انتقالها للعيش في منزل "بانشون". خلعت چين فستانها، وأعادت تصفيف شعرها كي يستقر التاج بشكل أفضل فوق رأسها. بعد ذلك ارتدت الزيّ الحريري الأصفر، ثم أحكمت ربط الحزام الأحمر حول خصرها وثبتت الشرائط ذات الألوان السبعة بأكمام ردائها. وقفت للحظة متسائلة عن آخر مرة ارتدت فيها هذا الزيّ.

نهض يون عندما ظهرت چين في الفناء. وقفت وظهرها مواجه لشجرة المُشمس. أخرج يون نايه. دون موسيقى آلة الباك التي كانت تصاحب رقصها في البلاط الملكي، أنصتت چين إلى موسيقى يون وهي تخطو خطوتها الأولى. ثمة وقت كانت تحاول فيه أن تصبح فولاذًا أثناء أداء هذه الرقصة. أن تصبح رياحًا وغيومًا. انهمرت دموعها. دموعًا لم تذرفها حين رحل ڤيكتور من كوريا، أو حين دفنت وجهها فوق ركبتي يون عندما أخبرها بأنه سيرحل إلى الصين منذ قليل. كانت عينا يون مبلَّلتان بالدموع أيضًا وهو يعزف على نايه. تصبَّب العرق غزيرًا منهما، بينما ترقص هي ويعزف هو الموسيقى.

لماذا تذكرت چين في هذه اللحظة كلمات الملكة، وهي تلحُّ عليها بأن تتحرر من كل قيودها، وأن تتعلَّم أكبر قدرٍ ممكن من الأشياء الجديدة، وأن تعيش حياة جديدة؟

رقصت چين كأنها تشيد برجًا عاليًا، كأنها تنثر بتلات زهرة في الهواء. كانت موسيقى يون بالنسبة إليها هي الإيقاع الذي يضبط تنفُّسها. توقفت دموعها. وضعت چين تركيزها بالكامل في حركة يديها وقدميها.

تسلل ضوء النهار خافتًا عبر الباب ذي الحاجز الورقي. استيقظت چين مصعوقة من كابوس رأت فيه عربة تصدمها وهي تسير في شوارع باريس أثناء كرنفال المدينة. كانت جبهتها تتصبب عرقًا. دلَّكتْ كاحليها اللذين كانا يصرخان ألمًا، كأن عجلات عربة قد سارت فوقهما حقًا. نظرت چين إلى الجانب الآخر من الفراش. لم يكن يون هناك. في مكانه ترك مفكِّرته وقلمه الحبر.

كانت الدموع التي ذرفتها چين ليلة الأمس، أثناء رقصها على أنغام ناي يون، بدافع الشفقة. ماذا ستفعل بشأن يون الآن؟ لقد رقصت من أجله فقط، وليس من أجل البلاط، كما فعلت في وجوده عشرات المرات. تملَّكتها رغبةٌ مُلحة بأن تهرب بعيدًا وتختفي مع يون للأبد.

بينما يكبر الاثنان معًا مثل حيواني شادن[40] تائهين بين ذراعي المرأة سوه، لم يُجِب قلب چين على حب يون لها سوى بالشفقة. تلاشت السنوات، التي تظاهرت خلالها بأنها تجهل مشاعر يون نحوها، أمام عينيها كحلم يقظة، وامتلأ قلبها بحبه الذي أدركته متأخرًا.

عندما عادت چين إلى حجرتها كي تخلع تاج اللوتس وزيّ الرقص، أخرجت ثيابها الكورية لأول مرة منذ عودتها من باريس، وارتدتها قبل أن

---

٤٠ صغير الظبي.

تتوجه إلى حجرة يون. كانت الحجرة التي علّمها فيها بلانك الفرنسية. كانت الحجرة التي عزف فيها يون على ناي البامبو من أجلهم.

استلقى يون هناك والمصباح لا يزال مضاءً. انسلّتْ چين إلى داخل الفراش بجواره. فرد يون ذراعه لتسند رأسها عليه. استلقيا هناك مثل خيارتين تتدليان من التعريشة نفسها. فجأة اعتدلت چين في جلستها، وطلبت من يون أن يُمشِّط شعرها. مشَّط يون شعرها الأسود الطويل لمدة طويلة. قبل أن يدركا الأمر، مد كل منهما يديه لتُلامِس وجه الآخر. ثم رقدا يواجه كل منهما الآخر، بينما يمرر كل منهما يديه أسفل ظهر الآخر. تعانقا بقوة، كأنهما لن يفترقا أبدًا منذ تلك اللحظة. على هذا الحال، استغرقا في نومٍ عميق.

فتحت چين وهي لا تزال بثياب نومها باب الحجرة. لم يكن يون في الفناء. لم يكن في المطبخ أو في بستان أجمَّة البامبو. هل رحل بالفعل؟! سارت چين خارج البوابة ونظرت إلى أبعد مدى يمكنها الوصول إليه. لم تستطع رؤيته في أي مكان. سارعت الخطى أسفل شجرة المشمش عائدة إلى الحجرة. التقطت مفكرته. انزلق القلم من بين صفحاته وسقط فوق الفراش.

"جرس الفضة،

تأمُّل وجهك النائم من هذا القرب .. كان مثل حلم. أتذكر اليوم الأول الذي أتيتِ فيه إلى هذا البيت. كنتِ على ظهر امرأة بلاط، وقد اتسعت عيناكِ لمرأى الأسقف بلانك. هل تذكرين؟ سخنتْ أمي الماء، وحممتْني في الجرة الأرضية. كان ذلك هو يومي الأول هنا. عجزت عن

اللحاق بالأسقف بلانك لأنك كنتِ هنا. أنتِ من جعلني أبقى. *عِشْ هنا معنا...! قلتِ لي*. منذ تلك اللحظة، احتفظتُ بكلماتكِ داخل قلبي.

لقد تبعت أبي، الذي كان يهرب من شيءٍ ما طوال حياته، حتى غرق في بركة قرية امّحت من ذاكرتي منذ زمن بعيد. الآن لا أملك سوى ناي بامبو يذكرني به. أكثر شيء كان يخيفني بعد موته هو الليل. لم أعرف أين أقضي الليل. الليل الذي كان يعود دون إبطاء. الليلة الجيدة بالنسبة إليّ كانت عندما أجد كومة قش يمكنني النوم عليها، أو مأوى بجوار فرن لا تزال تومض بعض الجمرات بداخله بحثًا عن ذرةٍ من الدفء. كانت هذه هي حياتي، حتى التقيتكِ!

عِشْ هنا معنا...! قلتِ لي.

جرس الفضة،

ليلة الأمس .. أصبحتُ ..أصبحتُ كلَ شيءٍ يمكنني أن أكونه.

أتمنى أن يتحقق حلمُكِ بإنشاء مدرسة يمكنك أن تُعلّمي الأطفال فيها! سيساعدك هونغ جونغ-يو. قابلته بالأمس وتوسلتُ إليه أن يساعدك. ربما يمكنك البدء في هذا البيت كما فعلت أمنا من قبل، بتعليم أطفال بانشون! أردتُ أن أكون بجوارك كي أساعدك. أنا نادم فقط لأنني لن أستطيع ذلك.

أردتُ أن أكون بجوارك مهما حدث، لكنني عجزتُ عن أن أتبعك عبر المحيط. لم أستطع حتى حمايتك عندما عُدتِ إلى كوريا. هذا هو الندم الوحيد الذي سيطاردني حتى أموت؛ عجزي عن فعل أي شيء لك سوى العزف على الناي.

جرس الفضة،

أريدك أن تكتشفي قوتك عن طريق التفكير في الماضي، عندما كانت الحياة أصعب بكثير من الآن. وشيء آخر أخير. مهما سمعت، لا تبحثي عني أبدًا! سأكون في الصين. من أجلي، لا تسألي عني! أعلمُ أن هذا سيكون صعبًا عليكِ، لكن رجاءً، افعلي هذا! افعلي هذا من أجلي! اعلمي أن أي شيء تفعليه غير ذلك سيضرني في النهاية!"

تجمَّعتْ الدموع في عيني جين وهي تُقلّب بسرعة صفحات الدفتر الأخرى. كانت بيضاء كلها. مدت جين يدها وتحسست جانب الفراش الذي كان ينام عليه يون بيدها، وعضت على شفتيها.

اعلمي أن أي شيء تفعليه غير ذلك سيضرني في النهاية...! كانت هذه هي كلماته الأخيرة لها.

الاكتشافاتُ التي تأتي متأخرةً تصيبُ القلبَ في مقتل.

استغرق الأمر أربعة أيام كي تعلم جين أن يون لم يرحل إلى الصين. كانت قد جمعت الأطفال على عتبة مبنى دار الأيتام، لتحكي لهم قصة "أحدب نوتردام" التي قرأتها لأول مرة في باريس. نسي الأطفال الحرارة وهم يستمعون بشغف إلى قصة "كوازيمودو". كانت جين ثكلى بسبب رحيل يون، كي تتمكن من تعليم الأطفال القراءة. لكن حتى الأطفال الذين لا يحبون التعلّم كانوا مستمتعين بالقصة. رغم القيظ، جلس الأطفال حول جين ممسكين بتنورتها بأيديهم الضئيلة، وعيونهم تلمع في انتباه.

أنصت إليها يون بتركيز جم عندما حكت له قصة الأحدب، لدرجة أن چين مضت في حكايتها حتى النهاية دون توقف. بينما تواصل الحكي، كانت تشعر أنها تغوص بنفسها أكثر وأكثر في الأحداث. كانت چين ويون غاضبين من رئيس أساقفة كنيسة نوتردام القاسي. أرادا بشدة أن يقع "كوازيمودو" -القبيح الشكل لكن النقي السريرة- والراقصة الجميلة "أزميرالدا" في الحب. فكرت چين لفترة وجيزة أن تغيِّر نهاية قصتهما، عن النهاية التي اختارها ڤيكتور هوجو.

لم تعد تراودها هذه الأفكار.

حاولت چين أن تتوقف عن الحكي، لكن الأطفال رفضوا الانصراف. هكذا استمرت حتى وصلت لنهاية القصة وقد حل الظلام.

كانت چين على وشك العودة إلى البيت في "بانشون" وقد أنهك التعب صوتها، عندما استدعتها المرأة سوه إلى حجرتها.

متى صار ظهر المرأة سوه محنيًا هكذا؟ فكرت چين.

أخرجت المرأة سوه حزمة من الكتان، ووضعتها أمام چين على أرضية الحجرة، بينما تنقر على أسفل ظهرها بأصابعها لتخفف من وجعها.

"ما هذا؟"

لم تجبها المرأة سوه، فحفَّز ذلك چين على فتح الحزمة. راقبت چين عيني المرأة سوه وهي تحل العقدة، غير متأكدة من الأفكار التي تدور في عقلها. تملَّكها الهلع، فزادت من سرعة أصابعها لتكشف عما بداخل الحزمة.

كان ناي الدايغوم الخاص بيون.

"أحيانًا أفكر فيما سيحدث بعد موتي. لا تفزعي! هذه هي دورة الحياة! لقد حان الوقت كي أفكر في مثل هذه الأمور. أشعر بأني أضعفُ يومًا بعد يوم. بعد أن يستحم الأطفال ويتناولون عشاءهم، أغمض عيني وأتمنى ألا أضطر لفتحهما مجددًا، لكن ليس بوسعي اختيار أن أموت متى شئت. لا أريد أن أحتفظ بأي شيء عند موتي. الشيء الوحيد الذي سأملكه عندما أرحل، هي تلك الثياب مغسولة ونظيفة".

كانت المرأة سوه قد باعت، بناءً على اقتراح بلانك، كل شيء له قيمة كانت تمتلكه عندما انتقلت من "بانشون"، وتبرعت بالأموال إلى دار الأيتام. كان كل شيء تمتلكه في هذه الحجرة الصغيرة حرفيًا.

"هذا لكِ!" أضافت المرأة سوه، مشيرة إلى الناي.

لماذا هذا هنا؟ إذا كان يون لا يحمل نايه معه، فكيف سينجو في ذلك المكان البعيد من دونه؟ لماذا تركه وراءه؟

قرأت المرأة سوه أفكار چين.

"لا يستطيع العزف عليه بعد الآن".

"لا يستطيع العزف عليه؟!"

نظرت عينا المرأة سوه المنهكتان في عيني چين.

"ألم تعرفي؟"

"أعرف ماذا؟ أليس في الصين؟"

"الصين؟"

"أجل الصين...! هذا ما قاله لي".

"أردتُ أن أقنعه بالبقاء حتى تلتئم أصابعه المقطوعة على الأقل، لكنه لم ينصت إليّ".

أمسكت چين بالناي في قبضتها وقد امتقع وجهها. ثم أصبح وجهها شديد الشحوب.

"أصابعه المقطوعة...!" كررت چين كلمات المرأة سوه دون وعي.

تتذكر طلبه منها ألا تفعل أي شيء من أجله. هل كان عقابه ليس المنفى بل قطع أصابعه؟ ألهذا ترك مفكرته وقلمه الحبر؟ ونايه...؟!

"ما الأشياء الأخرى التي لا أعرفها؟!"

أمسكت چين يدي المرأة سوه، وهزّتهما في هستيريا.

قطعوا أصابع رجل أخرس. كيف كانت بهذه السذاجة؟ كيف لم تشك أنه يكذب عليها بشأن الرحيل إلى الصين؟ كيف سلّمت بعذر شراء آلات موسيقية صينية الذي منحها إياه؟ ***مهما سمعت عني، لا تبحثي عني!*** هذا ما قاله. شعرت چين أنها تختنق. لم تقوَ على الصراخ. ضربت صدرها بقبضتها المضمومة، ثم دفنت وجهها في ركبتي المرأة سوه وراحت تنتحب في ألم. ثم فجأة وقفت على قدميها.

"سأجده!"

أغمضت المرأة سوه عينيها في أسى.

"سأجده... وأعيش معه!"

اندفعت چين خارج حجرة المرأة سوه وهي تمسك الدايغوم. ارتدت حذائها على عجل ومشيت إلى فناء دار الأيتام.

هناك تركت ركبتيها تنهاران.

(٦)
على الحافة

هبط ظلام أكتوبر على شجرة الصنوبر العتيقة داخل القصر.

نزل ظلام بارد على البوابة الرئيسية، وبوابة "ميلاد الربيع"[٤١] حيث يُشاع أن تنينًا يعيش هناك، وعلى قاعة الحكم الرشيد الكامنة بين جبلي "بايكاغسان" و"إنغوانغسان"، وعلى المياه التي يربض فوقها سرادق الاحتفالات، وعلى تل "أميسان"، ومقر إقامة المحظيات الأرامل، وعلى باغودا العطر الفواح، وبرج المراقبة الشرقية.

كانت چين تنتظر استدعاء الملكة لها في المكتبة في قصر "غيونشيونغجونغ". فقط حين أصبح المكان مظلمًا جدًا للقراءة، مشت بتمهل إلى مسكن ليدي سوه. اتسعت عينا الليدي سوه، التي كانت في طريقها إلى حجرة نوم الملكة، من الدهشة لرؤية چين.

"أنتِ في البلاط حتى الآن!"

"قيل لي أن أنتظر في المكتبة، لكن لم استُدع أبدًا للقاء الملكة".

---

٤١ أو "غيونشونمون": وهي البوابة الشرقية لقصر غيونغبوكجونغ، حيث يرمز الشرق إلى الربيع.

"ولم يُطلب منك المغادرة؟"

"لا!"

"هناك اجتماع مع موفَدي فرنسا وألمانيا وروسيا. لقد طال الاجتماع. خسارة الصين حربها مع اليابان صَعَّبت الأمور علينا. يعملون ليل نهار لحماية بلادنا من اليابان. لم تنم الملكة منذ أيام. لكن يا للغرابة! رغم كل مشاغلها، طلبت مني أن أخبرها في اللحظة التي تصلين فيها إلى البلاط. ظننتُ أنها ستستدعيكِ بمجرد أن أُعْلِمها بوصولك".

تجهَّم وجه ليدي سوه وهي تتفحص چين من أعلى إلى أسفل. رغم أنها أصغر من شقيقتها المرأة سوه في دار الأيتام، إلا أن الكِبَر بدأ يغزو جسدها هي الأخرى.

"أخبرتُكِ أن تأتي إلى البلاط مرتدية زيًّا مناسبًا!"

لا تزال الليدي سوه معترضة على رداء چين الغربي. لم تتفوَّه چين بكلمةٍ ونكست رأسها. بدأت چين تشعر مؤخرًا بأن فساتينها الباريسية قد باتت غريبة عليها حقًا.

"لكن أين كنتِ قبل اليوم؟ لقد سألت الملكة عنكِ مرات عديدة!"

"..."

"هل صحيح أنك قصصتِ شعرك وتنكرتِ في هيئة رجل ورحتِ تبحثين عن الموسيقي كانغ من معهد جانغاكوون في كل مكان؟"

"..."

"ما هذه الحماقة؟ ألا تعرفين ما سيحدث إذا رأيته مرة أخرى؟ إذًا هل عثرتِ عليه؟"

"لقد رحل!"

عَبَرَ طيف ارتياح تعبيرات وجه الليدي سوه المشدودة.

"لا تبحثي عنه! هذه هي الطريقة الوحيدة لنجاتكما. ولا تحملي اي ضغينة تجاه جلالتها! لقد اعتصرها الألم عندما علمت بعد فوات الأوان بمصير الموسيقي. لقد أرغمت الملك على إرسال هونغ جونغ-يو إلى الصين بسبب هذا الأمر، خصوصًا وأنه كان هنالك ضغط متزايد من موفَد اليابان الجديد لإبعاده أيضًا. لقد وثقت الملكة بهونغ، لكنها لم تسمح له بلقائها حتى بعد أن صدر القرار بإرساله بعيدًا. لقد ضحَّى الموسيقي كانغ بيده لينقذ حياتك. لكن انظري للابسك السخيفة! وشعرك! هل هكذا تكافئينه على تضحيته؟"

"كنت لأفضّل ان تُقطع أصابعي أنا. تعرفين قصة يون كما أعرفها أنا! حرمان رجل أخرس من موسيقاه! ما الجريمة التي اقترفها كي يستحق مثل هذا العقاب؟!"

"جريمته أنه عرفك!" واجهت الليدي سوه چين بالحقيقة المُرَّة.

كان فستان چين الأزرق كالماء فضفاضًا عليها مقارنة بما مضى، وكان يرفرف مع كل حركة لجسدها الذي أصابه الهزال، مثل الفترة التي كانت تتجوّل فيها في شوارع باريس كل ليلة أثناء نومها. بدا الفستان المُصمَّم كي يُظهِر فتحة صدرها وانحناءات جسدها وساقيها كأنه قد حِيك لامرأة أخرى.

"الأمور ليست على ما يرام في البلاط. كانت الملكة تنوي استدعاءك في الحال. لا أعرف لماذا لم تفعل. يقولون إن فرنسا قد تبني مدرسة هنا. وإذا كانت هذه هي الحقيقة، أتمنى أن تكون المدرسة بمثابة شريان حياة

جديدة لك! اقض الليلة هنا في مسكني، فسُوا مشغولة الليلة بمناوبة حراسة في قاعة الراحة النفيسة! سأتقصّى أخبار ما يجري وأطلعكِ عليه".

غادرت الليدي سوه مسكنها. جلست چين وحيدة تحدق في الإطار الخشبي المزخرف للنافذة.

لم تستطع چين النوم راقدة أبدًا، منذ أن علمت بفقدان يون لأصابعه من أجلها. قصّت شعرها الأسود الطويل، الذي هام به ڤيكتور حبًا، وارتدت ملابس رجل، مثل الأيام الخوالي قبل سفرها إلى باريس عندما كانت وڤيكتور يرافقان هوانغ شول وكاميرته حول المدينة لالتقاط الصور، وقضت الشهور الثلاثة الماضية تبحث عن يون في كل مكان، فوق اليابس وتحت الماء.

كانت تجتاحها موجات من العذاب، كلما فكرت في عجز يون عن فرد يديه أو إمساك يد شخص آخر.

بدأت بـ "سابيونيلي"؛ القرية التي تختبئ داخل الشق بين جبال "سوبايك" و"نوريونج". مشت عبر الأسواق حتى المحيط، وإلى المستنقعات حيث كان يذهب يون كل مايو بحثًا عن أفضل أعواد البوص لصنع الآلات الموسيقية. لكن لم يكن في أي مكان.

مع كل خطوة كانت تخطوها، كانت تتخيّل رؤية أصابع مقطوعة. ماذا يمكن للمرء أن يفعل دون أصابع؟! حين أمعنت التفكير في الأمر، وجدت نفسها تتساءل إذا كان الإنسان مصنوعًا بشكل أساسي من الأصابع فمن دونها لا يمكن فعل أي شيء بسهولة. فوق كل شيء، سيعجز عن كتابة الحروف.

عثرت چين على مئات الرسائل داخل خزانة حجرة يون. لا بُد أنه واظب على كتابتها من دون انقطاع منذ رحيلها إلى فرنسا. الرسالة الوحيدة التي أرسلها إلى چين كانت الرسالة الرسمية الطابع والمقتضبة التي سلمتها لها الأخت چاكلين. لم تستطع الانتهاء من قراءتها في جلسة واحدة لذا أخذتها معها في رحلة بحثها. قراءة رسائله التي لم يرسلها أبدًا جعل كل شيء حولها يبدو كعلامات على وجوده.

فكرت في ڤينست ابن تاجر الجبن من قرية "بلانس"، قرية طفولة ڤيكتور، وسعادته الجمَّة لتحقيقه حلمه المتواضع. لماذا لا يستطيع يون أن يحظى بمثل هذه السعادة؟ فكرت.

بعد ثلاثة شهور من الانخراط في بحثها، عادت إلى حصن المدينة.

اجتاحها مرة سخطٌ عارم، كان يكفي لجعلها تقطع أصابع هونغ جونغ-يو بنفسها. لكن الآن بعد عودتها، كل ما كانت تبتغيه هو أن تريه رسائل يون. في الحقيقة كانت تريد أن تذهب إلى هونغ وتريه الرسائل بنفسها وترى ردة فعله. لكن هونغ لم يكن في المدينة.

تجاهلت اليابان كيم أوكغيون أثناء حياته، لكن غضب جنوني سببه الحداد على موته، تنامى بسرعة بين اليابانيين منذ اغتياله مهددًا حياة هونغ، مما دفعه للفرار إلى الصين.

أثناء رحلة بحثها، صادفت چين عددًا لا يحصى من الأطفال المنبوذين مثلما كان يون وهو صغير. واجهت أيضًا الكثير من الإشاعات السيئة عن الملكة. سمعت عن محاولات التكتيم على محاولة مسؤول دبلوماسي في البلاط يدعى "بارك يونغهيو"، اغتيال الملكة.

حل "ميورا" مكان "إنوي" كموفَد لليابان في كوريا، كي يتصدى بشكل أفضل لسياسة الملكة المنحازة لروسيا. كان يقال إن ميورا لا يختلف عن "محاربي الرونين"[٤٢] المتسكعين شاهرين سيوفهم في أزقة ميناء "جيمولبو".

هكذا بينما كانت عينا چين تبحثان عن يون، كانت أذناها ترهف السمع لالتقاط أي إشاعة عن الملكة.

استمرت چين في مصادفة أيتام يعانون من المرض. كلما حاولوا استجداء المساعدة، كانوا يواجهون بالسخرية والتنمر من الأطفال الآخرين والتوبيخ والتعنيف من النساء. كانوا يعيشون قرب المداخن طلبًا لبعض الدفء أو في الحظائر وزرائب الروث.

في طريق عودتها إلى المدينة، حملت چين طفلة صغيرة قذرة على ظهرها وتركتها في رعاية دار أيتام "جونداجول". كان هنالك آلاف اليتامى المشرَّدين لكن دار أيتام "جونداجول" التي أنشأها الأسقف بلانك بمبنيين أحدهما للأولاد والآخر للبنات كانت المؤسسة الوحيدة التي يمكنها استيعابهم. تذكرت چين طلبات بلانك الدائمة من "جمعية باريس للبعثات الأجنبية" كي ترسل المزيد من الراهبات والتمويل لمساعدة الأطفال. بينما تجوب في أرجاء البلاد بحثًا عن يون، أدركت چين سبب إصرار بلانك على مساعدتهم. كان يمكنها تجاهل نظرات الجميع لكن تحديقات الأطفال كانت تنفذ إلى داخل قلبها. كان بلانك ليشعر مثلها. كانت چين مصممة

---

٤٢ اسم يطلق على مقاتل الساموراي الذي فقد سيده سُواء كان سيده قد قُتل أو مات أو تخلى عنه. وفقًا لأعراف الساموراي، على الرونين الذي فقد سيده أن ينتحر بطريقة الهاراكيري أو السيبوكو (شق البطن). لذا فإن الرونين يعتبر ملعونًا أينما ذهب ومحكوم عليه بالشتات والتشرُّد.

على الحديث عن هؤلاء الأطفال إذا قابلت الملكة مرة أخرى. لهذا امتثلت فورًا لطلب ليدي سوه بالقدوم إلى القصر للقاء الملكة.

أدركت چين أن عليها الانتظار بعض الوقت قبل لقاء الملكة، عندما أخبروها بالبقاء في المكتبة داخل قصر "غيونشيونغجونغ". لكنها فهمت أيضًا أن دعوتها للبقاء في المكتبة هي لفتة طيبة من الملكة التي رغبت أن تقرأ چين أثناء فترة انتظارها التي قد تطول. لكن لم تأتها أي كلمة من الملكة رغم حلول الظلام.

استيقظت چين من غفوتها مستندة على حائط، وسمعت شخصًا ما ينادي اسمها. خرجت من مسكن الليدي سوه لترى خادمة شابة لم ترها من قبل.

"ليدي سوه تقول إن عليكِ الفرار من القصر في الحال!"

"ماذا حدث؟"

"لا أعرف. قالت فقط أن عليك ألا تترددي للحظة وأن تسارعي إلى الفرار من القصر في الحال!"

لاحظت چين أن كتفي الخادمة الشابة "ترتجفان" وأن صوتها مهزوز.

"أخبريني بكل ما رأيتيه! هل يحدث شيء ما في البلاط؟"

"لا أعرف. لكن هناك فوضى عارمة..."

"فوضى؟"

"رجال يُشهرون السيوف. لقد انتشروا في كل أرجاء القصر .. أعتقد أنهم يابانيون".

رجال يُشهرون السيوف؟ لبست چين حذائها وركضت صوب قصر "غيونشيونغجونغ".

في نفس تلك الساعة، تلقى ميورا موفَد اليابان موافقة رسمية من وصي العرش، وجمع محاربي الرونين والقوات اليابانيين لينضموا إلى الجيش الكوري الجديد عند بوابة حصن سول الغربية، ثم قادهم جميعًا إلى البوابة الرئيسية لقصر "غيونغبوكجونغ". بعد أن فكر ميورا أن جيشًا من القوات اليابانية فقط سوف يفضح شرعية هذا الاعتداء، سعى بدهاءٍ للحصول على دعم وصي العرش، والجيش الكوري الجديد الذي كان يتدرب على يد اليابانيين. كان الجيش الكوري الجديد قد فاض به الكيل من الملكة التي أمرت بحلِّه، لأن قواته تحت قيادة "ويو بيومسيون" قد أُسِّستْ تحت ضغط من الجانب الياباني على كوريا. كانت الملكة تسعى إلى إضعاف النفوذ السياسي الياباني داخل كوريا، عن طريق غربلة جيش كان يكن بالولاء لليابانيين.

زأرت القوات اليابانية المتجمعة أمام بوابة القصر وقد لمعت بنادقهم.

قبل أن يتمكن "هونغ جايهون" من السؤال إذا كان ثمة أمر بحشد القوات اليابانية، مزَّقه سيف أحد محاربي الرونين، قبل أن يطلق الجنود اليابانيون ثماني رصاصات استقرت في جسده النازف. سمعت چين صدى الطلقات النارية وهي تركض نحو "غيونشيونغجونغ".

حاول حراس القصر صدَّ القوات اليابانية، لكنهم سرعان ما انهزموا بعد أن خَسروا قائدهم "هونغ جايهون" مبكرًا جدًا.

لم يمض وقت طويل قبل أن يجتاح محاربي الرونين قصر "غيونشيونغجونغ". أضاءت كشافاتهم القوية المكان مثل الشمس. ومضت سيوف الرونين على ضوء الكشافات، وهم يندفعون من حجرة إلى أخرى. كانوا يبحثون عن الملكة. كانوا يمسكون بأي عضوٍ في المجلس الاستشاري للقصر أو خادمة بلاط

في طريقهم ويضعون سيوفهم على رقابهم وهم يأمرونهم بإخبارهم عن مكان الملكة. كانت الخادمات، العاجزات عن التفوُّه بكلمة بعد أن تملكهنَّ الخوف، يفقدنْ وعيهن فتتقاذفهنَّ الأيادي وتمزق ثيابُهنَّ.

أبصرت چين مهندس الكهرباء الروسي "ساباتين" يهز رأسه، وقد لامس حدُ سيف عنقه. كان "غيونتشيونغجونغ" مكانًا غير مألوف بالنسبة لچين. ركضت متجاوزة ساباتين والرونين. لمحت الملك محاطًا بالمزيد من محاربي الرونين طوال الشَعر.

"أين الملكة؟!"

قال الملك أنه لا يعرف. اندفع الأمير ولي العهد المريض نحو محاربي الرونين ووقف بينهم وبين الملك.

"ما معنى هذا؟!"
بالكاد كان يمكن سماع صوته الضعيف وسط هذه الفوضى.
"أخبرنا أين الملكة!"
"لا نعرف!"

برزت العروق في عنق الأمير. أشار ضابط ياباني بذقنه فقرَّب أحد الرونين سيفه من رقبة الأمير.

"أخبرنا أين تلك العاهرة!"
أغلق الملك عينيه. عض شفتيه وأنزل يديه في استسلام.

فهم الملك أن اليابانيين قد اقتحموا القصر لقتل الملكة لكنه كان يثق بها. إذا أمكنها الهرب من هذه الفوضى كما فعلت في عام الحصان الأسود فستتمكن من النجاة. كان يحتاج أن يكسب بعض الوقت من أجلها.

"سنخبركم أين هي!"

أشار الملك بحزم يخلو من أي تردد إلى الجهة المقابلة لحجرة نوم الملكة. اندفع الرونين فورًا إلى حيث أشار.

"وقِّعْ هنا!"

دفع الضابط الياباني قرار طرد نحو الملك.

"ما هذا؟"

كان الملك يعرف جيدًا أنه قرار طرد الملكة خارج القصر لكنه تظاهر بالحيرة. واصل الضابط الياباني إصراره بأن يوقّع الملك على القرار. عندما تردد، ضغط أحد الرونين على كتف الملك بمؤخرة سيفه. لكن الملك لم يوقع. شدَّ مبارز رونين آخر رداء الملك من الخلف. كان الملك مثقلًا بالأفكار كي يشعر بالإهانة. حتى حين جُرِد من رداء التنين الملكي وسقط تاجه على الأرض، ظل تفكيره محصورًا في أمر واحد. بينما يدفعه محارب الرونين بمؤخرة سيفه في ظهره، كي يرغمه علَى الركوع على الأرض، كان كل ما تمناه أن تكون الملكة قد لاذت بالفرار بطريقةٍ أو بأخرى.

"هنا!" هتف أحدهم.

بدأ محاربو الرونين المحيطون بالملك في الاندفاع نحو حجرة الملكة. "لا"! حاول الملك الحركة لكن محارب الرونين منعه. تلوى وجه الملك ألمًا. وقف الأمير أمامهم، فدفعوه في قسوة وخطوا فوق جسده في عجالة. نهض الأمير وقد تمزّقت ثيابه واندفع وراءهم. كان الرونين المسعورون يدفعون أو يركلون نساء البلاط اللاتي يحمينَ "قاعة الراحة النفيسة". وجد حد سيف طريقه إلى رقبة سُوا.

"أخبرينا أين العاهرة!"

كان جسد سُوا يرتعش بشدة. بالكاد كانت تستطيع فتح فمها كي ترد فضربها مبارز الرونين بالسيف على ظهرها فخرت ساقطة على الأرض.

جُرَّت نساء البلاط من شعورهنَّ إلى فناء "قاعة الراحة النفيسة". كنَّ مذعورات كي يصدر عنهن أي صوت. كل ما يمكن سماعه هو خطوات أقدام الرونين الثقيلة، وصياحهم الدائم باسم الملكة.

عثرت چين على سُوا وساعدتها على الوقف على قدميها. فجأة مدت سُوا ذراعها لتصنع درعًا حول چين. مزق نصل سيف أحد محاربي الرونين ذراع سُوا. بالكاد تمكنت الصرخة التي انفجرت داخل چين من الخروج. هزَّت چين جسد سُوا في ذعر محاولة أن تبقيها واعية. حدق محارب الرونين في شعر چين القصير وفستانها الغربي قبل أن يركلها ويواصل الانطلاق.

"لا بُد أن الملكة مع نساء البلاط الكبيرات!"

نظرت چين التي أحاطت صديقتها بذراعها إلى مصدر هذا الصوت. كانت امرأة ترتدي كيمونو توجه الرونين إلى حجرة الملكة. كانت ابنة سو تشونسيل التي كانت تبتسم بجوار الملكة أثناء لعبة الرمي. رأتها چين تسلم رسومات الملكة إلى الرونين. اندفعت أعداد كبيرة من الرونين في الاتجاه الذي أشارت إليه. بينما تهم چين بإرقاد جسد سُوا على الأرض والاندفاع إلى حجرة نوم الملكة، شعرت بأصبع ابنة سو تشونيل تحرك ذقنها كي تواجهها.

"إنها أنتِ! انظري إلى نفسك! لا أستطيع أن أميِّز ما إذا كنت رجلًا أم امرأة!"

صفعت چين يدها وقبضت بغلظة على رداء الكيمونو.

قهقهت ابنة "سو تشوسيل". كانت عيناها الضيقتان مليئتين بنشوة الانتصار.

"عندما ينتهي هذا، لماذا لا نتباري في لعبة الرمي قرب باغودا العطر الفوَّاح!"

دفعتها چين بقوة. ترنحت ابنة "سو تشونسيل" مثل دمية ماريونيت قبل أن تستعيد توازنها بسرعة وتقف أمام چين وجهًا لوجه. دفعتها چين مرة أخرى، لكن هذه المرة مالت ابنة "تشونسيل" قليلًا متفادية يدي چين قبل أن تواجهها مرة أخرى. كانت مثل دمية بهلوانية. مهما دفعتها چين بقوة، كانت تستعيد توازنها بسرعة وتسد الطريق أمامها من جديد.

"سأقتلك!" صاحت چين.

ألقت چين بحفنة من دم سُوا على عيني ابنة "سو تشونسيل" التي رفعت يديها لتحمي وجهها فتلطخت رسومات الملكة في يديها بالدم قبل أن ترميها. تبعثرت الرسومات على الأرض.

طاردت أذني چين ضحكة ابنة "تشونسيل" الشيطانية وهي تندفع داخل الحجرات الداخلية بحثًا عن الملكة.

كان محاربو الرونين يفتحون كل باب على مصراعيه بقوة. كانت وجوههم محمرَّة، وقد كساها حنق شديد.

ربطت كل امرأة داخل الحجرات ضفيرة شعرها بالطريقة نفسها، وارتدت نفس التنورة النيلية والرداء الأخضر الياقوتي والمعطف الأخضر،

زيّ نساء البلاط الأعلى مكانة. كنّ جميعًا يضعن حتى مشابك الشعر الكبيرة نفسها في شعرهنّ. كانت عيونهن جميعًا تشع خوفًا ومقتًا.

في اللحظة التي توقف الرونين أمام هؤلاء النسوة قليلًا في ارتباك، اندفع الأمير ولي العهد عبرهم، ووقف أمام باب الحجرة الأكثر عمقًا داخل القصر ليسد الطريق بجسده. دفعه محاربو الرونين جانبًا واندفعوا إلى داخل الحجرة. رغم الرسومات التي معهم، بدت كل النساء داخل الحجرة متشابهات في عيونهم. لم تكن ثمة طريقة لتحديد أيهنّ الملكة. في تلك اللحظة، بلغت چين مدخل الحجرة والتقت عيناها المحتقنتان بالدم بعيني ليدي سوه الجالسة في الصف الخلفي.

"من منكنّ هي الملكة؟!"

وجه محارب رونين حد سيفه الكوبلت نحو امرأة بلاط تجلس في الصف الأمامي.

"تكلمي...! من منكنّ هي الملكة؟!"

عندما أغلقت امرأة البلاط أمامه عينيها، غرز سيفه في رقبتها. انهارت چين على ركبتيها. زحفت چين بجسدها بين أقدام الرونين نحو امرأة البلاط المنهارة على الأرض. انتشر دمها حولها فوق الأرض. هل هذه البربرية كابوسٌ أم أنها تحدث حقًا أمام عينيها؟! هل يمكن أن تُنتهَك حرمة حجرات الملكة هكذا؟!

انهضي! انهضي! انفجرت الصرخات عميقًا بداخلها. أمرت چين ركبتيها، ثم ناشدتهما في توسلٍ، لكن ركلها محارب رونين في جنبها.

كانت المرأة الوحيدة في الحجرة التي كان من الجلي أنها ليست الملكة هي چين، بشعرها القصير وفستانها الغربي، فستانها الأزرق كالماء.

أشهر كل محارب رونين سيفه في وجه أقرب امرأة بلاط منه.

" أنتِ؟!"

"..."

مزّق السيف رقبتها.

"أنتِ؟!"

"..."

مزّق سيف آخر رقبة أخرى.

"هذه تعرف!" صاحت ابنة "سو تشونسيل" التي اندفعت إلى الحجرة الآن بوجهها الملطخ بدم سُوا. كان إصبعها يشير إلى چين. أحد جانبي وجه الفتاة الخائنة كان يتلوى ألمًا، لأنها مضطرة لخيانة الملكة التي أحبتها كثيرًا.

التفتت عيون نساء البلاط في اللحظة نفسها إلى چين. ارتعش انعكاس عيني الملكة المحتقنتين بالدم في مقلتي چين السوداوين.

"من هي الملكة؟! اشيري إليها!"

وجه محارب رونين سيفه إلى رقبة چين.

نهض الأمير الذي كان قد سقط على الأرض، وسد طريق أحد الرونين. سارع وزير شؤون القصر "لي كيونغ جيك" إلى الوقوف بين الأمير ومحارب الرونين. دون تردد، غرز المحارب سيفه في أحشاء "لي كيونغ جيك"، ولفّه من اليسار إلى اليمين ثم من اليمين إلى اليسار. تدفقت الدماء على الأرض. رُكِلتْ جثة "لي كونغ جيك" جانبًا. رفع محارب الرونين

مؤخرة سيفه الثقيلة فوق رأس الأمير. التصقت النساء بأجساد بعضهن البعض في رعب.

"استسلمي، أيتها الحثالة!"

نهضت إحدى نساء البلاط واندفعت أخرى نحو الأمير. كانت ليدي سوه.

تأرجح السيف الذي كان موجهًا إلى چين في الهواء نحو ليدي سوه. ارتطم سيف محارب الرونين الآخر بمؤخرة رأس الأمير فأفقده الوعي. تدحرج تاجه على الأرض.

"لا يمكن... لا يمكن أن يحدث هذا!"

كانت صرخة المرأة التي نهضت عندما كانت حياة الأمير مُهدَّدة. التفتت واندفعت خارج الحجرة من باب خلفي. أشارت ابنة "سو نشوسيل" نحوها. هتف محاربو الرونين الذين كانوا يوجهون سيوفهم نحو ليدي سوه: " تلك هي الملكة!" ثم اندفعوا وراءها. تجمعت نساء البلاط وراء الرونين.

سدت امرأة بلاط كبيرة في السن الطريق أمامهم وصاحت: "أنا الملكة!"

قُطِعتْ رقبتها.

كانت چين الآن وسط نساء البلاط اللاتي تنهال عليهنّ أنصال السيوف وتركلهنّ الأقدام وتدفعهنّ الأيدي بعيدًا، لكنها تمكنت من متابعة الركض مع من صمدن من النساء. *"رجاءً، كوني سالمة! رجاءً، كوني سالمة!"* بدأت تغيب عن الوعي لكنها قاومت وأبقت على عينيها مفتوحتين.

أمسك محارب الرونين الذي لحق بالملكة إلى مرج أخضر خاص بالجناح الملاصق لقاعة الراحة النفيسة، بجسد الملكة ورماها على الأرض. شعرت چين بركبتيها تنهاران وبجسمها يسقط إلى الأمام. ركلها محارب رونين بقوة وهو يتجاوزها مندفعًا. حاولت چين أن تزحف نحو الملكة لكن قبض أحدهم على ذراعيها وطوقهما خلف ظهرها. كانت ابنة "سو تشونسيل". كانت تضحك لكن شاب ضحكتها تعبير بالصدمةِ كأنها لا تصدق ما يحدث.

تمزق فستان چين من الخلف كاشفًا عن ظهرها العاري. في خضم صراعها لتحرير نفسها، رفعت عينيها لأعلى. ما رأته جعل دماءها تتجمد.

تلقت ليدي سوه التي تبعت الملكة حتى النهاية، طعنة سيف نافذة في ظهرها. في اللحظة التالية، رفع محارب الرونين السيف نفسه مرة أخرى وغرزه في قلب الملكة.

توقفت الحركة في عيني چين. تدفق دمٌ قرمزي من جسدي ليدي سوه والملكة.

(٧)
طائرٌ بلا قدمين

توقفت المرأة سوه للحظة قبل أن تخطو إلى داخل منزل "بانشون".

امتدت يد الإهمال سريعًا إلى جنبات البيت من دون وجود بشري دائم. بدا البيت مهجورًا منذ بدأت چين تحبسُ نفسها بداخله. غطت الحشائش غير المهذبة الفناء، وتراكمت أوراق الشجر الميتة من العام الفائت لأن لا أحد يقوم بكنسها. جثمت رقعة الخضراوات، الشيء الأول الذي يجب الاعتناء به مع قدوم الربيع، مهملة ومهمشة. فقط شجرة المُشمش المُزهرة بدت كما هي دائمًا، واقفة بمفردها في الفناء.

دفعت المرأة سوه البوابة المنخفضة، التي لم تُفتح منذ آخر مرة أغلقتها هي فيها منذ عشرة أيام. عرفت أنها لن تتلقى ردًا لكنها نادت على چين على أية حال. نفضت التراب عن حذائها. تردد صدى صوتها في الفراغ. ذهبت المرأة سوه إلى المطبخ أولًا. كما توقعت، لم يُظهِر الفرن أي دلالة على أنه قد أُشعِل مؤخرًا. صبت المرأة سوه الماء في المرجل فوقه، وأشعلت النار. دعكت عينيها وحدقت في اللهب الأحمر. أصبح شعرها أبيض تمامًا. حدث ذلك عندما سمعت بخبر موت الملكة مع أختها الصغرى ليدي سوه.

بعد أيام من الحادثة، وجدت المرأة سوه چين راقدة فاقدة الوعي في مسكن الليدي "لي" التي اعتادت أن تصطحب چين من وإلى القصر كل يوم، عندما كانت چين طفلة في خدمة المحظية الأرملة تشولين. تقوس ظهر المرأة سوه بشكل دائم بعد أن حملت جسد چين المُلطخ بالدم إلى البيت.

كانت مفاصل أصابع المرأة سوه التي تحسست المرجل سميكة ومُتصلّبة. عندما أحست أن المرجل بات ساخنًا بالقدر الكافي، دفعت المزيد من الحطب إلى داخل الفرن، ثم أغلقت بابه. فردت ظهرها بقدر الإمكان وفتحت باب حجرة چين. تمامًا كما كانت منذ بضعة أيام، تجاهلت چين كل ما يدور من حولها، واتخذت وضع الجنين تحت غطائها.

هل كتبت رسالة؟ كانت ترقد رسالة بجوار وسادتها. دخلت المرأة سوه إلى الحجرة ومرَّرت يدها تحت الفراش. كانت چين ترقد في أدفأ موضع في الحجرة لكن النار لم تكن قد أدفئت الأرضية بعد. التقطت الرسالة. كان اسم ڤيكتور مكتوبًا عليها. فتحت چين عينيها. رمشت كأنها لا تستطيع تحمل ضوء الشمس النافذ من خلال الأبواب المنزلقة ذات الحاجز الورقي. تحدثت المرأة سوه.

"لقد تفتحت أزهار شجرة المشمس. هل رأيتها؟"

لم تأكل چين منذ أيام. كانت عيناها غائرتين. لا أثر لأي تورُّدٍ في خدَّيها الضامرين. خصلات شعرها عبارة عن كتلةٍ متشابكة. حاولت چين النهوض. ساعدتها المرأة سوه على الاستناد على الحائط. كانت مؤخرة عنقها -التي كانت يومًا منتصبة- مائلةً بفتور إلى أحد جانبي رأسها، بينما تبرز فقرات عنقها أسفل فستانها. حدقت المرأة سوه نحوها ثم رفعت غطاء قدر عصيدة الأرز الذي تركته لها آخر مرة. لم تأكل منه شيئًا. نهضت المرأة

سوه وأحضرت عصيدة الأرز التي أعدتها في دار الأيتام قبل قدومها إلى چين. كانت سميكة لأن المرأة سوه تركتها على النار لوقت طويل حتى نضجت تمامًا. لكن چين أبت أن تأكل. حاولت المرأة سوه ملاطفتها حتى تأكل. في النهاية استسلمت وأعادت القدر على الطاولة.

"هل الموت هو مبتغاكِ؟"

"..."

"هل هو كذلك؟!"

"..."

"إذا أصررتِ على هذا، فسأمتنع عن الطعام أنا أيضًا!"

"..."

"سأفعل!"

تدفقت الدموع على وجه چين الجاف.

"لم يكن بوسعك فعل أي شيء. ظن الجميع أن الملكة قد تمكنت من الفرار إلى مكانٍ آمن بالفعل. من كان يعلم أنها ستموت بهذه الطريقة البشعة؟ لقد طلب الملك اللجوء إلى المفوَّضية الروسية".

قرَّبت المرأة سوه ملعقة من عصيدة الأرز من شفتي چين.

"تناولي قدرًا ضئيلًا فقط! إذا لم تأكلي، فلن آكل أنا أيضًا من الآن فصاعدًا!"

"..."

"قدرًا ضئيلًا فقط! ملعقة واحدة فقط!"

بمجرد أن دخلت اللقمة إلى فم چين، تفلتها. كان جسد چين المُعذَّب يرفض حتى عصيدة الأرز.

واست المرأة سوه چين التي تمكنت من بلع القليل من الطعام قبل أن تبدأ في التقيؤ من جديد. ما تطعمه المرأة سوه لچين، ترفضه معدتها. في النهاية استسلمت المرأة سوه. بيدٍ مرتعشة، مسحت المرأة سوه وجه چين باستخدام قطعة قماش مَطويَّة. كانت تجاعيد القلق التي علت جبهة المرأة سوه عميقة.

طفت رائحة غريبة في الحجرة.

"افتحي الباب!" قالت چين.

فتحت المرأة سوه الباب. كانت لا تزال هنالك برودةٌ في الجو، لكن شمس الربيع الصافية بأشعتها الشفافة قد أشرقت فوق عتبة المنزل. دخل نسيم الربيع إلى الحجرة. تأملت چين أزهار شجرة المشمش المتفتحة لبرهة، ثم أمسكت بيد المرأة سوه.

"أمي...!"

نظرت المرأة سوه إلى عيني چين. كانت أول مرة تسمع المرأة سوه چين تناديها بأمها منذ عودتها إلى كوريا.

"خذيني... خذيني إلى القصر..!"

صمتت المرأة سوه. بدا أن چين تنظر إلى الزهور، لكن المرأة سوه أدركت أن لا شيء في عيني چين الغائرتين. تلك العينان اللتان رأتا الملكة تُطعن ثلاث مرات بسيف محارب الرونين، قبل أن ينهار جسدها تحت أقدامهم.

"ماذا ستفعلين في القصر؟ لا شيء.. لا شيء في القصر!" انقبضت حنجرة المرأة سوه. شعرت بغصة وهي تقول ذلك. لا *الملكة هناك*. ولا

ليدي سوه شقيقتها الصغرى هناك. ولا حتى *سُوا هناك*. حتى الملك هجر القصر.

"رجاءً، خذيني إلى هناك!"

قرَّبت المرأة سوه وعاءَ ماءٍ فاتر من شفتي چين. التقطته چين بكلتا يديها وتجرعته كله. ناولت الوعاء الفارغ إلى المرأة سوه، وحاولت أن تبتسم.

"هل يجب عليك الذهاب إلى هناك حقًا؟"
أومأت چين.

"علينا أن نستدعي محفّة. لا يمكنك المشي إلى هناك بهذه الحالة! سأرسل رسالة إلى ليدي لي، لأرى إذا كان بإمكانها أن تؤمن لكِ الإذن بالدخول!"

"الآن!"
"الآن؟!" كررت المرأة سوه كلمات چين. أومأت چين من جديد.
"حسنًا، هل تودين أن أمشط شعرك أولًا؟!"
أومأت چين.

فتحت المرأة سوه خزانة منقوش عليها رسم زهرة عود الصليب. كانت على وشك أن تخرج مشطًا، لكن چين أشارت إلى الفرشاة. فرشاة مرسوم عليها وردة، هدية ڤيكتور. كم كان يجب تمشيط شعرها بها! أجلست المرأة سوه چين بلطف أمامها، ومررت هذا الشيء الأجنبي الغريب عليها، خلال شعر چين الجاف.

"أمي...!"

توقفت المرأة سوه عن تمشيط شعر چين، ومالت برأسها جانبًا كي تواجه چين.

"رجاءً، خذي تلك الرسالة إلى بول شوي في المفوَّضية الفرنسية!"

"..."

"أخبرني أن ڤيكتور سيعود إلى كوريا في غضون أيام قليلة. عليكِ أن تعطيه الرسالة قبل ذلك!"

اتسعت عينا المرأة سوه.

"لكن لماذا سيعود؟"

"لقد أُعيد تعيينه موفَدًا لفرنسا إلى كوريا".

"هل سترينه مرة أخرى؟"

" لا... لا أستطيع!"

"..."

"يجب أن تعطي بول شوي تلك الرسالة!"

همت المرأة سوه بقول شيء، لكنها فكرت أن من الأفضل أن تلتزم الصمت، وغادرت لتستدعي المحفَّة.

جلست چين بمفردها. فتحت أحد أدراج الخزانة وأخرجت حزمة من الكتان. فتحتها. بداخلها كان يوجد معطف أخضر ياقوتي وتنورة نيلية اللون وشريط زينة أحمر لشعرها. زي امرأة البلاط الذي ارتدته عندما غادرت القصر لزيارة المفوَّضية الفرنسية. غادرت القصر مرتدية هذا الزي، وهي لا تعلم أنها لن تعود للعيش هناك مرة أخرى. فوق الزي كان يقبع القاموس الفرنسي/الكوري المكتوب بخط اليد بأوراقه المصفرة

المهلهلة، والذي كان يستخدمه بلانك لتعليم چين الفرنسية. تتذكر چين كيف راقبها ڤيكتور في صمت وهي تحزمه في حقيبتها. كان أول شيء تحزمه قبل رحلة العودة إلى كوريا. تتبعت چين نظراته، وتأمَّلت القاموس بدورها قبل أن تلفّه في حزمة أخرى.

تفحصت چين ثياب امرأة البلاط القديمة الخاصة بها. لو كانت ترتدي هذه الثياب في ذلك اليوم، لكانت مع الملكة الآن! دفع محارب الرونين چين جانبًا، لكنه لم يجرؤ على قتلها. لم تستطع تحمُّل ذنب نجاتها رغم مقتل ليدي سوه ورفيقتها سُوا.

خلعت چين فستانها وارتدت زي امرأة البلاط بدءًا بالرداء الداخلي الذي يغطي جسدها العاري. جدلت شعرها الذي فقد نضارته في ضفيرة ثبتتها بشريط الزينة الأحمر. تصفيفة الشعر التي كانت تتناوب هي وسُوا على فعلها للأخرى كل صباحٍ أثناء الأيام التي قضياها معًا في جناح التطريز في البلاط الملكي. مهما حاولت الآن، كان شعرها المتقصف يأبى أن يبقى ثابتًا في مكانه، بخصلاته التي واصلت الانفلات من عُقَد الضفيرة.

تأملت المرأة سوه چين بعينين قلقتين، بعد أن عادت إلى الحجرة وقد استدعت المحفَّة.

بعد فقدان الملكة، قضى الملك لياليه في رعبٍ وقلق، قبل أن يهجر القصر في فبراير. بعد أن تمكن من التسلُّل متجاوزًا القوات اليابانية التي كانت تتدرب أمام البوابة الرئيسية للقصر، ركب الملك محفّة مُخصَّصة لنساء البلاط إلى مبنى المفوَّضية الروسية. هرب الأمير ولي العهد معه.

بات القصر بعد أن فقد مالكه، شبحًا أجوفًا لمجده السابق. إلى أين رحلت كل الحاشية الملكية؟

أعلنت اليابان أن وصي العرش هو المسؤول عن أحداث تلك الليلة، مدعية أنه تآمر مع الجيش الجديد الناقم على القصر لطرد الملك والملكة، والاستيلاء على الحكم. نشروا شائعة بأن الملكة قد فرَّت من القصر. أرغموا الملك على التوقيع على أمر طرد الملكة. وإمعانًا في إذلاله، أرغموه أيضًا على إصدار فرمان يُلزم الرجال بقصِّ شعرهم. عندما أصبح الملك أول من يقص شعره، بكي الناس في الشوارع من الإهانة.

شهد مهندس الكهرباء الروسي "ساباتان" والجنرال الأمريكي "داي" الذي كان يقضي تلك الليلة في القصر، ما حدث حقًا هناك لكن واصلت اليابان إنكار موت الملكة. لم يستطع القصر أن يقيِّم حتى جنازة لها. باستثناء قليل من الأكاديميين الذين تظاهروا في صمتٍ أمام بوابة استقبال الخريف، مطالبين بعودة الملك وإلغاء فرمان قص الشعر المهين، خيم الصمت على أرجاء القصر.

عندما بلغا بوابة القصر، رأت چين الجنود اليابانيين يعطون شيئًا إلى المرأة سوه. لم يتحرى الجنود بشكل دقيق عن سبب الزيارة. كان الأمر أشبه بالدخول إلى بيت خالٍ.

جالت المرأة سوه في أرجاء القصر في هلع بحثًا عن چين.

حتى مع رحيل الملك، لم تجرؤ المرأة سوه على دخول القصر دون رهبة. فكرت أن من الأفضل على الأقل أن تحصل على إذن كتابي من الليدي "لي" في مسكنها كي لا يعترض طريقهما أحد. هكذا تركت چين في بقعة مُشمِسة وطلبت منها أن تنتظرها. لكن عندما عادت، كانت چين قد اختفت.

لم تعثر المرأة سوه وليدي لي على چين إلا وقت الغروب. كانت چين ترقد فوق تل وراء قصر "غيونشيونغجونغ".

منذ شهور، كانت ابنة "سو تشونيل" تمسك بچين بينما يقتل الرونين الملكة أمام عينيها. لم تتحرر چين من قبضتها إلا بعد أن لفوا جثة الملكة في غطاء ونقلوها إلى هذا التل. عندما رآتهم چين يرمون بجثة الملكة فوق كومة من الحطب ويصبوا الكيروسين فوقها قبل أن يضرموا فيها النار، غابت عن الوعي.

الشيء التالي الذي يمكنها تذكره هو استيقاظها في مسكن الليدي "لي". لم يتمكنوا من العثور على جثة سُوا التي سقطت قرب قاعة "الراحة النفسة" أو أشلاء ليدي سوه الباسلة. لو لم تعثر ليدي "لي" على چين راقدة بين اليقظة واللاوعي فوق هذا التل، وتحمُّلها على ظهرها كما كانت تفعل وهي صغيرة، لم يكن بالإمكان توقُع ما كان سيحدث لها هي أيضًا.

أراد الرونين أن يرموا عظام الملكة المتفحّمة في بركة، لكن چين سمعت أن ثمة شخص قد وصل إلى الرفات أولًا ودفنها في مكانٍ ما داخل القصر، مما شجعها على الذهاب إلى القصر والحفر بحثًا عن عظام الملكة.

حاولت ليدي "لي" أن تساعد چين على النهوض. كنَّ بجوار تلك البقعة التي أُحرقتْ عندها جثة الملكة في تلك الليلة الرهيبة. طلبت چين في همس أن يأخذاها إلى جناح الملكة. أخبرتها ليدي "لي" أنه لا يوجد أحد في جناح الملكة. أصرت چين. في النهاية، كما فعلت مئات المرات قبل عشرين سنة، عندما كانت چين الصغيرة في خدمة المحظية الأرملة تشولين، حملت ليدي "لي" چين على ظهرها هابطة التل إلى داخل البلاط الرئيسي وأجلستها عند جناح الملكة.

مضى على ذلك أربعة أيام.

أتت ليدي "لي" إلى المرأة سوه الجالسة أمام البوابة المزدوجة لجناح الملكة. ظل جناح الملكة خاليًا لوقت طويل الآن. فمنذ نقلت الملكة مكان نومها إلى قصر "غيونشيونغجونغ"، فقد جناح الملكة حيويته وغلّفتْ البرودة المبنى. في الماضي كانت البوابة المزدوجة متآكلة عمليًا من كثرة عبور الزائرين، لكن الحشائش نبتت الآن في كل مكان. هاهو جناح الملكة يربض مهملًا في أشعة شمس أوائل الربيع.

"هل لا تزال...!"

أومأت المرأة سوه برأسها. ترفض چين مغادرة جناح الملكة منذ أن دخلته منذ أربعة أيام.

"ماذا تفعل هناك؟"

"تتحسس الأشياء التي لا تزال هناك".

"يقولون إن روح الملكة تحوم داخل جناحها. لكن لم يتبق سُوانا من نساء البلاط في القصر الآن...".

كانت مثل تلك الشائعات طبيعية بعد أن دخلت امرأة جناح الملكة ورفضت أن تغادره.

دارت الرياح المُوحشة حول جناح الملكة.

دخلت المرأة سوه وليدي "لي" إلى داخل المبنى لتبحثان عن چين. لأربعة أيام، مررت چين يديها فوق كل سطح في جناح الملكة كأنها تحاول حفظ تفاصيل المكان عن ظهر قلب. لكن اليوم كانت تجلس في الجهة المقابلة للمكان الذي كانت تجلس فيه الملكة عادة. كان رأسها منحنيًا كأنها تنصت

إلى شخص ما. كانت شفتاها تتحركان من حين إلى آخر كأنها تتحدث. ضمر جسدها كثيرًا جدًا حتى بدت أشبه بطفلة.

دمعت عينا الليدي "لي".

"كيف ستواصل الحياة هكذا؟ هل تأكل أي شيء؟"

"لا تضع في جوفها أي شيء سوى الماء".

رأت المرأتان چين ترقد على جنبها وتريح رأسها على مرفقيها. جذبت ليدي "لي" المرأة سوه بعيدًا.

"اذهبي إلى مسكني! كلي شيئًا واستريحي! لا شيء يمكننا فعله لها الآن".

استشعرت چين من خلال عظامها الهشة حركة المرأتين وهما تفتحان باب جناح الملكة وتغلقاه وراءهما.

كما تمنت چين، بدأ جسدها يضعف. كانت العينان اللتان شاهدتا في عجز وقهر الملكة وهي تُقتَل، تضعف أكثر وأكثر. لكن في المقابل وبغرابة شديدة، بدأت حاسة السمع لديها تقوى. يمكنها الآن سماع كل شيء، بدءًا من صوت هبوط الطيور فوق شجرة الصنوبر العتيقة في فناء القصر المهجور حتى صوت ارتطام الصخور التي يقذفها الجنود اليابانين في كسل، بالجدار الصخري لبئر الملك.

"لا أستطيع الحياة...!"

تمتمت چين الراقدة بلا حراك وعيناها مثبتتان على المكان الذي كانت لتجلس فيه الملكة لو كانت حية.

"لا أستطيع الموت...!"
اعتصر الألم وجه چين.
"لا يمكنني الحياة أو الموت... ماذا يجب أن أفعل إذًا؟"

غادرتها قوتها. بالكاد كانت تستطيع الإبصار، لكنها تذكرت بوضوح الليلة التي قضتها في جناح الملكة بعد عودتها من باريس، عندما استيقظت الملكة وأشعلت سيجارة وهمست بأعمق هواجس روحها.

"هل لا زلتِ نائمة؟"

رفعت چين رأسها فجأة إثر سماعها صوت الملكة. بدا الصوت كأنه قادم من مكانٍ قريب، لكنها لم تر سوى العتمة الباردة لجناح الملكة التي تحيط بها. أدركت أنه صدى صوت الملكة من تلك الليلة التي كانت تنام فيها بجوارها يتردد في رأسها. ندمت على أنها تظاهرت بالنوم تلك الليلة. لماذا تظاهرت بالنوم وتركت الملكة تشعر بمثل تلك الوحدة؟!

"سيدتي المسكينة...!"
رطبت الدموع عينيها الجافتين.
"سيدتي المسكينة...!"
تدفقت الدموع من داخلها.

هل كان ربيعًا أم خريفًا عندما رافقت الملكة الطفلة چين التي تاهت أثناء تجوالها في القصر إلى هذه الحجرة نفسها؟! تلاشت ذكريات الزمن والفصول من ذهنها وفقدت إحساسها بالوقت. تلك اليد التي تناولت سكين الفاكهة وقطعت دائرة بطول قمة الكمثرى ثم كشطت لب الثمرة الرطب بملعقة وأطعمته للطفلة چين. *"هل مذاقها حلو؟! هل أعجبتك؟!"*

لم تأبه الملكة بقطرات عصارة الكمثرى المتساقطة على أكمام ردائها الملكي الحريري مواصلة ملأ الملعقة مرة تلو الأخرى. شعرت چين بحلاوة الكمثرى تملأ فمها.

"جلالتك! سيدتي المسكينة!"

ابتلعت چين ريقها كأنما قد تناولت ملء فمها من الكمثرى الحلوة المذاق.

عندما رأت چين السيف يمزق جسد الملكة، أدركت أنها كانت ترى في الملكة أمها الحقيقية. أن الملكة ليست شخصًا مهيبًا يصعب النظر في عينيه بل أمًا، أم طيبة وقوية. لهذا رغم السخط وخيبة الأمل اللذين شعرت بهما چين نحوها، لم تستطع أن تتوقف عن حبها أبدًا.

مدفوعةً بقوة غريبة، نهضت چين وانحنت بشدة أمام مقعد الملكة. غير واثقة من قدرة ساقيها على حملها، بدأت بحركات بطيئة فوق الأرضية. الجزء الأخير من رقصة "أوريول الربيع". عندما فردت ذراعيها، تراءت أمامها المأدبة مثل السنوات الخوالي. السنوات التي كانت تعلم فيها دون أن تنظر أن صوت ناي الدايغوم، المنصهر مع حركة أكمام ردائها التي تشبه الأجنحة، أو نظرتها الساكنة والخاشعة كأنها تتأمل زهرة جميلة، هو صوت يون. في سنواتها كامرأة بلاط، حيث عاشت في خوف مُقيم مما يمكن أن يحدث للقصر والبلاد، لم تشعر بالحرية حقًا إلا أثناء الرقص. مكنها الرقص من الشعور بالحب، أو بنسمة هواء تداعب بشرتها، أو بمديح مَرح، أو بسقوط زهرة ذابلة أو بجريان المياه. كيف كان يمكنها أن تعلم أن آخر مرة أدت فيها الرقصة بكل حواسها كانت من أجل الملكة، في الليلة التي سبقت مغادرتها إلى باريس؟

ما مصدر تلك القوة العجيبة ؟! كيف أنهت چين التي بالكاد كانت تستطيع الوقوف، الرقصة بشكلٍ متقن. كيف التقطت أنفاسَها وضمت يديها وابتعدت عن المسرح؟!

غشت أشعة شمس الربيع الباردة عينيّ چين وهي تغادر جناح الملكة. كانت تحمل بين ذراعيها الحزمة الكتانية التي أحضرتها معها منذ أربعة أيام. تجاوزت بعينيها سقف جناح الملكة حتى بلغت جناح المحظيات الأرامل في الشمال. هناك علمت المحظية الأرملة تشولين الطفلة چين الحروف: "شون"، "غوى"، "مان"، "سو" المحفورة فوق الحائط المزخرف. تذكرت الحزن والصبر اللذان كانا يعلوان وجه المحظية الأرملة الشابة وهي تستمع إلى نطقها للحروف.

سارت چين نحو الحدائق الخلفية لجناح الملكة حيث كانت تتنزه الملكة مع خادمات بلاطها. فقد تل "إميسان" الذي تشكّل من التراب الذي أخرج من الأرض أثناء تشييد البركة المحيطة بسرادق الاحتفالات جماله بعد أن غطته الحشائش الطويلة. اختفى تناسق الأشجار والزهور المتنوعة الذي كان يصنع لوحة طبيعية خلابة. فقط جبل "بايكاغسان" كان ينظر بتجهم إلى التل حيث كانت لا تجرؤ قدم إنسانٍ على السير هناك. طفت أوراق الأشجار الميتة من العام الفائت فوق بركة الغروب وبركة مَولِد القمر. وقفت قطة خليط بين الأبيض والأصفر، ربما كانت ترعاها امرأة بلاط في السابق، في مواجهة أشعة الشمس فوق التل قبل أن تندفع بعيدًا عند سماع وقع أقدام چين المقتربة.

بعد تجوُّلها الخامل في أرجاء القصر، جلست چين فوق صخرة بيضاء محاطة بحشائش طويلة، وأسندت ظهرها على فانوس حجري. وقفت القطة أسفل شَجرة الصنوبر العتيقة قرب جناح الملكة، والتفتت لتنظر إلى

چين. فضَّت راقصة البلاط السابقة الحزمة لتكشف عن القاموس الفرنسي الكوري الذي كتبه بلانك بخط يده. وضعته چين فوق ركبتيها وهمست:

"سامحني!"

انبثقت الدموع من عينيها من جديد.

"سامحني!"

كررت الكلمات من دون أن تعرف إلى من توجهها.

بدأت في تمزيق صفحات القاموس المصفرَّة، وحشرها صفحة تلو الأخرى داخل فمها.

موتُ الملكة على يد محاربي الرونين ولفُّ جثتها في غطاء وحرقها سرًا، بالنسبة للعالم كان كل هذا مجرد شائعة. رغم أنهم رأوا بأم أعينهم، محارب الرونين وهو يمزق رداء الملكة الداخلي ويغرز سيفه في قلبها ثلاث مرات، يتحدثون جميعًا عن الملكة كأنها لا تزال على قيد الحياة. لم تُقام جنازة حتى وأُجبِر الملك على تجريدها من لقبها.

بينما يتهامس الناس عبر البلاد بالشائعات التي تحيط ظروف موت الملكة الغامضة، اختلست چين بعضًا من الزرنيخ من مخزن أدوية وعطارة القصر. وفي حجرتها ببيت "بانشون" مرتدية فساتينها الغربية الواحد فوق الآخر، دهنت صفحات قاموسها المصفرَّة بالزرنيخ. رفضت الارتجافات التي داهمت جسدها أن تتوقف. بين الكلمات الفرنسية التي تعلمتها وهي فتاة صغيرة بوجنتيها المتوردتين بحمرة الشباب، يرقد الآن السبب الذي سيوقف تنفُسها إلى الأبد عما قريب.

"هذه هي الطريقة الوحيدة!"

بينما تمزق چين الصفحات وتحشرها داخل فمها، امتقع وجهها أولًا من هول اللحظة، لكنها سرعان ما تماسكت عازمةً على إنهاء مهمتها الأخيرة. ارتسم على وجهها طيف ابتسامة. من مكان ما في الجانب الآخر لأفكارها المتلاطمة، تراءت أمامها ذكرياتها في شوارع باريس. تذكرت الحزن الذي اجتاحها في الليلة التي أجهضت جنينها في حفل الوزير الراقص. تذكرت وجه يون وهو ينصت إليها باهتمام شديد وهي تحكي قصة "أحدب نوتردام".

في آخر رسالة كتبها لها يون، ضمن الرسائل التي عثرت عليها في حجرته في بيت "بانشون"، كتب أنه حاول جاهدًا العثور على شيء يضاهي حبه لها لكن عالمه كان محدودًا جدًا مقارنة بحبه لها، وأنه لم يستطع أبدًا العثور على أي شيء يفي بذلك.

بعد برهة، عبرت المرأة سوه البوابة المزدوجة إلى داخل جناح الملكة. بحثت مذعورةً عن چين. وجدتها مستندة إلى فانوس صخري في الحدائق الخلفية لجناح الملكة، في بقعة تطل على جبل "بايكاغسان". كانت القطة التي فرت من چين اتجاه شجرة الصنوبر العتيقة قد عادت وانكمشت حول نفسها عند قدمي چين. برزت قطرة دم ضئيلة على شكل خيط رفيع من فم چين بينما تقبض يداها المتصلبتان على حفنةٍ من ورقٍ ممزق.

أشرقت أشعة شمس بداية الربيع على مؤخرة عنق چين، بينما تتناثر قطع الورق الممزقة بفعل نسيم الربيع، متطايرة بعيدًا في الهواء. بدت مثل فراشاتٍ ذهبية تفرد أجنحتها في ضوء الشمس.

الخاتمة

ليلة شتوية في عام ١٩١٤م في باريس...

أشعل "ڤيكتور كولين دي بلانس" المدفأة. في الماضي عندما كان يعيش في هذا البيت، كان يبدأ النهار في الشتاء أمام نار المدفأة، يحتسي الشاي باللبن ويقرأ الجرائد. متى سيحظى براحة البال تلك مرة أخرى؟! كان يستعد لمغادرة المكان بمجرد أن ينتهي من حرق كومة الأشياء التي جمعها أمام المدفأة.

كان البيت واحدًا من عدة بيوت تحيط بالساحة وتقف أمامها أجمّة أشجار الزان. بيوت من أجل الطبقة الباريسية الراقية. لم يبد البيت كبيرًا من الخارج، لكن ڤيكتور انبهر بطوابقه الأربعة. شعر أحيانًا أنه مسؤول عن تحقيق أحلام والده الميت الحمقاء. اعتنت أمه بالبيت خلال سنوات إقامته العشرين في الشرق، وحتى عندما كانا بالكاد يتمكنان من تحمُّل راتب مدبرة منزل، كانت أمه ترفض بيع المكان.

قذف ڤيكتور بعض الكتب والوثائق عديمة القيمة في النار وتنهد. كان يعيش حياة بسيطة ويعمل باجتهاد لكن كان البيت يستنزف دخله. منذ كان شابًا، اختار حياة تبعده عن الأعباء التي وضعها والده على كتفيه، لكن الآن يجد نفسه يعتني بإرث أبيه حتى بعد أن ماتت أمه.

سيطر الاكتئاب على ڤيكتور، وهو يقذف بالأشياء عديمة القيمة في النار.

هل مصيرنا أن نشبه تمامًا الأشياء التي نكرهها؟ مقت ڤيكتور طموح والده لكن ربما انتهت حياته مجرد امتداد له.

كانت أوروبا التي امتدت نفوذها حتى الشرق الأقصى في أتون حرب. أشعل نارها اغتيال شاب صربي الأرشيدوق النمساوي وزوجته في سرايڤو[٤٣]. عندما اكتشفوا أن هذا الشاب عميل صربي، أعلنت النمسا الحرب على صربيا فسارعت روسيا حليفة الصرب إلى تحريك قواتها ضد النمسا دعمًا لصربيا مما قاد أوروبا إلى الحرب.

العالم فوضى شديدة التعقيد من المصالح والتحالفات. انضمت ألمانيا إلى روسيا والنمسا ضد فرنسا وبريطانيا. هكذا اصطدم الألمان الرواقيون[٤٤] بزيهم العسكري الرمادي بالفرنسيين العاطفيين الذين يتغنون بأغانيهم العسكرية والبريطانيين بطبيعتهم المتجهمة. دمرت المعركة بينهم الإنجازات التي أحرزتها القارة في العصر الحديث. الحرب التي نشبت في الصيف وأسفرت عن مقتل مئات الألوف من الضحايا لم تُظهر أي إشارة على التهدئة في الشتاء. مع الانتشار السريع للشائعات بأن الألمان يستعدون لاجتياح باريس، تلاشت كل الآمال بأن تكون هذه الحرب حربًا قصيرة.

---

٤٣ الإشارة إلى اغتيال أرشيدوق النمسا فرانز فرديناند وريث العرش النمساوي وزوجته الدوقة صوفي في سرايڤو على يد كافريلو يرينسيب أحد أفراد المجموعة التي نفذت الاغتيال (خمسة صربيين وبوسني) في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩١٤م. يعرف بأنه الاغتيال الذي غيَّر التاريخ إذ أعلنت بعده النمسا والمجر الحرب وهكذا بدأت الحرب العالمية الأولى.

٤٤ الرواقية: فلسفة جبرية تعتقد بوحدة الوجود وإنّ الهدف من الفكر ليس الشعور بالسعادة بل الوصول إلى الحقيقة المجردة بعد إعمال الفكر.

استمر القتل من دون إدراك حقيقي لما تقاتل الجيوش من أجله. تجمع الشباب في "ليزانفاليد" حيث انطلق الموكب العسكري بطول السين يحث المواطنين على الانضمام إلى الحرب.

استعد الباريسيون لإخلاء المدينة في أي لحظة.

كان ڤيكتور يحرق أي شيء لا يستطيع أخذه معه، لكن شيئًا ما أوقفه. ضمن أشيائه، كان أحد الكتب الشرقية التي نشرها متحف غيميه. الترجمة باسم "هونغ جونغ-يو". فتح الكتاب على صفحة في المقدمة:

"تقع كوريا بين محيطين من أكثر المحيطات ملاحة في العالم، وتعج شطآنها بأعداد كبيرة من البحارة. رغم ذلك تظل إحدى أقل البلدان استكشافًا في العالم".

أغلق ڤيكتور الكتاب.

وجد أيضًا عددًا قديمًا من جريدة "لو فيجارو". نظر إلى التاريخ في الصفحة الأولى. ١٩١٠ ؟ قبل أربع سنوات. لماذا احتفظ بذلك العدد بالذات؟ فتح ڤيكتور بسُوالف شعره التي تكاد تتلون بالرمادي الآن، الجريدة القديمة. كانت هنالك مقالة عن ضم اليابان الإمبراطورية الكورية إليها. حدق ڤيكتور في الكلمات. *الإمبراطورية الكورية*. تذكر الصباح الذي قرأ فيه هذه الجريدة. لا يزال لقب الإمبراطورية الكورية غريبًا بالنسبة إليه. لم تحتفظ ذاكرته بهذا المسمّى الجديد لفترة أطول من الثلج الذي يهطل في المساء ثم يختفي قبل شروق شمس اليوم التالي. سيتذكر كوريا دائمًا باسم مملكتها التي استمرت في الحكم لقرون؛ "جوسيون". منذ أربع سنوات جعله العنوان يُسقِط فنجان الشاي وهو يقلّب صفحة الجريدة. قرأ المقالة ثلاث مرات. *إذًا لهذا احتفظتُ بالجريدة!* تجهّم وجه

ڤيكتور وهو يكوِّر الصحيفة ويلقيها في النار. غذت الأخبار التي جعلته - من قبل- يكسر فنجان الشاي اللهب، قبل أن تهدأ جذوته سريعًا.

رحب البريطانيون بقرار الضم، لكونهم يعارضون طموح الروس اتجاه جيرانهم في الجنوب. فكروا أن ضم اليابان لكوريا سيقف عائقًا في طريق التوسع الإقليمي لروسيا. حتى أمريكا التي انتهت للتو من المرحلة الأخيرة لنسف قناة بنما بالديناميت وفتحتها لملاحة السفن البخارية، رحبت بالضم زاعمة أنه في صالح شعب الإمبراطورية الكورية. أما روسيا التي أمَّنت من قبل للملك كوريا لجوءًا في مبنى مفوَّضيتها، رضخت للأمر الواقع وأعلنت تأييدها الضمني للضم من خلال التوقيع على اتفاقية "بورتسموث"[٤٥]. كانت الصين تقريبًا هي الدولة الوحيدة التي عبرت علنًا عن رفضها، مدركة أنها تشارك كوريا حدودًا مباشرة وأن هذا الضم سيضر بمصالحها. كما توقعت الصين، طلبت اليابان من ألمانيا حق الانتفاع بشاندونغ المطلة على البحر الأصفر، مستغلة فرصة الاضطرابات في أوروبا. بعد أن أعلنت كوريا مستعمرة لها، ركزت اليابان على الحصول على خطوط سكك حديد فرنسية وإنجليزية وعلى تطورات استخراج المعادن في الصين.

رمى ڤيكتور الكتاب الذي ترجمه "هونغ جونغ-يو" في النار أيضًا. كما لو كان يبعد ذهنه عن شيء ما، رمى في عجالة المزيد من الوثائق والكتب إلى النار. تلك الأشياء التي بدت وكأنما ترفض الرحيل.

---

٤٥ الاتفاقية التي وضعت حدًا للحرب الروسية اليابانية وتم توقيعها في ٥ سبتمبر ١٩٠٥م. لعب ثيودور روزفلت الرئيس الأمريكي دورًا محوريًا في التوفيق بين الطرفين، وفاز بنوبل في السلام تقديرًا لهذه الجهود.

"بدأ الثلج في الهطول".

دخلت زوجة ڤيكتور وهي تحمل فنجانًا مليئًا بشاي باللبن.

"لا يزال هنالك الكثير من الأشياء للتخلص منها. قد يستغرق هذا الليل بأكمله".

وضعت فنجان وصحن الشاي فوق طاولة بجوار المدفأة، ثم التقطت صندوقًا مليئًا برسائلٍ ممزقة، وهزَّته كي تفرغه داخل النار.

رفرفت صورة لا بُد أنها كانت محشورة بين صفحات أحد الكتب حتى سقطت عند قدميها. التقطتها.

"مَن هذه المرأة الشرقية، ڤيكتور؟"

علت الدهشة وجهه. كانت صورة چين. كيف أمكنه نسيان هذه الصورة؟ كان قد استغل إحدى إجازاته خلال فترة عمله الأخيرة في كوريا لجرد الحجرة الشرقية. تبرَّعَ بكل المقتنيات الأثرية إلى "متحف غيميه". أي شيء آخر وجده من متعلقات چين، أرسله إلى المرأة سوه بناءً على طلبها. ثم في أحد الأيام أخرج كل صورة لها من ألبوماته وأحرقها. ظن أنه قد أحرقها جميعًا.

"مَن هي؟"

كررت الزوجة السؤال على ڤيكتور، الذي بدا وكأنه قد سرح بأفكاره بعيدًا. بدا صوتها كأنما يأتي من مكانٍ سحيق.

تذكر ڤيكتور حمله لكاميرا سرية في لقائه الرسمي الأول بالملك. تذكر لقاؤه بها لأول مرة على الجسر فوق جدول الحرير. تراءت أمامه الصورة:

تبعت بنعلها الأزرق خادمة البلاط الكبيرة، قبل أن تلتفت لتنظر بعينيها السوداوين إليّ.

انهار ڤيكتور بجسده فوق كرسي هزاز بجوار المدفأة. اجتاحته الذكرياتُ. سحبُه السلك المتصل بالكاميرا في اللحظة التي التقت فيها عيناه بعينيها لأول مرة. قوله في حرارة اللحظة: "بون چور!" وردها العفوي جدًا عليه بفرنسية سليمة: "بون چورا". البشاشة التي أظهرتها له كما لو كانا صديقين قديمين. ألح عليه مندوب البلاط كي يواصل السير عندما التفت ولاحظ تأخره، فسحب سلك الكاميرا مرة أخرى بينما تنظر چين إلى الوراء بعينيها السوداوين التي اعتقد أنه لن ينساها أبدًا، لما تبقى من حياته.

"هل تبكي، عزيزي؟"

أخرجته زوجته من بحر الذكريات وهي تنظر في عينيه.

كتب ڤيكتور رسالة أخيرة إلى چين عندما علم بقرار إرساله من المغرب إلى كوريا. كتب أنه سيعود إلى كوريا لكن لا يمكنهما العودة أبدًا إلى الماضي. أنه استغل الوقت كي يفكر في علاقتهما أثناء تواجده في المغرب. اعترف لها أن عدم زواجه منها لم يكن فقط بسبب اعتراضات أمه، بل أيضًا بسبب خوفه الدائم من التخلي عن طموحات والده بأن يصبح رجلًا نبيلًا. كتب بصراحة أنه السبب فيما آلت إليه علاقتهما. بوصفه دبلوماسيًا، افتقد للإرادة كي يدافع عن حبه لها. كان عائدًا إلى كوريا لكنه لا يستطيع العودة إلى حياتهما معًا.

"أحبك، لي چين، لكن عليَّ أن أدفن هذا الحب في أعماق قلبي وأعود إلى كوريا كدبلوماسي فقط".

أرسل الرسالة ثم بعد رحلة العودة الشاقة إلى كوريا، وجد المترجم بول شوي ينتظره في ميناء "جيمولبو" كي يخبره بمصير چين.

كانت چين قد ماتت قبل خمسة أيام فقط من وصوله. كانت الرسالة التي تركتها له عبارة عن شهادة مُفصَّلة لما حدث في ليلة اغتيال الملكة أو "الإمبراطورة مِن" كما سُمِيت مؤخرًا. كان هذا كل شيء.

أصابت ڤيكتور صدمة كبيرة فلم يستطيع التفكير في سبب اختيار چين الموت في القصر، أو لماذا دهنت صفحات قاموسها الأثير بالسم كأداة انتحارها.

ظلل الندم التجعدات قرب عيني ڤيكتور وهو يتمايل على كرسيه الهزاز.

هل كانت امنية چين الأخيرة قبل موتها ان يدع ڤيكتور العالم يعرف الحقيقة عن كيف ماتت الإمبراطورة "مِن" بالضبط؟ هل كانت كذلك؟ ألهذا كتبت شهادة مفصلة عن اغتيال الإمبراطورة واختارت القصر المهجور الذي نمت فيه الحشائش بسبب الإهمال الذي طاله، كي يكون المكان الذي تقتل نفسها فيه؟

كتب لها أنه لا يمكنهما العودة أبدًا كما كانا من قبل، لكنه تألم بشدة عندما لم تكتب كلمة واحدة من أجله في رسالتها الأخيرة. ذلك الألم جعله يمزق رسالتها دون أن يُرِي كلماتها الأخيرة لأي أحد.

"لا بُد أنك قد احببتها!"

علت خيبة الأمل وجه زوجته وهي تبتعد عن المدفأة.

هل كان مسؤولًا عن جعل موتها بلا معنى؟ باستثناء القليل من الأصدقاء المقربين، لم يعرف أحد بموت چين وسرعان ما نُسِيت.

بمجرد أن عاد الملك إلى القصر من المفوَّضية الروسية، أعيد تسمية البلاد الإمبراطورية الكورية ومُنِحت الملكة الميتة لقب الإمبراطورة وأقيمت طقوس جنائزية مناسبة من أجلها.

سمع ڤيكتور إشاعة عن رجل مقطوع الأصابع قد وجدوا جسدَه متجمدًا حتى الموت أمام قبر چين ذلك الشتاء لكنه لم يجرؤ على زيارة قبرها بنفسه أبدًا. سمع أيضًا أن "هونغ جونغ-يو" الذي عاد من الصين قد حرص على أن يُدفَن الرجل المقطوع الأصابع بجوار چين.

حاول ڤيكتور نسيان المرأة التي أبت التفكير فيه في ساعة موتها. حاول أن ينساها خلال العشر سنوات التي عاشها في هذه الأرض التي أصبحت تسمى الإمبراطورية الكورية حيث ساعد على بناء مدرسة فرنسية وكاتدرائية.

قرَّب صورة چين من خديه الدافئين بفعل حرارة النار. اندفعت ذكريات حمله هذه الصورة قرب قلبه، مشتاقًا لرؤيتها مرة أخرى في رأسه مثل موجات محيط عاتية. ذكرى الأيام التي كان يقف فيها أسفل شجرة العنقاء وتحديقه نحو الضوء القادم من نافذة حجرتها في مبنى المفوَّضية الفرنسية.

كانت چين في الصورة جميلة كفراشة قد هبطت فوق زهرة "بوق زاحف" لفترة وجيزة وتستعد لتحلق من جديد في السماء. لكن الآن وهو يتأمل الصورة بعد كل تلك السنين، فكر أنها تحاول أن تقول له شيئًا من خلال عينيها الداكنتين.

لم تتركه من دون كلمة، أدرك في ألم أنها قد تركت له ألف كلمة وكلمة لكنه هو من كان يفشل في فهمها كل هذا الوقت. رمى الصورة داخل النار. بينما يلتهمها اللهب الأحمر، فكر أنه يستطيع سماع صوتها الجَذل يناديه: غيلين!

عاود النظر إلى النار. هناك رآها تقف على جسر جدول الحرير وتلتفت إليه. التقت عيناها بعينيه. السُواد في عينيها يحدق في سنوات الندم البادية في عينيه.

نهض ڤيكتور وسار حتى النافذة. فتح مصرعيها على أجَمَّة شجر الزان. اندفع تيار الهواء البارد المحمل بندف الثلج إلى داخل الحجرة.



تعقيب المترجم[٤٦]

(البعد التاريخي لراقصة البلاط)



في الساعات الأولى من صباح الثامن من أكتوبر عام ١٨٩٥ تسلل خمسون رجلًا يابانيًا مدججين بالسيوف إلى قصر "غيونغبوكجونج" في سيول، كوريا. تغلبوا على فرقة من الحرس الملكي الكوري قبل أنَّ يدخلَ عشرون منهم إلى البلاط الملكي. كانوا ينفذون خطة محكمة حاكها موفَد اليابان بنفسه لاغتيال الشخص الأخطر على مستقبل اليابان الاستعماري. خطة عرفت بـ"عملية اصطياد الثعلبة".

"حبسُوا الملك في جناحه. اقتحموا جناح الملكة. سحبوا خادمات البلاط من شعرهن وجرّوهنَّ إلى الخارج وألقوهن في الوحل واستجوبوهن"، يروى شاهد روسي.

---

٤٦ فضلنا وضع هذا التعقيب في النهاية وإن كان بمثابة مقدمة عن البعد التاريخي للرواية كي لا يفسد متعة القراءة الأولى على من يجهل مصرع الملكة مِن (ميونغسونغ) إحدى أبرز المآسي ونقاط التحول الهامة في تاريخ كوريا. (المترجم)

كان القتلة اليابانيون يبحثون عن الملكة "مِن" زوجة ملك مملكة "جوسيون" الكورية "غوجونغ" كانت امرأة هزيلة مجهولة الأم مع ذلك تزوجت بالملك في السادسة عشرة من عمرها. كبرت وكبر معها نفوذها وسلطتها داخل البلاط حتى عدّها الكثيرون الحاكم الفعلي للمملكة. اعتبرتها الإمبراطورية اليابانية خطرًا بالغًا لمخططات اليابان التوسعية.

"كانوا يغتصبون النساء بعد أن يفرَغوا من استجوابهنّ ثم يمزقوهن بسيوفهم. تناوبوا على اغتصاب الملكة ثم طعنوها حتى لقيت حتفها. حملوا جسدها الميت. تأكدوا من أن يراها الأجانب خاصة الروس الذين كانت قد تحالفت معهم. ثم جروا جثتها إلى الغابة وغمروها بالكيروسين قبل أن يضرموا فيها النار. تناثر غبارها في الهواء. عندما رحلوا وتحرر الملك، أرسل بحثًا عن بقاياها. لم يجد سوى عظمة".

الملكة "مِن" تعتبر من أشهر الملكات في التاريخ. قوتها وحكمتها وتاريخها الحافل والغامض ونهايتها المأساوية التي كانت بشكل ما بداية نهاية مملكة جوسيون واحتلال اليابان الكابوسي لكوريا الذي دام حتى نهاية الحرب العالمية الثانية، كل هذا يؤهلها لتكون شخصية جديرة بالمعرفة ويضعها في مصاف ملكات عظام مثل كليوباترا.

كانت السنوات الأخيرة من حكم مملكة جوسون منبعًا للكثير من الروايات والأعمال الدرامية، خاصة مع الغموض الشديد الذي يكتنفها ومحاولة كل طرف سُواء كوريا أو اليابان أو الصين الترويج لرؤيته الخاصة للأحداث. فمع ضعف مملكة جوسيون في سنواتها الأخيرة باتت مطمعًا للكثير من القوى الخارجية والمؤامرات الداخلية.

لذا حين قررت "كيونغ سوك شين" إحدى أشهر الكاتبات المعاصرات في كوريا إن لم تكن الأشهر الكتابة عن تلك الفترة الحرجة في تاريخ كوريا، حاولت أن تنبش في التاريخ عن شخصية نسائية مهمشة فوجدت اسم "چين لي" راقصة البلاط التي لا يذكر التاريخ عنها الكثير مقارنة بالشخصيات الأخرى الواردة في الرواية التي تمتلئ الشبكة العنكبوتية بمعلومات عنهم، ثم استخدمت عبقريتها الروائية في نسج خيوط هذه القصة الحزينة المرهفة بعناية، حتى بلغت ذروتها في النهاية الصادمة.

"راقصة البلاط" رواية تاريخية تدور في أجواء مشابهة لكلاسيكيات مثل "اعترافات فتاة الغايشا"، مبنية على أحداث حقيقية. لذا وجب عليَّ الإشارة هنا إلى عدد من شخوص الرواية التي لها جذور حقيقية في التاريخ بالإضافة إلى الملكة مِن:

"ڤيكتور إميل ماري كولين دي بلانس" كان موفَد فرنسا إلى البلاط الملكي الكوري. ورد في كتاب "عن كوريا" شارك في تأليفه خليفة بلانس في كوريا "هيبوليت فراندين":

"كانت ثمة راقصة في البلاط الملكي تتفرد عن قريناتها بجمال فاتن يخطف أنظار الجميع حتى الأوربيين. دبلوماسي فرنسي شاب بالتحديد-لا يزال على قيد الحياة لذا لا يمكنني ذكر اسمه - انبهر بجمال وسحر هذه الشابة. طلبها من الملك "جونغجو" الذي منحها له كهدية عن طيب خاطر. كانت الراقصة الخاضعة لقوانين البلاط مثل العبدة، عليها أنّ تهب نفسها لسيدها الجديد دون اعتراض".

كانت تلك المرأة هي "چين لي" بطلة الرواية والمسؤول الشاب هو "ڤيكتور دي بلانس". وفقًا للكتاب، اصطحب فيكتور چين إلى فرنسا ثم

المغرب. لم تثبت هذه القصة المثيرة أبدًا. لكن كان هذا كافيًا لكيونغ سوك شين كي تبدأ في نسج خيوط حبكتها.

القسيس الفرنسي "بلانك" الذي صار أسقفًا للكنيسة في كوريا شخصية حقيقية وكذلك دار الأيتام التي بناها في كوريا وكذلك قصص الاضطهاد الذي تعرض له الكاثوليك هناك والذي تسلط الرواية الضوء عليه. كذلك الاهتمام الذي أولاه الكوريون للفن والأدب الفرنسي الذي ترجم الكثير من روائعه إلى الكورية في تلك الحقبة.

من الشخصيات الواردة في الرواية أيضًا "هونغ جونغ-يو" الذي يعتبر أول طالب كوري يُرسل في بعثة رسمية إلى فرنسا (كان وقتها في الأربعين من عمره). عمل في "متحف غيميه للفن الأسيوي" الذي أسسه "إميل غيميه" عام ١٨٨٩ وهو أول من ترجم الأدب الكوري إلى الفرنسية حين ترجم قصة "تشون هيانغ" الشهيرة. اتخذت حياته منحى دراماتيكيًا حين سافر إلى اليابان واغتال "كيم أوكغيون" أحد التنويريين الكوريين المتطرفين على متن سفينة مبحرة إلى شانغهاي، مما أكسبه رضا الملك جونغجو، وتولى منصبًا رفيعًا قبل أن يعيش في حياة عزلة مع تزايد النفوذ الياباني في كوريا.

من الشخصيات الأخرى المهمة في الرواية شخصية "يوان شي كاي" الشخصية المحورية في تاريخ الصين الذي أوفد إلى كوريا لفترة والذي صار بعد ذلك أول رئيس لجمهورية الصين عام ١٩١٣. أبرزت كيونغ سوك شين الضغوط التي حاولت "مملكة تشينغ" الصينية فرضها داخل البلاط الملكي الكوري في مواجهة التدخل الغربي.

من النقاط المميزة في الرواية هي تنقل كيونغ سوك شين السلس بين الرواة ووجهات نظر الشخصيات المختلفة وبراعتها في كتابة الرسائل

الرسمية بين ڤيكتور دي بلانس والخارجية الفرنسية أثناء إقامته في كوريا والرسائل بين راقصة البلاط والملكة من أثناء تواجد چين في فرنسا لدرجة تبدو معها حقيقة جدًا.

بإتقان شديد أيضًا تمكنت الروائية من إشعار القارئ بالتحول في الأسلوب والجو العام والحوارات والتقاليد في النصف الأول من الرواية الدائر في كوريا والنصف الثاني في فرنسا.

وسط كل هذه الأحداث تبقى "چين" راقصة البلاط محور القصة الرئيسي. في خضم صراعها الدائم بين التقاليد والحداثة. بين الشرق والغرب. بين قصة حبها مع "يون" وإخلاصها للملكة والالتزام الذي قطعته كامرأة بلاط أمام ڤيكتور، تحاول چين البحث عن ذاتها واستعادة السيطرة على مصيرها قبل فوات الآوان.

راقصة البلاط رواية تتجاوز كل حدود التصنيفات الأدبية (فقد تبدو للوهلة الأولى تاريخية أو رومانسية أو سياسية أو صراع بين الشرق والغرب) لتحكي قصة حزينة وصادقة عن امرأة مهمشة قُدِر لها الحياة في فترة زمنية عصيبة لكن ثرية من تاريخ كوريا.

محمد نجيب



"راقصة البلاط" في الصحافة العالمية

"رواية مستلهمة من قصة حقيقية عن راقصة بلاط في أواخر القرن التاسع عشر. تناقش رواية شين ثيمات عن الاختلاف والتوافق والهوية بين حضارتين عن طريق وضع تاريخ كوريا إلى جانب راوي من الغرب. تلقي شين الضوء على التباين الشاسع بين أوروبا وكوريا الأمة الآسيوية الأكثر عزلة. تتعمق راقصة البلاط في مناقشتها لما يمكن أن تفقده بلد ما من هويتها وتقاليدها في مقابل الحداثة".

واشنطن بوست

"تأمل في التغيرات المجتمعية التي تجبر البشر على مواجهة الصراع بين العُرف والحداثة. شين كاتبة مميزة في أسلوبها ومتعمقة في بحثها عن الخلفية التاريخية لأعمالها".

نيويورك جورنال

"رواية حزينة. نص ثري وصادق بالنسبة لخلفيته التاريخية وتعدد أصواته الروائية. كيونغ سوك شين أشهر كاتبة في كوريا الجنوبية ولسبب

وجيه. فهمها العميق لخلجات النفس البشرية يتجاوز الحدود التاريخية ويعزز من قدرتها على تصوير مكان مختلف وزمن بعيد".

NPR

"ملحمة رائعة تمزج بسلاسة بين التاريخ والخيال فكانت النتيجة هذه التحفة الأدبية".

Booklist

"تصوير مدهش وشاعري لامرأة ودولة في مفترق طرق تاريخي. لقصة "چين لي" التراجيدية والمؤثرة بأسلوبها الجميل والمؤثر صدى يشبه الموسيقى الميلودرامية للدايغوم (الناي الكوري) سيظل عالقًا في رأسك لمدة طويلة".

Historical Novels Review

"متعة عظيمة. تعرض لنا شين فترة مهمة في تاريخ كوريا القديم بكل قلبها وعقلها اللذين تستخدمهما دائمًا لإثراء أعمالها".

Book and Bao

الفهـرس

الكتب خان للنشر والتوزيع ®
١٣ شارع ٢٥٤ - دجلة - المعادي - القاهرة.
تليفون: ٢٠٢٢٥١٩٦٥٦٩+
بريد إلكتروني: info@kotobkhan.com
موقع إلكتروني: www.kotobkhan.com



"تأمل في التغيرات المجتمعية التي تجبر البشر على مواجهة الصراع بين العُرف والحداثة. شين كاتبة مميزة في أسلوبها ومتعمقة في بحثها عن الخلفية التاريخية لأعمالها."
نيويورك جورنال

نتابع في الجزء الثاني من رواية "راقصة البلاط" ، جين لي في باريس، انبهارها بكاتدرائية "نوتردام"، تجولها في الشوارع والمتاجر، من "اللوفر" إلى حفلات "بون مارشيه"، وصداقتها مع "موباسان"، علاقتها بخادمها "فينسيت"، مشاركتها في نادى الرحالة. حتى نتوقف وتسأل نفسها: "من أنا؟" الفتاة التي تطرز مراوح الحرير والساتان، لتصبح موضة باريسية، أم هي الفتاة التي تنكسر وتبقى في حجرتها الشرقية بصحبة قطها؟ راقصة البلاط التي تستغربها العيون، أم المترجمة التي تعمل على نقل الأدب الكوري للفرنسية؟

مع راقصة البلاط نكتشف شيئًا فشيئًا أن روح الإنسان متجذرة في ماضيه وذكرياته بأكثر مما نتخيل، وأن طبقات عدة تشكل أرواحنا، تتداخل معًا وتتشابك لتصنع في النهاية ما نحن عليه. ونكتشف أننا أمام نسيج هائل للعلاقات والمشاعر البشرية وهي في معترك التحولات التاريخية الكبرى.

نجحت الكاتبة في رسم لوحة سردية شاسعة للسنوات الأخيرة من عمر الإمبراطورية الكورية من خلال عمل روائي ممتع نظنه سيبقى طويلاً كنغم شرقي شجي في ذاكرة القارئ.

كيونغ شوك شين: (١٩٦٣) من أشهر الروائيين في كوريا الجنوبية وأول امرأة تفوز بجائزة مان الآسيوية الأدبية عن روايتها "أرجوك اعتني بأمي" سنة ٢٠١٢. ترجمت أعمالها إلى العديد من اللغات وحازت الكثير من الجوائز والتقدير.

محمد نجيب: كاتب ومترجم وطبيب مصري من مواليد المنصورة ١٩٩٢، صدرت له العديد من الترجمات عن الكورية مثل "الكتاب الأبيض" "أرجوك اعتني بأمي" وغيرها.




ISBN 978-977-803-100-3
9 789778 031003